مجلة الدراسات الافريقية



العــدد الرابع 1975

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



العـدد الرابع ١٩٧٥

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

رئيس التحرير : **الأستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى**

ترسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

محتويات العدد الرابع ١٩٧٥

أولا ــ بحوث باللغة العربية :

السيد / سفير زامبيا بالقاهرة

٤ ـ اضواء على علاقات زامبيا مع العرب والدول الافريقية .

دكتور فاروق عبد الجواد شويقة

٥ ـ نمو الاطفال فى القامة والوزن ومعامل بوندار فى ثلاث بيئات متباينة فى مصر .

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٣ لسنة ١٩٧٥

صفحات من تاريخ البرتغال الاستعمارى في المغرب العربى

(في ضوء وثائق الأرشيف البرتغالى)

للدكتور شوقى عطا الله الجمل

SOME CHAPTERS OF PORTUGEUSE CLONIAL HISTORY IN THE MAGHREB IN THE LIGHT OF THE DOCUMENTS OF PORTUGUESE ARCHIVES

By

DR. CHAWKY EL GAMAL

Portuguese invasion of Moroccan posts started in 1415 with the conquest of Ceuta. This conquest as described by a portuguese officer named Vasco caravallo was"A momentous and significant event which marks the advent of the epoch of conquests. Modern ages should rather be recorded as beginning at that moment than at the fall of Constantinople in the hands of Moslems".

Portugal accomplished this victory before the latest Arab strongholds in Spain began to fall. Granada was still under the control of Moslems. However, portuguese expeditions ensued against Morrocan ports ; they took El Kasr El Saghir in 1475, Tange in 1504, Agadir in 1505, Essouira in 1506, Safi in 1508, Azemour in 1513, El Gadida in 1514. With these cities under portuguese control, most moroccan ports fell under portugal's domination.

Nevertheless, many facts and aspects of portuguese colonization of Moroccan ports are so far uncovered and undealt with. Portugal's colonization of Angola & Mozambique and Guinea eclipsed to ocher parts that fell under portugal's control.

Portuguese archives, however, are abundant with hundreds of documents which throw heavy spotlights on the facts implied in these chapters of portuguese Colonization history.

This study attempts to provide an example of what we can draw out of the documents of the archives in Lisbon.

فى هذه الأيام التى استجابت فيها البرتغال لمنطق العقل فسلمت السلطات الحاكمة الجديدة فيها ، بحق الأفريقيين فى موزمبيق ، وأنجولا ، وغينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر فى الاستقلال والحرية ،وتيسير دفة شئونهم بانفسهم—لعل السؤال الذى يتبادر للذهن لأول وهلة هو : متى بدأت هذه الموجة الاستعمارية ؟

والحقيقة إنه على الرغم مما كتب عن الإستعمار البرتغالى ، فان الكثير من الحقائق المتصلة بهذا الإستعمار والظروف والوسائل التى تم بها ، وإنعكاسات الأوضـــاع الداخلية فى كل من المغرب والبرتغال على العلاقات بين البلدين لا زالت لم يكشف عنها النقاب .

وفى هذا البحث محاولة لإلقاء الأضواء على بعض الصفحات المبكرة من هذا التاريخ الإستعمارى فى ضوء الوثائق البرتغالية على الخصوص . ولعل الخطوة السياسية التى إتخذتها الحكومة البرتغالية والتى أشرت إليها تنسحب فائدتها على الناحية العلمية أيضاً ، فيكشف النقاب عن كثير من الوثائق التى لا زالت حبيسة فى دور الوثائق أو فى وزارة الخارجية البرتغالية (١) .

ولعل الحسن بن الوزان — ليو الأفريقى — من أوائل الذين كتبوا عن علاقات البرتغال بالمغرب العربى . وقد ساهم الوزان بنفسه فى بعض صفحات هذا النضال

(١) من أهم الجهود التى بذلت للإستفادة من محفوظات الأرشيف فى لشبونة (Archives Nationales de la Torre do Tombo à Lisbonne) تلك التى قام بها منذ (١٩٠٥) الكونت دى كاستروس (Le Comte de Castrus) بمعاونة بعض العاملين فى دار الوثائق هذه ، وممن شغفوا بعلاقة البرتغال بالمغرب بالذات من أمثال أنطونيو بايو (M. Antonio Baioa) وكذلك لارانجو كويهو (Larango Coelho) وهذا الأخير شغل منصب أول محافظ لدار الوثائق هذه — وكذا داود لوبس (M. David Lopes) الأستاذ فى جامعة لشبونة والمتخصص فى تاريخ المغرب بالذات .

هذا بالإضافة إلى كولن (M.G.S. Colin) ، روبرت ريكارد (Robert Ricard) اللذين كان لهما فضل تصحيح بعض الوثائق العربية التى نشرت .

ومن الوثائق التى نشرت فى هذا المجال

— **Joao de Sousa : Doccumentos Arabicos (Lisbonne 1790.**

— **M. Antonio Baiao : Doccumentos do Corpo Chronologico relativos à Marrocos (L' Academie des sciences de Libonne—1925)**

لكن لازلنا فى حاجة للاستفادة مما نشر ولمتابعة ومضاعفة هذه الجهود .

بين المغاربة والبرتغال ، وترجع أهمية كتابات الوزان إلى أنها تعطينا وجهة نظر أخرى غير وجهة النظر الأوربية والبرتغالية على وجه الخصوص – فيما يتعلق بالأحداث المتعلقة بالغزو البرتغالى للثغور المغربية بالشمال الأفريقى (١).

أما الكتابات الأخرى فى هذا المجال فأغلبها يعالج ناحية أو أكثر من الموضوع، وأغلبها يعطى صورة عامة عن الإستعمار البرتغالى ، لكن الوثائق تكشف عن حقائق لم تتعرض لها الكتب المنشورة ، فمثلا الوسائل التى اتبعتها البرتغال لتنفيذ مخططها الإستعمارى واستغلالها للأوضاع فى المغرب ذاته واتصالها بشيوخ القبائل وغيرهم من الخارجين على السلطات الحاكمة فى المغرب ، ومن ناحية أخرى المقاومة الوطنية الباسلة للمغاربة المخلصين لبلادهم والمؤمنين بحقهم فى الحرية ضد المستعمر ، وما وقع على السكان من صنوف التعذيب ، وما أصاب البلاد والمؤسسات المختلفة خاصة المساجد والمدارس فيها من تخريب ، كل هذه وغيرها لا نستطيع التعرف عليها إلا بدراسة الوثائق الأصلية ، وقد أهملها عن قصد أو عن غير قصد من تعرضوا لهذا الموضوع وهم قلة، فقد ركز الإهتمام على الإستعمار البرتغالى فى موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو ، ولم يلق إستعمارهم للثغور المغربية نفس العناية (٢).

---

(١) نشر كتاب (وصف أفريقيا) للوزان لأول مرة بالإيطالية فى عام ١٥٥٠ ، وترجم بعد ذلك لعدة لغات : – الترجمة الإنجليزية قام بها يوحنا بورى (John Pory) ونشرتها مؤسسة هيكليوت (Hakluyt) فى عام ١٦٠٠ .

"The History and Description of Africa and of the Notable things therein contained. Written by Al-Hassan Ibn Mohammed Al-Wezaz al Fasi. a Moor, Baptised as Giovani Leone, but better known as Leo Africanus (3 Vols),

وقد أعيد نشرها فى ثلاثة أجزاء أيضا مع مقدمة وتعليقات للدكتور روبرت برون (Dr. Robert Brown) سنة (١٨٩٦) . وفى عام ١٥٥٦ قام (Jean temporal) بترجمة الكتاب إلى الفرنسية ، وظهرت طبعات أخرى بالفرنسية له بعد ذلك .

(٢) من أهم الكتب التى تناولت الاستعمار البرتغالى وسنشير لبعضها أثناء البحث :

(*a*) Damio de Goes : La Cronica do felicissimo rei de Manuel (1566)

(*b*) Luis del Marmol : L,Afrique de Marmol (Paris 1667) 3 vols.

(*c*) J. Gouleven : La place de Mazagan sous la domination Portugais (Larose 1917)

(*d*) R. Durval, Pires de lima : Historia de dominacao Portugues en Confim (Lisbonne 1930).

(*e*) David Lopes : Historia de Potugal T. III & IV (1932)

(*f*) Vasco de Caravalho: La domination Portugaise au Marlaoc (1415—1769), Lisbonne (1936).

وقد افتتح الملك يوحنا (D.J. Oão) صفحة الإستعمار البرتغالى للثغور المغربية وهو من أسرة أفيز (AVIZ) ، ويعتبر المؤسس لدولة البرتغال الحديثة ، فقد نودى به ملكاً على البرتغال فى عام ١٣٨٥ باسم يوحنا الأول (Jean I er) وذلك بعد أن استقلت البرتغال عن نفوذ قشتالة وتقلص نفوذ العرب فى شبه جزيرة أيبريا فلم يبق لهم بعد سقوط أشبيلية سنة ١٢٤٨ م إلا مملكة غرناطة حيث بقيت السلطة فى يد بنى نصر حتى عام ١٤٩٢ م . وهو العام الذى أضطر فيه أبو عبد الله ابن الأحمر آخر ملوك المسلمين بها لمغادرتها (٢).

ولعل السؤال الذى يلح على الأذهان لأول وهلةهو — لماذا اتجه البرتغال للشمال الأفريقى فى تعقبهم للعرب فى هذه الحركة التى يعتبرها بعض المؤرخين تتمة للحروب الصليبية المعروفة — بينما كانت غرناطة لا تزال فى يد المسلمين ؟

لقد دفعت البرتغال لهذا الإتجاه عدة عوامل من أهمها :

١ — تجنبت البرتغال أن تصطدم بأطماع قشتالة ، وكانت قد عقدت معها صلحاً لم يجف مداده بعد (١) .

٢ — كانت الموانى المغربية هى الظهير الذى يحمى المسلمين فى غرناطة . ومنها كانت تقلع السفن محملة بالإمدادات من رجال وعتاد للعرب فى أسبانيا .ه فالإستيلاء على هذه الموانى يعتبر خطوة هامة فى إضعاف النفوذ العربى فى شبه جزيرة أيبريا ، وهذا من جهة يؤمن البرتغال وغيرها من الممالك الأوربية من أية محاولة للعرب لإسترجاع سلطانهم فيما أصبح الكتاب العرب يطلقون عليه إسم

---

(١) للدراسة المستفيضة أنظر :

محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤) .
دول أسبانيا المسلمة منذ سقوط الخلافة الأموية حتى مقدم المرابطين إلى شبه الجزيرة .
— ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة (القاهرة ١٩٠٤ ، ١٩٥٦) .

R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne (Leiden 1932).

(٢) ستصطدم مصالح الأسبان والبرتغال وأطماعهما فى الشمال الأفريقى فيما بعد ، فحين تخلصت أسبانيا من بقية النفوذ العربى — اتجهت هى الأخرى للإستعمار ، وكانت الثغور المغربية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى مطمع كل من الدولتين المتنافستين .

(فردوس العرب المفقود) ، وفى نفس الوقت يساعد على تصفية بقية الوجود العربى فى شبه الجزيرة الأيبيرية .

ونشير فى هذا المجال إلى أن العرب فى المغرب–أو على الأقل الصفوة المثقفة والرائدة منهم – لم يستسلموا لهذا المصير الذى آلت إليه الأمور فى أسبانيا ، فحين ضعفت دولة بنى مرين وضعف ملوكها وشغلوا بالمشكلات الداخلية عن الجواز إلى الأندلس للدفاع عنها ضد الزحف المسيحى ومحاولة استرجاع النفوذ العربى بها– ظهرت جماعات مغربية ، ومن مهاجرى الأندلس للدفاع عن الأندلس . واستخدمت هذه الجماعات سلاح القلم للدعوة للجهاد ، بالإضافة إلى العمل على إعداد الشباب المسلم وتيسير سفره للأندلس للانضمام إلى إخوانه المجاهدين هناك ضد الضغط الأوربى ، وكانت الثغور المغربية على الأخص هى الميدان العملى لنشاط هذه الجماعات ، فيها يعد للجهاد ومنها يرحل إلى أسبانيا . وقد برزت من هذه الجماعة أسماء ، منها أبو عثمان سعيد الرندى الأندلسى الأصـــل ، وهو معاصر للسلطان المرينى عبد الحق بن أبى سعيـــد ، وقد دعا علماء فاس – لمالهم من منزلة لدى الناس – للحض على الجواز للأندلس ، وكذلك منهم أبو الحسن على الشريف الحسنى السجلماسى المتوفى عام ٨٤١هـ – ١٤٣٨م ، وقد اشتهر بلقب شيخ الغزاة لأنه كان يفد إليه الشباب من سوس وغيرها فيجهزهم ويبعث بهم إلى طنجة وغيرها من الثغور المغربية للجواز منها للأندلس(١).

٣ – ويرتبط هذا العامل – بالدافع الدينى وراء الإستعمار البرتغالى للثغور المغربية ، فقد كانت من الأهداف المعلنة للملكية البرتغالية الفتية – تعقب القوى الإسلامية وتطويقها ، ومحاولة الإتصال بالملك المسيحى القديس يوحنا (Prester John) الذى كانت تثار حول مملكته وموقعها وثرائها – قصص يتناقلها الأوربيون دون أن يستطيعوا التحقق من صحتها ، وذلك فى محاولة لتطويق الدول الإسلامية والقضاء على مصدر قوتها الذى كان يتمثل فى ذلك الوقت فى تجارة الشرق ، وفى محاولة السيطرة على شرايين الملاحة المؤدية إلى مصادر هذه التجارة .

---

(١) أنظر : محمد المنونى : التيارات الفكرية فى المغرب المرينى(مجلة الثقافة العربية–العدد الخامس)

وقد أشار الملك يوحنا ملك البرتغال الذى – كما ذكرنا – افتتح صفحة الإستعمار البرتغالى فى الثغور المغربية – إلى أن الميدان الحقيقى الذى يستطيع أفراد البيت المالك أن يكسبوا فيه الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين فى المغرب ، وأنه سيمنح وسام السيد الأعظم وهو أكبر وسام فى بلاده لمن يثبت جدارته فى هذا الميدان . وتنافس فى هذا المجال أبناء الملك الثلاثة فى ذلك الوقت – دورات ، بدرو ، هنرى (D. Duarte) ، (D. Pedro) ، (D. Henrique) . وكان هذا الشرف من نصيب هنرى الإبن الثالث للملك والذى عرف باسم هنرى الملاح فهو الذى تصدى لهذه المهمة ، وكان إغراق الملك عليه بالرتب من دوافع استخفافه بالمخاطر فى سبيل تحقيق الهدف الذى أعلن الملك عنه (١) .

وقد أشار الضابط والكاتب البرتغالى فاسكودى كرافللو الذى أرخ للاستعمار البرتغالى فى هذه الفترة – إلى الروح التى كانت تسود الشباب البرتغالى عامةبو مئذ فقال : « إن الشباب البرتغالى كان يعتقد أن المسلمين – إذا كانوا قد التجاوا من شبه جزيرة الأندلس إلى الشمال الأفريقى – فإن الواجب يحتم على المسيحين ألا يتركوهم ينعمون بالمقام بل أن يتعقبوهم هناك » (٢) .

٤ – الأهمية التجارية للثغور المغربية : ولا يتسع المجال هنا لإفاضة فى الحديث عن العامل الاقتصادى وراء الاستعمار البرتغالى فى هذه المرحلة . لكننا نشير إلى أن تجارة البحر المتوسط كانت تمثل المرحلة الثانية فى رحلة تجارة الشرق المربحة إلى أوربا ، وكانت المدن التجارية الإيطالية جنوه و البندقية بحكم موقعها وأساطيلها تتحكم فى هذه التجارة عبر البحر المتوسط إلى أوربا . وبرزت فى هذه الأثناء مـــدن الشمال الأفريقى المطلة على البحر المتوسط إلى أوربا ثم تلك التى تطل على المحيط الأطلسى باعتبارها منافذ لتجارة الصادرات الأفريقية لأوربا من قمح

---

(١) للدراسات المستفيضة عن هذا الدافع وراء الغزو البرتغالى للثغور المغربية وموقف البابوية من هذا الأمر ، وكذا البعثات والجمعيات التبشيرية الأوربية عامة والبرتغالية خاصة – أنظر :

شوق الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٧١) ص ١٢١ – ١٢٨ وكذلك ١٥٤ وما بعدها .

(٢) ملاحظة : من الكتب الممتازة عن العامل الإقتصادى وراء الإستعمار

Woolf, Leonard : Empire and commerce in Africa (London 1920)

وماشية وعبيد وذهب ونحاس ، وواردات أوربا المرغوبة من الأفارقة . وحين اكتشف البرتغاليون فى نهاية القرن الخامس عشر طريق رأس الرجاء الصالح للشرق (رحلات فاسكو داجاما Vasco Dagama) فى عام (١٤٩٧) وما بعدها — دخل الصراع فى مرحلة أخرى — حتى أن البنادقة ألقوا بثقلهم كله فى صف القوى الإسلامية الممثلة فى ذلك الوقت فى السلطنة المملوكية مضحين بالعامل الدينى فى علاقاتهم بالمماليك أو البرتغال ، لكن حسمت موقعة ديو (Diu) البحرية فى ١٥٠٩ هذا الأمر فى صالح البرتغال (١) .

على أننى أشير هنا إلى نقطة هامة وهى أن أسبانيا رغم أنها دخلت الميدان الإستعمارى متأخرة بعض الشيء عن البرتغال لأسباب متعددة فى مقدمتها إنشغالها فى تكملة المعارك التى انتهت بتصفية الوجود العربى فى أسبانيا — فقد حاولت أن تستفيد من وقوع جزر كناريا فى يدها عام ١٤٧٦ لمحاولة بسط نفوذها على الساحل المغربى المقابل ومنافسة البرتغال فى هذا المجال .

وفى ٢٠ يولية ١٤١٥ غادرت ميناء لشبونة قوة برتغالية ضخمة على ظهر أسطول من ٢٤٠ سفينة بقيادة الملك يوحنا نفسه . وحرص الملك البرتغالى على أن يخفى وجهة هذه الحملة . وفى ٢١ أغسطس وصلت سفن الحملة إلى ميناء سبتة المغربى بعد أن واجهت جواً عاصفاً وبحراً هائجاً . وقاوم أهل المدينة التى فوجئت بهذا الغزو ما استطاعت لهم المقاومة ، لكن لم تجد المقاومة فدخل الغزاة المدينة ، وفر من استطاع الفرار ممن بقى حيا من سكانها ، وعاد الملك البرتغالى لبلاده بعد أن ترك فى المدينة حامية قوامها ٢٥٠٠ جندى ، كما ترك د. بدرو D. Pedro حاكماً عليها ، ومن ذلك التاريخ إلى اليوم لم تعد هذه المدينة إلى حظيرة الوطن الأم ، ولذا يقول الضابط البرتغالى (فاسكودى كرافللو) « إن هذا حدث خطير وعظيم يعتبر بداية لعهد الفتوحات ، لهذا أجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من أن يتخذ سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين بداية لها » (٢) .

---

(١) De Caravalho, Vasco: La Domination Portugaise au Maroc (1415—1779)— Lisbonme 1936 P. 15

Duffy, : James : Potugeuse Africa (London 1959) P. 82

Johnston: A History of the Colonization of Africa by Alien Races(Cambridge 1913)p. 116

(٢) De Caravalh, Vasco : Op. cit. p. 17

وكانت الدولة المرينية بالمغرب فى دور احتضارها ، فقد كان أبو سعيد عثمان (٨٠٠ — ٨٢٣ هـ / ١٣٩٧ — ١٤٢٠م) فى حروب مستمرة مع أمير تونس الحفصى ، كما كان نفوذ حجاب الدولة ووزرائها ، وتدخلهم فى شئون الحكم ، قد زاد بشكل ملحوظ — فلم يستطع الحاكم المغربى أن يتخذ خطوة حاسمة لطرد العدو المغتصب ، وحتى حين اتفق ملك فاس وملك غرناطة فى عام (١٤١٩) على توجيه حملة بحرية وأخرى برية مشتركة ضد البرتغاليين فى سبتة — لم تجد هذه الجهود فى طرد البرتغال من سبتة وأضطرت القوات الإسلامية المهاجمة للعودة ، ولم يجدد المغاربة محاولاتهم لإستردادها إلا بعد ذلك بمدة طويلة (١).

وحين وصل د. ديوارت D. Duarte إلى كرسى العرش فى البرتغال بعد أبيه فى ١٤٣٣ — عهد لأخويه هنرى D. Henerique وفرناندو D. Fernando وهو الشقيق الأصغر بمهمة إتمام الفتوحات البرتغالية فى الثغور المغربية . وكانت طنجة بالذات هى الضحية التى تتجه إليها الأنظار . وعلى الرغم من معارضة مجلس الملك فى القيام بهذه المخاطرة — فقد أعدت حملة من ٨٫٠٠٠ جندى لتحقيق هذا الهدف . ووصلت هذه الحملة إلى ميناء سبتة فى ٢٧ أغسطس ١٤٣٧ وانقسمت إلى قسمين — قسم على رأسه هنرى إتخذ الطريق البرى صوب طنجة ، والآخر على رأسه الشقيق الأصغر فرناندو أقلع عن طريق البحر بهدف الإطباق على المدينة من البر والبحر . وفى ١٣ سبتمبر بدا كأن الحملة على وشك تحقيق أهدافها . فقد كانت القوات البرية على أبواب طنجة بينما كانت القوات البحرية تهاجمها بحراً .

اجتاحت هذه الأخطار المغرب فى فترة من أحرج فترات تاريخه . فقد كان السلطان المرينى أبو سعيد عثمان قد قتل فى عام (٨٢٣هـ — ١٤٢٠ م) وخلفه إبنه عبد الحق وكان طفلا صغير السن فآلت أمور الدولة إلى الحجاب والوزراء ، وكثر النزاع بينهم فى وقت كان يتطلب تضافر الجهود — لكن نجح الوزير أبو

---

(١) لمن يريد الاستزادة عن تاريخ الدولة المرينية أنظر : (أ) الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول (طبع الجزائر ١٩٢٠) (ب) إبن أبى زرع الفاسى : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (نشر سنة ١٨٤٣ بعناية كارل تورنبرج) .

زكريا يحي فى أن يقبض على ناصية الأمور ونصب نفسه وصياً على الملك الطفل ، وأرسل للأقاليم المغربية المختلفة يحضها على الإسراع بتقديم المعونة للمدينة المجاهدة وكان هو على رأس الجيش المدافع وانتهت المعركة بهزيمة البرتغاليين وعدم استطاعتهم اقتحام المدينة والإستيلاء عليها ، وأضطروا — بعد أن أنزلت بهم القوات المغربية المتحمسة للدفاع عن بلادها خسائر فادحة — أن يدخلوا فى مفاوضات للصلح ليستطيعوا الجلاء بقواتهم الباقية ، وكان مما أثاره الجانب المغربى كشرط أساسى للصلح أن يجلو البرتغال أيضاً عن ميناء سبتة ، لكن البرتغال اعتبروا الجلاء عنها فضيحة تؤدى بسمعة الملكية البرتغالية الناشئة . وتضحية بأحلامهم كلها ، وفضلوا عليها أن يبقى شقيق ملك البرتغال الصغير فرناندو رهينة لدى السلطات المغربية لضمان عدم معاودة البرتغال الهجوم على طنجة أو غيرها من الموانى المغربية . وقد ظل هذا الأمير البرتغالى سجيناً فى فاس حتى مات فى ٥ يونية ١٤٤٣ وقد اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد ضمن الشهداء[١] .

وعقد الصلح وتم إنسحاب القوات البرتغالية فى ١٦ أكتوبر ١٤٣٧ .

على أن الملاحظتين الجديرتين بالتسجيل هنا هما :

أولا : إن اصرار البرتغال على عدم إخلاء سبتة يدل بوضوح على تصميمهم على متابعة تحقيق أهدافهم الإستعمارية مترقبين الفرصة المناسبة لذلك .

ثانياً : إن موقف الكنيسة الكاثوليكية يؤيد بجلاء أيضاً ما ذكرناه عن أن الهدف الدينى كان من أقوى الأهداف وراء الاستعمار البرتغالى .

وفعلا لم يكد الفونس الخامس Alphonse V يخلف د. دوارت D. Duarte على عرش البرتغال فى عام (١٤٣٨) حتى أخذ يعد العدة لمتابعة عمليات الغزو للثغور المغربية ، وكان ما استقر عليه رأى هذا الملك ومستشاريه أن توجه الجهود أولا للاستيلاء على ميناء القصر الصغير الواقع بين سبتة وطنجة — كمقدمة للإستيلاء على طنجة ، وقاد الملك الفونس بنفسه فى

---

(١) من أفضل ما كتب عن أحداث هذه الحملة :

Ruy De Pina : Chronica De Siera ut Supra T.I. (1790) 10—42

٢١ أكتوبر ١٤٥٨ حملة من ٢٥,٠٠٠ جندى حملتهم ٢٨٠ سفينة ووصلت الحملة إلى هدفها ، فبدأت فى ٢٣م أكتوبر فى مهاجمة الميناء ودخلت القوات البرتغالية بعد ذلك وعين الملك حاكما له ، وبنى البرتغال حصنا للحامية البرتغالية فى القصر الصغير (١) .

على أن الملك المرينى الشاب عبد الحق بن أبى سعيد استطاع على الرغم مما كان يواجهه من اضطرابات داخلية أن يوجه بعض قواته للبرتغاليين فى مستقرهم الجديدا قبل أن يتمكنوا من تمهيد وسائل الإتصالات بينهم وبين مراكزهم فى سبتة وأضطر الملك الفونس للعودة لبلاده تاركاً الحامية البرتغالية تدافع عن الغنيمة الجديدة . وكان البحر هو وسيلة البرتغال لإمداد حاميتهم هذه — لكن لم تستطع القوات المحاصرة للمدينة أن تستمر طويلا فى حصـــارها — فاضطرت فى يناير ١٤٥٩ لفك الحصار ، ونجح البرتغال بعد ذلك فى أن ربطوا بين منطقتى إحتلالهم فى المغرب ، مستغلين إتصالهم ببعض ضعاف النفوس من شيوخ القبائل ليضمنوا مرور قواتهم العسكرية بأمان بين مناطق احتلالهم .

ونشير هنا إلى أن هذه الأحداث عاصرت حدثا هاماً هو الذى أشار إليه الضابط البرتغالى دى كرافللو وأعتبر سقوط سبتة فى يد البرتغال أكثر منه أهمية ألا وهو استيلاء العثمانيين على القسطنطينية فى عام ١٤٥٣.وكان لسقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية فى يد العثمانيين دوى هائل فى أوربا حتى أن الكنائس دقت أجراسها — الدقات الجنائزية حداداً على هذا الحدث الجلل .

ودعا البابا إلى حرب صليبية جديدة ضد القوى الإسلامية التى أصبحت تهدد العالم المسيحى وتكيل له الضربات فى الصميم ، وكان من الذين استجابوا لهذا النداء الفونس الخامس ملك البرتغـــال — فساهم بإعـــداد أسطول وجيش كبيرين ، لكن كان هذا الملك فى الحقيقة يخطط لهدف آخر ، فقد نجح فى أن يوجه الحملة الصليبية إلى المغرب بحجة إرساء قاعدة بحرية فى الشمال الأفريقى تكون فى خدمة

---

(١) أنظر صورة بقايا الحصن البرتغالى (نقلا عن الأصل المحفوظ بالمحفوظات بتطوان) .

الأساطيل والجيوش الأوربية فى المستقبل ، وقصدت الحملة طنجة باعتبارها أنسب مكان لذلك — لكنها فشلت فى الإستيلاء عليها .

على أن الاستيلاء على طنجة ظل منذ ذلك الوقت الحلم الذى يتطلع التاج البرتغالى لتحقيقه ، ويعد العدة له . وفى عامى ١٤٦٣ - ١٤٦٤ بذلت البرتغال ثلاث محاولات ضد هذا الحصن كانت آخرها فى ٢٠ يناير ١٤٦٤ ، وخسر البرتغاليون فيها ما ينيف على ٢٠٠ قتيل ، وأكثر من ١٠٠٠ أسير .

وانتهز البرتغاليون فرصة الإضطرابات التى سادت المغرب بسبب مقتل السلطان عبد الحق بن أبى سعيد المرينى فى عام (٨٦٩هـ-١٤٦٤) . فقد إستوزر هذا السلطان يهودياً إستبد بالناس وكثر ظلمه لهم فضج أهل فاس بالذات . وفتكوا بالوزير والسلطان معاً ، وانتخبوا للإمارة أحد الشرفاء من أحفاد الأدارسة هو أبو عبد الله الحفيد — لكن لم تستقر له الأمور فقد نافسه فى الإمارة محمد الشيخ ابن أبى زكريا الوطاسى عامل أصيلا ، فسار إلى فاس وحاصرها واستمر الصراع بين الإثنين من عام ١٤٦٥ إلى ١٤٧٢ .

ولم يتأخر الفونس الخامس عن الإستفادة من هذه الفوضى ، فأرسل فى عام ١٤٦٩ قوة هاجمت أنفا (Anfa) واستولت عليها . وكان أغلب سكانها قد هجروها .

كما أرسلت فى أغسطس ١٤٧١ قوة بحرية من ٤٧٧ سفينة عليها ٣٠,٠٠٠ مقاتل بهدف الإستيلاء على أصيلا الواقعة إلى الجنوب من ميناء طنجة بقليل . ووصلت هذه القوة فى الخامس عشر من الشهر المذكور على مشارف الميناء المذكور . وبعد مقاومة باسلة من حاميتها وسكانها سقطت المدينة فى يد البرتغال فى ٢٤ أغسطس ، وأسر البرتغال ٥,٠٠٠ من المدافعين عنها ، وفى قصبة المدينة قبضوا على كثير من النساء والأطفال منهم أولاد وزوجات محمد الشيخ ، وكان هذا الأخير فى ذلك الوقت يحاصر فاس بجيشه — فاسرع لينجد المدينة المنكوبة لكن بعد فوات الأوان ، فقد كانت قد سقطت فى يد البرتغال . فلم يجد بداً من السعى لعقد صلح معهم ، وفعلا وقعت بين الطرفين فى أصيــلا معاهدة مدتها عشر سنوات حددت

فيها مواقع كل طرف من الطرفين ، واتفق على ألا يحاول المغاربة الهجوم على القوات البرتغالية فى المناطق التى أحتلتها ، وأطلق البرتغال صراح زوجات محمد الشيخ وأولاده ما عدا أحد أبنائه الذى بقى كرهينة لضمان تنفيذ شروط المعاهدة (١) .

وفى ظل هذه المعاهدة أيضاً لم يبسط ملك البرتغال نفوذه ، على أصيلا فحسب لكن على الموانى الهامة المجاورة ، فبسط نفوذه على العرائش وعين حاكماً عليها هو الإبن الثانى لدوق براجانس (Duc de Bragence) ، كما أرسل قوة على رأسها أحد أبناء هذا الدوق أيضاً ويدعى جيان (Jean) إستولت على طنجة فى أغسطس ١٤٧١ بدون مقاومة تذكر ، فقد كانت الخلافات الداخلية تفتت الجهود وتصرفها عما هو أهم . ومن ذلك التاريخ أصبح ملك البرتغال يلقب بملك البرتغال والأقاليم البرتغالية فيما وراء البحار " Rei de Portugal et dos Algarves d'quem et d'Alem Mer "

أما محمد الشيخ فقد عاد لمحاصرة الشريف الإدريسى بفاس واضطر هذا الأخير للهرب مع بعض رفاقه إلى تونس ، فانفرد محمد الشيخ بالحكم فى فاس (١٤٧٣) وشغل بتوطيد أسس الدولة الوطاسية .

والحقيقة إن الأمر كان يستلزم وجود دولة قوية تمسك بزمام الأمور وتواجه الأخطار التى يتعرض لها المغرب . لكن للأسف لم يستطع الوطاسيون أن يبسطوا نفوذهم على كل أنحاء المغرب . وأن يتفرغوا لمواجهة الخطر الخارجى . وزاد الأمر سوء النزاع على السلطة بين أفراد البيت الوطاسى نفسه . وفى هذه الأثناء برزت فى الميدان قوة أخرى حاولت أن تلعب دوراً حاسماً فى مجابهة الخطر الخارجى وقد تمثلت هذه القوة فى مشايخ الطرق الصوفية وأتباعهم .

وكانت هذه الطرق الصوفية قد إنتشرت فى المغرب أيام المرابطين والموحدين ، وكانت الزوايا – وهى مراكز أهل الطريقة فضلا عن أنها مراكز للنشاط الدينى –غالباً تستخدم لأغراض متعددة فهى تستخدم كملاجئ للعجزة ومدارس ودور للبر والإحسان ، وكان شيوخ الطرق يلقون الكثير من الإحترام والتقدير

---

(١) هو أبو عبد ، الله محمد وقد قضى عند البرتغال سبع سنوات تقريباً ، ولما أنقذه أبوه ورجع كان يتقن اللغة البرتغالية ، فلقب بالبرتغالى وحكم بعد أبيه (٩١٠ – ٩٣١ هـ / ١٥٠٤ – ١٥٢٤م)

لما يتصفون به من تقوى ، وقد تميز المغرب فى تاريخه الطويل منذ الفتح الإسلامى بامتزاج الدين بحياة المغربى إمتزاجاً وثيقاً . على أن أتباع هذه الطرق إضطروا فى كثير من الأحيان إلى أن يقصروا نشاطهم على زواياهم بسبب منع السلطات المغربية مزاولة نشاطهم فى خارج زواياهم — لكن هذه الزوايا بدأت تنشط من جديد وتظهر على مسرح الأحداث فى مواجهة هجمات البرتغاليين وغيرهم من القوات المسيحية بعد أن عجزت السلطة فى فاس عن مقاومة هذه الهجمات ومنعها . ومن أكثر طوائف الصوفيين حماساً فى هذا المجال طائفتان(١):

١ — أتباع عبد القادر الجيلانى الذى أنشا الطريقة القادرية فى فاس .

٢ — أتباع محمد الجزولى . وقد بلغوا أكثر من ثلاثة عشر ألف نسمة وملأوا البلاد بالزوايا وحاولوا أن يتصدوا للإستعمار البرتغالى للمغرب — لكن بالطبع كان الأمر يتطلب إعداداً عسكريا كاملا لمواجهة جيش دولة نظامية فتية كالبرتغال .

على أن تحقيق البرتغال لحلمهم فى الإستيلاء على طنجة لم ينه الإصطدام بينهم وبين السلطات المغربية — فقد كان طبيعياً أن تتحين السلطات المغربية الفرص لمحاولة تحرير المناطق المحتلة . كما أن البرتغال كانوا يتطلعون لمد نفوذهم على الأقاليم المغربية الأخرى المطلة على المحيط الأطلسى(٢).

وفى عام ١٤٧٦ هاجم السلطان محمد الشيخ سبتة فى محاولة لتوجيه ضربة للبرتغال بها ، وكان مدفوعاً فى ذلك بايعاز من ملك أسبانيا الذى إشتهر باسم فرديناند الكاثوليكى (Ferdinand le Catholique) الذى كان فى حرب ضد الفونس الخامس . وقد جـــاء الملك الأسبانى نفسه بقواته للمساهمة فى توجيه ضربة للبرتغال بها . كما كانت قوات قشتالة تهاجم المدينة من البحر . وكان على الحـــاكم البرتغالى لسبته المدعو منديس دى فاسونسيلوس (Rui Mendes De

(١) من الذين كتبوا عن دور أصحاب الطرق الصوفية السياسى فى المغرب بول أوديتوت (P · Odinot) فى كتابه : الدور السياسى الذى قامت به الطرق الصوفية ، والزوايا فى مراكش (وهران — ١٩٣٠) .

(٢) ملاحظة : بقيت طنجة فى يد البرتغال ما ينيف عن قرنين حتى تنازلوا عنها للإنجليز عام ١٦٦١ كمهر قدمته كاترين دوبر اكانس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثانى ملك انجلترا وقد استردها المولى اسماعيل فيما بعد (١٠٩٥ هـ — ١٦٨٤)

Vasconcellos) أن يواجه هذا الهجوم المتشعب – على أن البرتغال نجحوا فى عقد معاهدة صلح مع قشتالة فى ٤ سبتمبر ١٤٧٩ ، كما عقدت فى طليطلة بعد ذلك بوقت قصير فى ٦ مارس ١٤٨٠ معاهدة أخرى وضعت نهاية للحرب بين أسبانيا والبرتغال . وفى المعاهدتين أطلقت يد البرتغال فى أملاك ملك فاس ، وفى الموانى المغربية التى تعتبر المنافذ للطرق التجارية المؤدية لداخل القارة . وأخذ الملك الفونس الخامس يتجه بنظره للموانى المغربية المطلة على المحيط الأطلسى والتى تعتبر منافذ لإقليم مراكش ، وكانت السلطة الحقيقية فى هذه المناطق الحيوية فى يد قبائل المصامدة التى كانت قد نزلت فى المناطق الجبلية بالجنوب وكما يذكر البكرى « إنها قد تأيدت فى الجبال وإشتهرت بالمنعة والباس وحظيت بما لم يحظ به غيرها من الثراء والإستقرار »(١) .

والحقيقة إن هذه القبائل لم تعترف بالسلطة المطلقة لحكام فاس ، وكانت مواطنها دائما مراكز الثورة والخطر على حكام الشمال . ومن أشهر هذه القبائل – كما يذكر إبن خلدون – هنتاتة وموطنهم الجبل المتاخم لمراكش ، ودكالة ومواطنهم الساحل المواجه لجبال الأطلس من جانب الحوف فيما يلى مراكش إلى البحر ، وحاحه ومواطنهم السوس الأقصى (٢).

وهكذا نجد أن الأوضاع فى الثغور المغربية تأثرت ليس فقط بالوضع الداخلى فى المغرب لكن بالعلاقات السياسية بين أسبانيا والبرتغال .

وواصل جيان الثانى (Jean II) الذى وصل لعرش البرتغال بعد وفاة أبيه فى أغسطس ١٤٨١ – سياسة أبيه فى محاولة توسيع نفوذ البرتغال فى المناطق الساحلية فى المغرب ، فحاول بمجرد إعتلائه العرش بسط نفوذه على أسفى ، كما حاول فى ١٤٨٦ أن يبسط نفوذ البرتغال على ازمور وذلك عن طريق الإتصال برؤساء القبائل وربطهم بالبرتغال بمعاهدات وإتفاقيات .

---

(١) البكرى : المسالك والممالك ص ١٥٣ ، ١٥٤

(٢) المصامدة نسبة إلى (مصمود بن يونس) وهم من أكثر قبائل البربر عدداً ، وكان لهم التقدم والدولة قبل الإسلام وبعده ، ولم تزل مواطنهم بجنوب المغرب الأقصى منذ الأجيال المتطاولة – كما يقول المراكشى – فى المعجب – أنظر ابن خلدون ج ٦ ص ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ (ويعتبر ابن خلدون من أعظم المؤرخين الذين كتبوا عن البربر) .

وكان للبرتغال كما ذكرنا – مركز حصين فى انفا القريبة ، لكن كانت المراكز البرتغالية تتعرض باستمرار لهجمات القبائل ، فكان مركزها فى هذه المناطق رهن بموقف القبائل المغربية منها . ولم يقم جيان الثانى بحملة قويه ضد مملكة فاس – لكنه فكر فى إنشاء حصن برتغالى متقدم فى المنطقة بين العرائش والقصر الكبير على جزيرة نهرية فى اللوكس ، واختار له إسم جراكيوزا (Graciosa). وأرسلت حملة بحرية لتحقيق هذا الهدف ،وكان على رأسها قائد يدعى جاسبار جوسارت (D. Gaspar Jusart) . وهب الأمير الوطاسى محمد الشيخ (٨٧٦–٩١٠هـ ١٤٧٢–١٥٠٤) لمواجهة هذا الخطر ، واتجه إلى خطة تقضى بالإحاطة بالعدو ومحاولة قطع الإمدادات عنه وحصره فى مكانه إلى أن يستسلم ، ولتحقيق هذا الهدف أنشأ سداً على اللوكس للتحكم فى المنطقة التى كان البرتغاليون يعملون للتحصن بها . ورغم أن الظروف كانت متاحة للإيقاع بالقوات البرتغالية ومحاولة إفنائها – لكن قبل محمد الشيخ أن يعقد مع العدو صلحاً . وفى ٢٧ أغسطس ١٤٨٩ عقدت معاهدة بين الطرفين ، كما تقرر تجديد العمل بنصوص معاهدة أصيلا التى كان العمل بها ينتهى فى عام ١٤٩١ . وأتاحت هذه الإتفاقات الجديدة للبرتغال فرصة لتقوية نفوذهم فى حصونهم الأربعة (سبتة و القصر الصغير و طنجة و أصيلا)، كما إستطاع البرتغال أن يعقدوا إتفاقات مع عدد من الشيوخ المستقلين عن سلطة فاس أو المناوئين لسلطة الحكومة المركزية فيها ، فكانوا يمدونهم بحاجة جيوشهم من المـؤن والخيل وغير ذلك(١) . (على أن عمانوئيل الأول (Emmannuel l ere) الذى خلف جيان الثانى على عرش البرتغال فى عام ١٤٩١ رسم سياسته تجاه المغرب على أساسين :

١ – يقيم على ساحل مراكش المطل على المحيط الأطلسى عدة قلاع فى أماكن متقاربة تختار لهذا الغرض ، ويقيم فى كل قلعة مقيم برتغالى تسنده قوة برتغالية .

٢ – يرتبط مع شيوخ القبائل وأصحاب النفوذ – خاصة فى المناطق البعيدة عن سلطة سلطان فاس بعلاقات وإتفاقات تكفل تعاونهم مع المقيمين البرتغال فى الثغور المحتلة وفى القلاع المقامة،خاصة أن كثيرين من هؤلاء الشيوخ كانوا فعلا مرتبطين

---

(١) أنظر محاولة جيان الثانى (Jean II) الإتفاق مع قبيلة بنى هنا فى أزمور :
Archives Nationales de la Torre do Tombo Gaveta 2 Maco 1 No. 7 .

بمصالح تجارية مع البرتغال . وكان الوكلاء التجاريون يفدون لهذه المناطق — قبل تأسيس القلاع البرتغالية ويؤدون مبادلاتهم التجارية على ظهر مراكبهم ، كما أن الكثيرين من الشيوخ كانوا خارجين عن نفوذ سلطان فاس أو مناوئين له — كما أشرنا من قبل .

وتركزت أنظار الملك عما نوئيل الأول أولا على أسفى الثغر المغربي الواقع على شاطئ البحر المحيط بأقصى الغرب ، كما يقول ياقوت فى معجم البلدان (١)

وكانت أسفى فى ذلك الوقت تتنازعها عدة سلطات : ا — سلطة رؤساء الأحزاب الذين إقتطعوها من حكومة الوطاسيين ثم لم يقدروا على إدارة سياستها ب — سلطة الوطاسيين الضعيفة حـ — سلطة البرتغال المتسربة بواسطة الدسائس والإتفاقات مع رؤساء الأحزاب ، فقد كانت هناك إتصالات مع البرتغاليين من عهد الفونس الخامس ، وجيان الثانى .

وفى خطاب جيان الثانى لحاكم أسفى أحمد بن على يطلب ملك البرتغال أن يبحث الحاكم عن منزل يستطيع ممثل الملك أن يستقر به ، حتى يزاول نشاطه التجارى. ومن الخطاب يفهم أن هذا الممثل التجارى كان يقوم بتدبير ما تحتاجه البرتغال من منتجات هذه الجهات (خاصة الذهب والخيول والشمع والجلود والحبوب) ، وفى نفس الوقت كان الميناء يشرف على تصريف البضائع البرتغالية . ويبدو أن العلاقات استمرت حتى ١٤٩١ فى هذا النطاق (٢) . وكانت سياسة عمانوئيل الأول (Emmanuel I) قائمة على أن يختار نقطاً حصينة على الساحل المغربي ويضع أيديه عليها وينشىء بها الحصون والقلاع ، ويتخذ منها مراكز لتحقيق أهداف

---

(١) يقول ياقوت فى معجم البلدان : أسفى بفتحتين وكسر الفاء ، بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب ، وتارة تكون مهموزة ، وتارة ممدودة وكلاهما قيل به .
أما عن سبب تسميتها هذه ، فهناك أقوال متعددة فى هذا الشأن ، فأبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسى (٥٦٠ هـ — ١١٦٤م) فى نزهة المشتاق (طبعة ليدن ١٨٦٦) يورد قصة طويلة يرجع إليها هذه التسمية — وأسفى فى لغة الشلوح معناها المعدية أو محطة خروج الحجاج .

(٢) نص خطاب جيان الثانى (Jean II) مرفقة صورته مع البحث والأصل بالأرشيف البرتغالى.

البرتغال فى المغرب وفى القارة الأفريقية عامة . والأوضاع التى شرحناها فى أسفى كانت مما شجع عمانوئيل الأول على أن يتجه إليها قبل غيرها من الثغور المغربية ، ويحدثنا ليو الأفريقى عنها بأنها كانت مدينة تجارية هامـــة وأنها حتى ختـــام القرن الخامس عشر كانت تلعب دوراً حاسماً فى تجارة غرب أفريقيا وشمالها الغربى ، كما يتحدث عن قبائلها وكثرة النزاع بين هذه القبائل . ويشير إلى أن الدول الاستعمارية كانت تستفيد من هذه الخلافات والأطماع القبلية لتدعيم نفوذها فى هذا الثغر الهام (١) .

وكانت لأسفى بالذات أهمية باعتبارها مرسى مراكش . أو كما يقول ابن خلدون كانت حاضرة البحر المحيط . وأنها تبعد عن مراكش بمقدار ١٥٥ كيلومتراً . وكان الملك عمانوئيل الأول قد أرسل أحد قواده ويدعى أزامبوجا (Azambuja) تمهيداً لبسط النفوذ البرتغالى نهائياً على أسفى . وفى ١٥٠٨ أرسل قائداً آخر هو (جانسالو منديس كاكولو Gancalo Mednes Cacolo) ومعه أربعة سفن حربية برتغالية وذلك لإسكات أصوات المعارضين للنفوذ البرتغالى من الوطنيين ومساندة أزامبوجا (Azambuja) لتحقيق ما أرسل لأجله . ووصلت الحملة الثانية هذه فى يناير ١٥٠٨ . وكانت البرتغال قد مهدت لبسط نفوذها بالإتصال مع زعماء القبائل . فلم تجد الحملة صعوبة فى تحقيق أهدافها . والطريقة التى حقق بها البرتغاليون أغراضهم فى أسفى ، كما فى غيرها من الثغور المغربية تكاد تكون واحدة وتدعو للعجب من عدم يقظة السلطات المسئولة عن حماية المنطقة ، أو من تساهلها مع البرتغال ومن كان يساندهم من شيوخ بعض القبائل . وفى أسفى ، استطاع البرتغال أن يحصلوا من السلطات الموالية لهم فى المدينة على حق بناء دار تحفظ بضائعهم ، ويأوى إليها التجار من رعاياهم حين يحضرون بسفنهم للاتجار مع هذا المنفذ البحرى . وبنى البرتغال لهذا الهدف على شاطىء المحيط قصبة مربعة الشكل جعلوا على كل

---

(١) Leo Aficanus : The History and Description of Afica (Published by Hakluyt London 1896), pp. 284, 293 & 367 .

ويؤكد ليو أن شخصا يدعى عبد الرحمن استطاع الوصول للسلطة بمساعدة البرتغال ، لكن قتله يحى بن تعفقت (Yahia Ben Tafofit) وأصبح أيضاً صاحب النفوذ فى أسفى بتقربه للبرتغال ولعب هذا الأخير دوراً حاسما لتدعيم نفوذ البرتغال فى هذه الجهات .

ربع منها برجاً ، وجعلوا فى وسطها عدة دور وخزائن سمح لهم حكام أسفى بها باعتبارها دوراً للتجار ، ولكنها فى الواقع كانت دار حرب مهدت لهم السبيل لإحتلال أسفى ، فلما اكتمل كل شيء فتحوا لها باباً على البحر – وقيل إنه من هذا الباب كانوا ينزلون عساكرهم ليلا ، وأن الأسلحة كانت ترد فى صناديق على اعتبار أنها بضائع ولم يفطن لذلك المسؤلون عن الميناء من المغاربة . وبعد أن تجمعت لهم القوة لم يلبثوا أن انقضوا على السكان بالأسلحة التى جلبوها بهذه الخدعة حتى أضطر السكان للجوء إلى المساجد بالمدينة ، واضطروا فى النهاية للإستسلام . وقد عامل البرتغال أهل أسفى بعد تسليمهم للسلطات البرتغالية ، أسوأ معاملة وأذاقوهم من العذاب ألواناً ، وأهانوا المعاهد الدينية فنقضوا بعضها حجراً على حجر ، بينما جعلوا المسجد الكبير محلا للقاذورات ، وعبثوا بالمحارم واستباحوا التجارة فى الأحرار فباعوا بعض أهلها جهاراً ، وسفكوا الدماء ونهبوا المال وضربوا الدور(١).

هذه صورة للطريقة التى اتبعها البرتغال لتثبيت أقدامهم فى ميناء أسفى وللمعاملة التى لقيها الأهالى منهم ، وهى صورة تكررت فى كل المناطق الأخرى التى مدوا نفوذهم عليها .

وكانت أسفى مسورة بسور عرف فيما بعد بالسور القديم كان الأهالى يحتمون به ويهاجمون الغزاة ، فلجأ البرتغال إلى هدم هذا السور وبنوا سوراً جديداً يحقق لهم التحكم فى البلد وهو ما أطلق عليه اسم (السور البرتغالى) وبقاياه باقية إلى اليوم . وأشير إلى أن البرتغال لجأت لوسائل متعددة لكنها متشابهة لوضع أيديها على كافة الأماكن الصالحة لرسو السفن أو التى يمكن إعدادها ببعض الجهد لتكون موانى تجارية أو حربية فى هذه المنطقة المحيطة بأسفى شمالاً وجنوباً .

فإلى الشمال من أسفى هناك لسان داخل فى البحر ، فسعى البرتغال لوضع أيديهم عليه بأيسر السبل ، وكانت لصياد دار صغيرة على هذا اللسان اشتراها منه البرتغال ، وفى ظل هذا التصرف بنوا برجاً سموه (سانت كروز – الصليب المقدس) وجعلوا له بابان أحدهما للبحر والآخر يؤدى إلى البر ، وأصبح هذا البرج مركزاً للجنود البرتغاليين الذين يذهبون لأسفى أو لغيرها من المناطق للتجسس والإعداد للأعمال

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الكانونى العبدى : أسفى وما إليه قديما وحديثا ١٣٥٣ هـ ص ٨٢.

العسكرية وغيرها ، هذا ولعل خطاب سكان أسفى للملك عمانوئيل الأول المؤرخ ٢ يوليه ١٥٠٩ أى بعد أن بسط البرتغال نفوذهم عليها بفترة قصيرة – يعطى فكرة عن الأوضاع فى المدينة بعد إستيلاء البرتغال عليها وعن أسلوب البرتغال وسياستها الاستعمارية (١).

فقد وجدت السلطات البرتغالية فى تنازع شيوخ القبائل فيما بينهم فرصة لتحقيق أهدافها ، وبرز الخلاف على الخصوص بين يحيى بن تعففت و على بن عثمان ، وكان كل منهما يتقرب للمستعمر ليحصل على تأييده فيركن إليه بمشيخة البلد فى مقابل إخضاع الأهالى للسلطان البرتغالى ونقض الولاء للسلطات المغربية – ومن دراسة خطاب هذه الفئة من سكان أسفى للملك البرتغالى تتضح الحقائق الآتية :

١ – يتحدث السكان فى أول الخطاب الموجه إلى ملك البرتغال عن أسفى بأنها (بلده) أى بلد الملك البرتغالى – وهذا يوضح إلى أى حد وصل الأمر بهذه الفئة .

٢ – الهدف الأساسى من الخطاب هو الشكوى من تصرفات وسياسة القائد البرتغالى الأسفى وهو (Diogo De Azambuja) ، ويشيرون إنه كان بوسعهم الدخول فى طاعة سلطان مراكش لكنهم نقضوا ولاءهم له وارتموا فى أحضان البرتغال طواعية .

٣ – يشيرون إلى تعيين يحيى بن تعففت شيخاً للبلد ليكون – كما قالوا – قنطرة بين المسلمين والحكام النصارى ، وإنه قبل هذا العمل تحت ضغط ودون رغبة منه ، لكن حدث خلاف بينه وبين الحاكم البرتغالى الذى أراد فتح أبواب أسفى لقبيلة بنى ماجر ، وانتهى الأمر بعزل يحيى بن تعففت وتعيين على بن عثمان شيخ القبيلة المذكورة فعاثوا فى الأرض فساداً دون أن يحرك العامل البرتغالى ساكناً لحماية الأهالى ومعاقبة المذنب .

٤ – يوضحون كيف يعيث الجنود البرتغال فساداً فى البلد ، حتى أنهم أصبحوا يقبضون على أولاد المسلمين ويبيعونهم كالرقيق ، فاضطر الأهالى من قبائل المصامدة وغيرها لهجرة البلد .

---

(١) أصل الوثيقة المذكورة موجود فى (Archives Nationales de la Torre do Tombo
Casa dos Tratados : Documents Arabes وصورتها مرفقة مع هذا البحث) .

٥ – يشكون مما أصاب الجوامع والصوامع من سرقة الحصر ، وتدنيس دور العبادة هذه وهدمها والإستيلاء على الأوقاف (الأحباس) الموقوفة عليها .

٦ – يحذرونه من أن الرجل الذى انحاز إليه عامله وهو على بن عثمان فى الوقت الذى يدعى أنه يعمل فيه لحسابه – يتصل بسلطان مراكش ومولاى زيان بأزمور ، ويذكرون أن جميع القبائل (قبيلة عبد ، رحراحة ، زناتة ، دكالة) تؤيد تعيين يحيى بن تعففت ولا تساند على بن عثمان – إلا قبيلة واحدة هى بنى ماجر .

٧– يشيرون إلى أنهم هم الذين يسروا لعامله أمر الإستيلاء على أسفى ، فلم يستول عليها بقوته فليس له فضل فى ذلك (١) . ويمتدحون القائد الآخر الذى أرسل بعد ذلك وهو بيدرو دى أزفيدو (Perdo de Azevedo) لأنه لين العريكة متواضع فيطلبون أن يبقى هذا القائد فى بلدهم وأن يعاد الأمر لنصابه فيما يتعلق بحماية المساجد وإعادة الأسرى ، وتعيين شيخ على البلد ممن يثق بهم الأهالى خلاف على بن عثمان حتى يرجع من ترك البلد من أهلها وتعود لها الحركة والحياة التجارية .

٨ – ويحذرونه من الإستماع لرأى المرشدين الذين قدم لهم ديجو دى أزامبيجا (Diojo de Azambuja) الرشاوى من خيول وعبيد ليشهدوا لصالحه .

هذا وقد تبدل الحكام الإقليميون البرتغال على أسفى ، ويعتبر نينو فرناندس دى أتيد (Nuno Fernandis) de Ataide) الذى عين حاكماً عليها فى عام ١٥١٠ وبقى حتى وفاته عام ١٥١٥–أبرز هؤلاء الحكام لأنه هو الذى ثبت أقدام الحكم البرتغالى ورسم سياسة البرتغال هنا لسنين عدة ، وقد استطاع إخضاع القبائل بين أسفى ومراكش لنفوذ البرتغال – على أن شخصية يحيى بن تعففت الذى أعيد لمشيخة البلد وسلم زمام الأمور المتعلقة بالمسلمين بها تعتبر أيضاً من الشخصيات الهامة التى استند عليها الحكم البرتغالى هنا ، وقد أدى خدمات ضخمة للمستعمر ، وظل يعمل لحسابه حتى قتل فى عام ١٥١٨ واعتبر البرتغال فقده خسارة لا تعوض ، حتى أن الوثائق البرتغالية التى ترجع لهذه الفترة تذكر مقتله . وقتل ملك بن داود

---

(١) بالطبع هذا إعتراف لا يشرفهم كمواطنين .

سنة ١٥٢١ الذى لعب نفس الدور كما سنشير فى سانتاكروز (أكادير) — على أنه ضربة أصابت عمودين من أهم الأعمدة التى يقوم عليها النفوذ البرتغالى فى الثغور المغربية ، وكانت بداية لإنهيار هذا الحكم نهائياً .

وقد أعطى البرتغال ليحيى بن تعففت حرية التصرف فيما يتعلق —بشئون المسلمين حتى أنه وضع التنظيمات وسن القوانين التى تنظم علاقات السكان بعضهم بالبعض الآخر ، وكان ينيب عنه من يقوم بالفصل فى الخصومات بين الأهالى إلى غير ذلك من الشئون الداخلية [١] . وظلت الشكاوى ضده للحاكم البرتغالى لأسفى تتوالى حتى اغتيل[٢] .

ومنذ عام ١٥٠٦ كان البرتغال قد بسطوا نفوذهم على مدينة الصويرة الواقعة على بعد ٣٨ كيلومتراً جنوبى أسفى على مصب نهر تانسيفت (Tensift) . وعلى بعد ١٧٠ كيلومتراً من الصويرة يوجد مرسى أكادير ، وكانت لهذا الميناء أهمية خاصة باعتباره المنفذ لحاصلات سوس ومنتجاتها الوفيرة بالإضافة إلى أنه مرفأ صالح لرسو السفن التجارية الأوربية ،ولم تغب هذه الأهمية عن أنظار البرتغال . ويرجع النفوذ البرتغالى فى أكادير إلى السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، فحوالى عام ١٥٠٢ كان شاب برتغـالى مغامر يدعى جوالوبس دى سيكيورا (Joao Lopes DE Sequira) يسعى لعقـد اتفاقات تخول له وضـع يديه على منطقة أو أكثر من الساحل المغربى على المحيط الأطلسى تتيح له فرصة القيام بنشاط تجارى وخلافه فى هذه المناطق التى كانت الأضواء قد أخذت تسلط عليها منذ السنوات الأولى للكشوف الجغرافية الحديثة ، ولفتت نظره بالذات المناطق المحيطة باكادير شمالاً وجنوباً ، وكان البرتغـال قد ارتبطوا فى عام ١٤٤٧ باتفاقات مع شيوخ بعض القبائل فى هذه المناطق (منطقة ماسة بالذات) تخول لهم بعض

---

(١) أنظر الوثيقة الخاصة بالتنظيمات التى أصدرها يحى بن تعففت لأهالى أسفى والأصل فى :
(Archives Nationales de la Torre de Tombo Casa dos Tratados — Documents Arabes)
وصورتها مرفقة مع البحث ، والوثيقة الأخرى الخاصة بتعين رؤساء القبائل بأسفى والمناطق المجاورة .

(٢) أنظر الشكوى المقدمة من لحسن لمجط فى ١٢ أكتوبر ١٥١٢ للقائد البرتغالى نينو فرناندس دى أتيد (Nuno Fernandes de Ataide) ضد يحى بن تعففت — والخطاب الآخر المؤرخ فى ديسمبر ١٥١٢ منه ومن أربعة آخرين من سكان أسفى للقائد المذكور بنفس المعنى .

الحقوق والإمتيازات التجارية ، ولم تجد البرتغال فى هذه الجهات مقاومة كبيرة من السكان أنفسهم ، لكن العقبة الحقيقية التى سيواجهونها فى المستقبل ستكون من الأسبان الذين كانت أنظارهم مسلطة على جزر كناريا المواجهة للساحل المغربى فى هذه الجهات ، وقد وقعت هذه الجزر فى أيديهم منذ عام ١٤٧٦ وأصبحت من أهم المحطات البحرية لسفنهم وهى تعبر الأطلنطى خلال الخمسين سنة الأولى من اكتشاف واستعمار الأمريكتين(١) وسنشير فيما بعد بتفصيل أكثر للوسائل التى اتبعتها البرتغال لتثبيت أقدامها فى منطقة ماسة بالذات .

على أن هذا الأسلوب من المغامرات الذى يتمثل فى نشاط جوا لوبس (Joao Lopes) شهدت القارة الأفريقية منــه الكثير فى بداية عصر الإستعمار الأوربى لها ، وكانت مغامرات أمثال هؤلاء الأفــراد أو الشركات واتصالاتهم بالسلطات غير الشرعية وعقد المعاهدات معها دون أى اعتبار للسلطات الشرعية مقدمة للاستعمار الرسمى الحكومى(٢) .

وكان الشاب البرتغالى لوبس (Lopes) يلقى تأييداً من الملك عمانوئيل الأول لكن بصفة غير رسمية ، فقد كان هذا الملك يتحاشى الدخول فى نزاع سافر مع الأسبان ، حتى أن لوبس (Lopes) أضطر للاعتماد على ثروة زوجته للصرف على أوجه نشاطه فى هذه المناطق الساحلية بالمغــرب . وفى أوائل ١٥٠٨ كان قد وفق فى بناء حصن فى المنطقة الواقعة شمال أكادير (فونتى) أطلق عليه اسم سانتا كروز دى نيبا (Santa Cruz de Naiba) ، كما استطاع اتخاذ نقطة ارتكاز أخرى فى ساحل ماسة . لكنه كان فى حاجة لقوة عسكرية للاحتفاظ بهذه المناطق ولحماية نشاطه خاصة أنه كان يجد منافسة ومعارضة قوية من السفن الأسبانية والجنوية والفرنسية ، ولذا فقد عرض لوبس (Lopes) على الملك عمانوئيل أن يتنازل

---

(١) فيما يتعلق بنشاط الأسبان فى جزر كنارى أنظر :
Johnston,A History of the Colonisation of Africa by Alien Races(Cambridge 1913)P. 116

(٢) من أبرز الأمثلة لهذا-نشاط الألمان فى غرب أفريقيا وشرقها من أمثال كارل بيترز (Dr. Karl Peters) وغيره/ قبل دخول (بسمارك) وحكومته فى هذا الميدان ، كذلك جهود (سيسل رودس (Cecil Rhodes) التى ترتب عليها بسط النفوذ البريطانى على مناطق شاسعة فى جنوب القارة .

للحكومة البرتغالية عن كافة حقوقه فى هذه المناطق ، وتم هذا العمل فى عام ١٥١٣ ، فحلت الحكومة البرتغالية محله وعينت فرنسسكو دى كاسترو (D. Francisco De Castro) للنهوض بأعباء هذه المنطقة تحت إشرافها ، وهكذا بدأت المرحلة الثانية من هذا النشاط الإستعمارى الذى – كما ذكرنا – نجد أمثلة عديدة له فى تاريخ أفريقيا الإستعمارى وعلاقتها بأوربا .

وكانت فترة وجود فرنسسكو دى كاسترو (D. Francisco De Castro) فى هذه الجهات والتى استمرت لمدة تسع سنوات (١٥١٣ – ١٥٢١) فترة نشاط حقيقى ، فقد أكمل القلعة البرتغالية فى سانتا كروز وجعل لها أبراجاً وأحاطها بسور لحمايتها ، وجعل لها باباً على البحر وآخر للبر ، كما أعد الميناء للتجارة ولاستقبال السفن فعادت إليه الحياة ، وأصبح مركز الحركة التجارية فى المنطقة ، حيث كانت تصدر منه كميات كبيرة من الجلود ، والصوف ، والذهب ، والنحاس ، وشمع العسل ، والعبيد . كما كان يستقبل السفن المحملة بالبضائع الأوربية التى تجد لها أسواقاً عند الأفريقيين . وكانت السلطات البرتغالية تتقاضى ضرائب على السفن الداخلة أو الخارجة من الميناء ، وقدر عدد أفراد الحامية البرتغالية فى الحصن فى عام ١٥١٤ بـ ٧٠٠ جندى نظامى ، خلاف الجنود غير النظاميين وأفراد القبائل الموالية للبرتغال والتى كانوا يستعينون بها وقت اللزوم . واتخذت إجراءات لتزويد هذه المنطقة بما تحتاجه للتعمير من أخشاب أو موَن كالقمح ، وكانت بعض القبائل فى المناطق الداخلية تخشى تنكيل السلطات المغربية بها ، إذا تعاملت مع البرتغال – لكن استطاع الحاكم البرتغالى د. فرنسيسكو أن يجد فى المعادين للسلطات المغربية سنداً له ، ومن هؤلاء شخصية لعبت لحساب البرتغال دوراً هاماً وكثر ترديد أسمه فى الوثائق البرتغالية بالذات – هو ملك بن داود أحد رؤساء القبائل التى دانت بالولاء للبرتغال ، والكتاب البرتغال يشبهون دوره فى سانتاكروز بدور يحى بن تعففت فى أسفى . فقد كان اليد اليمنى للبرتغال فى تأمين مصالحهم التجارية فى هذا الميناء ، بل بسط نفوذهم على مساحات واسعة من الساحل المقابل لمنطقة سوس . ولذا حين ترك فرنسيسكو كاسترو D. Francisco de Castro المنطقة نهائياً فى عام ١٥٢١ كان قد بسط نفوذ البرتغال على منطقة واسعة وأصبحت أقدامهم

راسخة فى هذه المنطقة الساحلية . وتعتبر فترة إدارته أزهى فترة بالنسبة للاستعمارى البرتغالى للمنطقة ، فمنذ رحيله حتى سقوط سانتاكروز فى مارس ١٥٤١ (أى فى أقل من عشرين سنه) تعاقب على هذه المنطقة أحد عشر حاكماً ، فلم تتسم فترة حكم أى منهم بالاستقرار ، كما سنوضح بعد ، حتى أن وضع الحامية البرتغالية نفسها أصبح حرجاً ، وأصبحت تفتقر للسلاح والرجال . ولم يستطع البرتغال أن توجه لها العناية الضرورية — حتى أنه ظهر أنها فى خضم مشاكلها المتعددة نسيت أن لها حامية ومصالح فى هذه المنطقة كما يقول (فريجينية) (١) أما عن ماسة التى أشرنا لأهميتها من قبل ، فالوثائق البرتغالية تمدنا بمعلومات هامة عن الظروف والوسائل التى ثبت البرتغال عن طريقها أقدامهم فى هذه الجهات ومدوا نفوذهم فيها . فنى وثيقة مؤرخة ١١ يناير ١٤٩٧ (محفوظة فى الأرشيف البرتغالى) نجد ثلاثة من شيوخ وأعيان هذا الميناء هم (الشيخ عبد العزيز ، وحمو بن بركة ، وسيدى يحيى) يعلنون ولاء قبائلهم للسلطات البرتغالية ، ويوقعون معاهدة صداقة مع البرتغال جاء فيها (٢):

١ — أنهم يتعهدون بدفع مبلغ من المال سنوياً رمزاً لتبعيتهم للبرتغال .

٢ — تعفى كل أجفان (أى مراكب) ملك البرتغال التى ترد لماسة من الضرائب الجمركية .

٣ — يسهلون مهمة مندوبى ملك البرتغال فى شراء الخيول التى يحتاج إليها البرتغال .

٤ — يسمح للبرتغال ببناء قلعة فى المكان الذى تراه مناسباً لذلك ، ويتعهدون بتقديم الماء العذب والمؤن التى يحتاجها العمال الذين يعملون فى تشييد هذا الحصن ، ولا يسمحون لأحد بأن يشغله بعد إتمامه إلا من يختاره الملك البرتغالى .

---

(١) M. Friganier : Historia de Santa Cruz P. 119

(٢) الأصل العربى للوثيقة غير موجود — لكن الأصل البرتغالى مع ترجمة فرنسية موجود فى :
Archives Nationales de la Torre de Tombo Livrodas Ihlas, fol. 50 copie XVI sicle

٥ – يتعهدون بعدم التفاوض مع أية جهة أخرى دون إعلام ملك البرتغال مسبقاً .

٦ – يبدون إستعدادهم لتقديم إثنى عشر من أبناء أشرافهم كرهائن بالبرتغال على أن يعاملوا معاملة حسنة ، وذلك حتى يتم إقامة القلعة ولضمان استتباب الأمن فى إقليمهم .

٧ – فى مقابل هذا يعتبر ملك البرتغال أهل ماسة من رعاياه ويمكنهم من المتاجرة فى البرتغال ، ومع الأقطار الأخرى الموالية لها ، على ألا تنقل بضائعهم للخارج إلا على سفن برتغالية .

وفى خطاب مؤرخ ٢٨ ربيع الأول ٩١٦ هـ (٦ يوليه ١٥١٠) يعبر أهل ماسة للملك عمانوئيل الأول عن ترحيبهم لقـــراره ، بارسال قـــوة من خمسين فارساً لحماية القلعة البرتغالية التى بنيت بهذا المكان ، ويذكرون أنهم بسبب انضوائهم تحت لوائه شنت عليهم بعض القبائل المعادية هجوماً وقتلوا ٢٥ رجلا من خيرة رجالهم – ورغم هذا فإنهم لا يجدون من البرتغال أية حماية فسفنهم التى تبحر إلى أسفى للتجارة ، يهاجمها الأسبان ويستولون على بضائعها ، ويذكرون أن الأمر وصل إلى أن جو لوبس (Joao Lopes) البرتغالى والذى يعتبر ممثل الملك فى ماسة لا يتورع عن شراء أولاد وعبيد شيوخ ماسة الذين يقعون فى أيدى اعدائهم ويذكر شيوخ ماسة فى خطابهم أنهم أرسلوا للملك مندوباً عنهم لشرح وجهة نظرهم هو (بعز) ويطلبون إما أن يظهر الملك سطوته ويحمى الحصن الذى رفعوا عليه أعلامه ، ويحميهم هم ، أم أنهم سيضطرون للجوء لمن يستطيع توفير الحماية لهم ، حتى لو كان يهودياً ، فقد أصبحوا اضحوكة فى نظر القبائل الأخرى التى تتندر عليهم بانهم (زعموا أنهم تحت أمان النصرانى – فرجعوا فارغين لا لمتاعهم ولا لدينهم) – والوثيقة المذكورة بتوقيع محمد بن على ، ويعقوب بن على ، ويحيى بن محمد ، وحمو بن بركة(١) .

ومن هذه الوثيقة يتضح لنا أنه حتى ذلك الوقت (١٥١٠) لم تكن سلطة

---

(١) Archives Nationales de la torre de Tombo Casa dos Tratados

البرتغال الرسمية قد بسطت على هذه المنطقة ، وأن البرتغال كانت تعتمد على إرتباطاتها مع بعض شيوخ القبائل ، وكان لوبس (Lopes) يعمل لحساب البرتغال هنا – لكن كانت تعوزه القوة العسكرية لحماية الحصن الذى أقيم فى المنطقة ولفرض هيبة البرتغال على كافة القبائل بها – وهذا ما تحقق فى هذه المنطقة كلها كما ذكرنا سابقاً ابتداء من ١٥١٣ .

ومن المناطق الهامة التى بسطت البرتغال نفوذها عليها أيضاً فى الساحل المغربى منطقة أزمور وهى ميناء هـــام تصدر منهـــا حاصلات قبيلة دكالة ومنتجاتها المتنوعة الزراعية بالإضافة إلى الخيول ونوع من السجاد الممتاز و الرقيق . وكان جيان الثانى Jean II قد نجح عام ١٤٨٦ فى عقد معاهدة مع شيوخ أزمور ، كان من شروطها أن يسمح ببناء حصن برتغالى فى أزمور . وجددت هذه المعاهدة فى ١٢ يناير ١٤٩٧ فى عهد عمانوئيل الأول على أن تبقى سارية المفعول لمدة ١٥ عاما. والوثائق البرتغالية لا تخبرنا بمعلومات كثيرة عن علاقات أزمور بالبرتغال فى الفترة ما بين (١٥٠١ ، ١٥١٣) ،وكل مايمكن أن نستنتجه من هذه الوثائق – أن المقيم البرتغالى فى ازمور مارتين رينل (Martin Reinel) توفى فى عام ١٥٠٢ فحل محله ريو جيل (Rui GiL) ، لكن هذا الاخير لم تكن– كما يبدو–علاقته بأهل أزمور طيبة ويبدو أنه صدرت له أوامر من الملك عمانوئيل بتنفيذ الشرط الذى تضمنته المعاهدة مع الأهالى ببناء قلعة فى أزمور ، وحين حاول هذا المقيم البرتغالى تنفيذ هذا الأمر رفض الاهالى السماح له بذلك ، فكانت هذه بدايةالصدام بين الطرفين . وحـــدث فى عام ١٥٠٤ أن تعرضت بعض السفن التجـــارية البرتغالية الراسية فى ميناء ازمور – للهجوم والنهب من السكان ، وقدم سكانأزمور اعتذاراً للملك عن هذا الحادث ، ووعدوا برد كل مانهب ، وكما يذكر الملك البرتغالى فى خطابه لأهل أزمور – إنه كان فى نيته أن ينزل العقـــاب بالذين قاموا بهذا العمل لكن بتوسط زوجته التى لايرد كلامها قبل الصفح عنهم ، ولكنهاشترط أن يقدموا كمية كبيرة من القمح رمزاً للصداقة وليغيظوا الأعداء ويفضحوا كذبهم ووشايتهم[1] .

---

(١) الأصل فى Archives Nationales de la Torre do Tombo, Casa dos Tratados- Documents Arabes.

على أن الخلافات بين أفراد البيت الوطاسي في عام ١٥٠٦ – ١٥٠٧ أدت إلى أن يلجأ مولاى زيان إلى أزمور حيث كان له أنصار بها وذلك للخلاف بينه وبين محمد بن محمد الشيخ البرتغالي(١) .

وفى هذه الأثناء كان الملك عمانوئيل الأول يفكر جدياً في إحتلال أزمور احتلالاً كاملا ، وكان قد مهد لذلك ببناء حصن مزكان (البريجة)(٢) .

ويقال إنه أوفد العمال والبنائين يصحبهم عدد من رجال جيشه لحمايتهم فشرعوا في البناء ليلاً ونهاراً وبنوا بها حصناً مربعاً اتخذوا في وسطه خزاناً للمياه وسوروا المدينة بسورين أحدهما خارجي والآخر داخلي وعملوا بالسور خندقاً يؤدى للبحر – كما جدد الملك البرتغالي حصن سانتاكروز ، وانتهز فرصة الخلاف بين الوطاسيين لتحقيق أحلامه في الاستيلاء على آزمور ، وكانت لها في نظر البرتغاليين أهمية خاصة لأنها مفتاح الطريق إلى مراكش ، وسافر مولاى زيان بنفسه إلى البرتغال ليدرس مع الملك مشروع الحملة على أزمور ، ولم يتحدد في الوثائق ما يؤيد أن الملك استدعى هذا الثائر على سلطان الوطاسيين للبرتغال ليتدارسا معا مشروع الحملة ، فلا نستطيع أن نرجح الرأى القائل أن المبادرة كانت من هذا الخارج عن سلطة حكام المغرب أم بدافع وإيعاذ من الملك البرتغالي . والنتيجة لا تختلف كثيراً طالما أن الاتفاق قد تم بين الإثنين لإتمام عملية الغزو التي أعدت لها حملة برتغالية كبيرة – وعاد مولاى زيان إلى ازمور ليمهد لعملية الفتح ، لكن يبدو أن الأمور استقرت له بأزمور دون الاستعانة بالبرتغال ، ولذا فحين وصلت الحملة البرتغالية إلى أزمور في عام ١٥٠٦ لم تجد التيسيرات التي كانت تنتظرها ، وأضطرت للانسحاب . ولما شعر مولاى زيان بان البرتغال يعدون العدة لحملة جديدة خشى عاقبة الأمر فأرسل للملك (عمانوئيل) يعرض التفاوض لعقدمعاهدة بين الطرفين وانتهى الامر في ١٥١٠ ، إلى عقد معاهدة مماثلة لتلك التي عقدت في

---

(١) حكم فاس (٩١٠ – ٩٣١ هـ / ١٥٠٤ – ١٥٢٤م) .

(٢) البريجة تبعد عن أسفى ١٥٠ كم شمالا ، وقد تهدمت أثناء حصار السلطان محمد بن عبد الله العلوى لها فسميت (المهدومة) ولكنها جددت وعمرت فسميت الجديدة – أنظر الكانونى مرجع سابق ص ٤٣ .

عام ١٤٨٦ وبموجبها أصبح من حق ملك البرتغال أن يبنى فى أزمور حصناً تقيم فيه حامية برتغالية بالإضافة إلى تيسيرات تجارية للبرتغال فى الميناء[1].

وظل العمل بهـذه المعاهدة سارياً حتى عام ١٥١٣ . وكان الملك عمـانوئيل يعد العـدة طوال هذه المدة لبسط نفوذه كاملا على ازمور وتحقيق أحلامه فى الزحف على (مراكش) ذاتها. وفى ٢٠ أغسطس من هذا العام كانت الحملة على أهبة الاستعداد لتحقيق أهدافها ، وكان على رأسها دوق براجانس (Duc de Bragance) الذى لقب (بدوق البلاد فيما وراء البحار) . والحقيقة إن الوثائق البرتغالية تعطينا معلومات وافية عن الأحداث التى صاحبت هذه الحملة ، فهناك عدة خطابات بشأنها متبادلة بين البابا ليو العاشر وبين الملك عمانوئيل ، وهـذا يدل على أن هذه الحملة كانت تتسم بالروح الصليبية [2].

وكانت الحمـلة مكونة من ٤٣٠ سفينة من أنواع مختلفة تحمـل ٢٠,٠٠٠ جندى ، ووصل هذا الجيش الضخم أمام أزمور فى أول سبتمبر عام ١٥١٣ وبدأت مدافع البرتغال تصب نيرانها على المدافعين عن الميناء ، وإضطرت المدينة فى ٣ سبتمبر لفتح أبوابها للمهاجمين . ويذكر ليو الأفريقى إن المسلمين إضطروا لإخلاء المدينة والجلاء عنها تحت ضغط نيران القوات المهاجمة [3].

وفى ١٩ سبتمبر أذاع الملك البرتغالى فى لشبونة خطاباً زف فيه إلى الشعب الأنباء عن فتح ازمور . وفى روما إستقبل البابا ليو العاشر خبر الإستيلاء على

---

(١) فى خطاب لأحد أشراف أزمور (على بن سعيد) – لعله من عيون البرتغال بالمنطقة وهو مؤرخ ١٥١٠ اشارة إلى إن مولاى زين يعمل حسب شروط المعاهدة المعقودة بين الطرفين ، وأن مندوب الملك فى أزمور موضع رضى الأهالى (أنظر صورة الوثيقة فى ملحق البحث) .

(٢) جلس هذا البابا على كرسى البابوية فى الفترة (١٥١٣ – ١٥٢١) وهو من أسرة مدتشى Medici وكان إسمه قبل أن يصل إلى كرسى البابويه جوافانى ميدتشى (Geovanni de Medici) وهو الذى عاش فى كنفه فى روما الرحالة المغربى الحسن بن محمد الوزانى (ليو الأفريقى) ، وقد أطلق عليه البابا إسمه بعد أن عمده ، وقد ذاع إسم هذا البابا للدور الذى لعبه للدعوة لحملة صليبية لمواجهة خطر الأتراك العثمانيين ، وكذلك لموقفه من لوثر وأتباعه من الخارجين على الكنيسة الكاثوليكية .

(٣) أنظر الطبعة التى أشرنا إليها سابقاً P. 377 وكلمة أزمور معناها فى لغة البربر الزيتون ويصفها أبو الفداء بأنها أحد مدن بر العدوة وتسكنها قبائل من صنهاجة .

أزمور على أنه نصر للمسيحية ، وعلق على خطاب الملك بهـذا الشأن بقوله : إنه يقدم له الشكر على هذا العمل الذى يسهم فى تحقيق رسالة المسيح (١) .

وبعـد أن إستتب الأمر للبرتغال فى أزمور تقدم مستشارو الدوق بالنصيحة له بانتهاز الفرصة للسير إلى مراكش لفتحهـا — لكنه تردد وأخيراً رفض الفكرة لأن الملك أعطى الأوامر — كما ذكر — باحتلال أزمور وليس مراكش . على أن إحتـلال مراكش ظل هدفاً من أهـداف البرتغال ستحاول تحقيقه كما ستحاول توطيـد نفوذها فى حوض نهـر سبو بهـدف محاصرة فاس ومحاولة فتحها . وعلى الرغم من النكبات التى حلت بقوات الإحتلال البرتغالى فى ثغور المغـرب فى عام (١٥١٤) نتيجة لموت دى جوا دى مينسيس (De Joa de Menses) فى أزمور فى ١٥ مايو ١٥١٤ ، وانتشار الطاعون بين الجنود البرتغال فى المغرب وبين القبائل المخالفة لهم — فان هذا لم يثنهم عن الإستمرار فى الإعداد للخـروج من حصونهم الساحلية للـزحف للداخل صوب فاس و مراكش منتهزين فرصة الإضطرابات التى كانت عليها الدولة الوطاسية التى كان ملوكها فى فاس يقضون أيامهم الأخيرة بينما كانت دولة أخرى — هى الدولة السعدية تشق طريقها للظهور على مسرح الأحداث ولتمسك بدفة البلاد فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها .

وفى صيف ١٥١٥ كان الموقف من وجهة نظر البرتغال مناسباً لتحقيق حلمهم فى غزو مراكش فقد كانت القبائل العربية قد بادر الكثير منها بعد إنتصار البرتغال فى أزمور — إلى إعلان ولائه لهم ، ووصل الأمر إلى تنافس بين كل من القائد البرتغالى فى أسفى نينو فرناندو دى أتيد (Nuno Fernande de Ataide) وقائد أزمور دى جوا دى منسيس (De Joa de Meneses) ليسبق كل غريمة فى دخول (مراكش) ، فقد ظنوا أنها نزهة تنتهى بهالة من المجد على رأس من يسبق إليها . على أن ملك فاس الذى أزعجته أخبار جيوش البرتغال وإستعداداتهم أرسل يعرض على البرتغال المفاوضة للصلح فقد كان إزدياد نفوذ السعديين وإلتفاف

(١) أنظر عنوان الخطاب المرسل من عمانويل الأول للبابا ليو العاشر يبشره بسقوط أزمور (تاريخ الخطاب ٣٠ سبتمبر ١٥١٣) .

الناس حولهم يقلق باله [1] . لكن شروط ملك البرتغال لم تكن معقولة ، فلم يكن في الإمكان قبولها . . فقد طلب أن يسمح له ببناء قلعه برتغالية فى مراكش ، وأن يدفع له حكام فاس سنوياً مبلغاً من المال رمزاً للخضوع . وهكذا كان على كل من الطرفين المغاربة والبرتغال أن يستعد للمعركة الحاسمة ، وكان هذا العام ١٥١٥ فعلا عاماً حاسماً فى تاريخ البرتغال الإستعمارى فى المغرب العربى . . . وفيما يتعلق بمراكش كانت هناك إستعدادات من عدة جهات للمشاركة فى مهاجمة المدينة ، ففى الوقت الذى كان حاكم أزمور على رأس ٣,٠٠٠ رجل منهم ٥٥٠ برتغالى ، ٢٥٠ من الموالين للبرتغال قد تحرك فى أبريل ١٥١٥ صوب مراكش ، كانت قوة أسفى قد تحركت هى الأخرى مع ٤٢٣ من الفرسان فى إتجاه مراكش ، وكانت بعض قبائل الشرقية التى أعلنت ولاءها للبرتغال تستعد هى الأخرى للمشاركة فى هذا العمل ، ويبدو أن خريطة المدينة لم تكن مدروسة من قواد القوات المهاجمة فاختلفوا فيما بينهم فى تحديد الإتجاه الذى يسهل إقتحام المدينة منه ، وإتجه الرأى فى البداية على أن تقتحم المدينة من ناحية الباب المواجه لزاوية سيدى العباس السبتى فى الشمال — لكن حين أخذت القوات تعسكر فى هذا المكان إكتشفت أن المستنقعات تنتشر فيه بحيث تعوق تقدم الفرسان ، وكانوا يكونون قوة يعتد بها فى الجيش المهاجم ، فاتجهت القوات إلى منطقة باب فاس (باب الخميس) ، بينما قبائل الشرقية [2] الموالية للبرتغال إتجهت إلى مهاجمة المدينة من الشرق ، وأخرى من الجنوب فى مواجهة القصبة . وأدى هذا إلى تشتيت القوة المهاجمة خاصة أن الخطة لم تكن مرسومة على حصار المدينة لفترة طويلة. وإستمرت المعركة بين القوات المدافعة والمهاجمة أكثر من أربع ساعات إستطاعت فيها القوات المغربية داخل أسوار المدينة أن تكبد العدو المهاجم خسائر فادحة ، وأن تضطره للتقهقر فى ٢٢ أبريل ١٥١٥ بعد أن يئس من قدرته على إقتحام المدينة وكانت لهذا النصر نتائجه .

---

(١) كانت مبايعة قبائل درعة و السوس الأقصى و حاحة لأبى عبد الله القائم بأمر الله ٩١٥ هـ (بداية لتأسيس الدولة السعدية ، واستطاع السعديون فى عام (١٥٢٠) إنتزاع مراكش من الوطاسيين وإن كان الأمر لم يستقر لهم نهائياً فى فاس إلا فى (٩٢٧ هـ — ١٥٥٠ م) بعد مقتل أبى حسون آخر أمراء الوطاسيين .

(٢) كانت قبائل الشرقية موالية للبرتغال من مدة ، وهناك خطابان بالأرشيف البرتغالى موجهان—

فقد قوى نفوذ السعديين الذين كان لهم فضل قيادة المعركة فى الدفاع عن الدين ، وفى نفس الوقت شجع المغاربة على معاودة الهجوم على القوات البرتغالية فى الثغور المغربية ، هذا على أن البرتغال عاودوا محاولتهم للإغارة على مراكش مراراً لكن الأمر لم يخرج عن حدود المناوشات ، فقد كانت موجة المد فى الغزو الإستعمارى البرتغالى قد أخذت تنحصر . وإذا كان فشل البرتغال فى تحقيق أحلامهم المتعلقة بالتوسع سن نقط أرتكازهم فى أسفى وأزمور إلى مراكش فى الداخل قد أضعف مركزهم — فان معركة المعمورة التى قصد بها توسيع نفوذهم فى حوض نهر سبو بهدف فتح الطريق نحو فاس تمثل الحلقة الثانية فى هذا الفصل الختامى من فصول نفوذهم الاستعمارى فى المغرب ، وكانوا قد جمعوا فى المعمورة (المسماة اليوم المهدية) قوة كبيرة قدرت بـ ٨,٠٠٠ مقاتل حيث أقاموا قلعة هناك تكون مركزاً للهجوم على فاس ، لكن رغم ماكنت تعانيه الدولة الوطاسية من الضعف فى أيامها الأخيرة هذه فقد هب الوطاسيون ومن خلفهم الآلاف من الشباب المغربى المتحمس للدفاع عن قلب بلاده ،ولم يكتف المغاربة بالمقاومة بل شنوا هجوما على الحصون البرتغالية فى المعمورة فى يوليو ١٥١٥ وأسفرت المعركة عن قتل أكثر من أربعة آلاف من البرتغاليين واضطروا الناجين لأن يلوزوا بالأسطول البرتغالى الذى كان راسياً بالميناء فى محاولة للهرب ، وقد أغرقت من هذا الأسطول ثمانى سفن بحرية ، وهكذا كانت معركة المعمورة نذيراً آخر على انتهاء موجة المد الإستعمارى فى هذه البلاد ، ولذا فان جمهرة الكتاب البرتغاليين يعتبرون عصر عمانوئيل الأول قمة ما وصل إليه النفوذ البرتغالى فى المغرب[1] بينما يعتبرون عصر جيان الثالث (Jean III ١٥٢١ — ١٥٥٧) عصر تصفية هذا النفوذ البرتغالى ، وإن كان هذا القول — كما يبدو — لايعطى صورة شاملة عن الواقع إذ أن عملية

= إلى الملك عمانوئيل الأول من هذه القبائل - الأول مؤرخ فى سبتمبر ١٥٠٧ تشكوفيه هذه القبائل من معامله ممثل الملك المدعو رى جيل ماجروا Ru Gil Magro والثانى مؤرخ فى أكتوبر ١٥١٦ تمتدح فيه الممثل الجديد للملك .

(١) مات جيان الثالث فى ١١ يونيه ١٥٥٧ وخلفه إبنه سيستيان (Sebastien) وكان طفلا صغيراً فحكم تحت وصاية الملكة كاترين وعمه الكاردينال هنرى وقد قتل هذا الأخير فى معركة وادى المخازن فى متم جمادى الثانية سنة ٩٨٦ هـ (٤ أغسطس ١٥٧٨) .

إنحسار المد الاستعمارى البرتغالى ، ثم تصفية هذا الاستعمار ترجع فى الحقيقة لعوامل متعددة بعضها تتصل بظروف البرتغال الداخلية والخارجة، والبعض الأخر يرجع لظروف المغرب نفسه ووثبة الحـكام السعديين والقوى الشعبية لمجابهة العدو الإستعمارى ، وسنشرح ذلك بايضاح فيما بعد ، لكن لعل من الواجب هنا أن نقف وقفة لنلقى نظرة سريعة على الأوضاع فى المغرب وإنعكاساتها على الموقف من هذا العدو الإستعمارى . الصورة التى تعطيها لنا الوثائق المتبادلة فى هذه الفترة بين حكام فاس وحكام مراكش وبعض شيوخ القبائل وغيرهم من ناحية والملك جيان الثالث البرتغالى من ناحية أخرى—هى فى الحقيقه إنعكاسات طبيعية للأحداث التاريخية التى كان المغرب يمر بها. فالأمراء الوطاسيون وصلوا لدرجة كبيرة من الضعف فأصبحت عدة قبائل لا تعترف بسلطانهم ، كما أنهم لايجدون بداً من مسالمة العدو البرتغالى ، بينما يعمل السعديون على تثبيت أقدامهم فى مراكش والمناطق المحيطة بها إستعداداً لقيادة البلاد فى حرب التحرير المناطق المستعمرة ، وفى نفس الوقت يحاول البرتغال تثبيت أقدامهم فى المناطق التى استولوا عليها مستخدمين اسلحتهم القديمة لمحاولة كسب تأييد ومعاونة بعض ضعاف النفوس من شيوخ القبائل ، هذا وتنعكس حالة الضعف التى كانت عليها البرتغال على مستعمراتها الأخرى فى الهند وامريكا . والوثائق تمدنا بمعلومات وافية عن اتفاقية عقدت فى ٢٢ ذى الحجة ٩٣٢هـ (٢٩ سبتمبر ١٥٢٥) بين الملك جيان الثالث والأمير السعدى حددت فيها مناطق البرتغال فى أسـفى وازمور بالذات التى يحق لهم فيها السـكنى واستغلال الأرض ، كمـا نصت الإتفاقية على التصريح لهم بالاتجار مع المدن الإسلامية فيما لا يحرم الاسلام تداوله من السلع ، وقد وقع على هذه الاتفاقية كل من حاكم أسفى وأزمور وعن البرتغاليين إثنان من ممثـلى الملك البرتغالى هما ماتشادا (Machda) والآخر إبراهيم رابين (Rabbin) اليهودى (١)

لكن يبدو أن البرتغال لم يحترموا ما تعاقدوا عليه ، ففى ٢٤ صفر ٩٣٢ هـ (١٠ ديسمبر ١٥٢٥) أرسل الأمير السعدى أبو العباس أحمد بن محمد القائم

---

(١) دخل عدد كبير من اليهود فى خدمة البرتغال – ونص الإتفاق موجود فى Archives Nationales de la Torre do Tombo— Gaveta 20 Maco 4, No. 24. وصورته مرفقة مع هذا البحث .

(الذى اشتهر بلقب الأعرج) – [1] خطاباً إلى الملك جيان الثالث – يذكر له إنه رغم الاتفاق الذى عقد ووقع من كل من حاكم أسفى وحاكم آزمور – فقد كثرت اعتداءات اتباعه على المسلمين وعلى ما يملكون من ماشية بالإضافة إلى قوافلهم التى تحمل المسافرين والبضائع ويطلب الأمير السعدى أن يوضع حد لهذه الإعتداءات وأن يعين أحد القضاة لأسفى للتحقيق فى هذه الأحداث [2].

ويشير خطاب آخر للأمير السعدى مؤرخ فى ٢٢ جمادى الثانية ٩٢٣ هـ (٢٦ مارس ١٥٢٧) إلى وصول رد ملك البرتغال على الخطاب السابق – الذى سلم إلى (أبى عبد الله محمد الشيخ)[3]. وفى رده يعد الملك البرتغالى بالوفاء بالاتفاق السالف الذكر ويرجو أن يعمل حاكم مراكش بالمثل [4].

وقد كان الحكام الوطاسيون فى فاس – فى هذه المرحلة الأخيرة من عمر دولتهم يرون أن مصلحتهم تملى عليهم أن يحتفظوا بصداقة البرتغال ، فقد كانوا يعلمون أن السعديين الذين أصبح لهم النفوذ فى مراكش يترقبون الفرص لتصفية الوجود الوطاسى فى فاس أيضاً . ورسائلهم لممثلى البرتغال فى الثغور المغربية تدل على ذلك – ففى رسالة مؤرخة أواخر ذى الحجة ٩٣٣هـ (سبتمبر ١٥٢٧) نجد مولاى مسعود يرسل باسم خاله ملك فاس (أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى) إلى حاكم أزمور يذكر إنهم على محبتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ويعتب

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد القاسم السعدى – بويع بالولاية فى حياة أبيه عام ٩١٨ هـ وجددت بيعته بعد ذلك بعد وفاة أبيه فى عام ٩٢٣ هـ . وقد إنتقل لمراكش فى عام ٩٣٠ هـ بعد انتزاعها من أيدى الوطاسيين الذين كانت لا تزال سلطتهم فى فاس . وقد غلب السعديون على فاس ٩٥٦ هـ .

(٢) الوثيقة موجودة فى الأرشيف البرتغالى Archives Nationales de la Torre do Tombo Casa dos Tratados. Docaments Arabes.

(٣) أبو عبد الله محمد الشيخ – هو شقيق السلطان أبى العباس – الأعرج وكان والياً لأخيه على سوس ، وقد حكم بعده (١٥٤٤ – ١٥٥٧ م) .

(٤) الخطاب موجودة صورة منه فى :
Archives Nationales de la Torre do Tombo. Gaveta 20 Maco 4. No. 11
وصورته مرفقة مع البحث .

لوصول رسولهم اليهودى دون أن تكون معه رسالة رداً على رسالتهم للسلطان البرتغالى ، ويذكر إنهم لم يتعودوا منه هذا الشيء (١).

وقد غلبت روح المسالمة على الخطابات المتبادلة فى مختلف المناسبات بين السلطان الوطاسى أحمد بن محمد الشيخ ورجاله من ناحية وبين حكام البرتغال من ناحية أخرى . فحاكم سلا (محمد بن لحسن زنبق) فى خطاب له أرسل إلى حاكم أزمور (غير مؤرخ لكن يرجح أنه فى إبريل ١٥٣٠) — بشأن طلب إعادة أسير هرب من عند سلطان فاس وسرق منه (لجامين) للخيول أحدهما مرصع بالذهب — يشير إلى الصداقة بين البرتغال وحكام فاس ويشير فى الخطاب إلى أنه من جهة أهل المغرب فانهم يتكلفون بمنع أى ضرر يصيب البرتغال منهم — والأرجح أن الأشارة هنا إلى حكام مراكش من السعديين(٢).

هذا على أن السعديين على الرغم من أنهم لم يكونوا قد بسطوا نفوذهم بعد على كل بلاد المغرب — إذ لم يستقروا نهائياً فى فاس الا فى شوال ٩٦١ هجرية ١٥٥٣ م — فقد كان موقفهم من المستعمرين البرتغال أكثر صلابة — فقد وجه الأمير السعدى ابى العباس أحمد (الأعرج) خطاباً إلى جيان الثالث Jean III فى ٢٣ ربيع الأول ٩٣٦ هـ (٢٥ نوفمبر ١٥٢٩) بشأن شخص ارتد عن الاسلام. ومن دراسة هذا الخطاب يتضح لنا :

١ — أن الأمير السعدى يلقب نفسه بسلطان مراكش وأحوازها ، وحاحه وأحوازها ، وسوس وأقطارها ، ودرعه وأعمالها ، وتوجرارين وما والاها ، وادى نون وما قاربها ، وهى الأقاليم التى كانت حتى ذلك الوقت (٩٣٦ هـ — ١٥٢٩ م) قد بايعت السعديين بالخلافة .

---

(١) صورة الخطاب مرفقة هنا — وهو موجود فى : Archives Nationales da la Torre do Tombo. casa dos Tratados Documents Arabes والسلطان أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى—المشار إليه هنا—هو حاكم فاس (٩٣١ هـ—٩٥٦ هـ) وقد أسر فى عام (٩٥٦) أثناء الحروب مع السعديين — وخلفه السلطان أبى حسون للمرة الثانية وهو آخر ملوك الوطاسيين وبموته إنتهت الدولة الوطاسية.

(٢) الخطاب موجود فى : Archives Nationales de la torre do Tombo—Casa dos tratados. Documents Arabes والصورة مرفقة مع البحث

٢ - يذكر له إن الواجب يقضى فى حالة من يرتد عن دينه أن يعود لوليه ويقضى معه فترة فاذا اقتنع بعد ذلك بالرجوع لدينه كان بها وإلا فله أن يختار الدين الذى يراه .

وهذا الخطاب يدل على صلابة السعديين وعدم تهاونهم فى أى حق من حقوقهم أو حقوق رعاياهم(١).

هذا على أن الثغور المغربية - عامة فى بداية عهد جيان الثالث الذى حكم من (١٥٢١) كانت فى حالة سيئة وأخذت حالتها تنتقل من سيء إلى أسوأ ، بعد أن ضعفت سلطة الدولة الأم (البرتغال) على رجالها ، فأصبحوا يسومون الأهالى العذاب ، ولم تكن من رقابة عليهم سوى ضمائرهم ، ولعل شكوى أهل أزمور المؤرخة فى ١٥٢٩ تعطى صورة عن الحالة التى وصلت إليها فى ذلك الوقت معظم الثغور المغربية الواقعة تحت أيديهم - فهم يشيرون لما أصاب البلاد من نهب للأملاك ، وللأهالى حتى أصبحت خراباً .

ولهجة الخطاب تدل على مبلغ ما يشعر به أهل أزمور نتيجة للظلم الواقع عليهم. فهم يخاطبون الملك البرتغالى - بكل شجاعة ذاكرين له (إن ذنوبهم فى رقبته وأنه إن كان سلطانا قادراً فان الله أقوى منه) .

والحقيقة إنه بوصول الأمراء السعديين إلى الحكم فى المغرب تطوى صفحة من صفحات الصراع الطويل بين المغرب والبرتغال لتبدأ صفحة جديدة من هذا الصراع .

على أن المغرب لم يواجه فى هذه الفترة فى ظل حكم السعديين - المستعمر البرتغالى فحسب - لكنه واجه محاولة غزو أخرى تمثلت فى أطماع الدولة العثمانية التى كانت قد مدت نفوذها على المشرق العربى ، ثم اتجهت إلى المغرب العربى ، ومنذ أمتد النفوذ العثمانى إلى الجزائر ، وبعد استيلائهم بالذات على تلمسان القريبة من حدود المغرب الشرقية دخلت العلاقات المغربية التركية فى دور حرج .

---

(١) صورة الخطاب موجودة فى الأرشيف البرتغالى ومرفقة هنا .

لكن المغرب استطاع فى هذه المرحلة الجديدة من كفاحه أن يتخلص من الإستعمار البرتغالى ، وأن يصمد فى وجه الاطماع العثمانية .

ولا شك فى أن هذه الصفحة الجديدة من الكفاح بمعاركها التاريخية الحاسمة — نستحق دراسة أخرى منفصلة فنرجو أن نتناولها فى بحث قادم إن شاء الله .

والله ولى التوفيق

ملحق البحث

ننشر فى هذا الملحق صوراً لبعض الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث ، والتى أشرنا إليها فى هوامش البحث ذاته – مع إعادة كتابة كل وثيقة منها مع الشرح والتعليق لتيسير مهمة الاستفادة منها – لأنه رغم الجهد الذى تتطلبة هذه الوثائق ليمكن قراءتها والتحقيق من ألفاظها ومدلولها – فإن قيمتها تبرر كل جهد يبذل فيها .

والأمل أن يتسع لنا المجال مستقبلا لنشر عدد أكثر من هذه الوثائق الهامة المتعلقة بتاريخ البرتغال الإستعمارى فى المغرب العربى فى هذه الفترة لأهميتها فى كشف الكثير من الأحداث التى لا تتضح على حقيقتها إلا من خلال هذه الوثائق الأصلية .

ولعل الوثائق المنشورة هنا تؤكد هذه الحقيقة

بيان بالصور والوثائق الأصلية الواردة فى الملحق

١ ــ بقايا الحصن البرتغالى بالقصر الصغير (الأصل بالمحفوظات بتطوان) .

٢ ــ خطاب الملك جيان الثانى (Jean II) إلى قائد أسفى وسكانها (الأصل العربى مرفق معه فى نفس الورقة الأصل البرتغالى وهو مؤرخ ١٦ أكتوبر ١٤٨٨ موجود بالمحفوظات بلشبونة) .

٣ ــ خطاب سكان أسفى إلى الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) يشكون من تصرفات عاملة مؤرخ ٢ يوليه ١٥٠٩ ــ (الأصل بالمحفوظات بلشبونه) .

٤ ــ تنظيمات يحيى بن تعففت الذى كان يعمل لحساب البرتغال فى مدينة أسفى . مؤرخ أول ربيع الثـــانى ٩١٨ هـ / ١٢ــ٢٥ يونيه ١٥١٢ م (الأصل بالوثائق بلشبونة) .

٥ ــ خطاب من الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) إلى مواطنى أزمور ــ مؤرخ ٢٢ أبريل ١٥٠٤ (الأصل بالمحفوظات بلشبونة) .

٦ ــ خطاب على بن سعيد من أشراف أزمور إلى الملك عمانوئيل الأول ــ مؤرخ أول شعبان ٩١٦ هـ ــ ١٢ نوفبر ١٥١٠ (الأصل بالأرشيف بلشبونة).

٧ ــ عنوان خطاب الملك عمانوئيل الأول إلى البابا ليو العاشر يبشره بالإستيلاء على أزمور ٣٠ سبتمبر ١٥١٣م (الأصل بالمحفوظات بلشبونة) .

٨ ــ الهدنة المعقوده بين مولاى أحمد الشريف السعدى وملك البرتغال جيان الثانى مؤرخة ذى الحجة ٩٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٥٢٥م (الأصل بالمحفوظات فى لشبونه) .

٩ — خطاب مولاى أحمد الشريف السعدى إلى ملك البرتغال جيان الثانى — مؤرخ ١٠ ديسمبر ١٥٢٥ — (الأصل فى المحفوظات بلشبونة) .

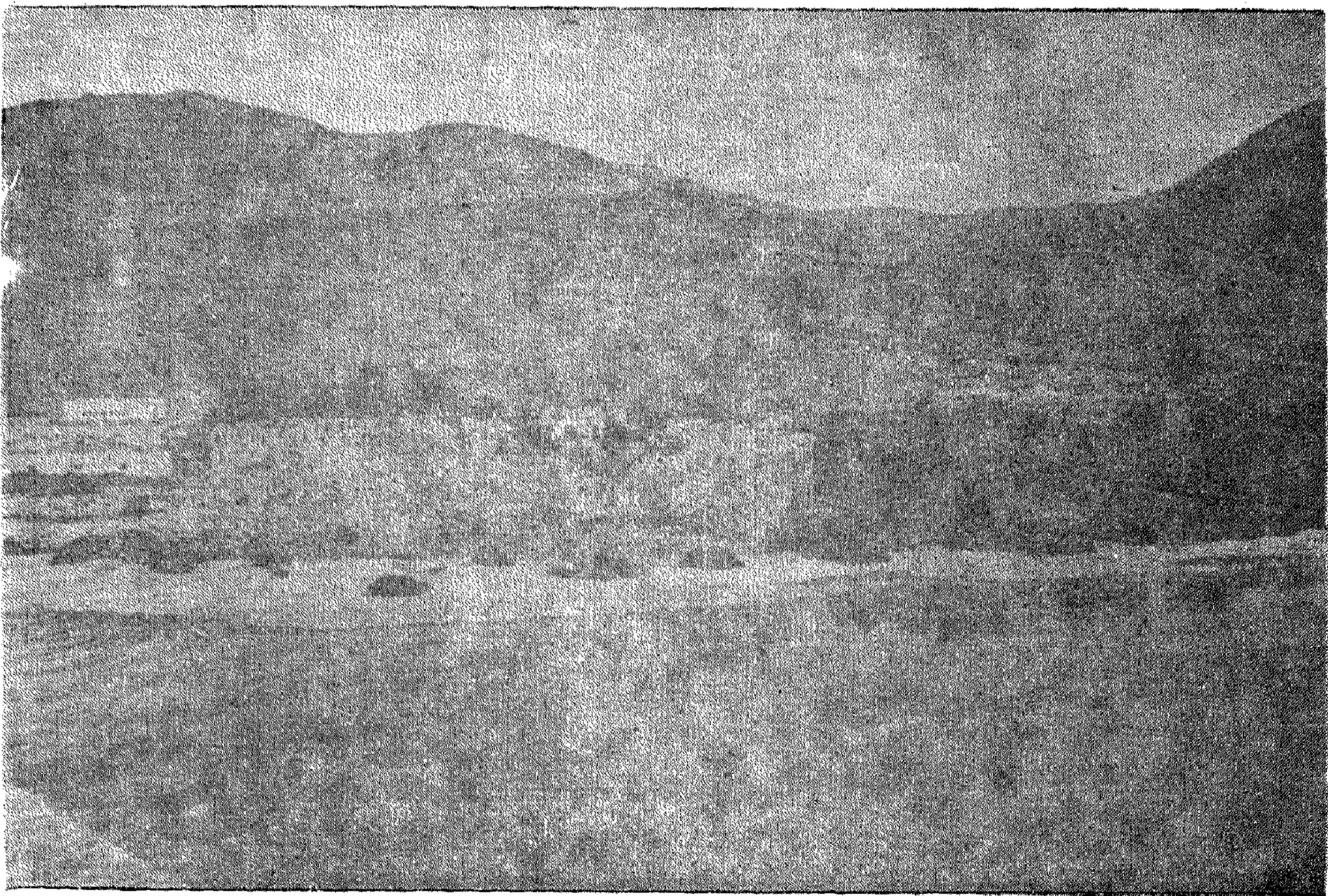
١٠ — خطاب من مسعود بن ناصر نعاس (أثناء حكم أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى) إلى حاكم أزمور بشأن أسير هرب إلى أزمور مؤرخ ١٧—٢٦ سبتمبر ١٥٢٧ (الأصل بالأرشيف بلشبونة) .

١١ — خطاب سكان أزمور إلى الملك جيان الثالث ملك البرتغال يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم مؤرخ فى أزمور ٢٠ أبريل ١٥٢٩ (الأصل بالأرشيف بلشبونه).

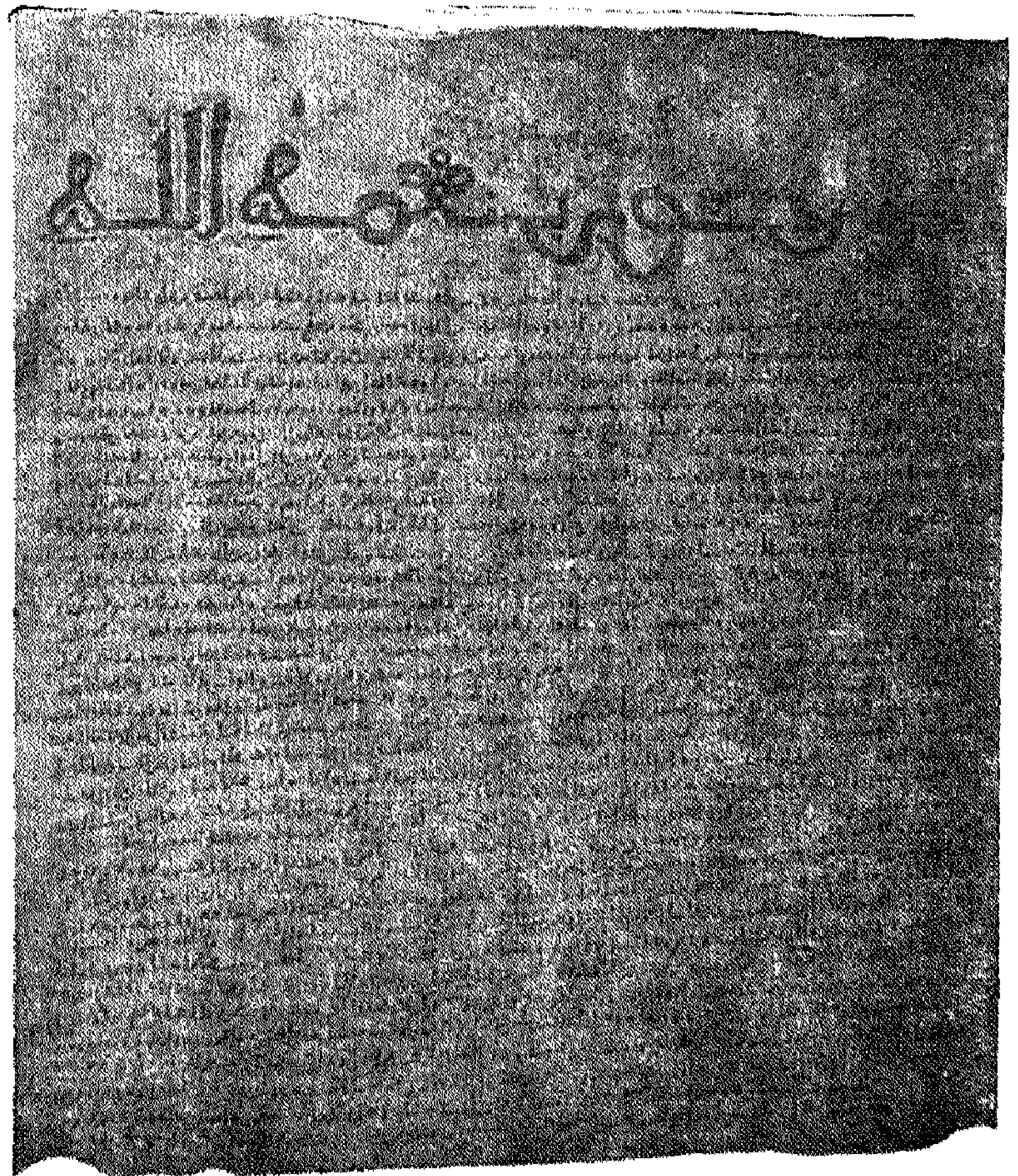
١٢ — خطاب الأمير السعدى أبى العباسى أحمد (الأعرج) إلى جيان الثالث ملك البرتغال— مؤرخ ٢٣ ربيع الأول ٩٣٦هـ —٢٥ نوفمبر ١٥٢٩ (الأصل بالأرشيف بلشبونة) .

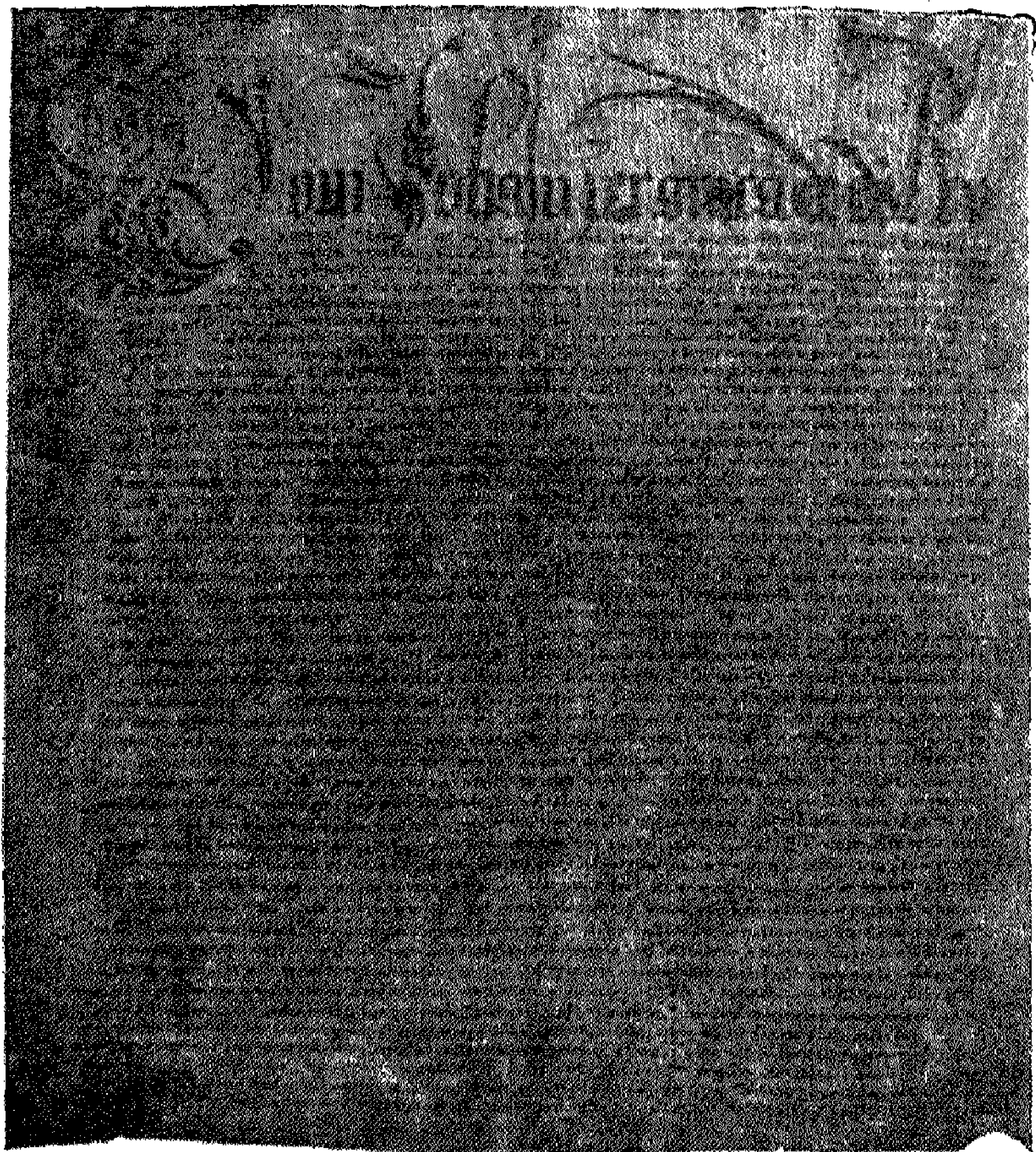
١٣ — خطاب من محمد بن الحسن زنبق قائد سلا فى عهد الأمير الوطاسى أحمد بن محمد الشيخ إلى قبطان مدينة أزمور البرتغالى مؤرخ ٦ أبريل ١٥٣٠ (الأصل بالأرشيف البرتغالى) .

١٤ — خريطة توضح الأطماع الأجنبية فى المغرب فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) .



١ ـ بقايا الحصن البرتغالي بالقصر الصغير (الأصل بالمحفوظات ـ بتطوان)





٢ ـ خطاب الملك جيان الثانى (JeanII) الى قائد اسفى وسكانها ـ الأصل العربى ،مرفق معه فى نفس الورقة الأصل البرتغالى
(مؤرخ : ١٦ اكتوبر ١٤٨٨) (الأصل في المحفوظات بلشبونة)

٣ ـ خطاب سكان آسفي الى الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) يشكون من تصرفات عامله
(مؤرخ : في ٢ يولية ١٥٠٩)
(الاصل بالمحفوظات ـ بلشبونه)

(تابع) خطاب سكان أسفي الى الملك عمانوئيل الاول

(الاصلّ بالمحفوظات ـ بلشبونه)

٤ ـ تنظيمات يحيى بن تعففت الذى كان يعمل لحساب البرتغال فى مدينة آسفى
(مؤرخ : أول ربيع الثانى ٩١٨ هـ) (الاصل بالمحفوظات ـ بلشبونه)

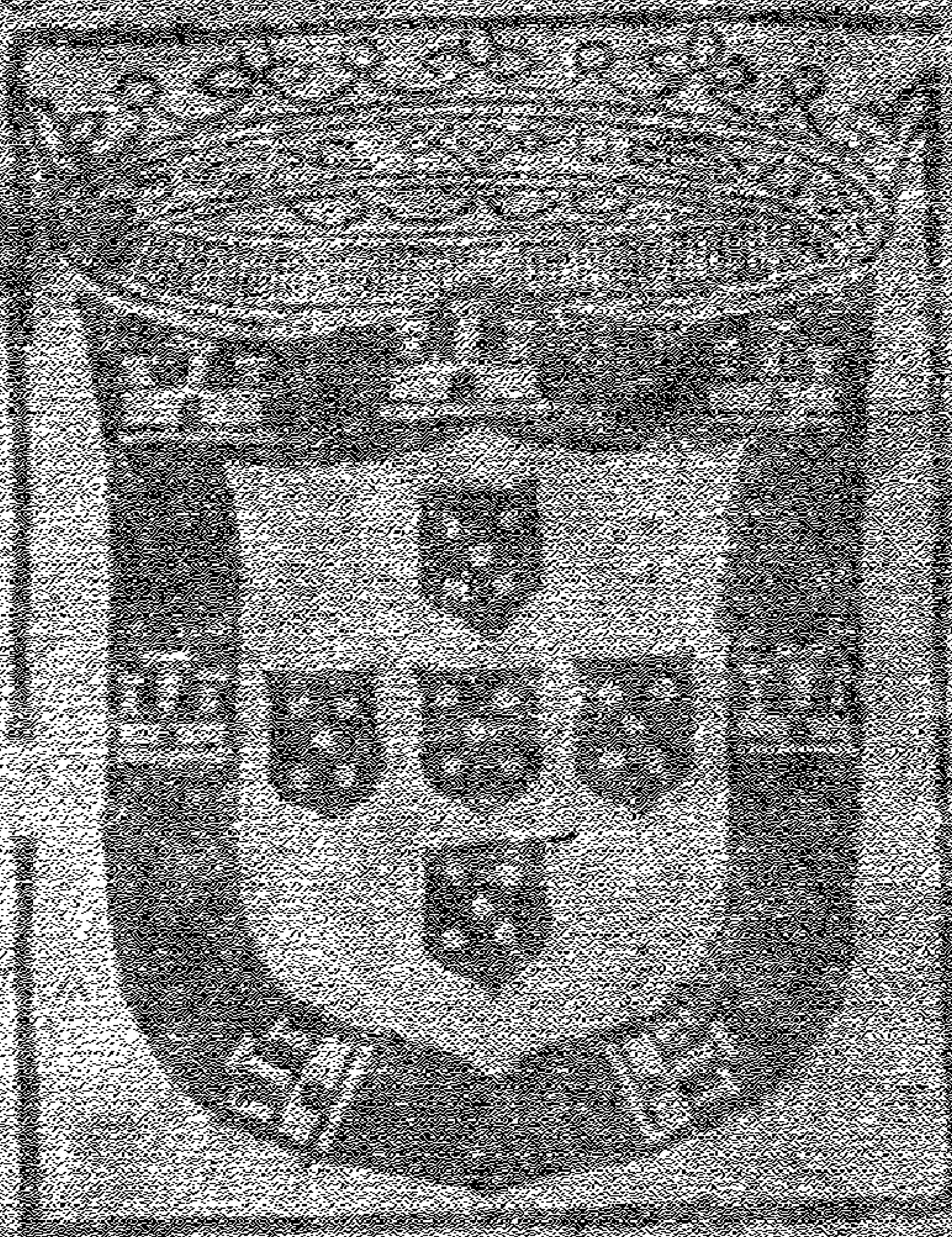
٥ ــ خطاب من الملك عمانوئيل الاول (Emanuel I) الى مواطنى ازمور

(مؤرخ ٢٢ ابريل ١٥٠٤)

(الاصل بالمحفوظات ــ بلشبونه)

٦ — خطاب علي بن سعيد من أشراف ازمور الى الملك عمانوئيل الأول
(مؤرخ : اول شعبان ٩١٦ هـ — نوفمبر ١٥١٠) (الاصل بالمحفوظات — بلشبونه)

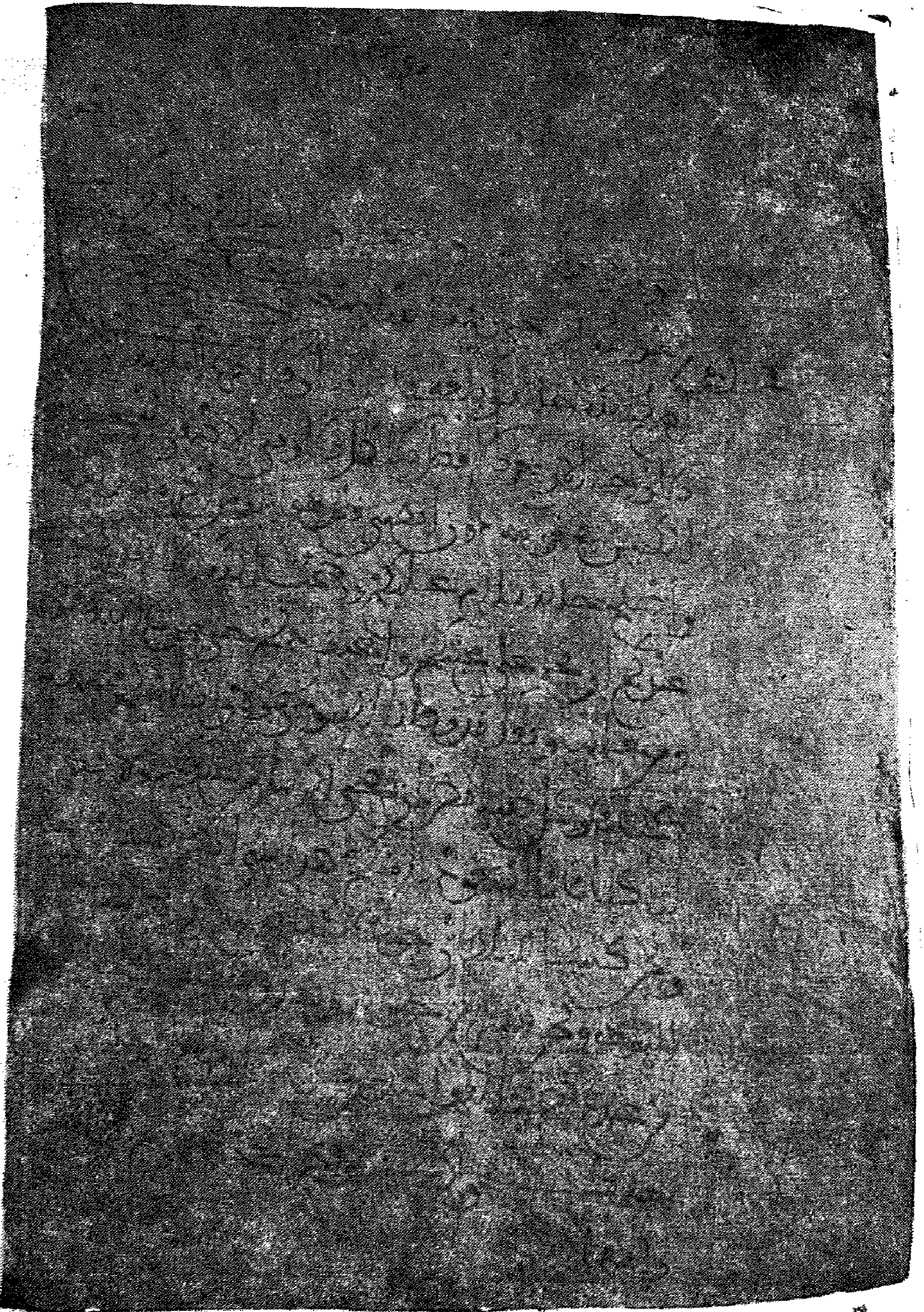
EPISTOLA
Potentissimi: ac Invictissimi
Emanuelis Regis Portugalliae
& Algarbiorū &c. De Victoriis
nup in Affrica habitis. Ad S.
in xpo patrem & dnm nostrum
dnm Leonē. X. Pont. Max.



١ – عنوان خطاب الملك عمانوئيل الاول الى البابا ليون العاشر يبشره بالاستيلاء على ازمور
٣٠ سبتمبر ١٥١٣ (الاصل بالمحفوظات – بلشبونه)

٨ — الهدنة المعقودة بين مولاى أحمد الشريف السعدى وملك البرتغال جيان الثالث
(مؤرخه ٢٢ ذى الحجة ٩٣٢ — ٢٩ سبتمبر ١٥٢٥م) (الاصل بالمحفوظات — بلشبونه)

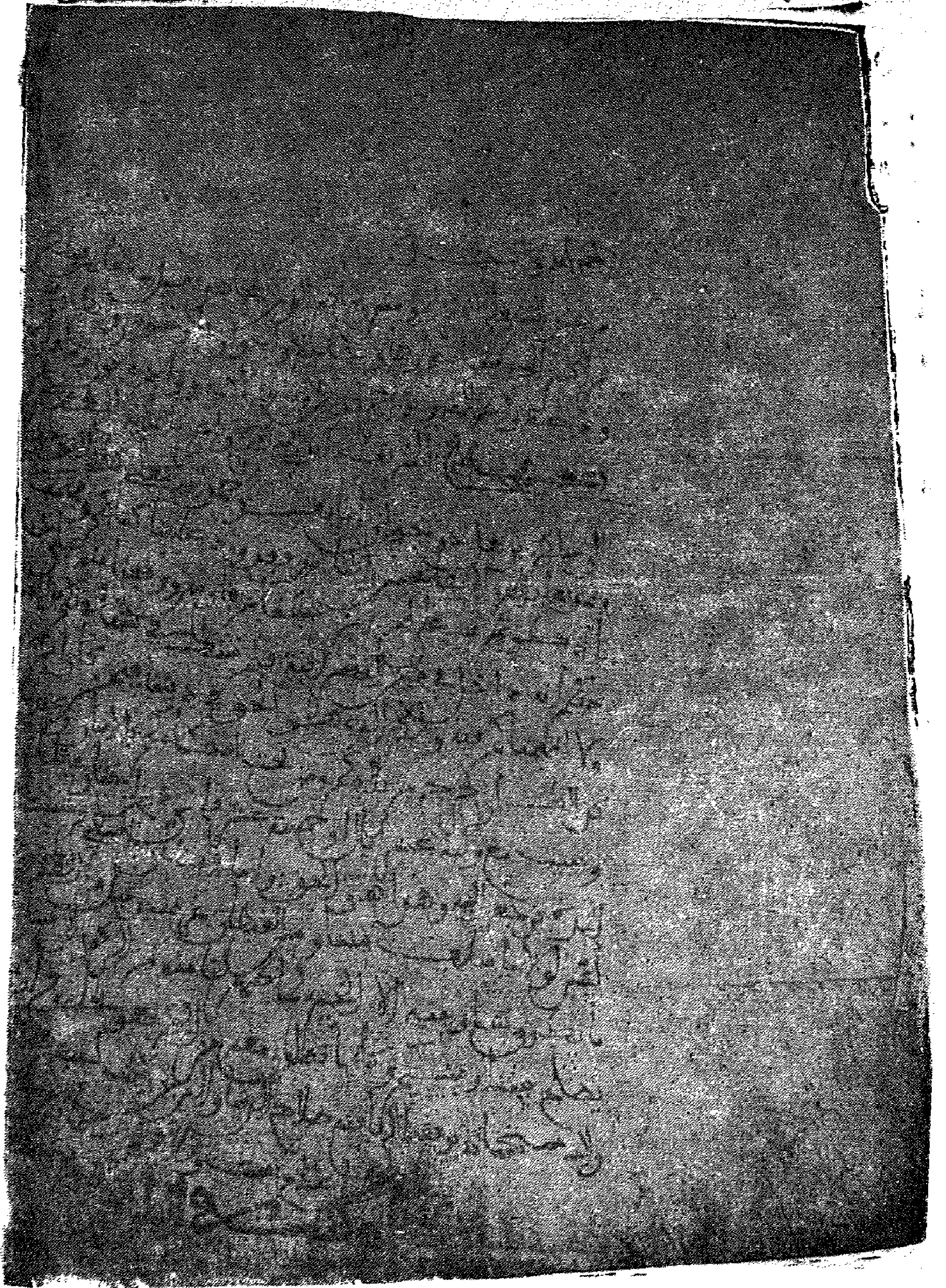
٩ ـ خطاب من مولاى احمد الشريف السعدى الى ملك البرتغال
(مؤرخ : ١٠ ديسمبر ١٥٢٥) (الأصل بالأرشيف بلشبونة)



١٠ ـ خطاب من مسعود بن ناصر نعاس (أثناء حكم احمد بن محمد الشيخ الوطاسى) الى حـاكم أزمور ـ بشأن أسير هرب الى أزمور

١ – خطاب سكان آزمور الى الملك جيان الثالث ملك البرتغال – يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم
(مؤرخ : ازمور فى ٢٠ ابريل ١٥٢٩)

(الاصل بالمحفوظات – بلشبونه)



١٢ ـ خطاب الامير السعدى ابى العباس احمد (الاعرج) الى جيان الثالث ملك البرتغال
مؤرخ ٢٣ ربيع الاول ٩٣٦ هـ (الأصل بالأرشيف بلشبونة)

١٣ ــ خطاب من محمد بن الحسن زنبق قائد (سلا) فى عهد
الأمير الوطاسى احمد بن محمد الشيخ ــ الى قبطان مدينة ازمور البرتغالى
(مؤرخ : ٦ ابريل ١٥٣٠) (الأصل فى الأرشيف البرتغالى)

الأطماع الأجنبية فى المغرب
فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى)
○ مدن وقعت تحت السيطرة الأسبانية
● مدن وقعت تحت السيطرة البرتغالية

المحيط الأطلسى
البحر المتوسط
سبتة (١٤١٥)
تافيلالت

شكل ١٤

شرح الوثائق السابقة والتعليق عليها

— ١ —

خطاب من جيان الثانى (Don Jean II) إلى قائد أسفى وسكانها — الأصل العربى بلغة ركيكة ، لغة مترجم الملك وفى نفس الورقه الأصل البرتغالى فى الناحية الأخرى من الورقه — على ورق برشمان سميك .

التاريخ : ١٦ أكتوبر سنة ١٤٨٨ .

دون جون بنعمة الله سلطان برتغال والمغربيين المحيطين (١) بالبحرين وصاحب كناوة الدهبين (٢) كل من يقف على كتابنا هذا تعلموه أن بأمر أحمد بن (٣) على قايد مدينتنا أسفى جالعندنا يحيي الزيات شبرينه (٤) وابن عمه وحضر ودفع إلينا وحد الكتاب من القائد المذكور عمه ، معلم بعلامته مطبوع بطابعه وكان يطلب منا أن كى نعطوا تصديق وتحقيق ليحيي المذكور فى كل ما يقول ويطلب لنا عنه وأنه يعمل ويوفى بالتحقيق كل ما يعمل معنا ويثبته بلا شك ولا نقصان ولا واحد ، وبقوة تلك الكتاب يحيي المذكور قال لنا إن أحمد بن على عمه المذكور ، كان يقول إلينا أنه والمدينة المذكورة وسكانها مع أحوازها كانوا للسلطان مولانا وأبى المرحوم (٥) وكان عنده كتابه الذى أرسل إلينا نروه ، وإن من بعد موته كذلك كان يحسب نفسه وما زال يحسب إنه أديا لنا(٦) والمدينة المذكوره وناسها وجميع حوازها وبجميع ما فيها كذا مجموع كيخدمنا كمثل لطبيعة وحقيقة السلطان وصنيعه كما عمل دآيم حتى لداب ، لكن لكيما عد يعملوا الكل ويعرفوه عن متاعنا (٧) ، كان يطلب من نعمتنا أن كى ترسلوا له كتابنا كيف كنا ، ناخدوه ونقبلوه للأبد عنا وعن تابعينا عن قايدنا وصنعنا وكلهم الذين تاتون لقدام ، وكذلك المدينة المذكوره عن متاعنا بسكانها وجيرانها وأحوازها فى الحال والمستقبل لنستخدموا

(١) يلاحظ اللقب الذى كان يضفيه ملك البرتغال على نفسه .

(٢) من الذهب ، ولعل له علاقة بشهرة هذه المناطق فى الذهب .

(٣) يلاحظ أن قائد مدينة آسفى كان من المسلمين والحقيقه إن المدينة لم تكن خلصت بعد للبرتغال.

(٤) Jahia Ajiod Sobrinho (فى النص البرتغالى).

(٥) توفى Alphonse V فى ٢٨ أغسطس ١٤٨١ .

(٦) تبعنا . (٧) يلاحظ ركاكة لغة الخطاب العربى المرفق مع النص البرتغالى

منه بالتحقيق ، ومنهم الكل كثل متاعنا [1] الأصلين والنوين وأن كثل متاعنا يرعا إليهم ، وتكون حوايجهم وهم فى كل موضع منظورة ومحروزة كثل لمتاعنا الأصولين الأصفيا والخدام ، فنظرنا مطلبهم ورعينا الخدمة الذى للمذكور المولا السلطان أبى ولنا فى الزمان الجابر ، ماع معمول نحيوا نقبلوا ونرضاه خدمتوا حسب ما طلب منا ، وكذلك من سكان وجيران المدينة المذكورة وأحوازها وعندنا فيه خبر فأخذناه وقبضناه للأبد عنا وعن الذين ياتون بعدنا من داب لقدام ، عن قايدنا ، صنعينا وملتزمنا له وكل من يأتى بعده من القياد للمدينة المذكورة ولسكانها ولأحوازها الذين هم اليوم ويكونون لقدام ، أخذناهم وقبلناهم عن متاعنا كذا بالتحقيق كيف هم الأصولين من سلطتنا وملكنا ، وهو القايد المذكور يرقد عنا فى الحين علامنا الذى نحن نرسلوا له فى المدينة المذكوره فى الموضع المشهور منها [2] كثل لحقيقة وطبيعة وسلطانه مولاه كتاعنا الطيب الجيد الأمين القايد والصنعى وداعماً يخدمنا ويتبعنا بذاته وبحوايجه كلها وبالمدينة المذكورة وناسها [3] وسكانها وأحوازها فى كل زمان ومكان الذى منه ويكتبنا [4] بكل وجه يؤمر به أو يطلب به وكذلك القياد الآخرين الذين ياتون بعده وزايد يحبس عنا عنده علام [5] آخر متاعنا مع الطبل [6] الذى نحن أيضاً نصرفوا له لكى يكن هو والآخرين الذين يأتون بعده معروفين إنهم متاعنا القياد ويحلف ، فالحين والوقت بالأزمة [7] أن يكمل كل شئ بالتحقيق ويحفظه بالدين الطيب بلاشك ونقطة الخلاف ما يعمل ولا يوافق عليه [8] وكذلك جميع الخاصة خاصة المدينة المذكورة يحلفوا اليمين المذكور عنهم والآخرين من العامة يحلفون عنهم أو باكلايهم [9] وزايد ينصفونا فى كل سنة فى شهر شتنبر ثلاثماثة مثقال من الذهب العين [10] ذهباً عيناً أو قيمتها فى شمع [11] أو فى سلعة غيرها مما يرضون عمالنا [12] الذين يكونون بتلك المدينة أن يقبضوا ذلك

---

(١) ملكنا (إتباعنا) . (٢) يضع العلم المرسل له فى مكان بارز .

(٣) هو والمدينة وسكانها يكونون تابعين لنا. (٤) يكتب لنا. (٥) يحفظ العلم المرسل له.

(٦) الطبل — وهو مستخدم عند الأفريقيين كما هو معروف لإعلان الحرب أو فى المناسبات الهامة الأخرى.

(٧) يلزم . (٨) بالذمة ، ولا يفعل خلاف مايؤمر به . (٩) بوكلائهم .

(١٠) ٨٠٠ مثقال من الذهب الخالص . (١١) هذه المناطق كان من صادراتها الذهب ، والشمع.

(١٢) عمالنا هم قواد المواقى .

عنا ، وإثنان من الخيل جياداً جداداً ، وكذلك أيضاً نحن منتظرين أن تجبسوا دايما فى المدينة المذكورة داراً لتجارتنا (١) ومتاعنا ولمتاع الأصولين متاعنا وللاشتغال بها ، وأخرى الذى تامروا أن تساق من هنالك تحتاجوا أن يكونوا فى تلك المدينه عمالنا وآخرين مراراً كثيره يمشون رجالنا ليجلسوا معها ويكونوا موءمنين وتكون جايد (٢) محروزه ومحفوظة كيف ينبغى لخدمتنا إن المذكور أحمد بن على قايدنا فى مدينتنا المذكوره يبوب وينتظر (٣) فالساعة والوقت شئ داراً تكن جيدة ومنيعة وحريزة أو يعطى موضعاً لعمالنا أن يامروا بعملها أين يكون ، كل شئ محفوظ وعلى خاطرنا وإرادتنا ، ونحن على هذا الكتاب رضينا للقايد المذكور ولسكان المدينه المذكوره وحوزها الذى هم داب أو يكونوا لقدام أن ياتوا إن شاءوا (٤) ويرسلوا لسلطتنا فى أجنانتا (٥) وفى متاع الأصولين متاعنا ليتابعوا ويتعاملوا ويسوقون كل ما يريدون من السلعة والذين يحبون ويحملون أخرا للمدينة المذكورة أو أين ما يحبون ، ومنها ما يغرمون إلا ما يغرمون أو صليين بلادنا ، وذاك بكلها التحريرات والظواهر والتحشيات الذى بالشرع (٦) وبستنا اللى بسلطتنا هم معطيين للأصوليين متاعنا ومرضيات ، وكثل الأصولين متاعنا وأصفياونا نأمروا (٧) عليها داعماً الإستحفاظ ونشهروا لمرتنا (٨) ولبطارقة البحر من سلطنتنا ولريساى الأجفان تاجرين أو محاربين وكذلك لكلهم أصفياونا إن مع كل من يتصادقون من سكان وجيران المدينة المذكورة وحوزها أو مع حوايجهم أن لا يعملوا لهم عيب ولا مضرة بل يعملوا لهم بحل لاشيا (٩) متاعنا حسب ما يعملوا للأصوليين متاعنا ، والذى يعمل العكس تامروا عليه بالعقوبة الذى يستوجب بالشرع والحد ، وكذلك ترغبوا ونوكدوا لبطارقة وأصفيا ووصوليين متاع السلاطين الفنشيين (١٠) بنى عمنا ومن

(١) تحتفظ بمكان التبادل التجارى . (٢) جيدة .
(٣) يبحث حالا .
(٤) شاءوا .
(٥) سفننا .
(٦) حسب الشريعة والسنة .
(٧) نأمر .
(٨) أمير آلات البحر .
(٩) الأشياء كخاصتنا . (١٠) حكام الدويلات الأخرى بالأندلس .

جميع الطاعات الذى يكن بيننا وبينهم العافيه إن فى حقنا إذا تصادقوا مع المذكورين أن لا يعملوا لهم عيب وأن يرعوهم بخير ويتركوهم يمشوا خليص ويجوا كمثل متاعنا ومن هو تحت أمتنا وحفظنا وملكنا كن معنا منه كلفة كبيره وفكرة (١) ، ولصحة هذا كله وهذه الأشياء أمرنا بكتابنا هذا للقايد المذكور وللمدينة المذكوره مرشوم برشمنا ومطبوع بطابعنا من الرصاص لحرزهم وإستحفاظهم — كتب ببلد شتوبر من شهر أكتوبر من عام ١٤٨٨ .

(١) ليس بيننا وبينه كلفة ، أى تابع لنا .

الأصل موجود فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo Parte 1. maco 1 No.43.

خطاب من سكان اسفى إلى الملك عمانوئيل الأول (Emmanuel I) يشكون من تصرفات عامله وما أصاب المدينه من أعمال الفوضى والسرقة والإسترقاق وما أصاب المساجد وغيرها — حتى هجر السكان المدينه .

مؤرخ ٢ يوليه ١٥٠٩

الحمد لله وحده وإليه يرجع الأمر كله ولا بد من لقائه ولا ينج هارب من قضائه وإذا ضاقت كان الفرج من عنده .

ضيفنا ومولانا السلطان ضون منوال (١) حفظه الله — خدامك بل عبيدك الساكنين تحت علامك (٢) وطاعة الله وطاعتك فى بلدتك (٣) بلدة آسفى هم يسلمون عليك ويقبلون يديك والأرض تحت قدميك ، ومما نعلمك به يا مولانا بأن نحن جازت علينا شدايد وأهوال ونحن تحت طاعة الله وطاعتك من المخاوف والمجاعات والمحن الكثار والغبائن (٤) من المسلمين ومن النصارى ، ونحن يا مولانا أعلمناك بذلك كله وكتبنا لك يا مولانا جمله من الكتب ولا عرفنا هل بلغوك أملا (٥) ونحن شكونا عليك فيهم لين ما رأينا (٦) من يقبل شكوتنا إلا الله وأنت ، وترانا نجمع لك ذلك كله فى كتابنا هذا ونختصر لك فيه ، فأول يامولانا نعلمك به بأن نحن ما كرهنا عبد الرحمان إلا فى حق الذى عصاك (٧) ولم يدخل تحت طاعتك ولا رضا حتى قتلناه وقلنا خرجنا من العذاب ودخلنا فى الجنه إنما دخلنا تحت طاعتك فاصرفنا يامولانا فى الوقت والحين لعاملك دوغ الدالزنبوح(٨) وأدخلناه فى دارك(٩) وخرج للغايه كل من من كان فى آسفى وتقبلناه بأحسن القبول كل ذلك يامولانا محبة فيك ونحن يامولانا قادرون ندخل سلطان مراكش ومولاى زيان من أزمور ، وكان، بأسفى رجال كانوا أهلا للشياخه ونحن يامولانا أخبرناك ورضيناك من دون هؤلاء ، يوم دخل عاملك ديوغ الدالزنبوج دخل بقصبة فى يده وغصن من الحسبق وأكرمنا نزله وبقايا مولانا على عز وكرامه ماشاء الله ، ونظر بعقله فى البلاد وفى

---

(١) (Emmanuel I) Don Manoel (٢) علمك . (٣) يشيرون بأنها بلده !

(٤) غبن وظلم . (٥) أم لا ؟

(٦) لم نجد من يسمع لشكوانا إلا الله . (٧) خرج عن طاعتك .

(٨) Diogo de Azambuja (٩) القلعة البرتغالية فى آسفى .

الأمور وظهر له من الرأي ومن الصلاح أن يوقف رجلا من المسلمين يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى ويصلح بذلك الرعية التى فسدت لين(١) الغنم إذا كانت بغير راعى هلكت فتكلم مع أهلن (٢) آسفى واتفق رأيهم على ذلك ، ففتش ذلك الرجل فلم يوجد أحسن وأوفى وأصدق سالم من جميع العيوب غير الشيخ يحيي بن تعففت (٣) فقبله وقبلته العامة ، والشيخ يحيي كاره لذلك وغير راض به فقلبت عليه العامه مع عاملك ديوغ الدالزنبوج (٤) ويرجوا عليه وعطاه علاملك ومشا به (٥) فى البلد وفرحت الناس ودخلت العربان(٦) وكان البيع والشراء والأخذ والعطا وأرسلوا الناس بحوايجهم الذى — أخرجوا للمدينة وغيرها خوفهم تقوم الفتنه (٥) من بعد موت عبد الرحمان واستامنت الناس حين رأوا علاملك ورقد كل واحد منا رقاده وبقينا كذلك أيام ، فحبس عاملك ذيوغ الدالزنبوج للشيخ يحيي فى فتح الباب(٨) فقال له الشيخ يحيي ذلك مايعلى(٩) على مولانا السلطان فى هذا الوقت حتى تعمر البلاد وتستامن الناس حداً ، فقال له عاملك لا بد من فتحه . فقال له الشيخ يحيي نكتب لمولانا السلطان بذلك فإذا أمر بفتحه فى هذا الوقت فتحناه فاتفقوا على ذلك وأصرفوا(١٠) لك يا مولانا مرسلا عبد الله اللحيانى مع يحيي وازنزغ ، فلما طلعوا لم يتربص(١١) عاملك ديوغ الدالزنبوج حتى ياتى أمرك . فتكلم مع على بن وشمان(١٢) وقبيلة السراق بنى ماجر ، وأدخلهم علينا فأكلونا وأكلوا البلد(١٣) وأفسدوه وقتلونا وشتتوا بنيننا وبناتنا ، حتى ما بقى فيه يامولانا لا صغير ولا كبير ولا يتيم ، و لا مسكين ولا شيخ ولا عجوزه ولاهجاله ، إلا التاكلت فيه والتاكلت فيه يامولانا أموالا ما يعلم (١٤) عددها إلاالله وكذلك الحوايج والدخاير ، وعاملك

---

(١) لأن .

(٢) أهل .

(٣) أشار ليو الأفريقى إلى قصة هذا الرجل الذى لعب دوراً هاماً لحساب البرتغال .

(٤) Diogo de Azambuja

(٥) مشى .

(٦) الرجل .

(٧) كانوا يخشون قيام فتنة .

(٨) طلب فتح أبواب المدينة .

(٩) لا يصلح .

(١٠) أرسلوا .

(١١) لم ينتظر .

(١٢) صحتها على بن عثمان

(١٣) تعدوا علينا .

(١٤) أى سلبت أموال لا تقدر .

يا مولانا قادر على منعه (١) بعشرة رجال مع أهلن آسفى ، ففتح الباب عاملك ديوغ الدالزنبوج فى تلك الساعه وبقوا بنى ماجرياكلوافى آسفى ثلاثة أيام من بعد فتح الباب وعاملك ديوغ الدالزنبوج ينظر فيهم ولم يقول لهم ماذا يفعلون والقيساريه (٢) يا مولانا بازاء داره وهو قادر على منعها من غير خروج من داره والتاكلت فيها أموالا كثار وأبا يمنعها (٣) فهذا يامولانا أول الغدرات الذى أعذرنا عاملك ديوغ الدالزنبوج تحت علامك ، ومن بعد ذلك يامولانا كانوا زوج (٤) من رجالك ساكنان فى خربه من الخراب فى الخلافى (٥) ناحية آسفى قبالة الفساد(٦) والزنا بالمسلمات فدخلوا عليهم بعض رجال من مدينة دكاله(٧) فى الليل وقتلوهما فأصبحوا موتاً فلما رأى عاملك ديوغ الدالزنبوج ذلك لم يتربص(٨) حتى يعرف من فعل ذلك الفعلة فأطلق رجالك على البلد وقتلوا منه ستة أو سبعة رجال والمجرمين الكثير منهم وأكلوا كثير من الديار وأخلعوا (٩) النساء والأولاد حتى سقطت الفساد بالبنين والبنات، فلما كان يامولانا عشية النهار أتاه الخبر بأن أهل المدينة فعلوا ذلك الفعلة فلم يعقب(١٠) يامولانا أحد من رجاله على ما فعلوا فهذا يامولانا غدرة أخرى والثالثة من الغدرات يامولانا خرجت وحد(١١) القافله من آسفى فيها المسلمين مع اليهود حملوها بعض الفرسان من قبيلة الغربى فأغدروها(١٢) وكلوها فرجع عاملك ديوغ الدالزبنوج يا مولانا على الذين دخلوا البلد وساقوا له المنفعه ودخلوا فى الأمن والعافيه فــربط كل من أصــاب (١٣) منهم وعاد كل من يدخل منهم ويسوق المنفعة للبــلاد يربطه ويبيعه (١٤) ، وهو ستة منهم يامولانا باعهم لقايدك الذى أتا (١٥) من جــزيرة الخشب يامولانا براءة من كاتبك فرشطــا بن داالميد (١٦) وأبا له كاتبك بذلك وقال له انا ما نعطيك براءة إنك إشـتريتهم

---

(١) منع هذه الفوضى والتعدى. (٢) مبنى مربع للتجار (دائرة المعارف الإسلامية).
(٣) أبى ورفض . (٤) كان إثنان . (٥) خارج المدينة .
(٦) تدار الفساد . (٧) قبيلة بربرية وقد تعربت .
(٨) رأى — لم يتريث . (٩) أثاروا فزعهم .
(١٠) لم يعاقب . (١١) قافلة واحدة. (١٢) غدروا بمن فيها.
(١٣) من وقع تحت يديه من أهل البلد. (١٤) يتاجر فيهم كالعبيد. (١٥) أتى.
(١٦) براءة بأنهم ليسوا أحرار من (Christovao de Almeida)

حتى يعطيني القبطان ديوغ الدالزبنوج براءة بيده إنه أمرني بالقهر مني (١) فعطا له (٢) القبطان ديوغ الدالزبنوج براءة إنه أمره بالقهر منه وترا يامولانا البراءة بيد كاتبك فرشطاين دالميد وأسئله (٣) يامولانا وهو يعطيك صحة الخبر ، وزايد من هذا يامولانا عاملك ديوغ الدالزبنوج قال لفرسانك ورجالك أن من أصاب منهم ما يشترى من المسلمين فى الخفا (٤) يشتريه وبهذا الأمر يامولانا عادت رجالك تشترى فى المسلمين ويأخذونهم غصباً وقهراً وعادت السراق من المسلمين ومن اليهود يسرقون أولاد العربان والمصامد (٥) كان باسفي يامولانا كثير من ضعفاء العرب الذين ما كان عندهم بهايم(٦) للرحيل ولا كان لهم جهد عليه فسرقت أولادهم وأخذت غصباً وكذلك أولاد المصامد وكذلك المسوقين من العربان فى الأمن والعافيه والآتيين بالمنفعه (٧) للبلاد من دخل منهم لآسفي ما يرجع لأهله وعاد كل واحد يسرق ويبيع حين أصاب من يشترى منه (٨) حتى إتعلر الكثير منهم الذى ما عرفنا له عدد من أهلين بر وأهلين البلد وطلعوا لبلادك والكثير منهم طلع لجزيرة الخشب وكثير من رجالك يامولانا إنحبسوا (٩) بايدهم ولا رأينا من عاقب عاملك ديوغ الدالزنبوج على ذلك لا من المسلمين ولا من النصارى ولا من اليهود غير وحد العرب كان مسلم ورجع نصرانى(١٠) إنصابوا بعض الأولاد بيده أمر بصلبه وغير ذلك مارأينا ، فلما رأت يامولانا العربان والمصامد هاذه الأفعال فرت وهربت خوفاً على روسهم ودراريهم(١١) ونعلمك يامولانا بان أول من إشتغل بهدم الديار باسفي عاملك ديوغ الدالزنبوج وينقل الخشب على العجلات ويحرقها ، فلما رأت المسلمين ذلك يامولانا أيسوا(١٢) من آسفي وأيقنوا بالخروج منه ، وكذلك الذين خرجوا أيسوا الرجوع إليه وإشتغل كل واحد من المسلمين بهدم داره وحرق خشبها ، وإشتغلوا النصارى بهدم جوامعنا وسرق حصارهم(١٣) ودقاقهم فهدموا لنا جامع بالقبور ولم يبق فيه حيط واقف ، وكذلك زاوية لنا بازايه يقال لها زاوية سيدى نوعلى ،

(١) بدون إرادته . (٢) تأعطى له . (٣) إسأله .
(٤) فى الخفاء . (٥) قبيلة المصامدة . (٦) لا يقوون على الفرار.
(٧) من يأتون للبلاد بالنفع عن طريق الحضور ببضائعهم للإتجار بها .
(٨) طالما وجد المشترى. (٩) وضعوهم فى الحبس . (١٠) إرتد.
(١١) ذريتهم — أى أولادهم. (١٢) يئسوا . (١٣) حصر

جامعنا الكبير الأعظم سرقوا حصوره وهدموا فيه ويبولون فيه ويغيطون (١) ، وصومعة جامعنا الأعظم الذى هو مشهر (٢) ديننا ترا رجالك فيها أيضاً يبولون ويغيطون ، وجامع آخر لنا بباب الشعب أخذه عاملك ديوغ الدالزنبوج مع زوج أبيار من الماء هنالك للعامة ، قطع عليهم(٣) بحائط وأدخلهم فى جنان هنالك وأخذ الجنان لنفسه وكذلك جامع لنا بباب البحر مشت (٤) حصوره ودقاقه ، وجامع لنا بناحية أورير (٥) مشت حصوره ودقاقه أيضاً وغيرها ولاء مما لا نصف لك ، وأخذوا لنا أيضاً أحباس (٦) هاذه الجوامع من الجنانت(٧) والديار والحناوت (الحوانيت) ويا مولانا رجالك يدخلون ديارنا ويعملون أيديهم فى نساينا وبناتنا ، وعاملك ديوغ الدالزنبوج يا مولانا عارف بهاذه المسايل ، ولم يعقب أحد من رجالك على فعلة من هذه الأفعال ، ونحن يامولانا أخذنا على رجالك ولاكن (٨) أخذنا على عاملك ديوغ الدالزنبوج الذى كان عارف بهذه المسايل وكان له الحكم عليهم ولم ينه أحد منهم ولم يعقبه ، وهاذه الأفعال يامولانا الذى هربت الناس وأخلت آسفى ، ولو رأو االناس يامولانا الفرح والخير ما يخرجون ديارهم وبلادهم وبلاد جدودهم ويمشون على بلاد الناس وديارهم ولاكن يامولانا خرجهم الهم والغم والكشفه(٩) وقلة الأمان ، ونحن يامولانا مع هاذه الأهوال صابرين على البلاد حين عرفنا أنك غير عارف بهاذه المسايل وكاره لها ، وننتظرون الرحمة تنزل من عند الله وعندك ، حتى ورد علينا كتابك الذى أرسلت لنا بالأمن والعافية ففرحنا به غاية الفرح ، كأن الرحمة نزلت علينا من السماء ، ولو لم يوف عاملك ديوغ الدالزنبوج ، فكتابك الأول وعطانا خبر بانك تحب ترسل الشيخ يحي بن تعفوفت وشاع الخبر فى البلاد وفرحت

(١) يتبرزون .
(١) تقام فيه شعائر الدين — ترى .
(٣) فصلهم أى حجزهم .
(٤) سرقت .
(٥) Aourir .
(٦) ما حبس للصرف عليها .
(٧) الجنان (الحدائق) .
(٨) ولكن .
(٩) العار .

الناس بكتابك وتجديد [١] الأمن والعافية ، وعملوا أهلن آسفى الذين خرجوا منه على الرجوع إليه ، فلما سميع [٢] عاملك ديوغ الدالزنبوج بمجى الشيخ يحيى بن تعففت سعا [٣] فى هلاكنا وفساد البلاد وأمر بنفى نساء الشيخ يحيى وأولاده وكذلك عبدالله اللحيانى الذى جاء مرسل [٤] من عندك يامولانا كرهه فى حق الذى كان يخاطبه بالحق والصدق ، ونفاهم من غير سبب ولا جريمة وكرهنا نحن أيضاً فى حق الذى نكتب لك بالحق والصدق ، وعاد ينسب إلينا أفعالا لم نفعلوها ولا نرضوها من قتل النصارى وغيرهم ونحن نحب يبين علينا بذلك ، وكم أصاب منهم موتى [٥] غير واحد مشا [٦] يسكر ويشرب الشراب ويزنى بالمسلمات أغدروه [٧] أصحابه وقتلوه الذين كان يسكر معهم وما عرفناهم ، وغير ذالك نحب يبينه علينا ، ثم بعد ذالك أدخل علينا الغدار على بن [٨] وشمان مع قبيلة السراق بنى ماجر [٩] الذين أكلوا البلد وأفسدوه وقتلونا وشمتوا بنا وبنسائنا وبناتنا أدخلهم علينا بالقهر منا على بن وشمان أغدر ضيفه[١٠] عبد الرحمن الذى كان ياكل خبزه ، وأغدر صاحبه بن تعففت ، وأغدر أهلن اسفى وأغدرك أنت يامولانا الذى نصبت النفاق لدارك ورجالك ، وسعا فى[١١] هلاكهم ، ومن بعد ما خرج من اسفى مشا يلايم[١٢] الجيوش ومشا لسلطان[١٣] مراكش ومولاى زيان بازمور وأنفق ماله على جميع الجيوش والحركة لآسفى ولا أصاب غرضه فى المسلمين ، وعاملك يامولانا ديوغ الدالزنبوج عارف بهاذه المسايل ، مع ذالك كله أدخله علينا بالقهر منا وبرح عليه[١٤] أنه شيخ أسفى فلما رأت الناس ذالك دهشت وعملت على الخروج وهربت العربان من عبد[١٥] وغيرهم من الذين كانوا يسوقون النفعة للبلاد ، وعدم[١٦] كل شئ والقط مع الفار يامولانا لا يسكن فى غار واحد ، نحن ما نسكن مع من أكلنا وقتلنا وشمت بنسائنا ودرارينا[١٧] وترا يا مولانا حوايجنا الذى أكلوا لنا تراهم يلبسوها[١٨] ونحن

(١) تجدد . (٢) سمع . (٣) سعى .
(٤) رسولا . (٥) كم قتل منهم . (٦) مشى .
(٧) غدر به . (٨) Ali Ben Ouachman – عينه حاكماً فى آسفى
(٩) Beni Mager (١٠) غدر به . (١١) وسعى .
(١٢) يلائم أى يعد الجيوش. (١٣) إتفق مع سلطان مراكش،ومولاى زيان بأزمورضد البرتغاليين.
(١٤) زادعليه . (١٥) عبد (Abda) قبائل فى إسفى.
(١٦) ضاع وهلك . (١٧) درارينا أى أولادنا (١٨) يلبسون الملابس المسروقة .

تنظر فيها ، وأنت يامولانا أختر فى عشرة ألف مهاز أو مهاز واحد قبيلة عبد مع قبيلة رجراجة وقبيلة زناته وقبيلة دكاله الكل عظم واحد (١) هؤلاء وقبيلة واحدة ولف واحد وحال واحد عددهم واحد وصديقهم واحد ، وبنى ماجر عدو لهاؤلاء، أختر فيهم وفى بنى ماجر ، وعاملك يامولانا ديوغ الدالزنبوج لا يكذب عليك ويقول لك إنه أخذ أسفى بذراعه نحن يامولانا الذى أعطناك أسفى (٢) ونحن أدخلنا عاملك ديوغ الدالزنبوج كما وصفنا لك ، ونحن يوم الذى نصب على بن وشمان النفاق لدارك ورجالك ما قاتل واحد منا ولا فاتن ولا حبينا إلا يهلكوا بنى ماجر عن آخرهم(٣) ونحن يامولانا أتانا قائدك(٤) وفرحنا به كثير وهو بنا، وهو رجل لين صغير الرأس (٥) عارف بطبايع المسلمين واسع الخلوق (٦) ومثل هاذا يامولانا يصلح لهاذه البلاد والمسلمون فارحين به كثير ونحن يامولانا شكونا عليه (٧) بالذى جرا علينا وبجوامعنا وصومعتنا الذى فيها النصارى وقال لنا يامولانا إنه ما ساق أمر لذالك (٨) وان نكتبوا لك نحن ونشتكو عليك ، وكل ما أمرته به يعمله ، نحن كتبنا لك يامولانا هاذا الكتاب وأعلمناك بجميع ما جرا علينا فيه وأنت يامولانا إذا تحب أسفى للعافيه والفايده والمنفعه أمر بنزول رجالك من صومعتنا (٩) الذى هى عصمه ديننا لين حد ما كانوا فيها رجالك ما يدخل وحد المسلم يسكن فى اسفى من الذين خرجوا منه ولا من غيرهم كل من هو مسلم يهرب من ذالك ويجفل(١٠) وأما نحن يامولانا ما نحن عند المسلمين إلا نصارى ، والثانية يامولانا تأمر أن لا يطلع مسلم من أسفى لا حر ولا عبد والذين فيه أسارى ينطلقون(١١) وترسل رجلا يكون قنطرة(١٢) بين المسلمين والنصارى وياخذ العافيه مع العربان وتحرث العربان على البلاد وتخزن فيه ويرجعون أهلن أسفى وتعمر البلاد ويكون البيع والشراء وتستفيد منها وتدخل

(١) الكل متفقون ضد قبيلة (بنى ماجر) .

(٢) الفضل فى خضوع المدينة لكم يرجع لأصحابها !

(٣) لو وقفنا ضدها لهلكت القبيلة كلها فهى ضعيفة .

(٥) القائد المذكور هو Pedro de Azevede الذى خلف Diogo de Azambujo فى حكم سافى فى مايو ١٥٠٩ .

(٥) هذا ملح معناه لين العريكه متواضع . (٦) واسع الصدر .

(٧) له . (٨) لم يصدر أمرا بذلك . (٩) صومعتنا

(١٠) يهرب . (١١) يطلق سراحهم . (١٢) واسطة بينهما للتفاهم .

عليك المنفعة منها ، وإذا ما عملت (١) هاذا يامولانا ولو نفع على اسفى مال الدنيا ما تصلحه ولا تحرث العرب عليه ولا تخزن فيه ، وإذا ما كان عليه الحرث والخزين ما يسكن واحد من المسلمين فيه لين (٢) ما هى عمارة اسفى غير العرب والحرث والخزين ، وعماره اسفى من العربان قبيلة عبد من دون غيرهم ، وإذا تحب أسفى يامولانا قبالة الشر (٣) تراه بيدك أكتب لنا يامولانا نخرجوه لك ، والسلام عليكم .

كتب فى اليوم الثانى من شهر يوليه عرفنا الله خيره بمنه وجوده وكرمه ولا رب غيره ولا معبود سواه .

ونعلمك أيضاً يامولانا بأن خديمك الذى أصرفت(٤) لأسفى يخرج لك الإ نفرسوا (٥) ويعرف لك الحق من الباطل ، فان أرشاه عاملك ديوغ الدالزنبوج وعطاه وحد الحصان ووحد المسلم من الذين إتخذوا باسفى (٦) وأنت يامولانا إذا أردت أن تعرف صحة هذا الخبر وصحة ما كتبنا لك به وصحة كلامنا أسئل (٧) رى منلر ومنون غرسى ، وانطانى ذا الزبير ، وجرج دماى (٨) ومثل هاؤلاء الذين ما يرضون بالعار ولا بالشماته وهم خدامك بالحق والصدق والنية ولا قط خالفوا قولك ولا أمراك ولا مشوا يامولانا إلا فيما يصلح عليك وينفعك وكذلك لب د مال(٩) أسئلهم يامولانا وهم يعرفونك بالحق من الباطل ، ويعلمونك صحة الأخبار وغير هؤلاء يامولانا لا تأخذ لكلامهم ولا بقولهم ، لين(١٠) ما مشوا فى صلاحك ولا فيما ينفعك ، لين ما يحبون إلا ما يسرقوا وما يأكلون(١١) ويقولون لك غير الحق ولو كان بغروضهم تأخذ الشرفى فى حق يصبحوا ما يسرقون (١٢) ومما ياكلون كمثل ماسرقوا وكالوا ، وأما ما ينفعك يامولانا ما إشتغلوا به والسلام عليكم .

---

(١) لم تعمل (المنفى) . (٢) لأن . (٣) فاعل الشر تسلمه لك يداً بيد.

(٤) أرسلته . (٥) يتحرى الحقيقة. ويلاحظ استخدام ألفاظ غير عربية.

(٦) رشاه بحصان وعبد من الذين أخذهم من المدينة . (٧) أسأل .

(٨) Rui Mendes - Dom Garcio — Antonio de Azevedo & Gorge de Mayer

وهم ضباط برتغاليون كانوا بأسفى بعضهم كان حاكماً على الميناء .

(٩) Lapo de Mello . (١٠) لأن .

(١١) يأكلون ظلما . (١٢) ما كانوا ينغمسون فى هذه الأعمال .

عبدالله بن جط — مسعد وهس — منصور بن سعد الله — أحمد بن حُد — على وبو رحيس .

يصل الكتاب بحول الله وقوته إلى يد مولانا السلطان ضنون منوال حفظه الله .

أصل الوثيقة فى :

Archives Nationales de La Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes.

(بدون رقم)

تنظيمات (أوامر) أبو زكريا يحيي بن تعففت بمدينة أسفى — وبه الأحكام والقواعد التى يعمل بها فى مختلف المخالفات .

مؤرخ : أول ربيع الثانى ٩١٨ هـ (من ١٦ ، ٢٥ يونيه ١٥١٢) .

الحمد لله وحده بسم الله الرحمان الرحيم—وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيراً .

بيمن الله وتوفيقه وبإذن من له الأمر والأحكام بمدينه أسفى الشيخ الأجل الأفضل الأكمل الأفضل الأعز الأرفع الأجل الأكمل المؤيد المنصور أبو زكريا يحيي بن محمد أدام الله عزه ومتع المسلمين بحياته وأفسح لنا فى دولته أمن بالضفر (١) والنصر وأعلا مناره وألهمه إلى طريق رشده — التفق (٢) رايه الرشيد الميمون السعيد على أن قدم (٣) على قبيلة الحارث الشاب المكرم أبو عبد الله محمد بن حجاج وفوض له الأمر فى أحكامهم بعد رضائه بذالك واستعان بالله طالباً الإعانة على توفيقه إلى ما قد قدم عليه ، إلى أن طلب له فى تعيين رجالا (رجال) وشطارا ممن رضا الشاب المكرم يستعين بهم (٤) على أفعاله وأقواله وما يحتاج إليه من كافة شأنه وال آمره ، ووضع الأمير المذكور جميع شأنه وأموره بيد محمد المذكور ، وأقامه مقام نفسه ولا حرج عليه فى ما فعل ففعله ماض وجايز ، فمن عصاه وخالف أمره يعاقب عقوبة شديدة ، فمن إستحق من العصاة ضرباً ضرب والله يتولا (٤) أمورنا وأمور المسلمين أجمعين بيد التبسط (٥) لما جرت به العوايد من أسلافهم وأقرانهم ، جعل على من قدر الله عليه بقتل أخ مسلم ما سبق فى حكم التنزيل وما جاءت به السنه من سيد البشر (صلى الله عليه وسلم) ، فان كان القتل قتل عمداً فيه بما قال الله تبارك فى كتابه العــزيز وكتبنا عليهم فيهاذا إن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، وقال تعالى والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما فمن فعل فعلة يستحق بها العقوبة فيحكم عليه ، بقول الله تعلى وسنة نبيه أصلى الله عليه وسلم ، وجعلنا الله وإياكم ممن أطاع مولاه وخالف

---

(١) بالظفر (٢) أتفق (٣) جعله مقدما

(٤) يتولى (٥) التروى وإعادة النظر

هواه وسلك بنا ربكم طريق الهدى بجاه نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبهاذا شهد من حضر ذالك ودعاه وخفضه كما يجب ، قبلت شهادته فى أول ربيع الآخر عام ثمانيه وعشر بعد تسع مائه عرفنا الله خيره وخير ما بعده والحمد لله وحده .

وبعد فهاذا دية من سرق عشرة أواق أو مايه دينار دراهم أو تقطع يده ودية من جرح أخيه المسلم وقيتين أو عشرون ديناراً والكبش يعطيه للمجروح ، ودية من ضرب بعصا أو حجر وقية واحدة أو عشرة دنانير .

ومن ذكر ما سلف من العار (١) بين الناس فعليه وقيتين أو عشرون ديناراً أو ثور ، وإن شتمت إمرأة رجلا ضالمتا (٢) فعليها نصف وقية أو خمسة دنانير أو كبش ، ومن وجد فى بيت غير بيته على وجه العيب والخيانة فعليه عشر أواق أو مأة (٣) دنانير .

ومن طلب عند رجل ماله أو دينه يرفع أمره إلى المقدم يحكم فيه بحكمه يوجل له ميجالا (٤) ، فاذا لم يعطيه بعد المجال يحكم فيه بما شاء .

ومن غوت عليه المرأة كلف عليه الشهود ، وإلا عليه اليمين وإن تبين فيه خمسون ديناراً أو خمسة أواق .

ومن ظهرت منه نعرة فعليه عشرون ديناراً أو وقتين أو ديتهم .

ومن قدر الله عليه فهتك حرمة أخيه فعليه مائة دينار للمخزن ويأخذ صاحب الحرم حرمته .

ومن حكم عليه الشرع بالحكم ثم رجع للخصام بعد الحكم فعليه عشرون ديناراً أو ثور .

ومن هرب بالمحصنة يوكل ماله وتحرق بيته وينفى من بلده ، ومن حكم السلطان وتوخذ دية المرأة من ماله ، وإن وجد قتل ، وليس على من قتله دية أو يحبس إلى بين يد السلطان ، ومن جعل يده فى مال رجل بالغصب فعليه خمسون ديناراً لسبب

---

(١) العيب
(٢) ظلما
(٣) مائة
(٤) يعطيه مهلة

تعديته فى مال المسلمين ، هاذا إذا كان له عليه دين ، وأما إن كان سارقاً — مائة دينار (١) . الشب المكرم محمد بن منصور — وعلى بن عمر — على بن عمر بوخشب — وجعبوب بن موسى — على بن محمد بن قه — وعمران بن عب — على بن عياد — وزينون والبوصر وعلى بن فتوح — وعمر بن كنابر — وروح بن بجود — وروح بن سعيد — وعلى بن عريف — ومسعود وبن حنين — وحم بن عمر — ومحمد بن عماره — وعلى بن حمد — وعلى بن محمد القاسمى بن سعدان — ومحمد بن الحافظ ومبارك بن إبراهيم (٢).

ومن طلب عند رجل ماله أو دينه يرفع أمره إلى الحاكم (٣) — وأحمد بن المحلوف — ومبارك بن عيسى — وبوفليح — وحماد وعلى بن سعيد وكار — وعلى بن جابر والحلول — وحمد وبريج — ومبارك بن عمر — ومن الذبيخ وزيد بن ساس وغانم بن على — والكح والكراش .

---

(١) أى يدفع مائة دينار

(٢) كثرة التوقيعات الهدف منها إعطاء قوه للأوامر

(٣) هذا التعبير الذى جاء فى وسط التوقيعات بنفس خط الوثيقة وهو تكرار لشىء وارد بها من قبل ولعل القصد التصحيح أو التوضيح .

ولم يوضح المقصود بالحاكم — لكن لعله الحاكم البرتغالى لأسفى

Archives Nationales de la Torre de Tombo - Casa dos Tratados Documents Arabes.

من الملك عمانوئيل الأول Emmanuel I إلى مواطنى آزمور يصفح عنهم بعد أن كان مصمماً على عقابهم لما حدث لبعض رجاله وقواده فى بلادهم ، وذلك لشفاعة زوجة الملك لهم ، ويطلب كمية كبيرة من القمح ليغيظوا الأعداء ويتضح كذب الوشاة .

لشبونة فى : ٢٢ إبريل ١٥٠٤

هاذا الأشياخ الفضلا والروساء الأمنا والخاصة والعامة . أهل ازمور نحن ضون منوال بفضل الله ونعمه سلطان البرطغال والغربين وصاحب كناوه . مستفتح أقاليم غربيه وأمصار وجزور وبحار وأقاليم هندية(١) وأوطان فرنسية(٢) ثم بلاد الكو(٣) سلام يراجع سلامكم وبعد، وصلنا كتابكم وفهمنا جميع ماتضمنه كتابكم وخطابكم وقد ذكرتم لنا ما وقع عندكم من الندامة على ما انصدر من فعلكم فى النازلة التى أحدثوها عندكم وقلتم إن القلوب(٤)...قد اتجمعت بينكم وأن صارت قلوبكم مولفه ومجتمعه وكلمتكم واحدة وطلبتم منا العفو والتجاوز(٥)... ما نزل والصفح عليه وأن نتموا على صلحنا وعهدنا وتمينيتنا منكم (٦) وأعترفتم بذالك كله وطلبتم منا القبول ، وإنكم تكونوا لنا خدام وأصدقاء ، وقلتم إنكم تردون(٧) جميع ما أتخذ لنا هنالك ولرجالنا فى مرستكم وبلدكم فى قواربنا الذى إنفسدت عندكم ولرجالنا وتجارنا ، وأشرتم فى كتابكم بجميع المحبه والنصيحة إلينا ومهما إنكم ما حمدتم الله عز وجل مولانا ولا شكرتموه على مامنحكم وأعطاكم من صلحنا معكم الذى كنتم تحت رعينا وحفظنا وحملكم نظركم الفاسد على هتك العهد والميثاق الذى كان بيننا وبينكم ومددتم أيديكم فى أمر ليس بواجب عليكم (٨) ، بل كان من الأمر الواجب والعهد (اللازب) (٩) رعى مسايلنا وخدمتنا والإستحفاظ عليها فنازلتكم ووافقكم كانت

---

(١) قام فاسكودا جاما فى عام (١٤٩٧) برحلة فوصل لنهاية القارة الأفريقية فى (١٤٩٨) وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرق للقارة وبإرشاد البحارة العرب وصل إلى كلكت على الساحل الغربى للهند وعاد إلى لشبونه فى سبتمبر (١٤٩٩) .

(٢) فارسيه . (٣) قصده غير واضح . (٤) غير واضحة .

(٥) التجاوز عما بدر منهم. (٦) السلام القائم بيننا . (٧) ترجعون .

(٨) يشير إلى نهب البضائع والسفن . (٩) اللازم .

أولا للتأديب والتعزيز من العفو والصفح والغفران ، وإن كانت عادة الملوك أمثالنا الصفح والغفران كما قلتم ، وقد كنتم قد كتبتم قبل هاذا ولم يصلكم عليه جواب فسبب ذلك كان الجرح الذى لحقنا من جهتكم ومن فعلكم القبيح الذى أدركنا من نحوكم وكنا عاملين على أدبكم وتعزيزكم لاشك فيها وأن نكافيكم بفعلكم ونجازيكم عليه ونتركم مثلا وموعظة لمن ينقص عهده ولمن ياتى بعدكم ولا نصلكم بخبر فهاذا كان مقصودنا[1]، والآن حين كتبتم وأعترفتم بذنبكم وتوسلتم بأقرب الينا[2]، وأحبهم لدينا السلطانه زوجتنا التى عنكم قصدتنا وقصدها له مقام عظيم عندنا ، وطلبتم العفو منا على مافات وأظهرتم الندامة وكيف كلمتكم فى ذالك واحدة فنحن عنكم عفونا واسمحنالكم[3]فيما مضى وغفرنا لكم ماوقع منكم وذالك إن أوفيتم بما قلتم فى كتابكم برد جميع ما أخذتم إلينا ولرجالنا ، فاذا أوفيتم بما قلتم فلكم الأمان التام والخير والإقبال العام ، وأنتم تحت حفظنا ورعايتنا وعهدنا كما كنتم بالعهود الموثوقه والعقود الأزمه ، ووجب شكركم إلينا على هاذا وتجديد الحمد والشكر لله الذى سمحنا لكم ورضينا بقولكم وهاذا الأمر فات وجاز ، ومافات وجاز جوزناه[4] فاستعملوا من اليوم لقدام الصدق والوفاء والنصيحة فى خدمتنا ، فلو علمتم مالكم فى عافيتنا من الخير الشامل والأمن الكامل ، وما تصلكم من الفوايد ، وإلى بلدكم من الخير الزايد لحمدتم الله كثيراً جداً عل[5] ذالك واعملوا على تاكيد المودات وإجلاب المحبات تنالوا المسرات ، وماقلتم إن كانت عندكم هديه تصرفوها إلينا ورجال من أخياركم وبيتكم[6] ياتون لعندنا ويقفون علينا فاعملوا فى ذالك مايسركم وما يعجبكم والذى يسركم يسرنا ومايعجبكم يعجبنا ولاشك أن جميع من ياتينا من عندكم نبروه [7] ونفرحوا به وبملاقيته فاعلموا ذلك ومابقى عندكم من شروطنا والجزية التى خلت فى هاذه السنين تموا[8] عليها ، وليعلموا

(١) تهديد .

(٢) أقرب الناس .

(٣) سامحناكم فيما بدر منكم .

(٤) تجاوزنا عنه .

(٥) على

(٦) بيوتاتكم .

(٧) نبر به أى نكرمه .

(٨) أتموها ، أى ادفعوها .

الخاصة والعامة إنكم لنا أصدقاء نريد منكم أن تبذلوا لنا جهدكم وتسمحوا فى الخروج من هنالك من عندكم وحوزكم القين كفيز(1) قمح لياتوا به لملكنا وهاذا أكثر لما ينظر إليه أنكم لنا خدام وأحباب وينكبث (2) بذالك أعدائكم وتتأكد المودات ويتضح كذب الأشاة(3) وتنالوا منا على ذلك المزيات(4) وتعلوا لكم على جيرانكم الدرجات عندنا ، وتكون لكم اعيننا داءما ناظره وأسماعنا لكم واعية وحوائجكم كلها مقضية بنفوس رضية .

سنج طابا رش فارس دارنا وأميننا أصرفناه(5) إليكم بجوابنا هاذا وقلنا له ما يقول لكم عنا ، فجميع ما يقول لكم عنا صدقوه شافياً ، فعاملوه بجميل فى قضاء حوائجه ومالكم فى الخير وألا مان عن عوايد وسامحوه بحصن(6) وافر من إكرامكم وزايد ، واعملوا حسب مايقول لكم ، وإن وافقتم على مايقول لكم وأتى من عندكم مع من نتكلمو أو نستامنوا إليه ففرحوا للذلك كثيراً وإن أوفيتم بما قلتم وكتبتم تصرفوا (7) لهنالك لعندكم وكيلنا وتاجرنا وفيطورنا(8) بجميع ماتحتاجون ويصلكم كما طلبتم وأصرفتم إليه(9)وإذا نظرتم هاذا بنظر صحيح سالم لكم فيه منفعه عظيمة ووجب عليكم خدمتنا كما هوالمظنون منكم حسب ماذكرتم والترقم وكتب وترجم خديمكم ونصيحكم ومعتقدكم عبد الله الزغبي(10) مسلما عليكم من الحضرة .

---

(1) الكفيز (Kafiz) = من 25 إلى 50 لتراً كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية .

(2) ينتاظ .

(3) الوشاة .

ونلاحظ التبرير العجيب من ملك لهذا الطلب العجيب .

(4) المزايا .

(5) أرسلناه .

(6) بحظ .

(7) نرسل .

(8) وأسطولنا .

(9) ماذكرتم له .

(10) من المغاربة بالبرتغال وكان فى خدمة ملك البرتغال – يعمل كترجم له .

الأصل موجود فى :

Archives Nationales de La Torre do Tombo-Caso dos Tratados. Documents Arabes

خطاب على بن سعيد من أشراف أزمور للملك عمانوئيل بشأن مولاى زيان

مؤرخ : أزمور فى أول شعبان ٩١٦ هـ. (بين ٣ ، ١٢ نوفبر ١٥١٠)

نجد[١] السلاطين — وسلالة الماجدين ملك الروم طون منوال أرشده الله بمنه وكرمه .

الحمد لله رب العالمين — والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين — والرضى عن آله وأصحابه الأخيار المنتخبين .

ملك الروم[٢] وتاجهم ، أصلهم ومالكهم ، سلالة السلاطين ، ونجد الأمرا الماجدين — صاحب العهد المتين — والحسب المكين — وجوده فاق عن أمثاله — وخيره عم أقاربه — طون منوال[٣] أرشده الله بمنه سلام يراجع سلامكم وبعد — فان كاتبه على بن سعيد[٤] محبكم وخديمكم لم يزل كيف[٥] تعرفونه — راغباً فى المدنه والعافيه والحمد لله الذى كمل علينا بها وبمحبة مولانا زيان لكم — وبخدمته لديكم حتى فاقت محبته فيكم محبتنا — وصفايه[٦] لكم صفا وثنا — فكن على يقين بهاذا وكلامنا تعرفوه — ومانحكوه لكم جربتوه فاقبل خدمته وهديته ، وطول رقبته كما طول رقبتكم ، ولا تعمل لأعدائه أهل الغرب مايرهصونه به ، هرب لكم ، وقصدكم قصداً له دمام[٧] عمل ماقدر عليه من صنعه رعياً لكم ووفينى بالشروط على حسب ما فسرتم ولم نقصروا [٨] بشىء من كلامكم ودياك إذا القاصبة[٩] نعم الرسول ونعم الرجل هو ، خصه كاتب مثله فى الطبع والخلق ،

(١) قة .
(٢) الروم يعبرون بها دائما عن المسيحيين .
(٣) Dom Manuel .
(٤) من اشراف أزمور .
(٥) كما .
(٦) صفاؤه .
(٧) ليجد مأوى لديكم .
(٨) نقصر
(٩) Diogo de ALcacova

وجوان (١) حمل حصاناً رعياً لكم ، وصرر من أربعين أوقية فى بعض السلع كل ذالك مراعاة من السلطان لكم ولو كان منه قلق وسوء طبع ومالم يقل فالسدة(٢) محموده والعذر مقبول ، وبقية الكلام تعرفوها من كتب خدامكم وأرسالكم بافواههم وكل شيء رأوه عياناً ، والسلام يعم مقامكم ومن لاذبكم(٣) بتاريخ أوائل شعبان عام سته وعشر وتسعمائه عرفنا الله تعالى خيره .

وأولاد دياك(٤) بفضلكم أيها الملك ترسلهم له(٥) إذ هو اللائق بهذا الوطن وتريح نفسه بولده وزوجته ، وهو عندنا وعند السلطان فى مقام عظيم وعند جميع الناس والحمد لله وما يحكى لكم عن عضلته(٦) فنحن حبسناه من غير وده(٧) لمصلحتنا ومصلحتكم حتى لم يكون بحمد الله سوى جميع الخير والشكر لله والجميل لكم ومولانا زيان راجلكم وخديمكم لكل ماتحبه يعمل لكم وهو عاركم(٨) فى أعدائه وأعدائكم وهديته تعذره ، عمل جهده فيكم وفى الله فاعمل معه ما يعرف لكم إذ الملوك للملوك رحمة ونعرة وكاتبه ومولانا زيان خدمتهم فيك واحده ومحبتهم فيك كذالك ولا تعمل فى هذا شك ولاريب وما على يديه خير من على يد العوام والسلام .

---

(١) Josao

(٢) ما لم نقله (مثل معروف) .

(٣) لاذ بكم .

(٤) الذين هم لديك .

(٥) يقصد Diogo

(٦) تعطيله .

(٧) دون ارادته .

(٨) ما يصيبه عار له ولك .

الأصل موجود فى :

Achives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados - Documents Arabes.

هدنة (اتفاقية سلام) معقوده بين مولاى احمد الشريف وملك البرتغال :

موٌرخة ٢٢ ذى الحجة ٩٣٢هـ (٢٩ سبتمبر ١٥٢٥)

الحمد لله وحده ، يتعرف بحول الله وقوته ، من وقف على مكتوبنا هذى ، يعلم صحة مافيه إن مولاى نصره الله وخلد ملكه قبل جميع الشروط الدين[١] اناىهم إبراهيم بن ازمو[٢] من عند القبطان عز ساى دى ميلو صاحب مشور[٣] سلطان برتغال وناظر رمات[٤] برتغال والشروط على غرامه الدشور[٥] تركها مولاى نصره الله والحدود الدين هم لأهل اسفى يحرقون المدينة ، وتزروت ، والدشور وبنى مكر[٦] وهدو الدشور من جملة حدود النصر[٧] يحرقونهم أو يسكونونهم ، وكذلك جميع من لم يحـــرم بيعه فى ديننا يشترونه النصر فى بلاد مولاى نصر الله ، وإبراهيم بن أزمر شهد بذالك وعلى يديه كان ذالك،والعافية[٨] الذى عليها هاد الشروط على تمام[٩] من شهرذى حجة عام اثنين وثلاثين وتسع وماتة إلا[١٠] شهر ذى حجة عام ثلاثة وثلاثين وتسع مايه وكتب بأمره وصفيه وعبـــده محمد بن أحمد متعه الله بطول حياته بتريخ[١١] ٢٢ من ذى حجة عام ٩٣٢ وشهد بذالك نون البرس[١٢] كاتب القبطان باسفى .

(١) التى أتى .

(٢) Ibrahim Ben Zamiro اليهودى الذى فى خدمة ملك البرتغال

(٣) Garcia de Mello عضو مجلس الشورى .

(٤) رماة .

(٥) القرى .

(٦) يقومون بزرع Tazrout - Emedian – والقرى Beni Mager,

(٧) النصارى .

(٨) السلم .

(٩) لمدة عام .

(١٠) إلى

(١١) بتاريخ .

(١٢) Nuno Alvaris

خطاب من مولاى احمد الشريف إلى ملك البرتغال (Jean III) يذكر له إنه على الرغم من الصلح والاتفاق الذى عقد بين الطرفين فلا يزال اتباعه يعتدون على المسلمين ويطلب وقف ذلك .

مؤرخ : ٢٤ صفر ٩٣٢ (١٠ ديسمبر ١٥٢٥)

يصل بحول الله وقوته إلى يد عظيم الروم(١) سلطن برتغل

الحمد لله وحده .

من عبد الله المعتمد على الله الشريف لطف الله به إلى عظيم الروم سلطان برتغال — أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله إلا هو ، وأصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذى وجب به إعلامنا لكم أننا عملنا العافيه(٢) مع خدامكم قبطن أسفى(٣) وقبطن أزمور بأمركم فى العام الماضى على يد النصرانى خديمكم مشاط(٤) واليهودى إبراهيم الخزان(٥) . وفى تلك العافية(٦) أخذوا أهل أزمور زوج مسلمين من خدامنا وطلعوهم لذلك البر بتعكم(٧) وكل يوم نطلبهم ولا رأينا لهم خبر ، وأهل أسفى أيضاً بعثوا سراقهم(٨) سرقو البقر من بلادنا وباعوهم فى أزمور وظهر فيها عياناً ، وفى هذه العافية الآخرة التى كانت بيننا على يد اليهودى إبراهيم بن زمير(٩) أخذ وأهل أزمور قافلة عليها الشمع(١٠) وردو الناس وأكلوا(١١) الشمع والبهائم ولا ردو

---

(١) كان يطلق عليه هذا اللقب أى عظيم المسيحين ، وهذا يذكرنا بكثير من الوثائق بهذا الشكل فى صدر الإسلام .

(٢) السلام ، أى الاتفاق .

(٣) قبطان آسفى وهو فى ذلك الوقت Goncalo Mendes Sacoto .

(٤) Machodo

(٥) Ibrahim Rabbin (عدكبير من اليهود دخل فى خدمة البرتغال) .

(٦) وفى أثناء سريان هذه المعاهدة .

(٧) (بتاعكم) بركم .

(٨) اللصوص .

(٩) نفس الشخص السابق وكان يدعى Ibrahim Ben Zamiro

(١٠) كان الشمع من صادرات هذه البلاد .

(١١) استولوا على الشمع والبهائم وأعادوا الناس .

إلا الناس بروسهم خاصة ، وأيضاً رسل قبطان أسنى الحانه (١) والتقو مع قافلة من خدامنا وأخذوها وقتلوهم كلهم لكى يأكلون القافلة ، وقتلو جميع أهلها لكى لا تظهر عليهم(٢) ، وظهرت عليهم ، وأيضاً أخذو زوج مسلمين وطلعوهم لذلك البر متعكم والقافله الذين ماتو أهلها ردو من بهائمها والذى عليها نحو من ثلثين وبقى الثلث(٣) وحاصل الامر فإن كانت هاذه العافيه بامركم ترسلو لنا من ينصف لنا(٤) فى جميع مالنا عند خدامكم فلا نرضالكم يعملون خدامكم هذا فى عافيتكم ، تبعتو من يقف حتى يرجع جميع ماذكرت لكم ، ويأخذ الحق من الذين عملو هاذا الفعل القبيح لأننا لانصبر على ذلك ابداً إلا واجب علينا نعرفكم بذالك ، فالله الله ثم الله فى الجواب(٥) فى القرب دخول الكتاب خروج الجواب ، وإنا ما ننتظر إلا ما عندكم فان انصفتم لنا من حقنا وعملتم عمل الحق والشريعة فالذين عملو هاذا الفعل القبيح فالحمد الله والعافيه تبقما على حالها ، وإلا فنحن مانصبر على ماجرا فينا أبداً ، ومن يوم عملنا مع خدامك العافيه ما انصدر منا عيب قط وإذا رسلتم شرعكم(٦) فظهر له جميع ذلك ، ونحن نحب منكم تبعثو قاضياً يكون قاعدا فى آسف أبداً ، جميع ماكان يظهر له ولاكن بعد أن تاخذ جميع حقنا وتكون العافيه بالقول والفعل والسلام على من اتبع الهدى .

رابع وعشرين من صفر عام ٩٣٢ هـ

(١) أرسل (قطاع الطرق) .

(٢) لمحو آثار جريمتهم .

(٣) ردوا جزء واستولوا على الباقى .

(٤) ينصفنا .

(٥) أجب دون تأخير – بمجرد وصول الخطاب أرسل الرد .

(٦) عد لكم .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados, Documents Arabes.

خطاب من مسعود بن الناصر الذى كان مع خاله احمد بن محمد الشيخ الوطاسى حاكم فاس إلى الكونت دى لنارش حاكم أزمور

مؤرخ : أواخر ذى الحجة ٩٣٣ هـ (١٧ سبتمبر ١٥٢٧)

القند(١) المرفع دون طولى(٢) قنددى لنارش(٣) أكرمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبياً بعده .

من عبد الله الراجى رحمه الله مسعود أصلح الله حاله وبلغه فى الدنيا والآخرة آماله إلى المكرم الأوجه الارفع الأفضل الأكمل الأوفى الأصفى الشجيع الكبير فى قومه دون انطنى ، قنددى لنارش — أكرمه الله وأصلح حاله سلام عليكم ورحمة الله — أما بعد يكون عندكم أن نحن على محبتكم واعتقادكم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وبعد قد وصلنا اليهودى ولا راينا منكم معه كتاب(٤) وكل ضننا نضن أن يجي الرسل من عندكم ولا تصرف لنا كتاب ما استعودنا منكم هدا شي(٥) إنكم تنساو(٦) المحبة ، ونحن كتبنا للسلطان(٧) جواب كتابه مع إبراهيم الخزان اليهودى(٨) ونحن منتظرين جوابه ، وبعدن(٩) يجينا الجواب من عنده نصرفوا له واحد من خدامنا إن شاء الله فكون بعلمك .

وكتب فى أواخر الحجة عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة .

---

(١) الكونت .

(٢) D. Linhares

(٣) D. Antonio

(٤) لم يأت لنا خطاب .

(٥) الشىء .

(٦) تنسوا .

(٧) يقصد ملك البرتغال .

(٨) Ibrahim Ben Zammou

(٩) إن (ما) .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo. Casa dos Tratados Dacuments Arabes.

خطاب من سكان ازمور إلى جيان الثالث (Jean III) يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم وما يعانونه منه ويطلبون إقامه العدل .

مؤرخ : ازمور (فى ٢٠ إبريل ١٥٢٩)

الحمد لله وحده الرى(١) دون جوان الله يعيشه(٢) من خدامكم مسلمين أزمور تقبل أقدامكم عن الخير والحمد لله. أما بعد مادخلنا بلادكم(٣) ولاخدمناكم إلابأمان أبيكم وكانت نعمته علينا عايمه(٤) ووفاه(٥) كبير ولاقط لحقنا فى مدته غبن ، وخلفته أنت،مارأينا فى أول مدة إلا الخير حتى صرفت(٦) لنا جورج(٧)دياجش كصر(٨)مزراقك(٩) الوافيه وخصر(١٠)أمانك الذى كان مثل أمان أبيكم أو أكثر منه وقلنا ما عندكم خبر حتا(١١)صرفت إلينا الكوجدور(١٢) فرحنا به فرحاً شديداً وقلنا زال عنا الباطل واتواترت أخبارنا ببلاد المسلمين جات منها اثنا عشر خيمه هاربت(١٣)إلينا ولو دام داللك علينا ما يبق أحد نكون فى عمارة قوية فى بلادك(١٤) ثم بعد ذالك بين الكرجدور حقاً وغرم منه جورج دياجس(١٥)البعض منا حقاً كثر عليه الأمر قال ما نعزم شىء حتا(١٦) نبلغ للسلطان.ثم عند ذالك قال لنا

---

(١) الملك . Roi D.—Joao

(٢) يحفظه .

(٣) بلادكم !

(٤) كثيرة .

(٥) وفاؤه .

(٦) أرسلت .

(٧) Jorge Vugas

(٨) كسر (حطم) .

(٩) قاربك (الوفاق الذى كان بينن) .

(١٠) خسر .

(١١) حتى .

(١٢) أرسلت اا Corregedor

(١٣) جاءت حين أطمأنت على العدل والسلام .

(١٤) يعم الخير .

(١٥) ظهور الحق ضايق Jorge Vugas

(١٦) إلى أن تبلغ .

الكرجدور 'كتب ما أخد لكم وأنا نبلغه إلا بين يدى السلطان(١) كتبنا معه إليكم ، وكنا نقول قبل هادا ماعندكم خبر حقاً أتاك الكرجدور باخبرنا(٢) كلها وصرفت لنا برأتكم فرحنا أيضاً فرحا شديداً واتجازينا بتلك الرجال الذى اتاوه(٣) اليكم وقلنا إذ سمعت كلامهم تعرف الغبن والباطل الذى نحن فيه الضر(٤) والأمر فى بلادك والآخر والأضر من بلاد الشريف ، والآخر والأضر من بلاد سلا(٥)، قلنا إذا سمعت كلامهم تعمل لنا الحق يرتغد(٦)به قلوبنا،فلما بلغ إليكم ماعملتم(٧) منهم شىء عرفنا أن الباطل كله منكم ، الله يجعل دنوبنا فى رقبتكم(٨) وتعلمنا أكان نحن أسار فى بلادك عين لنا أضيافنا يطعمون الطعام(٩) نحن ضعنا من كل جهة بالأخذ والاصر فى بلادك وفى بلاد المسلمين ، ومضهان الجوع(١٠) زرعنا أكله الشريف وتركنا للجوع ماقدرن على شىء ومتاعنا(١١)وأولادنا عباهم جورج دياجش ، وابيت(١٢)تعمل لنا الحق ، الله يعمل دنوبنا فى رقبتك ، واد انت سلطان وقدرت علينا السلطان الكبير أقدر منك(١٣)وإذا وفيت ماتوفى إلا لروحك(١٤).

أما نحن لاتحسبنا إلا مضينا والسلام

---

(١) ملك البرتغال .

(٢) بأخبارنا .

(٣) أتوا .

(٤) الضرر .

(٥) ضرر من جهات متعددة من حاكمك ومن الشريف ، ومن حاكم سلا .

(٦) نسعد به .

(٧) لم تعملوا .

(٨) يحمله ما يعانونه .

(٩) لو كنا أسرى (عبيد) عين لنا من يطعمنا كما يفعل مع العبيد .

(١٠) متنا من الجوع .

(١١) ما نملكه .

(١٢) رفضت .

(١٣) وإذا كنت تتباهى بقوتك فالله أقوى منك .

(١٤) ما تفعله من خير يعود عليك أنت .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes.

خطاب مولاى أحمد للملك جيان الثالث (Jean III) بخصوص شخص إرتد عن الإسلام ومسائل أخرى .

مؤرخ فى : ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٣٦ ﻫ (٢٥ نوفمبر ١٥٢٩) .

المختار بين النصارى سلطان برتغل دونجوان .

الحمد لله وحده

من عبد الله تعلى أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد فى سبيل رب العلمين (١) سلطن مراكش المحروسه وأحوازها وحاحة وأحوازها ، وسوس وأقطارها ، ودرعة وأعمالها وتوجرارين وما والاها ، ووادى نون وما قاربها — الشريف أيد الله أمره وأعز بالتأييد المظفر نصره إلى ساطن برتغل دونجوان — أما بعد حمد لله تعلى كلمة التوحيد وعزها بالعز المتقاعس(٢) والتأييد . فقد ورد علينا كتابكم ، وفهمنا ما ذكرتم فيه على أمر ابن بشتان فارس (٣) ووقفنا منه على شهادتكم إنه داخل فى دين النصرانية فلم نشك فى شهادتكم بذالك ولا إتهمناكم فيه ، ولكن الذى هو الحق فى ديننا فيمن كان أمره كذالك أن يخرج من بلادكم ومن تحت أحكامكم بالأمان من عندنا ويبيت مع وليه(٤) عشر ليال أو خمسة عشر فأى دين اختار فى تلك المدة يرجع إليه وهذا هو الحق (٥) . . . وأما قبطان اسفى فرنشسك لبس (٦) لولا ما سلف بيننا وبين القبطان غرسيد ميل (٧) من الغدر ما يكون بيننا وبينه إلا الخير لما ظهر لنا منه من الركون إلى ما يصلح بيننا وبينكم ، كلما تعملون منه من الخير فهو محله وقراره(٨) والله سبحانه يوفقنا إلى ما فيه صلاح الدنيا والدين .

وكتب لسبع بقين من ربيع الأول عام ست وثلاثين وتسعمائه عرفنا الله خيره عنه وكرامه .

كتب فى التاريخ .

(١) العالمين ، تعالى . (٢) الصفة المذكورة فى الخطاب غريبة .

(٣) Ibn Bouchta ben Fares (٤) المولى=الأب بالنسبة للابن، والأخ بالنسبة للأخت اليتيمة.

(٥) بعد ذلك له حق أن يعتنق أى دين . (٦) Francisco lapes

(٧) Garcia de Mello (٨) فى مكانه (صحيح) .

الأصل موجود فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados - Documens Arabes.

خطاب من محمد بن الحسن زنبق (قائد سلا) إلى قبطان مدينة أزمور .

مؤرخ : ٦ أبريل ١٥٣٠

الحمد لله وحده الفارس الماجد المعظم الحسيب الأصيل قبطان(١) مدينة أزمور أنطن اليست (٢) من كاتبه لديكم محبكم ، وعن توحش إليكم كثير ، عبد الله وصيف(٣) مولاى أحمد نصره الله — محمد بن الحسن زنبق(٤) عن الخير والحمد لله.

وقد بلغنا كتابكم وعلمنا ما فيه فيما ذكرت لنا وقد وصل إلينا الشيخ يحي ابن الديب وإلتقينا معه فيما ذكرت لنا من حجة(٥) الصلح الذى سبق كتبنا لكم بثلاثين يوماً من يوم كان خروج الشيخ يحي ابن الديب ، فاعمل على ذلك وما ذكرت لنا من حال أهل الغرب أن نوفيك منهم(٦) نحن أمناك بل ما يوديك من أهل الغرب بالأمان التام والله على ما نقول وكيل ، وشين (٧) عندنا من الكلام تشفى فيه من كتاب يحي ابن الديب ويكون عمالك عليه ، والذى نوكد عليه (٨) فيه إن وحد الأسير هرب من محلة السلطان (٩) الله ينصره ونحب منك انهو(١٠) هرب بزوج الجوم أدى السلطان ، ونحب إذا وصل لعندكم تاخذ من عنده اللجوم واحد دهب وآخر نقرة(١١) ولا نحب ألا ترفع رقبتى بين قياد الغرب(١٢) وأنا قلت للسلطان الله ينصره شين(١٣)مشا لأزمور بعمالك حتى بين يديك لأن أنا قلت السلطان الله ينصره

(١) قبطان .
(٢) Antonio Leste
(٣) خادم .
(٤) قائد سلا .
(٥) المسائل المتعلقة بالصلح .
(٦) نوفيك باحضارهم .
(٧) عيب .
(٨) عليك .
(٩) سلطان فاس (أحمد الوطاسى) .
(١٠) أنه .
(١١) فضة .
(١٢) ترفع مكانى .
(١٣) بما أنه

من يوم مشا ورجالنا لأزمور عطينا لهم الأمن وشين هو فى أزمور بحال (١) إن هو فى سلا ولا نحب منك إلا ترفع بى مع السلطان نوف (٢) فى كلام مع السلطان الله ينصره نهار ان يبلغ الكم ترصفهل (٣) مع هادا الرفاتسه (٤) الذى أتوكم بكتوبنا حما (٥) يدرك السلطان هنا على حوزنا (٦) والله يكثر خيرك فيما عادت (٧) مع رجالنا وما صرفت (٨) لنا من الحوايج بلغونا الله يكثر خيرك والدى سرجت لنا من أبى سالم وغيره من المسلمين ونحن جيران والخير ساف بيننا ولا عندك إلا الخير وكل ما تكلاك(٩)من حاجة أكتب لنا فيها نصرفه لك إن شاء الله وبوافرية(١٠)إذ جاتخبرنا به وكذلك المرا(١١)إذا جات تعرفنا بها والسلام عليكم وبركاته .

وكتب عبد مولى أحمد نصره الله محمد بن لحسن زنبق وسلم .

---

(١) طالما هو فى أزمور كأنه فى سلا .

(٢) نوفى .

(٣) تصرفها لى – ترسلها .

(٤) أصحاب المراكب .

(٥) حينا .

(٦) ما يملكه .

(٧) صحبتها عملت .

(٨) أرسلت .

(٩)ما تحتاج إليه .

(١٠) بكثرة

(١١) المرأة .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes - Original

الاتجاهات الأيديولوجية للوحدة الافريقية

للدكتورة حورية توفيق مجاهد

أستاذ مساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ــ جامعة القاهرة

تحتل الوحدة الافريقية اهتماما خاصا فى العلاقات بين الدول الافريقية كأحد الأبعاد الهامة للسياسة الدولية الافريقية • وعلى الرغم من كثرة ما قيل عن الوحدة الافريقية الا أنه لا يوجد هناك اتفاق فى الرأى حول مفهوم محدد لها حيث أنها فى الواقع لا تعبر عن مفهوم واحد بل عن مفاهيم متعددة واتجاهات مختلفة تباينت على مر السنين ومن دولة لأخرى ومن زعيم لآخر • وان كان من الملاحظ أن الوحدة الافريقية استخدمت للتعبير عن ثلاث اتجاهات رئيسية : فقد استخدمت أولا بالمعنى الواسع الذى يعنى وحدة الصف ومحاولة تحقيق التضامن بين ذوى الأصل الافريقى وهو ما عرف باسم الجامعة الافريقية Pan-Africanism أو التضامن الافريقى أو بمعنى أدق التضامن الزنجى وهو ما ميزها فى شكلها الأولى خارج القارة نفسها على وجه الخصوص (١) • وهناك من استخدم لفظ وحدة افريقية ليعنى فى جوهره بالتحديد الحكم الذاتى أو الاستقلال للشعوب الافريقية جنوب الصحراء (٢) • ولكن الرأى الغالب فى هذا الخصوص هو أن حركة الوحدة الافريقية مرت بعدة مراحل وأن مرحلتها الوسيطة هى التى تمثلت فى استخدامها كأداة لمحاربة الاستعمار والسعى لتحقيق الاستقلال وذلك فى الفترة ما بين سنة ١٩٤٥ حتى بداية استقلال الدول الافريقية ١٩٥٧ • أما الاتجاه الأساسى الأخير للوحدة الافريقية فقد تمشى مع مضمون الكلمة وذلك منذ الاستقلال عن طريق بلورة هياكل تنظيمية تحقيقا للوحدة بين الدول الافريقية المستقلة على مستوى القارة • وانفصلت الحركة تنظيميا عن خارج القارة وبدأت القارة تشهد بلورة العديد من التنظيمات سواء الوظيفية أو السياسية تحت لواء الوحدة الافريقية•

وللتعرف على الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية يجب أن نبدأ من جذورها حيث ، انها كما أشرنا قد غيرت ثوبها عدة مرات وان كان الجوهر ــ وهو روح التضامن والترابط الأخوى ــ قد ظل واحدا • ومن ناحية أخرى ، فانه بالرغم من كثرة الكتابات عن الوحــدة الافريقية الا أن هنــاك القليل الذى حاول معالجة موضوع اتجاهاتها الايديولوجية • ومن ثم فان هــذا البحث سيركز على الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية •

أولا ــ أهم الاتجاهات الايديولوجية المرتبطة بجذور الوحدة الافريقية :

بدأت حركة الوحدة الافريقية خارج أفريقيا ــ التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار ــ وتبلورت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى • فقد بدأت فى الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية فى شكل وعى عنصرى وحركة احتجاج بين القلة من الطليعة المثقفة من أصــل أفريقى ومن سلالة من جلبوا من أفريقيا عن طريق تجارة الرقيق وذلك لتأكيــد رابطتهم بأفريقية (٣) • وبتطور الحركة ، اكتسب الشعور العاطفى أبعادا ثقافية • فحركة الوحدة الافريقية فى أصلها ليست حركة سياسية بل هى حركة أفكار وعواطف• كأن الشعور أساسا هو الوعى العنصرى ممن اقتلعوا من جذورهم من أفريقيا ليعيشوا على هامش المجتمعات الأوروبية البيضاء مغربين عن أنفسهم مــع ما صاحب الاقتلاع من الحاق صفة العبودية وفقدان الهيبة والمساواة بالأوروبى والأبيض بصفة عامة • ولقد عبر « ديالو تللى » ــ أول سكرتير عام لمنظمــة الوحدة الافريقية ــ عن البيئة التى نمت فيها الوحدة الافريقية بأنهــا ولدت « فى ظروف عاطفية تتميز بالغربة التامــة والاستغــلال البــدنى والتعــذيب الروحى » (٤) •

وعليه فهناك عدة مفاهيم ارتبطت بجذور الوحــدة الافريقيــة (٥) وعلى رأسها مفهوم « الغريب والمنفى «the alien & exile» الذى يعتبر من أهم الركائز العاطفية للوحدة الافريقية (٦) • فالشعور بالضياع فى الغربة فى العالم الجديد والحنين الى أرض الآباء والأجداد كانت وراء فكرة الوحــدة الافريقية ووراء الاتجاه الراديكالى الثورى فيها الذى قاده ماركوس جارفى والمنادى بالعودة لأفريقيا • وقد ارتبط بالغربة وذكاها الشعــور بالضعــة •

فالوعى العنصرى ناتج عن اللون وقد ارتبط اللون بالاستعباد والذل والتألم . حقيقة أن العبودية فى أوائلها فى العالم الجديد لم تكن قاصرة على الافريقيين السود بل ان البيض من الأوروبيين سبقوهم فى الخضـوع للرق فى العـالم الجديد ، ولكن ما لبث أن أصبح الرق بالنسبة للافريقيين هو الظاهرة الشائعة وبذلك أصبحت الصفة مرتبطة باللون بصفة عامة . ويلاحظ أن صفة الرق والعبودية هذه لم تترك آثارها فقط بالنسبة لأبناء هؤلاء من المثقفين الذين ولدوا أحرارا ، بل ان البعض من الرواد الأوائل من دعاة فكرة الوحدة الافريقية ولدوا أرقاء ، من ذلك Gustavus Vassa, Ottobah Cugoano وذلك فى القـرن الثامن عشر ، ومن ذلك أيضا « بوكر واشنطون » الذى تتلمذ على يديه دكتور دى بوى وان كان ما لبث أن انشق عليه وهاجمه كما سيرد .

هذا الشعور بالضعة والوعى العنصرى كان أحد الأبعاد العاطفية لجـذور الوحدة الافريقية ، وكان من الطبيعى أن يرتبط به بعد آخر يناقضه وهو رفض الضعة ومحاولة تخليص الشخصية الافريقية وأصحاب اللون الأسود من صفة العبودية التى ألحقها بهم ظلما الأوروبيون خدمة لمصالحهم . وعليه فمن أهم ما تضمنه مفهوم الوحدة الافريقية من أسس هو الرغبة فى الاستقلال والحرية والهيبة والكرامة . ومن هنا كان التركيز على الشخصية الافريقية والعمل على ابراز مميزاتها وكيانها واستقلاليتها ومحاولة ابراز الثقافة الافريقية الأصلية واحياء الماضى من قيم وتاريخ يفتخر به قبـل مجىء الأوروبى وابراز المزايا الخاصة بالزنوج كالقدرة الموسيقية (٧) والرقص والايقاع والرياضة والقوة العضلية وغيرها . ومن هنا فقد ارتبط مفهوم الوحدة الافريقية منذ البداية بالرغبة فى اقامة تميز مشترك بين المنحدرين من أصل زنجى وايجاد شعور أكبر من التضامن وتحقيق الشعور بالوحدوية والانتماء السياسى بين الجمـاعات المتفرقة المقتلعة من جذورها مع بعضها البعض ثم مع أفريقيا .

كأن الوحدة الافريقية فى جذورها الأولى كانت حركة ثقافية نامية عن وعى عنصرى مرتبط باللون هدفت بالدرجة الأولى الى مسـاواة ذوى الأصـل الافريقى الأسود بالأوروبيين البيض والى خلق تضامن أخوى مبنى على رابطة اللون (٨) . وعليه فيمكن القول بأن أساس الوحدة عند الطليعة الأوائل هو العمل ضد التفرقة العنصرية فقد كانت وحدة عنصرية أكثر منها وحدة افريقية .

وقد بدأت الحركة فى أصلها الأول كتعبير بسيط للتضامن الأخوى بين السود من أصل أفريقى فى الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية •

وبذلك فان مفهوم الوحدة الافريقية الذى زكى مفهوم الشخصية الافريقية ارتبط فى بعض المناطق الناطقة بالفرنسية فى العالم الجديد بمفهوم « الزنوجة Negritude » التى تعنى قيمة السواد « the value of black-ness » والتى تعتبر صيحة عنصرية للرد على العنصرية البيضاء • هذه العنصرية جعلت مفهوم الزنوجة مرفوضا من الكثير من دعاة الوحدة الافريقية التى ظلت حركة وعى عنصرى لا حركة عنصرية (٩) •

وما دمنا فى مجال توضيح الأبعاد الأيديولوجية للوحدة الافريقية فى مرحلتها الأولى فربما يكون من المفيد توضيح أبعاد الوعى العنصرى فى هذه الحركة • فحركة الوحدة الافريقية ظلت بصفة عامة حركة وعى عنصرى لاحركة عنصرية • فهى لم تهدف الى سمو الزنوج على غيرهم من الشعوب والأجناس بل الدعوة الى المساواة بين الأجناس تأكيدا بأن روح الأخوة والتسامح من أهم مميزات الزنوج • وهى بهذا تختلف عن الحركات الوحدوية الأخرى كالتضامن الجرمانى أو السلافى التى تميزت بقيامها على أسس عنصرية • وقد عبر عن هذا بوضوح « جورج بادمور » الذى سمى بمفكر حركة الوحدة الافريقية وأحد روادها حين أوضح أن « الوحدة الافريقية ترفض كلا من العنصرية البيضاء والشوفينية السوداء • فهى تنادى بالتعايش العنصرى — بين العناصر — على أساس المساواة المطلقة واحترام الشخصية الانسانية » (١٠)•

وهناك الكثيرون الذين حاولوا اقران أو تشبيه حركة الوحدة الافريقية فى مرحلتها الأولى عندما كانت حركة وعى عنصرى بالصهيونية (١١) • بل ان البعض ذهب الى تسمية حركة الوحدة الافريقية « بالصهيونية السوداء » (١٢) وقد اطلقت هذه التسمية أكثر على الاتجاه الراديكالى المنادى بالعودة لأفريقيا والذى تزعمه « ماركوس جارف » — الذى أطلق عليه البعض « موسى الأسود » • ولكن حتى « دكتور دى بوى » صاحب الاتجاه الاصلاحى المعتدل والمنادى بالتعايش بين الأجناس ومساواتها استخدمها أيضا • وقد عبر عن ذلك بقوله : « فالحركة الافريقية تعنى بالنسبة لنا ما يجب أن تعنيه الحركة

الصهيونية بالنسبة لليهود ، وهو تركيز جهود عنصر والاعتراف بالخطوط العنصرية » (١٣) ولكن على الرغم من أن البعض يركز على هذا التشابه (١٤) على أساس أن كليهما مبنى على عنصر ونشأ خارج المكان الذى ينادي بالارتباط به ، الا أن هذا الرأى يعتبر سطحيا ● حيث أن الصهيونية كما أثبتت الأحداث حركة عنصرية بينما الوحدة الافريقية ظلت دائما حركة وعى عنصرى (فالافريقيون فى الحقيقة لا يكرهون البيض وليسوا بعنصريين) (١٥) ● ومن هنا كان رفض الكثيرين لمفهوم الزنوجة الذى ينادي بقيمة السواد حيث يخشى من الرد على العنصرية البيضاء التى طالما عانوا منها بعنصرية مضادة ● فالدعوة السائدة هى قيمة الانسان أيا كان لونه أو جنسه (١٦) ●

وبما أن الهدف الأساسى للوحدة الافريقية فى أصولها الأولى كان المساواة بين الافريقى الأسود والأوروبى الأبيض وتخليص الأول من صفة العبودية التى ألحقها به الثانى ، فمن الطبيعى أن ينتج عن هذا نتاج منطقى وهو المناداة بحق الافريقيين فى أنفسهم وأراضيهم ● ومن هنا كان مفهوم « أفريقيا للافريقيين » ، الذى بدأ كصيحة لا فى أفريقيا التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار بل فى أمريكا وأوروبا ●

ولقد عبر « دكتور دى بوى » ــ الذى عرف باسم « أب الوحدة الافريقية » والذى قاد حركة الوحدة الافريقية قرابة نصف قرن من الزمان ــ عن طبيعة ارتباط الزنوج فى العالم الجديد بفكرة الوحدة الافريقية وأسبابها حين قال : « عندما أنظر الى أفريقيا أسأل نفسى : ما الذى بيننا والذى يكون رابطة أشعر بها أكثر مما يمكننى شرحها ؟ أفريقيا بالطبع أرض الآباء ؛ ولكن لا أبى ولا أبو أبى رأى أفريقيا أبدا ولا عرف معناها أو اهتم بها اطلاقا ● والرابطة الطبيعية ضعيفة ورابطة اللون ضعيفة نسبيا كرابطة ؛ ولكن الجوهر الحقيقى لهذا الانتماء تراثه الاجتماعى فى الرق والتمييز والاهانة ● هذا التراث يربط سويا لا مجرد أطفال أفريقيا ولكن يمتد خلال آسيا الصفراء الى البحار الجنوبية ● ان هذه الوحدة هى التى تجذبنى لافريقيا » (١٧) ●

ولكن اذا كانت حركة الوحدة الافريقية قد بدأت خارج أفريقيا كحركة وعي عنصري فمن هم روادها الأوائل ؟ وكيف انتقلت من العالم الجديد الى أفريقيا ؟ وما هي أبعادها الأيديولوجية في قالبها الافريقي ؟ .

ثانيا ـ الرواد الأوائل لحركة الوحدة الافريقية واتجاهاتهم :

في المرحلة الأولى للوحدة الافريقية ظهرت الكثير من الشخصيات التي تزعمت أو نادت بمفهوم الوحدة الافريقية بعضها تعارض بشدة مع الآخر وبعضها أكمل الآخر وهي على أي حال تمثل أبعاد مفهوم بل مفاهيم الوحدة الافريقية . وفي الواقع كانت هناك دوائر رئيسية نشطت في اطارها حركة الوحدة الافريقية في المنفى في العالم الجديد أولا ثم في أوروبا حتى انتقلت لأفريقيا وذلك في فترة ما بين الحربين .

وعلى الرغم أن من الشائع تحديد المرحلة الأولى للوحدة الافريقية ببداية هذا القرن أي ببداية بلورة جذورها التنظيمية ، الا أن لها تاريخا أوسع من هذا حيث تعود جذورها الى أواخر القرن الثامن عشر (١٨) . ومن الممكن تفهم هذا الاختلاف في أن حركة الوحدة الافريقية لم تتبلور كحركة الا في بداية القرن العشرين ولكن سبقت هذا مجهودات متعددة تبناها رواد أول لفكرة الوحدة الافريقية بمفهومها السابق توضيحه ، وان كانت تمثل جهودا فردية عرضية أي دون استمرارية الى حد كبير .

وقد يتساءل البعض عن السبب في بداية بذور التفكير في الوحدة الافريقية في أواخر القرن الثامن عشر بالذات . في الواقع في أواخر القرن ١٨ وفي ١٧٨٧ على وجه التحديد بدأت تحدث تغيرات بعيدة عن القارة الافريقية وان كانت تمس شريحة هامة من المنحدرين من أصل أفريقي أسود ممن جلبوا من القارة في ظل « مثلث تجارة الرقيق » مما أسهم بمرور الوقت في خلق « مثلث الأطلنطي » للوحدة والتضامن الافريقي (١٩) . ففي أمريكا كانت البداية الفعالة لالغاء الرق والنشاط المنظم للأفرو ـ أمريكيين الأحرار Free Afro-Americans أي المحررين من المنحدرين من أصل أفريقي والتي انتهت بانشاء دولة ليبريا فيما بعد . وفي بريطانيا كانت بداية انتفاضة الغاء

الرق أما فى غرب أفريقيا فقد كانت النتيجة غير المباشرة لالغاء الرق انشاء سيراليون التى أسهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى تكوين الطليعة المثقفة فى غرب أفريقيا البريطانية . كل هذه التغيرات أسهمت فى ايجاد الطليعة الجديدة فى العالم الجديد وفى أفريقيا تلك الطليعة التى ابتدعت مفهوم الوحدة الافريقية الذى ترجم فى القرن العشرين الى انتفاضة سياسية وعمل (٣٠) .

وكان على رأس الرواد الأوائل لفكرة الوحدة الافريقية فى القرن ١٨ كتاب مثل Ottobah Cugoano و Gutavus Vassa من العبيد الذين جلبوا لبريطانيا حيث علموا أنفسهم بأنفسهم وأصبحوا أحرارا هناك . وقد قام هؤلاء الرواد بتطوير مجموعة أفكار وتقاليد ثقافية مثلت أساس الوحدة الافريقية فى القرن العشرين (٣١) .

وبعد هذا الجيل الأول حمل الأفرو ـ أمريكيون الأحرار فى الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة رجال الدين منهم لواء حركة التضامن الأفريقى ابتداء من حوالى سنة ١٨٣٠ . وقد ظهر فى النصف الثانى من القرن ١٩ بعض الرواد من أهمهم E.W. Blyden وهو من جزر الهند الغربية وان كان من القلائل الأوائل الذين عبروا الأطلنطى لأفريقيا (٣٢) . فقد عاش معظم حياته فى ليبيريا وسيراليون وقد كان هناك أن قابل أهم كتاب أفريقيا فى تلك الفترة وهو J.A.B. Horton من سيراليون الذى نادى باصلاح الأوضاع الداخلية فى المناطق المستعمرة حديثا فى غرب أفريقيا خاصة ساحل الذهب (٣٣) .

ومن أهم كتاب الطليعة الافريقيين ان لم يكن أهمهم هو J.E. Casely Hayford وهو محام من ساحل الذهب اعتبره جورج بادمور أبا للوحدة الافريقية من قبل دى بوى (٣٤) . وقد نادى هايفورد بالدعوة لفكرة اقامة اتحاد للمناطق البريطانية فى غرب أفريقيا وذلك منذ سنة ١٨٩٦ . كما نادى بألا يكون هناك ضرائب بدون تمثيل للافريقيين فى المجلس التشريعى بأنفسهم وضرورة المساواة فى شغل الوظائف وبالاقتراع العام على أساس المساواة أى أنه باختصار رفض أبدية الاستعمار ونادى بالمساواة والحكم الذاتى مع استمرار الولاء للتاج البريطانى (٣٥) . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فان من ألمع الأسماء فى تلك الفترة Martin R. Delany الذى كان الأب الحقيقى لفكرة العودة

الاختيارية لافريقيا ـ تلك الآراء التى تبناها من بعده ماركوس جارفى ـ وذلك بهدف بناء دولة حديثة على أرض أفريقيا والتخلص من الاستعمار الأوروبى (٣٦) • وقد سافر فى رحلة الى أفريقيا فى ٢٤ مايو ١٨٥٩ وزار ليبيريا من يوليو ـ أغسطس ١٨٥٩ ووصل الى ليجوس • كما عمل رئيسا لتحرير «The Mystery» وكرسها لآرائه هذه (٣٧) •

أما أول من استخدم اصطلاح الوحدة الافريقية أو الجامعة الافريقية Pan-Africanism وعبر عن فكرتها ودعا لها فى هذا القرن فهو سيلفستر ويليامز H. Sylvester Williams (٣٨) وهو محام من ترينداد أقام وعمل فى لندن (٣٩) • وقد عقد ويليامز علاقات وثيقة من ناحية مع بعض الأوروبيين خاصة من أعضاء المجموعة الفابية فى بريطانيا حيث كان عضوا بها ، ومع الافريقيين فى بريطانيا حيث عمل مستشارا قانونيا لهم متخصصا فى المسائل الزراعية التى كان لها أهمية كبيرة عند بداية استيطان الأوروبيين كما كان مستشارا للزعماء الباتتو من أفريقيا الوسطى حيث كانت الأراضى القبلية تحت التهديد بالاستيلاء من المهاجرين البوير وشركة سيسل رودس كما قدم أيضا مساعداته لزعماء الفانتى حيث سعى حاكم ساحل الذهب فى عهد سير ويليام ماكسويل لتحويل الأراضى القبلية الى ملكية تاج • وقد أعطى ويليامز اهتماما خاصا للأوضاع فى جنوبى أفريقيا خاصة التفرقة العنصرية • وفى سنة ١٨٩٧ أسس « جمعية الوحدة الافريقية » وهى أول جمعية من نوعها فى العالم وقد وصل عدد أعضائها سنة ١٩٠١ الى ٥٠ شخصا من أصل أفريقى و ١٥٠ من أصل أوروبى (٣٠) • ولقد أعطى لها دستورها « مهمة أن تؤمن للافريقيين والمنحدرين عنهم فى العالم حقوقهم المدنية والسياسية الحقيقية ، وأن تحسن ظروف اخوتنا المضطهدين فى القارات الافريقية والأمريكية والأجزاء الأخرى من العالم وذلك بتنمية الجهود لضمان التشريع الفعال ، وتشجيع شعبنا فى المؤسسات التعليمية والصناعية والتجارية ، وتقوى علاقات الصداقة بين الأجناس القوقازية والافريقية ، وتنظم مكتبا يكون بمثابة مستودع لجمع الكتابات المعتمدة والاحصائيات المرتبطة بشعوبنا فى كل مكان ، وأن تقوم بحملة لجمع الأموال لتستخدم فقط لتحقيق تلك الأهداف » (٣١) • وقد دعا سيلفستر ويليامز لأول

مؤتمر للوحدة الافريقية من ٢٣ ـ ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٠ ذلك المؤتمر الذى أتاح الفرصة لظهور امكانيات دكتور دى بوى الذى حمل لواء الوحدة الافريقية من بعد وليامز الذى بدأت جهود حركة الوحدة الافريقية التى نظمها تأفل بعد المؤتمر المذكور بقليل • فقد عاد ويليامز الى ترينداد بعد المؤتمر لانشاء فروع لجمعية الوحدة الافريقية الأمر الذى لم يلق نجاحا ثم سافر الى جنوب أفريقيا وعمل بالمحاماة هناك فكان أول شخص زنجى يقوم بذلك وفى نفس الوقت كرس جهوده لمناهضة التفرقة العنصرية هناك • وعاد الى وطنه وما لبث أن توفى سنة ١٩١٣ (٣٢) •

وتمثلت أهم زعامات الوحدة الافريقية من بعد أول من نادى بمفهومها أى سيلفستر ويليمامز فى كل من دكتور دى بوى William E. Burghard N Du Bois الذى تزعم مؤتمرات الوحدة الافريقية من بعد ويليامز والذى أعطى للحركة اطارها التنظيمى ووسع مجالها والذى عرف باسم « أب الوحدة الافريقية » ـ ومنافسه وغريمه ماركوس جارفى Marcus Aurelius Garvey الذى قاد حركة شعبية فى الولايات المتحدة الأمريكية بين الزنوج بعد الحرب العالمية الأولى وعرف « بالمسيح الأسود » • ولعل من المفيد عقد مقارنة بينهما حتى يمكن التعرف على طبيعة اتجاهاتهما الأيديولوجية حيث مثلا اتجاهين أساسيين ومتناقضين فى النظر للوحدة الافريقية (٣٣) •

تميز دكتور دى بوى بالارستقراطية فى أفكاره وتصرفاته (٣٤) وقد قال بنفسه عن نفسه « ان زعامتى كانت زعامة أفكار فقط • اننى لم أكن أبدا ولن أكون أبدا شعبيا » (٣٥) • وقد كانت كتاباته موجهة لطليعة مثقفة من السود وقد كان شاغله الشاغل هو المساواة فى الحقوق السياسية بين البيض والسود (٣٦) وقد ذكر بنفسه أنها ليست حركة انفصالية (٣٧) فلم يهدف الى الدعوة للعودة لأفريقيا بل هدف الى استيعاب السود فى المجتمعات التى يعيشون فيها وأخضع هذا الهدف لمفهومه عن الوحدة الافريقية • وقد عبر عن رأيه فى مؤتمر سنة ١٩٠٠ بأن فاصل اللون سيكون المشكلة الرئيسية فى هذا القرن ولكنه رأى أن جبهة القتال ليست فى أفريقيا أو فى جزر الهند الغربية بل فى الولايات المتحدة الامريكية • وقد كان من أهم مبادئه عدم العنف •

وعلى خلاف دي بوى كان ماركوس جارفى شديد الشعبية والجماهيرية(٣٨) واعتبر بمثابة مسيح أسود ولم تكن آراؤه متقبلة من المثقفين الذين لقى منهم ومنذ البداية العداء والهجوم الشديد ، وكان على رأس مهاجميه دي بوى • وقد كرس جارفى حياته لهدف أسمى فى مفهوم عن الوحدة الافريقيـــة وهو حركة العـــودة لأفريقيـــا «Back to Africa Movement» — التى واجهت معارضة شديدة من الدول الاستعمارية ومن الولايات المتحدة الأمريكية (٣٩)• كما نادى بالكثير من الأفـــكار التى ترفض الاستيعاب وترمى الى ابراز التميز والاستقلالية وليست المساواة العنصرية فقط بل التفوق العنصرى من جانب السود • وحيث آمن بانه من الناحية الواقعية لا يمكن أن يحصل السود على المساواة فى مجتمعات بيضـــاء • اذن هى حـــركة عنصرية تهـــدف للرد على العنصرية البيضاء وهى فى قالبها العنصرى هذا تقترب من الصهيونية خاصـــة فكرة ارتباطها بالأرض والعودة لوطن منشود والتى تبنتها كل منهما • وقد استطاع جارفى أن يجمع الطائل من الأموال لتمويل مشاريعه ولكن فى النهاية أفلست « شركة النجمة السوداء للملاحة » التى كان يهدف من وراء انشائها نقل الزنوج من أمريكا الى أفريقيا • كما أن فى مشاريعه التى سعى لتحقيقها اقامة مؤسسات تجارية وصناعية تنتشر فى العالم يمتلكها ويديرها الزنوج •

وحيث أن حركة دى بوى كانت اصلاحية محضة وأراد تحقيق المساواة فقط والاستيعاب ولم ينشد الانفصال أو الانشقاق ، فقد قام بالتعـــاون مع الليبراليين البيض المعـــادين للتمييز العنصرى والسود المعـــارضين لبرنامج بوكر واشنطون ـــ الداعى السود للبحث عن الخلاص فى كل ما يمكن أن يشترى بالمال وترك فكرة المساواة بالبيض أى تقبل التفرقة العنصرية وعدم الثـــورة على الوضع القائم بل مجرد اصلاحه بما يرفع مستوى معيشة السود بقـــدر الامكان (٤٠) • وكانت نتيجة هـــذا التعاون أن أنشئت « الجمعية القومية لتقدم الشعوب الملونة NAACP » (٤١) سنة ١٩٠٩ وهى الجمعية التى مازالت من أهم جمعيات الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن • وقد مثل دى بوى الروح بالنسبة لها وعمل رئيسا لتحرير مجلتها الأزمة «The Crisis» التى أنشئت سنة ١٩١٠ لنحو ٢٣ عاما • وقد بنى دى بوى رأيه على وعى

بالروابط الشديدة بين حل المشكلة السـوداء فى الأمريكتين وأفريقيا تحت السيطرة الاستعمارية (٤٢) •

أما جارفى فكونه هدف الى حركة العودة لأفريقيا وعدم اندماج الزنوج فى المجتمعات التى وجدوا بها ، فقد قام بانشـاء « الجمعية العالمية لتقـدم الزنوج UNIA » (٤٣) بهدف توحيد كافة السود فى شعب واحد • وقـد استطاع بالفعل أن يضم لها نحو ٢ مليون عضو فى فروعها الثلاثين المنتشرة فى الولايات المتحدة الأمريكية • كما أنشأ كنيسة خاصة بالسود : هى « الكنيسة الأورثوذكسية الأفريقية » (٤٤) • وقد ارتبطت هذه الخطوة بانتشار الكنائس المنشقة فى أفريقيا (٤٥) • وقد قام جارفى بنشر جريدة « العالم الزنجى » كما نظم جهاز عيادات الصليب الأسود • واقترح انشاء « بيت أسود » فى معارضة « البيت الابيض » فى واشنطون ينتخب لرئاسته زنجى مرة كل ٤ سنوات كما أعلن عن ضرورة قيام دولة زنجية كبيرة فى أفريقيا لتكون وطنا لكل الشعوب السوداء • وقد أعلن نفسه رئيسا مؤقتا للجمهورية الأفريقيـة ــ للولايات المتحدة الأفريقية ــ وذلك فى اجتماع الجمعية المذكورة آنفا سنة ١٩٢٠ فى هارلم بنيويورك فى شكل مؤتمر دولى • ومن الملاحظ أن جارفى قد حاول بالفعل انشاء مستعمرة للزنوج الامريكيين فى ليبيريا ولكن القنصل العام لليبيريا فى بلتيمور فى الولايات المتحدة الأمريكية أعلن أنه خول سلطة التصريح بأن أى شخص أو أشخاص يحاولون ترك الولايات المتحدة الأمريكية الى ليبيريا تحت رعاية جارفى لن يسمح لهم بأن تطأ أقدامهم أرض جمهورية ليبيريا (٤٦) هذا وقد ذهب جارفى فى ثورتيه الى حد التطرف حيث تعاون مع الجمعية البيضاء الارهابية «Ku Klux Klan» التى هدفت الى التخلص من السود وبذا اتفقت معه فى الاستراتيجية وأن اختلفت معه فى التكتيك • وكان هذا التعاون من أهم عوامل اضعاف حركته •

وعلى عكس دى بوى الذى كانت حركته اصلاحية فان جارفى كانت حركته سياسية واضحة ، وقد آمن بالثورية والعنف ، ومما نادى به « لا القانون ولكن القوة ، لا العدالة ولكن السلطة » • كما أعلن بفخر بعـد مجىء موسولينى للحكم : « اننى كنت أول الفاشيين » (٤٧) ولم يتردد فى الدعوة للعنف ضـد

السود الذين يعارضون برنامجه ، وعليه فقد قامت معارك فى الشوارع بين مؤيديه ومعارضيه • وقد عرف بصفة عامة بالديماجوجية والشعبية الكبيرة (٤٨) ليس فقط فى الولايات المتحدة الأمريكية بل فى أفريقيا نفسها حيث انتشرت فى نيجيريا وساحل الذهب وسيراليون أخبار آرائه وأفكاره • ولقد قال عنه كوامى نكروما فيما بعد بأنه تأثر بأفكار ماركوس جارفى وكتاباته أكثر مما تأثر بأى شىء آخر فى الولايات المتحدة الأمريكية (٤٩) • ويرى البعض أن أهم تأثيراته الخاصة على الوحـدة الافريقية قد تكون تأثيره على أفكار نكروما الذى قاد حركة الوحدة الافريقية بعد الاستقلال (٥٠) •

ويضاف الى مابين دى بوى وجارفى من اختلافات الاختلاف البين بينهما فى مواجهة الحركة الشيوعية ، تلك الحركة التى تبلورت بعد الثورة البولشفية الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧ والتى جذبت لأفكارها الكثير من الزعماء الأول لحركة الوحدة الأفريقية فى مطالبتهم بالمساواة مع البيض وعدائهم للتفرقة العنصرية ومعاناتهم منها • فكل من الماركسية والوحدة الافريقية فى مرحلتها الأولى هذه مثل حركة احتجاج الأولى على أساس طبقى والثانية على أساس عنصرى ومن الطبيعى أن يكون هناك تقـارب عاطفى بينهما على الأقل للوهـلة الأولى أو للنظرة السطحية •

فبالنسبة لجارفى فقد عارض الشيوعية العالمية منذ البـداية وهاجمها ولم ينضم فى أى وقت الى الحركة الشيوعية ولا الى الأحـزاب الاشـتراكية فى أمريكا وهو ان كان ثوريا ويؤمن بالتغيير الا أنه كان « قوميا أفريقيا » ولم يؤمن بالفلسفة الماركسية ولا بالانتمـاء للحـركة العالميـة وكان موقفه قويا وواضحا ولا يدع مجالا للبس • أما دى بوى فهو يختلف كثيرا عنه وعلاقته بالحركة الشيوعية تدع مجالا للبس والجدال حول ما اذا كان ماركسيا أم لا ؟ فبعد الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ أبدى دى بوى اعجابه بالتجربة وبتعايش الأجناس والألوان والقوميات فى الاتحاد السوفيتى الذى زاره سنة ١٩٢٦ • ومع تأثره بالأفكار الماركسية الا أنه وللنهاية لم يؤمن بفكرة صراع الطبقات وكان هذا موضع خلاف عميق بينه وبين الشيوعيين الأمريكيين حيث رأى أنه لا تحالف طبقى بين العمال السود والبيض فى أمريكا حيث هنـاك عنصرية من جـانب الأخـيرين فى مواجهة الأول تتضح فى عدة مجالات منهـا رفضهم الانضمام

للنقابات العمالية ولقد بلغ من هجوم الشيوعيين عليه وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى العشرينيات ، أن أطلق عليه « البورجوازى الصغير » ونفس الشيء على حركة الوحدة الافريقية التى نادى بها (٥١) • وفى أخريات أيامه سافر الى الصين والاتحاد السوفيتى الذى ظل متأثرا بتجربتهما • وقد بدا هذا التأثر واضحا من رسالته التى حملها زوجته — الى المؤتمر الأول للشعوب الافريقية فى أكرا فى سنة ١٩٥٨ — حيث كان يقيم فى الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت ولكن أقعده كبر سنه — والتى أوضح فيها معالم تطور حركة الوحدة الافريقية وناشد فيها المؤتمرين بأن : « يضعوا عليهم الأثواب الجميلة لاشتراكية الوحدة الافريقية وأن يعرفوا أن رابطتهم بعالم البيض أقرب للشيوعيين لا للغرب » (٥٢) •

وفى أواخر أيامه اكتسب دى بوى الجنسية الغانية حيث مات ودفن هناك فى أغسطس سنة ١٩٦٣ وهو يعد بالاشتراك مع زوجته دائرة معارف للعالم الأسود • أما جارفى فقد مات فى المنفى فى لندن سنة ١٩٤٠ منسيا وفقيرا بعد أن قضى عليه وعلى حركته الحكم عليه بالسجن خمس سنوات سنة ١٩٢٣ فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد افلاس شركته بدعوى التدليس والتى أبعد بعدها عن الولايات المتحدة الأمريكية • وقد مات جارفى دون أن تطأ قدمه أرض أفريقيا وهو الحلم الذى أضاع حياته من أجله •

وأخيرا يمكن القول بأن كلا من « دى بوى » « وجارفى » ترك بصماته على حركة الوحدة الافريقية : فالأول أعطاها اطارها التنظيمى فى شكل مؤتمرات الوحدة الافريقية التى نظمها ابتداء من سنة ١٩١٩ • ومن أهم انجازاته أنه وضع محدودية الطليعة من الأمريكيين السود فى اطار واسع من الوحدة الافريقية وقد نجح فى استراتيجيته الرامية الى نقل فكرة الوحدة الافريقية الى أفريقيا نفسها عن طريق الطليعة الجديدة من الافريقيين أنفسهم وما تزال كثير من أفكاره حية أما الثانى فعلى الرغم من فشله فى تحقيق هدفه (٥٣) فان له الفضل فى جعل الجماهير الزنجية فى الولايات المتحدة الأمريكية تعى بأصلها خالقا فيها روح التضامن كما يرجع اليه الفضل فى اعطاء الأبعاد السياسية لمفهوم الوحدة الافريقية •

ويمثل « جورج بادمور «Ceorgo Padmore» أهم الزعامات التى ظهرت من بعد « دى بوى » وهو من جزر الهند الغربية (٥٤) ـ ترينداد ـ وقد حمل لواء الوحدة الافريقية والدعوة لها من بعد « دى بوى » وعرف باسم مفكر الوحدة الافريقية (٥٥) وأهم ما يميز « جورج بادمور » هو موقفه من الحركة الشيوعية . فقد كان فى بادىء الأمر من أهم المتحمسين لها والمنضمين الى صفوفها وقد حاول أن يجد قاعدة تنظيمية للوحدة الافريقية فى الحركة الشيوعية العالمية وكان قد غادر الولايات المتحدة الامريكية بعد اضراب فى الجامعة التى كان بها الى الاتحاد السوفيتى حيث فتحت له الأبواب وقد لعب دورا نشيطا فى مكتب الزنوج الخاص بالنقابات العمالية المرتبطة بالكومنترن وهو البروفينترن (٥٦) . الى جانب أنه انتخب لسوفيت مدينة موسكو حيث كانت مهمته استقبال الضيوف الانجليز . ولكن بادمور شأنه شأن الكثيرين انشق على الحركة الشيوعية العالمية وأصبح من أهم مهاجميها وذلك فى سنة ١٩٣٥ . وفى أهم كتاباته « الوحدة الافريقية أم الشيوعية ؟ » الذى نشر سنة ١٩٥٦ اعتبر الشيوعية البديل الايديولوجى للوحدة الافريقية . وقد حذر منها على حركة الوحدة الافريقية حيث اعتبرها وسيلة فى يد البيض لتأكد تفوقهم على السود . كما رأى أن الوحدة الافريقية هى البديل الأيديولوجى لكل من الشيوعية والقبلية (٥٧) . ومن أهم ما نادى به « جورج بادمور » مبدأ أفريقيا للافريقيين والوعى بالوحدة الثقافية الافريقية لاقامة ولايات متحدة افريقية (٥٨) . وتعتبر آراؤه من أهم الأسس الايديولوجية التى ميزت الوحدة الافريقية فى شكلها الأخير بعد الحرب العالمية الثانية . ولقد نشط بادمور فى مؤتمرات الوحدة الافريقية خاصة مؤتمر مانشستر سنة ١٩٤٥ حيث مثل أهم زعامات مثقفى جزر الهند الغربية وتدعمت العلاقات بينه وبين كوامى نكروما وقد عمل بالفعل مستشارا له لشئون الوحدة الافريقية وذلك حتى وفاته فى سنة ١٩٥٩ .

هذا وقد بدأ يظهر الرعيل الثانى من رواد حركة الوحدة الافريقية وزعمائها وذلك نتيجة لمجهودات الطليعة الأولى : فبينما كان الأول بالدرجة الأولى من المنحدرين من أصل أفريقى من الأفرو ـ أمريكيين ومن جزر الهند الغربية ، كان الآخرون من الافريقيين الدارسين فى الخارج . فكلا الفريقين من

المثقفين فى الثقافة الأوروبية ، وكلاهما من أكثر العناصر تحركا من الناحية الاجتماعية وشعورا بعدم الاستيعاب والمعاناة من العنصرية والتفرقة ضدهم فى مجتمعات شعروا فيها بالغربة نتيجة اللون . وأخيرا فبينما الأول قادوا حركة الوحدة الافريقية كحركة ثقافية بالدرجة الأولى خارج القارة فان الآخرين مثلوا حلقة الوصل بينها كحركة خارجية وحركة مقاومة للاستعمار ومن ثم الاستقلال ـ أى على يديهم انتقلت الى حركة سياسية فى القارة نفسها .

ومن أهم الشخصيات التى برزت من هذا الرعيل الثانى الافريقى ممن حملوا لواء الوحدة الافريقية دكتور ننامدى أزيكوى ودكتور كوامى نكروما . فالأول نادى بحركة الوحدة الافريقية كحركة ثقافية وذلك قبل أن يصبح زعيما قوميا فى بلده نيجيريا . وقد نادى بالنهضة الثقافية للرجل الافريقى وأكد سنة ١٩٣٧ أن افريقيا القرن العشرين وافريقيا سيكونون عاملا يجب أخذه فى الحسبان كما أكد بأن أفريقيا تمثل وحدة واحدة وأن أساس هذه الوحدة ثقافى (٥٩) . أما دكتور كوامى نكروما فقد حمل بحق لواء الوحدة الافريقية منذ استقلال دولة غانا وقد ارتبط اسمه بها وكرس جهده للمناداة بالوحدة السياسية القارية الفورية فى أفريقيا . وذلك كما سيرد توضيحه .

هذا ولم تكن حركة الوحدة الافريقية فى بدايتها قاصرة فقط على الناطقين بالانجليزية فقد كانت هناك دائرة من الناطقين بالفرنسية وذلك فى المناطق الفرنسية سواء فى باريس أو العالم الجديد . وكان على رأس هؤلاء داماس Leon Damas وليرو Etienne Léro وفيما بعد ايمى سيزار وهو من جزر الهند الغربية الذى ارتبط به مفهوم « الزنوجية » السابق توضيحه وقد عبر بطريقة ملحمية (شعرية) قبل سنة ١٩٣٠ عن فكرة الزنوجة كصيحة .

وقد قام جماعة من الطلبة الكاريبيين سنة ١٩٣٢ بانشاء جريدة « الدفاع الشرعى Légitime Défense » التى ناهضت الاستيعاب الثقافى من جانب فرنسا فى المناطق التابعة لها والتى تشغلها الشعوب السوداء . وكان هؤلاء الطلبة فى الغالب من اليساريين وقريبين من الحركة الشيوعية التى شاركوها فى معارضة العنصرية والمجتمع البورجوازى . ولكن وكما كان الحال بالنسبة

لدائرة دى بوى كان اهتمامهم الأكبر هو تأكيد القيم الافريقية وشرعية الثقافة الافريقية وأصالتها (٦٠) ، كأنها كانت هى الأخرى حركة ثقافية لا سياسية .

أما « جون برايس مارس (٦١) Jean Price Mars » فقد كان من أهم رواد الوحدة الافريقية من الناطقين بالفرنسية عندما كانت حركة ثقافية قبل أن تصبح حركة سياسية . وقد كتب الكثير من المقالات واعتبرت كتاباته من زاوية الوحدة الافريقية ثورية فى وقته . وقد أكـد على وجود حضارات زنجية فى أفريقيا ذات عظمة وقوة ونادى باعادة اكتشاف أفريقيا وشعوبها ومدنياتها بل ان من آرائه أصالة وتفوق الجنس الافريقى . وقد تأثر ليوبولد سنجور عندما كان طالبا فى السوربون بأفكار مارس،وبدأ يفكر فى مشكلة بعث الثقافة فى افريقيا السوداء (٦٢) . ويعد « سنجور » من أهم شخصيات الرعيل الثانى من زعماء حركة الوحدة الافريقية فى المناطق الناطقة بالفرنسية ولكنه على خلاف نكروما نظر اليها نظرة ثقافية بلورها فى اطار مفهومه عن « الزنوجة » (٦٣) .

هذا ولم تكن دائرة الناطقين بالانجليزية ودائرة الناطقين بالفرنسيةمنفصلتين تماما بل ربطت بينهما مجموعة ثالثة تمثلت فى الزنوج الأمريكيين الداعين للنهضة الزنجية الذين تأثروا بأفكار دى بوى والذين جذبتهم باريس فى العشرينيات واشتركوا فى عدم الرضا عن العالم البورجوازى وعملوا على البحث عن الحرية البشرية فى الحرية الفنية (٦٤) . وعليه ففى هذه الفترة يلاحظ أن الزنوج الأمريكيين والكاريبيين والكتاب الافريقيين فى المناطق الفرنسية أعادوا سويا اكتشاف أفريقيا (٦٥) .

بالاضافة الى هذا فقد اشترك القلة من المثقفين من المناطق الخاضعة للسيطرة الفرنسية فى بعض مؤتمرات الوحدة الافريقية خاصة مؤتمر مانشستر . كما عمل نكروما منذ ذلك المؤتمر على تدعيم علاقاته مع بعض الشخصيات التى برزت فيما بعد خاصة ليوبولد سنجور ، وهوفوى بوانييه وابيثى الذين أصبحوا رؤساء لدولهم السنغال وساحل العاج وداهومى — على التوالى — بعد الاستقلال .

ومن الآثار الهامة فى الدعوة لحركة الوحدة الافريقية بمضمونها الثقافى بين أوساط المثقفين من المناطق التى كانت تحت السيطرة الفرنسية مجهودات مجلة « الوجود الافريقى Prèsence Africaine » التى أنشئت سنة ١٩٤٧ والتى أنشأها أحد شباب الطليعة من السنغاليين وهو M. Alioune Diop وقد أخذت تلك المجلة على عاتقها تكملة الطريق الذى بدأه دى بوى ومؤتمرات الوحدة الافريقية (٦٦) وهى تركز على الثقافة الزنجية وابراز الشخصية الافريقية وابعاد الوحدة الافريقية • وكان لها تأثيرها على حركة الوحدة الافريقية من خلال ما قامت بنشره خاصة ما تعلق بالارتباط التاريخى بين مصر وأثيوبيا وأفريقيا •

وقد استطاعت مجلة الوجود الافريقى أن تنظم سنة ١٩٥٧ — بعد كثير من المجهودات — المؤتمر الدولى للكتاب والفنانين السود ، الذى حضره ستون مندوبا من بينهم ليوبولد سنجور وجون برايس مارس وايمى سيزار • ومع أن هذا المؤتمر كانت أبعاده ثقافية تتعلق بعالمية الثقافة السوداء وركز على الوحدة الزنجية أكثر منها على الوحدة الافريقية الا أن المؤتمر التالى الذى عقد فى روما سنة ١٩٥٩ كانت أبعاده سياسية واضحة حيث اتخذ قراره الخاص بالاستقلال والوحدة الافريقية وكذلك الاعلان الذى اتخذ مبادرته الرئيس سيكوتورى بادانة القهر الثقافى لفرنسا فى أفريقيا • وقد تقرر فى هذا المؤتمر تكوين جماعات فى كل مكان بين الجماعة الزنجية لتشرح للعالم قيم وأصالة الثقافة الزنجية (٦٧) •

ثالثا — المؤتمرات الأولى للوحدة الافريقية واتجاهاتها الايديولوجية :

منذ المؤتمر الأول للوحدة الافريقية الذى عقده سيلفستر ويليامز نما تدريجيا الاطار التنظيمى للوحدة الافريقية وتبلورت مفاهيمها وأبعادها وبدأت تغرس هذه الأفكار فى الطليعة من الافريقيين أنفسهم الموجودين بالولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الذين غرسوها بدورهم فى القارة الافريقية منذ ذلك الوقت • وقد غيرت الحركة ثوبها من ١٩٠٠ الى ما بعد الحرب العالمية الثانية •

فقد كان أساس الوحدة عند الطليعة الأوائل هو العمل ضد التفرقة العنصرية وعليه بدأت كحركة وحدة عنصرية أكثر منها وحدة افريقية • ولكن بدأ الاهتمام بشئون القارة نفسها يتبلور تدريجيا بعد أن كان هامشيا • وبدأت الحركة نفسها تتطور من حركة ثقافية الى حركة سياسية • كما بدأ يظهر بوضوح أن المؤتمرات التى سيطر عليها فى الدرجة الأولى منذ البداية الطليعة من الزنوج الأمريكيين ومن جزر الهند الغربية ، بينما كان الافريقيون المشتركون يمثلون استثناء ، انتهت فى مؤتمرها الأخير فى مانشستر بأن أصبحت كلية تحت سيطرة الطليعة من الافريقيين من المثقفين فى الخارج والتى لمعت منهم كثير من الشخصيات لتصبح زعامات سياسية فى أفريقيا فيما بعد كما سبق توضيحه • كما يلاحظ أخيرا أن مركز الثقل فى الدعوة للوحدة الافريقية انتقل تدريجيا من الولايات المتحدة الأمريكية — حيث لم يلق دعاتها فيما بعد التأييد وأصبحوا تحت ضغط من السلطات خوفا من تغلغل أفكار هدامة وشيوعية بينهم كما فقدوا التأييد المادى — الى أوروبا ومنها الى أفريقيا على يد الطليعة من الافريقيين الدارسين والعاملين فى الخارج • وهذا هو مضمون ما يطلق عليه « مثلث نفوذ الاطلنطى » (٦٨) فى الدعوة لفكرة الوحدة وانتقالها من العالم الجديد الى أوروبا ومنها الى أفريقيا •

أى باختصار يمكن القول بأن حركة الوحدة الافريقية منذ تطورها حتى سنة ١٩٤٥ كانت حركة بواسطة الطليعة المثقفة من ذوى الأصل الافريقى فى خارج أفريقيا من أجل المساواة العنصرية أولا وأصبحت حركة بواسطة الافريقيين من أجل الافريقيين وتوحيد أفريقيا وفى أفريقيا نفسها •

وقد نما الاطار التنظيمى لحركة الوحدة الافريقية فى ظل مؤتمرات الوحدة الافريقية التى بدأها سيلفستر ويليامز بمؤتمر سنة ١٩٠٠ • فقد قامت « جمعية الوحدة الافريقية » التى أنشأها سيلفستر ويليامز — وقد سبق الاشارة اليها — بعقد أول مؤتمر للوحدة الافريقية • وقد ارتبط التوقيت للمؤتمر بالمعرض الدولى بباريس — حيث من الطبيعى لم يكن هناك الكثير من الزنوج الذين يستطيعون تحمل نفقات المؤتمر وحده • وقد تضمن أول تصريح عن النية فى عقد المؤتمر من قبل الجمعية المذكورة توضيحا للدافع

الذى عقد من أجله وهو أنه نتيجة للجهل المنتشر بشدة فى انجلترا عن معاملة الأجناس الوطنية فى ظل الحكم الأوروبى والأمريكى فان الجمعية الافريقية التى تتكون من أعضاء من الجنس المقيمين فى انجلترا ، والتى أنشئت منذ عامين ، قررت أثناء معرض باريس سنة ١٩٠٠ (الذى زاره العديد من الشخصيات من الجنس الأسود) أن تعقد مؤتمرا فى لندن فى شهر مايو من ذلك العام من أجل اتخاذ خطوات للتأثير على الرأى العام بخصوص الاجراءات والأوضاع المؤثرة على رفاهية المواطنين فى الأجزاء المختلفة للعالم خاصة جنوب أفريقيا ، وغرب أفريقيا ، وجزر الهند الغربية والولايات المتحدة الأمريكية (٦٩) .

وقد عقد المؤتمر بالفعل فى لندن فى قاعة وستمنستر من ٢٣ ــ ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٠ وكان الهدف الأساسى من المؤتمر هو الاحتجاج على الاستيلاء على الأراضى القبلية فى أفريقيا عن طريق المستعمرين من المستوطنين البريطانيين (٧٠) . وبذلك سعى الى تعبئة التضامن الافريقيين المهددين من المستوطنيين فى أفريقيا (٧١) . فقد عقد المؤتمر فى أعقاب حرب البوير وتغلغل سيسل رودس فى وسط أفريقيا . فمفهوم الوحدة الافريقية وفقا لهذا المؤتمر الأول عنى التضامن وتأكيد الذات العنصرية (٧٢) . وقد استفاد ويليامز من المساعى الحميدة للبعثات التبشيرية البريطانية ومن اتجاه تقدمى فى الرأى العام البريطانى حينذاك تمثل فيمن كانوا أنصار الغاء الرق . ومن أهم الأسس التى أوضحت قبيل عقد المؤتمر خاصة من جانب بوكر واشنطون الذى كان أول من أعلن عن الدعوة لعقده هو أنه :

« لا يوجد هناك مكان يمكن أن يذهب اليه الفرد لا يقع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تحت السيطرة البيضاء وفى هذه الحالة فان السود يفضلون أن يبقوا فى اطار النفوذ الأمريكى وأن هذا يوضح تماما أن العودة لأفريقيا بالنسبة للزنجى خارجة عن الموضوع ، حتى اذا سلمنا بأن غالبية الزنوج ترغب فى الذهاب ، وهم حقيقة لا يرغبون (٧٣) » . وقد أوضح المؤتمر أن الهدف الذى

ينشدة متعدد الأبعاد ، فهو يهدف أولا : الى خلق تقارب بين الشعوب المنتمية لأصل أفريقى فى أنحاء العالم وثانيا : الاتفاق على خطط لتحقيق علاقة صداقة أقوى بين الأجناس القوقازية والافريقية .

وأخيرا : بداية حركة تهدف الى أن تؤمن لكافة الأجناس الافريقية المقيمة فى دول متحضرة (متقدمة) حقوقها الكاملة وأن تنمى مصالحها الاقتصادية(٧٤).

ومن الواضح أن الرواد الأوائل للوحدة الافريقية لم يكونوا عنصريين بالمعنى السابق توضيحه بل كان هدفهم المساواة بين الأجناس . فقد أوضح أعضاء المؤتمر أن المشكلة الأساسية التى جمعتهم كانت مطلب المساواة العنصرية . وقد حضر المؤتمر ثلاثون عضوا من مثقفى الزنوج فى العالم الجديد جميعهم من الناطقين باللغة الانجليزية (٧٥) . وتولى السكرتارية دكتور فيكتور دى بوى ، الذى أتاح له المؤتمر فرصة الظهور وكان فى هذا المؤتمر أن قال كلمته التى اعتبرت بمثابة النبوءة وهى أن : « مشكلة القرن الحالى هى مشكلة فاصل اللون والعلاقة بين الأجناس (٧٦) .

وقد تناول المؤتمر العديد من الموضوعات التى تراوحت بين تاريخ أفريقيا ومعاداة الاستعمار والتنمية وما أطلق عليه « الوثنية المتحضرة » هذا بالاضافة الى الاصلاحات الأوروبية (٧٧) .

وفى ختام أعمال المؤتمر أرسل سيلفستر ويليامز التماسا الى الملكة فيكتوريا باسم المؤتمرين مطالبين فيه بعدم اغفال مصالح الافريقيين فى جنوب أفريقيا خاصة خضوعهم للعمل الجبرى ، والتمييز العنصرى ، ومنع التجول ، والتصاريح وتقييد حق التصويت . وبعدها أعلنت الملكة سيلفستر ويليامز عن طريق جوزيف تشمبرلين ــ سكرتير المستعمرات ــ اهتمامها بالأخذ فى الاعتبار مصالح ورفاهية الأجناس الأصلية وذلك عند تحديد الخطوط التى ستسير عليها ادارة المناطق المستعمرة (فى جنوب أفريقيا) (٧٨) .

وقد كان مؤتمر الوحدة الافريقية هذا هو أول وآخر مؤتمر ينظمه سيلفستر ويليامز اذ بدأت بعدة الحركة من الناحية التنظيمية تخبو وانتهت قبل وفاته كما سبق توضيحه الى أن تولى بعثها من جديد « دكتور دى بوى » الذى قام

بتنظيم سلسلة من المؤتمرات استطاع من خلالها أن يوسع أبعاد الوحدة الافريقية (٧٩) وان كانت قد ظلت مجرد مؤتمرات ينقصها صفة الدوام أى لم تتحول الى منظمة ولم تستطع أن تكون لها سكرتارية دائمة .

وقد كان أول تلك المؤتمرات التى عقدت تحت زعامة دى بوى هو مؤتمر سنة ١٩١٩ فى باريس مستفيدا من عقد معاهدات الصلح بفرساى . على أساس أن مصير البشرية ولمئات السنين القادمة مركز هناك وانها فرصة لجذب انتباه العالم للمشكلة الزنجية (٨٠) . فقد كان هدف المؤتمر أن يسمع للعالم صوت الافريقيين وأولئك المنحدرين من أصل افريقى أسود . وقد عقد المؤتمر تحت شعار « أفريقيا للافريقيين » على أساس أنه تمشيا مع المبادىء التى أعلنها الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون فان للسود الحق فى تقرير مصائرهم . وقد عارضت فرنسا فى المؤتمر ووقفت ضده ولكن جهود « دى بوى نجحت بفضل وجود ستة أعضاء ملونين فى الجمعية الوطنية الفرنسية وخاصة تأييد أهمهم وهو «بليزديان» (٨١) ـ أول مندوب للسنغال فى الجمعية الوطنية الفرنسية وذلك لمدة عشرين عاما متوالية ـ والذى كان صديقا حميما « لكليمنصو » الذى عمل بنجاح على تأييد جهود « دى بوى » وصحبه فى عقد المؤتمر .

وعلى هذا فقد عقد المؤتمر وضم سبعة وخمسين عضوا من خمس عشرة دولة (٨٢) ولكن معظم الأعضاء كانوا من الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية . ولكن الجديد فى هذا المؤتمر عن مؤتمر سنة ١٩٠٠ هو اشتراك اثنى عشر عضوا من أفريقيا ـ من الدارسين فى الخارج ـ هذا بالاضافة الى أن الأعضاء بصفة عامة كانوا من المستعمرات الانجليزية والفرنسية بالاضافة الى قلة من المستعمرات البلجيكية والأسبانية وبعض الدول الافريقية مما يعتبر تجديدا عن المؤتمر السابق . وقد قامت NAACP بتمويل هذا المؤتمر وفعلت نفس الشىء بالنسبة للمؤتمر التالى له .

وقد تضمنت قرارات المؤتمر (٨٣) الحاجة الى اصدار قوانين للحماية الدولية لمواطنى أفريقيا بما يشبه ما اقترح من قانون دولى للعمل . وأن تنشأ عصبة الأمم مكتبا دائما تعطى له مهمة خاصة للنظر فى تطبيق تلك القوانين

بما يتمشى مع الرفاهية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنين • كما طالب المؤتمرون معاملة مواطنى أفريقيا والشعوب المنحدرة من أصل أفريقى على أسس من بعض المبادىء التى وضعوها ، من ذلك : أن ينتشر التعليم ويصبح حقا لجميع المواطنين ، وأن تحسن الظروف الصحية وظروف العمل ، وينظم استغلال رأس المال بحيث يمنع استغلال المواطنين وانضاب الموارد الطبيعية لأفريقيا ، وأن تبقى الأرض ومواردها الطبيعية للافريقيين • ولكن أهم ما نص عليه هو أنه يجب أن يكون لمواطنى أفريقيا الحق فى الاشتراك فى الحكم بالسرعة التى تتمشى مع تطورهم على أساس مبدأ أن الحكومة موجودة من أجل المواطنين وليس وجود المواطنين من أجل الحكومة • كما أنه بالنسبة للزنوج المتمدينين « المتحضرين » فانه كلما كان هناك أفراد من أصل أفريقى متحضرين وقادرين على مقابلة اختبارات الثقافة المحيطة تعطى لهم حقوق مثل اخوانهم المواطنين فلا يحرموا بسبب الجنس أو اللون من أن يكون لهم صوت فى حكوماتهم والعدالة أمام المحاكم والمساواة الاقتصادية والاجتماعية على أساس المقدرة •

وقد رأى « دى بوى » أن نظام الانتداب كنظام اشراف دولى فى ظل عصبة الأمم يعتبر من أهم انجازات مؤتمر الوحدة الافريقية هذا • ولكن لا يشاركه الكثيرون فى هذا الرأى على أساس أن ودرو ولسون فى وضعه لنظام الانتداب قد تأثر كثيرا فى هذا المجال برأى رئيس قسم المستعمرات الذى اشترك فى وفد الولايات المتحدة فى معاهدات الصلح (٨٤) •

هذا ولم يستطع هذا المؤتمر كسابقه أن يحقق مبدأ الدوام فلم يتحول الى منظمة ؛ كما أنه كسابقه ولاحقيه حتى مؤتمر سنة ١٩٤٥ لم يستطع أن يجعل له جذورا فى افريقيا ذاتها ، وان كان قد اتفق فيه على عقد مؤتمر لاحق سنة ١٩٢١ (٨٥) •

وقد تلا هذا المؤتمر بالفعل مؤتمر جديد من دورتين فى لندن ثم فى بروكسل فى أغسطس — سبتمبر سنة ١٩٢١ ويلاحظ أن دى بوى أصبح موضع هجوم من عدة جبهات وذلك نتيجة لأفكاره التى اعتبرت ثورية من جانب الكثيرين ، على الأقل بمقياس ذلك الوقت والظروف التى كانت تعيشها

أفريقيا والزنوج بصفة عامة • فقد هوجم من السلطات الاستعمارية وكما هوجم من بعض زعامات NAACP على أساس أن سعيه لحركة الوحدة الافريقية يخضع مشكلة الزنوج فى أمريكا لها بينما فى رأيهم أن الحقوق المدنية للسود هناك أهم من البحث عن الوحدة الافريقية • كما بدأت أيضا المهاجمة الشديدة من جانب ماركوس جارفى الذى تزعم اتجاها مغايرا لفكرة الوحدة الافريقية ـ كما سبق أن أوضحنا • وتعويضا عن هذه الجبهات المضادة عمل دى بوى على كسب عطف وتأييد الاشتراكيين الفرنسيين والأوساط الفابية والعمالية فى بريطانيا (٨٦) •

وقدكان المؤتمر أوسع بعدا وتشكيلا من سابقه فقد ضم ١٣٠عضوا منهم واحد وأربعون أقاليم أفريقية وخمسة وثلاثون من الولايات المتحدة • وقد عقد هذا المؤتمر الثانى الذى نظمه دى بوى فى القاعة المركزية فى لندن وذلك من ٢٨ ـ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢١ • وقام المؤتمر بنشر « اعلان للعالم » وجهه دى بوى وكانت نصوصه متواضعة بصفة عامة (٨٧) • وأهم ما تضمنته الاعتراف للزنوج بحقوق متساوية مع البيض • وقد كان الطلب الرئيسى الذى قدم بالنيابة عن الجنس الزنجى من خلال عناصره المثقفة يتعلق بحكم محلى ذاتى للشعوب والجماعات المتخلفة على أن يزداد تدريجيا بزيادة الخبرة والمعرفة ليصل الى حكم ذاتى كامل • وفى دورة بروكسل تكملة للمؤتمر أرسل وفد برئاسة Dantes Bellegarde ـ سفير هايتى فى فرنسا ـ قدم التماسا الى لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم مؤكدين مرة ثانية على المساواة التامة بين الأجناس البشرية • وقد أدخل دى بوى فى هذا المؤتمر أحد الأبعاد الجديدة لفكرة الوحدة الافريقية التى أصبحت من أهم مفاهيمها وهو يتعلق ببداية الحديث عن العلاقات والاتصال بين الأجناس حيث نودى بضرورة قيام مؤسسات ، وهيئات ومنظمات بين الشعوب المضطهدة • وأن الديمقراطية يجب أن تعم العالم • وقد حدثت انقسامات حادة بين الزعماء فى المؤتمر وهوجم الحضور على أساس أنهم شيوعيون وعلى أثر هذا المؤتمر قطعت جمعية NAACP تمويلها لمؤتمرات الوحدة ونشاطها خوفا من اتهامها بالشيوعية والتطرف مركزة على حقوق الزنوج فى أمريكا • وقد أدى هذا الى الصعوبات المالية التى واجهتها المؤتمرات فى انعقادها بعد ذلك •

أما المؤتمر التالى فقد تم خلال سنة ١٩٢٣ فى لندن ولشبونة ثم فى باريس • وقد واجه دى بوى فى هذه الفترة العداء والهجوم الشديد من جانب كل من جارفى وأتباعه والشيوعيين الذين قالوا ان حركته حركة « بورجوازية صغيرة لقومية سوداء » (٨٨) • ونتيجة لصعوبة تمويل المؤتمر لرفض NAACP القيام بذلك فقد مولته الجمعية الوطنية للنساء الملونات فى الولايات المتحدة الأمريكية • وقد حضر دورة لندن شخصيات من انجلترا على رأسها هارولد لاسكى وسيدنى وب وويلز وغيرهم من الزعماء الاشتراكيين الانجليز • وقد اشترك فى أعماله عدد من أعضاء حزب العمال ، ووجه رمزى ماكدونالد السكرتير العام للحزب رسالة تعاطف للوفود • وكان أهم مطلب سياسى هو أن للافريقيين الحق فى أن يكون لهم صوت فى حكوماتهم وأنه يجب معاملة الشعوب السوداء كما تعامل الشعوب الأخرى وأن هذا هو الطريق الوحيد للسلام والتقدم • وقد انتقل المؤتمر الى لشبونة تحت وطأة الاتهام بالشيوعية ـ بدعوة من « العصبة الافريقية » وهى جمعية ثقافية من الافريقيين المستوعبين فى البرتغال ومقرها لشبونة • وفى دورة لشبونة هذه طالب دى بوى بتخفيف حدة العمل الجبرى فى أنجولا وجزر ساو تومى وبرنسيب وقد أعطته الشخصيات البرتغالية وعودا بتأييد مطالبه ولكن دون جدوى • وقد قام دى بوى بعد المؤتمر مباشرة بزيارة غرب أفريقيا محاولا اقامة علاقات مع المؤتمر الوطنى لغرب أفريقيا البريطانية والذى مثل الطليعة الجديدة ونادى بالحكم الذاتى للافريقيين ـ حيث قابل أعضاءه فى سيراليون ـ ولكنه فى الواقع لم ينجح فى اقامة رابطة عضوية أو تنظيمية • وبذلك ظل مؤتمر الوحدة الافريقية بدون جذور فى أفريقيا •

ورابع المؤتمرات التى نظمها دى بوى وآخرها هو ذلك الذى عقد فى نيويورك سنة ١٩٢٧ ومولته نفس الجمعية النسائية السابقة الذكر لنفس الأسباب المذكورة من قبل • وقد كان هذا المؤتمر موسعا وزادت نسبة الحضور كثيرا ليصل الى ٢٠٨ مندوبين من اثنتى عشرة دولة ـ ويرجع الكثيرون السبب فى هذه الزيادة الى وجود المؤتمر فى نيويورك أى قرب الزنوج فى أمريكا وجزر الهند الغربية • وقد بدأت تتضح فى هذا المؤتمر معالم مفهوم الوحدة الافريقية

وأبعادها التى تبلورت بوضوح بعد ذلك • فقد ركز على حق الافريقيين فى أن يسمعوا أصواتهم للحكومات التى توجه أمورهم وأعلن عن حق السود فى افريقيا وفى مواردها ، كما نودى بايجاد نوع من العدالة متلائمة مع الأوضاع المحلية يطبقها قضاة افريقيون وضمان تطوير التعليم ونشر التعليم الابتدائى • ونودى كذلك بنزع السلاح فى العالم ووضع حد للحروب •

وقد أوضح « دى بوى » خطه الجديد الذى انتهى فى النهاية الى تخليص حركة الوحدة الافريقية من الوعى العنصرى اللونى حيث آكد امكان تعاون جميع الشعوب الملونة فى العالم من الزنوج والمصريين والهنود والصينيين والأثيوبيين الخ فى حركة عامة لتحرير الملونين من الاستعمار والتفرقة العنصرية وأكد بوضوح أن « الزنوج والشعوب السمراء والصفراء حلفاء طبيعيون فى هذه الحركة ضد الشعوب البيضاء » (٨٩) •

اذن فمن الملاحظ أنه فى هذا المؤتمر وضح أنه مازال هناك وعى عنصرى ولونى ولكن بدلا من التركيز على السود أصبح على الملونين وذلك فى مواجهة البيض • أى اتسع نطاق الوعى العنصرى وتخطى الزنوج الى أجناس أخرى ملونة •

من ناحية أخرى فان من الأسس الجديدة للوحدة الافريقية التى أصبحت فيما بعد من ركائزها والتى تبلورت فى هذا المؤتمر هو رفض — ان لم يكن معاداة الشيوعية ومهاجمتها من جانب بعض زعماء الوحدة الافريقية • وقد أبدى جورج بادمور مهاجمته الواضحة للشيوعية لوقوفها فى وجه الوحدة الافريقية ومهاجمتها سواء لماركوس جارفى أو لدى بوى ولكل من تنظيميها وهما UNIA و NAACP على الرغم من الاختلافات الواضحة بينهما وكذلك مهاجمتها لمؤتمر الوحدة الافريقى فى جنوب أفريقيا بحيث نظرت اليها جميعا على أنها تمثل قومية افريقية لصغار البورجوازيين تحول دون تغلغل التأثير الشيوعى بين الزنوج • وقد أكد بادمور فى هذا المؤتمر أن الشيوعيين يهدفون اما للسيطرة على مثل هذه المنظمات أو هدمها وعليه فقد اتهمهم بالنفعية لغير صالح الوحدة الافريقية •

ومن الملاحظ أن هذا الاتجاه الخاص بمهاجمة الشيوعية تبلور بوضوح بعد سنة ١٩٣٦ حيث قام جورج بادمور وجيمس وبيتر ابراهامز وآخرون من المثقفين الأمريكيين ومن جزر الهند الغربية ــ الذين سبق وأن جذبتهم الأفكار الماركسية وأرادوا استخدامها كسلاح فى حركة الوحدة الافريقية ــ بقطع علاقاتهم مع الحركة الشيوعية وقاموا بنقل نشاطهم الى بريطانيا (٩٠) ٠

هذا وقد تضافرت عدة عوامل على تأخير عقد مؤتمر تال للوحدة الافريقية وذلك لقرابة عقدين من الزمان : فمن ناحية حاول دى بوى عقد مؤتمر وحدة افريقية سنة ١٩٢٩ فى تونس على أرض افريقية لأول مرة ، ولكن جهوده فشلت نتيجة لرفض السلطات الاستعمارية الفرنسية (٩١) ٠ ومن ناحية أخرى فقد أسهمت كل من الأزمة الاقتصادية العالمية وأثرها على الولايات المتحدة الأمريكية ثم الحرب العالمية الثانية فى تأخير عقد المؤتمر المنشود ٠ هذا بالاضافة الى أن دى بوى نفسه عمل أستاذا للاجتماع بجامعة اطلنتا وانشغل أيضا بتحرير والاشتراك فى تحرير دائرة للمعارف عن الزنجى ٠٠

ومع ذلك فان جهود المهتمين بنشر فكرة الوحدة الافريقية لم تتوقف بل نشطت (٩٢) وقد كان لاندلاع الحرب فى أثيوبيا واعتداء ايطاليا عليها الذى انتهى بالقضاء على استقلال أقدم دولة مستقلة فى أفريقيا ــ الأمر الذى لم تتحرك له بفاعلية عصبة الأمم ولا دولها الكبرى انجلترا وفرنسا ــ أن تحركت المشاعر بشدة ضد الاستعمار وعلى عدم المساواة والرغبة فى التخلص من كليهما (٩٣) ٠ وعليه فقد انشئت فى لندن عام ١٩٣٥ « جمعية الأصدقاء الافريقيين الدوليين لأثيوبيا » (٩٤) ، وكان أعضاؤها من أعضاء مؤتمرات الوحدة الافريقية السابق ذكرها من ذلك بادوور وكينياتا هــذا بالاضافة الى الوحدة الافريقية السابق ذكرها من ذلك بادور وكينياتا هــذا بالاضافة الى التشريعات الاستعمارية ٠

هذا وقد حل محل هذه الجمعية ذات الأهداف المحدودة المكتب الدولى للخدمة الافريقية (مكتب الخدمة الافــريقى الدولى) The International Affrican Service Bureau وذلك سنة ١٩٣٧ وقد قام بنشر جريدة Pan Africa وكان فى المجلس التنفيــذى للمكتب جوموكينياتا ، وهــذا المكتب بدوره

خلفه اتحاد الجامعة الافريقية Pan African Federation وذلك سنة ١٩٤٤ وقد ضم عشرين جمعية افريقية معظمها فى انجلترا بما فيها المكتب المذكور ، وقام لتحقيق الأهداف التى أعلنت من قبل فى المؤتمرات الأربع السابقة التى نظمها دى بوى وهى تتلخص فى طلب الاستقلال ووحدة افريقية ونهاية كل أنواع التفرقة العنصرية وتعاون الشعوب الافريقية والذين يعضدون آمالهم (كان اهتمام هذه الجماعة فى بادىء الأمر هو حقوق الرجل الأسود فى العالم أجمع ولكنها تركزت بالتدريج على المشاكل الافريقية فقد ركزت أولا على الحقوق المتعلقة بالأرض ثم على مسألة التحرير السياسى) • وكان من زعماء هذا الاتحاد « جورج بادمور » • ووالاس جونسون زعيم النقابات العمالية فى سيراليون وجوموكينياتا • وقد قام الاتحاد هذا بنشر جريدة الرأى العام العالمى الافريقى وأخذت فى نشر نشرات وأبحاث وكتب من أشهرها Facing Mount Kenya لجومو كينياتا Africa & World Peace, لجورج بادمور وقد جعل الاتحاد من مهامه أيضا وضع برنامج وطنى وهو برنامج العمل الايجابى الذى يقوم على مبدأ غاندى فى عدم العنف وعدم التعاون مع السلطات الاستعمارية فى أفريقيا •

وأخيرا عندما عقد مؤتمر الوحدة الافريقية المنشود فى مانشستر سنة ١٩٤٥ بعد أسابيع من اجتماعات الاتحاد العالمى للنقابات العمالية فى فبراير ــ والذى نظمه اتحاد الجامعة الافريقية السابق ذكره والذى دعى دكتور دى بوى لرئاسته تكريما له ــ اعترافا بجهوده ــ بدا واضحا التحول الكبير فى حركة الوحدة الافريقية • فقد حضر المؤتمر عدد قليل جدا من الزنوج الأمريكيين بينما كانت شريحة جزر الهند الغربية ما زالت قوية نسبيا تحت زعامة بادمور وجيمس ودكتور « بيتر ميليار » • ولكن المهم أن هذا المؤتمر كان وللمرة الأولى مؤتمرا لزعماء افريقيا الشباب الذين لم يكونوا قد لمعوا بعد فى ذلك الوقت فى دولهم • وقد تولى النشاط بالدرجة الأولى كوامى نكروما وجورج بادمور اللذان عملا سكرتيرين للمؤتمر كما لعب جوموكينياتا دورا هاما أيضا (٩٥) • وقد قدمت التقارير عن المناطق الافريقية المختلفة بواسطة الافريقيين أنفسهم لأول مرة •

وقد عولجت عدة موضوعات وبدا واضحا فيما عولج من موضوعات واتخذ من قرارات التحول الجذرى من الاصلاحية والمرحلية الى الثورية والراديكالية بالمفهوم الافريقى • وكان هذا بالطبع بفضل ظهور أجيال الزعـامة الجـديدة الافريقية • واتخذت عدة قرارات أعطت أبعادا جديدة للوحدة الافريقية (٩٦) • فقد طالب المؤتمرون لأول مرة باستقلال كافة الشعوب المستعمرة وتحـريرها من السيطرة الاستعمارية سياسية كانت أم اقتصادية ، كما أوضحوا مناداتهم بمبدأ « العمل الايجابى » المستوحى من تعاليم غاندى ولكن فى الوقت نفسه أوضحوا أنه اذا استخدم الغرب العنف فان الافريقيين سيلجأون كحل نهائى للقوة لتحقيق الحرية • كما أعلن المؤتمر المطالبة بالاقتراع العام • كما أشير الى امل المؤتمر ان تقوم الشعوب الاسيوية والافريقية بكسر قيود الاستعمـار قبل وقت طويل ، ثم وقوفها كشعـوب حرة متحدة لتـدعيم وحماية حرياتها واستقلالها من عودة الاستعمار الغربى ومن مخاطر الشيوعية •

وقد تضمنت اعمال المؤتمر ايضا ادانة الانقسامات الاقليمية فى أفريقيـا وادانة اقامة مستعمرات بيضاء على الارض المنزرعة ومحاربة الامية وسـوء التغذية وبالاعتراف بالحق النقابى وانشـاء التعاونيات كما نادى المؤتمرون باستقلال الجزائر وتونس والمغرب •

يضاف الى هذا ان المؤتمر وافق بالاجماع على اعلان ممثلى وفود غـرب افريقيا الذين طالبوا فيه بالاستقلال التام والمطلق لشعوب بلادهم (٩٧) • كمـا تقدم المؤتمر باعلان للقوى الاستعمارية يتميز بالطابع المعنوى اكثر منه التهديد بالعمل على اتخاذ قرارات متمشية مع ميثاق الاطلنطى (٩٨) • وختموا تصريحهم للشعوب المستعمرة بالقول : « يا شعوب العالم المستعمرة والمخضوعة اتحدوا »•

اذن فقد رأت الطليعة من دعاة الوحدة الافريقية فى ذلك الوقت ولاول مرة فى مؤتمر الوحدة الافريقية ان تحرر الشعوب الافريقية واستقلالها هو السبيل الوحيد لاتحادها • كأن مؤتمر ما نشستر مثل خطوة انتقالية فى تطوير الوحدة الافريقية من حركة احتجاج الى اداة فى يد الحركات الوطنية الافريقية ، لمحاربة الحكم الاستعمارى (٩٩) •

ومنذ ذلك الوقت اخذ نكروما ــ الذى عمل سكرتيرا لهذا المؤتمر ــ على تزعم حركة الوحدة الافريقية والدعوة لها . فقد أخذ المبادرة فى مؤتمر مانشستر للعمل على تجميع وفود غرب افريقيا فى لجنة اقليمية عرفت باسم « السكرتارية القومية لغرب افريقيا » التى عقدت مؤتمرا فى لندن من ٣٠ أغسطس الى أول سبتمبر سنة ١٩٤٦ وقد أخذت على عاتقها نشر مفهوم اتحاد غرب افريقيا كخطوة رئيسية فى سبيل تحقيق ولايات متحدة افريقية على مستوى القارة (١٠٠) . وقد اشترك فى هذه السكرتارية عناصر من الناطقين بالفرنسية من ابرزهم « ابيثى » الذى أصبح رئيسا لجمهورية داهومى . وقد وافقت السكرتارية فى مؤتمرها هذا على قرارات مؤتمر ما نشستر للوحدة الافريقية وعلى العمل على خلق اتحاد فى غرب افريقيا وفى نفس الوقت قام « اتحاد الجامعة الافريقية » السابق ذكره فى انشاء رابطة قوية مع وفد « المجلس القومى لنيجيريا والكاميرون NCNC » وهو أول تنظيم سياسى ينشأ فى أفريقيا البريطانية تحت زعامة دكتور ازيكوى والذى تبعه تنظيميا الحزب فى ساحل الذهب (١٠١) (أى حزب مؤتمر ساحل الذهب المتحد UGCC) .

وما دمنا بصدد الانتهاء من بحث مؤتمرات الوحدة الافريقية ، يجدر بنا توضيح نقطة غالبا ماتؤدى الى لبس فى تفهم هذه المؤتمرات وهو المتعلق بعددها : فقد بلغ عددها حتى مؤتمر مانشستر سنة ١٩٤٥ ستة مؤتمرات أولها كان سنة ١٩٠٠ تحت زعامة سيلفستر ويليامز والاربعة التالية ابتداء من سنة ١٩١٩ وحتى سنة ١٩٢٧ تحت زعامة دكتور دى بوى ، اما الاخير وهو مؤتمر مانشستر فقد دعى دى بوى لرئاسته تكريما له ولكن لم يكن هو منظمه . واعتبار عدد المؤتمرات ستة ــ ومؤتمر مانشستر المؤتمر السادس للوحـدة الافريقية ــ يدخـل فى الحسبان أول مؤتمر للوحدة عقده ويليامز على أساس أن المؤتمرات الخمسة التالية له ما هى الا تكملة لنفس الخط الذى بدأ فى هذا المؤتمر الأول (١٠٢) . ولكن هناك الكثير من الدارسين فى مجال الوحدة الافريقية الذين لا يدخلون مؤتمر ويليامز هذا فى حساب عدد المؤتمـرات على أساس ان طبيعته كانت محدودة عن المؤتمرات التى تلته والتى نظمها أو رأسها دى بوى . وعليــه فهؤلاء يشيرون الى مؤتمرات الوحدة الافريقية على أنها خمسة فقط . ويلاحظ ان هذا الرأى قد أخذ به مؤتمر مانشستر الذى تضمنت قراراته أنه المؤتمـر

الخامس للوحدة الافريقية (١٠٣) ـ مسقطه بذلك مؤتمر ويليامز . وقد أكد على هذا الرأى على وجه الخصوص جورج بادمور .

وأيا كان الوضع فيلاحظ انه بالاضافة الى تلك المؤتمرات المعروفة والتى سبقت الاشارة اليها ، هناك مؤتمر اخير للوحدة الافريقية بعد مؤتمر مانشستر وان كانت ليست له شهرة الاخير ، وعليه فكثيرا ما يغفل عنه الباحثون وهو المعروف من جانب رواده بالمؤتمر السادس للوحدة الافريقية ـ تمشيا مع الاتجاه السابق فى عدم احتساب مؤتمر سنة ١٩٠٠ . وهذا المؤتمر يختلف عن سابقيه فقد عقد ولاول مرة فى افريقيا ذاتها كمؤتمر افريقى خالص حيث عقد فى خماسى فى ساحل الذهب من ٤ ـ ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٣، تحت زعامة كوامى نكروما الذى ما أن وصل الى السلطة قبل الاستقلال فى فترة الحكم الذاتى حتى دعى لهذا المؤتمر وقد كان هذا المؤتمر محدودا للغاية من حيث المشتركين فيه فقد وجهت الدعوة اليه بصفة شخصية ولم توجه للاحزاب السياسية . وقد حضره دكتور ازيكوى وكثير من الشخصيات النيجيرية كما حضره مراقبون من ليبيريا بما فيهم قنصلها العام فى آكرا . ولقد أوصى بعقد مؤتمر قومى لغرب أفريقيا على أن تكون سكرتاريته فى آكرا (١٠٤) .

كأن مفهوم الوحدة الافريقية كما بلوره دى بوى من خلال مؤتمرات الوحدة الافريقية أصبح يعنى الاستقلال الذاتى أو استقلال الشعوب السوداء فى أفريقيا . وفى الواقع فان أهم انجازات مؤتمرات الوحدة الافريقية هى انها كانت مدرسة للطليعة الجديدة من المثقفين الافريقيين الشباب الذين تلقوا تعليمهم فى الولايات المتحدة الامريكية : ففيها التقوا ومنها تعلموا .

مبحث ختامى ـ عوامل التغيير والاتجاهات الايديولوجيــة الحديثــة للوحدة الافريقية :

يمثل مؤتمر مانشستر سنه ١٩٤٥ نهاية المرحلة الاولى فى الوحدة الافريقية التى تميزت بأن مفهوم الوحدة الافريقية أخذ شكل صيحة احتجاج من جانب الطليعة من المغربين الذين هم من أصل افريقى فى العــالم الجديد ضد التفرقة العنصرية •• وقد عنى مفهوم الوحدة الافريقية فى الدرجة الأولى التضــامن الاخوى العنصرى الذى يقصد به التضامن اللونى سواء بين السود من الافريقيين أو من سلالاتهم • ثم توسع المفهوم الى حد كبير ليعنى تضامن الملونين • كأن التركيز كان على اللون بالدرجة الأولى حيث ارتبطت به ظلما صفة العبودية التى عانت منها سلالات الزنوج فى العالم الجديد •

وقد بدت مؤشرات انتهاء مرحلة الوحدة الافريقية فى شكلها الأولى هذا بانجذاب الكثير من الشباب من الافريقيين الدارسين فى أوروبا والولايــات المتحدة الامريكية نحو هذه الحركة التى ظلت وحتى مؤتمر مانشستر خــارج افريقيا • وقد حمل هؤلاء الطليعة من الشباب الافريقى الدارس فى الخارج لواء حركة الوحدة الافريقية الى أفريقيا نفسها ولذلك بعد مؤتمر مانشستر • وبعد أن كانت الحركة مجرد صيحة احتجاج وحركة ثقافية أصبحت بالدرجة الأولى فى مرحلتها الثانية أداة لمحاربة الاستعمار فى القارة حيث اعتبر أنه لا مساواة للافريقى بالأوربى ولا تأكيد لعــدم تبعية الشخصية الافريقية ولأصــالتها واستقلاليتها الا بتخليص شعوب القارة الافريقية من الاستعمار والتبعيــة للاوربيين •

أى أن أهم ما ميز حركة الوحدة الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية هو انها أصبحت تستخدم كسلاح ضد الاستعمار ومن ثم اتخذ كأداة لمحاربة الاستعمار فى القارة على أساس أنه لا تخليص للشخصية الافريقية ولا للافريقيين من صفة التبعية ولا أمل لوحدتهم الا بخلاصهم من الاستعمار كخطوة للوحدة • وعليه فالاستقلال الذى سعت اليه الطليعة الجديدة من الافريقيين سعيا دائما لم ينظر اليه فى تلك الفترة على أنه نهاية فى حد ذاته بل وسيلة لغاية الوحدة الافريقية • أو بعبارة أخرى أصبح شعار « أفريقيا للافريقيين » الذى رفع منذ مؤتمــر

دكتور « دى بوى » الاول للوحدة الافريقية لا مجرد صيحة جوفاء بل حقيقة يسعى من أجلها بكافة الوسائل • وأصبحت أهم مرشد للوحدة الافريقية فى مرحلتها الثانية هذه • فحركة الوحدة الافريقية انتقلت الى الواقع وأصبحت تعنى التضامن ضد الاستعمار ووحدة الكلمة على مواجهته وتصفيته •

(ا) عوامل التغيير :

وقد شجعت عدة عوامل هذه النظرة الجديدة للوحـــدة الافريقية ـــ أى كأداة لمحاربة الاستعمار وضرورة التخلص منه ـــ بعضها خارجى عن أفريقيـــا ومتعلق بتغيير الوضع الدولى وبعضها يرجع لافريقيا نفسها ؛ ومن أهم هـــذه العوامل آثار الحرب العالمية الثانية : فمن ناحية فان الدول الاستعمارية السابقة خرجت من الحرب اما منهزمة كلية مثل ايطاليا ، واما منهزمة واقعيا وان كانت منتصرة سياسيا من الناحية القانونية لانتصار حليفاتها ـــ مثل فرنسا وان كانت ما زالت منهارة سياسيا واقتصاديا على الرغم من اعتبارها منتصرة سياسيا ، أو منتصرة عسكريا وان كانت قد خرجت منهارة اقتصاديا كانجلترا • فهزيمة الدول الاستعمارية أو انهيارها هز صورتها فى أعين الشعوب الافريقية وخاصةفى أعين أكثر شرائحها تحركا من الناحية الاجتماعية وهم الطليعة الجديدة • ولكن من أهم العوامل بعد ذلك انهزام فرنسا فى الهند الصينية على يد شعوب ملونة • ثم عدم انتصارها فى الجزائر على الرغم من ضراوة حرب التحرير الجـــزائرية واستمرارها لنحو عقد من الزمن • ومن ناحية أخرى فان استقلال الكثير من الدول الأسيوية كان له أثره وعلى وجه الخصوص استقلال الهند بهدى من مبادىء غاندى فى عدم العنف والعمل الايجابى التى تبنتها حـــركة الوحـــدة الافريقية كما سبق توضيحه • من ناحية ثالثة فان المناخ العام الذى ساد بعد الحرب العالمية الثانية فى ظل منظمة الأمم المتحدة والدعوة للمساواة وحقوق الانسان ونبذ الاستعمار وقد كان لهذا أثره الفعال فى هذا المجال ، حيث أكدت بعض الاخلاقيات والمعنويات الدولية التى تنبذ فكرة الاستعمار والاضطهاد •

ويعنينا الآن التركيز على عدة عوامل كان لها آثارها العميقة على أبعـــاد الوحدة الافريقية وتطورها ومفاهيمها الجديدة أيضا هذه العوامل نبعت من

افريقيا ذاتها لا من خارجها كما كان الحال فى المؤثرات الواقعة على أبعاد الوحدة الافريقية فى مرحلتها الأولى كما رأينا •

ومن أهم العوامل التى استجدت بعد ذلك وكان لها آثارها العميقة على أبعاد الوحدة الافريقية ومفاهيمها الجديدة والتى يعنينا توضيح ثلاثة عوامل أساسية منها وهى :

اولا ــ قيام الثورة فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

حيث أن مصر التى لم يكن لها دور يذكر فى المرحلة الأولى للوحدة الافريقية أى عندما كانت حركة وعى عنصرى واحتجاج بطلب المساواة العنصرية متخذة القالب الثقافى أداتها (١٠٤) ــ بدأت تنشط بفاعلية فى تحقيق الوحدة الافريقية بمفهومها الجديد السابق توضيحه ، أى كأداة لمحاربة الاستعمار •

وقد مثلت الثورة فى مصر تغيرا جذريا فى رؤية مصر لافريقيا فقد أصبحت النظرة شاملة بعد أن كانت تقليديا جزئية ومركزة على الاهتمام بحوض النيل أولا وقبل كل شىء وتليها الدول الاسلامية فى أفريقيا (١٠٥) • أصبح ينظر الى افريقيا على أنها أحد الدوائر الرئيسية للسياسة الخارجية المصرية منذ قيام الثورة (١٠٦) •

من ناحية أخرى فان دور مصر بعد الثورة فى حركة الوحدة الافريقية كأداة لمحاربة الاستعمار يتضح فى ضوء ثورية النظام نفسه الذى جعل من أهم أسس ايديولوجيته محاربة الاستعمار فهذه الثورية جعلته مصدر اشعاع وجاذبية للحركات التحررية فى القاهرة • وقد كان للانتصار المعنوى لمصر فى مواجهة العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ أثره الكبير فى اعطاء مصر مكانة خاصة فى أفريقيا عند محاولاتها لمواجهة الاستعمار •

وقد أنشأت مصر الرابطة الافريقية كمقر لحركات التحرير فى القاهرة • وأصبحت مصر تلعب دورا نشيطا فى تمويل هذه الحركات وزعمائها والشخصيات الثورية بالمال والعتاد وغيره •

يضاف الى ذلك أن اهتمام مصر بالوحدة العربية ــ الذى يبدو فى زعامتها لجامعة الدول العربية حيث أنه عند قيامها كانت مصر الدولة الافريقية الوحيدة فيها ــ لم يكن على حساب الوحدة الافريقية حيث ومنذ البداية وحتى

الآن اعتبرت مصر حلقة اتصال بينهما . كما أنها اعتبرت نفسها أيضا حلقة وصل هامة لحركة التضامن الافريقى الآسيوى .

وباختصار فان الثورة فى مصر وما صاحبها من تغييرات جذرية داخليا وخارجيا كان لها آثارها الواضحة على حركة الوحدة الافريقية بمفهومها فى ذلك الوقت وبعده ، فقد أصبحت مصر من زعامات حركة الوحدة الافريقية وأسهمت فى تأكيد تلاشى دعوى العنصرية « أوا للون » كأساس لحركة الوحدة الافريقية لتحل محلها مفهوم القارية والتضامن فى اطارها .

ثانيا ـ نمو حركة التضامن الافريقى ـ الآسيوى :

وقد سبق أن ذكرنا أن دعوى اللون كأساس لحركة الوحدة الافريقية قد بقيت وان تغيرت أبعادها ، فبعد أن كان التركيز على تضامن السود فى كل مكان أصبح التضامن على الأخوى بين الملونين ـ بمعنى غير الأوروبيين ـ أى الشعوب التى عانت من الاستعمار الأوروبى والتسلط بصفة عامة .

وعليه فقد نمت تدريجيا حركة التضامن الافريقى ـ الآسيوى . وقد كان مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ من أهم دعائمها . ومع أن الدول الافريقية لم يكن لها ثقل وكانت أثيوبيا هى الدولة المستقلة الوحيدة جنوب الصحراء التى حضرت هذا المؤتمر كما أرسلت ساحل الذهب ـ أى غانا فيما بعد ـ مراقبين ، ولكن اعلان باندونج ما لبث أن استوعب فى أفكار الوحدة الافريقية . فقد تضمنته مواثيق المؤتمر الأول للدول الافريقية المستقلة فيما بعد سنة ١٩٥٨ ومؤتمر الدار البيضاء وغيرها . وقد تبع مؤتمر باندونج العديد من مؤتمرات تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية .

وبانشاء منظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية سنة ١٩٥٧ بسكرتيريتها فى القاهرة ، نمى أكثر الاطار التنظيمى لحركة التضامن الافريقى ـ الآسيوى حقيقة أنها ليست شعبية تماما بل شبه حكومية ، وحقيقة أن كثيرا من الدول الافريقية ظل بعيدا عن الاشتراك فيها ـ خاصة الدول الناطقة بالفرنسية ـ وذلك لوجود الاتحاد السوفيتى ومن قبل الصين الشعبية أيضا الا أنها تمثل رمزا لحركة التضامن الافريقى ـ الآسيوى . وكانت مصدرا للانفتاح الافريقى على العالم الخارجى والاشتراك فى المحافل الدولية .

وكانت مصر أهم حلقة اتصال وعنصر ديناميكية فى المنظمة حيث كان لها من الناحية التنظيمية دور فعال (١٠٧) وقد أصبحت السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية والآسيوية فى القاهرة كما أن السكرتير العام للمنظمة منذ انشائها ــ مصرى وتتولى مصر تمويل أكثر من ثلث حصتها .

ثالثا ــ استقلال غانا :

كان لاستقلال غانا ــ ساحل الذهب سابقا ــ أثره الكبير فى حركة الوحدة الافريقية . فمن ناحية كان أول مؤشر لنجاح مفهوم الوحدة الافريقية فى حلقتها الثانية كأداة لمحاربة الاستعمار . ومن ناحية ثانية فان استقلال غانا بالذات كان فاتحة لاستقلال بقية الدول الافريقية ــ فحقيقة أنه قد سبقتها دول أخرى للاستقلال فى افريقيا ولكن هذه الدول اما أنها ليست زنجية ــ كمصر ، ليبيا ، المغرب ، تونس والسودان ــ أو زنجية ولكن لم تخضع للاستعمار ــ كأثيوبيا وليبيريا ــ بالاضافة الى جنوب افريقيا التى تحكمها أقلية من المستوطنين البيض من أصل أوروبى والتى لا تعتبر مستقلة واقعيا وان كانت مستقلة قانونيا . فاستقلال غانا هدم الادعاء الذى طالما نادت به الدول الاستعمارية من عدم قدرة الافريقيين على حكم أنفسهم وضرورة تبعيتهم للأوروبيين وفقا لما عرف « بعبء الرجل الأبيض » الذى اعتبر من وجهة نظر دعاة هذه النظرة العنصرية الاستعمارية ان له مهمة تاريخية فى الأخذ بيد الافريقيين ــ الأمر الذى لم يؤخذ بجدية وان كان ليس هذا مجال بحثه وعليه فان استقلال غانا كان له أثره الكبير فى فتح باب التحرر أمام بقية الشعوب الافريقية . أى كان مؤشرا لرحيل الاستعمار من القارة بصفة عامة .

من ناحية ثالثة يلاحظ أن الرئيس الدكتور كرامى نكروما لم يكن فقط زعيما قوميا تحقق استقلال غانا على يديه ولكنه كان من أهم زعماء الوحدة الافريقية بل انه أصبح حامل لواء الوحدة الافريقية والمنادى بها وكرس جهوده لتحقيقها ومثل زعامة ثورية ديناميكية ليس فقط على المستوى الداخلى بل على مستوى القارة . فالوحدة الافريقية بعد الاستقلال فى افريقيا ارتبطت فى الدرجة الأولى باسم كوامى نكروما الذى آمن بها وكان الوحيد الذى دعا اليها وحاول تحقيق الوحدة السياسية الفورية فى افريقيا الأمر الذى لم يذهب اليه زعيم آخر فى ايمانه بامكانية تحقيقها (١٠٨) .

(ب) الاتجاهات الايديولوجية الحديثة للوحدة الافريقية :

هناك عدة أسس ايديولوجية عامة للوحـدة الافريقيـة تبلورت على مر تاريخ حركة الوحدة الافريقية خارج القارة ووضـحت فى مؤتمر ما نشستر واعتبرت أساسا لابعاد حركة الوحدة فى أفريقيا نفسها بعد الاستقلال (١٠٩) •

أى أن الوحدة الافريقية بدأت بعد الحرب العالمية الثانية تأخذ مفـاهيم ايديولوجية جديدة تبلورت على مر السنين وأصـبحت مرشـدا لمجهـودات ومحاولات تحقق الوحدة وبلورة المؤسسات الوحدوية •

ولعل أهم الأسس الايديولوجيـة الجـديدة هى أن الوعى العنصرى لم يعد يصبح بصفة علمة أساسا لفكرة الوحدة الافريقية بل حـل محـله الوعى القارى بأن أفريقيا ككل عانت من الاستعمار وأن اللون وحده ليس هو أساس الاضطهاد الأوروبى للافريقيين بل ان القارة بأكملها عانت من الاضطهاد •

وان الفاصل بين أفريقيا جنوب الصحراء وأفريقيا شمال الصحراء ــ أو أفريقيا الزنجية أو السوداء وأفريقيا العربية ــ هو فاصل مصطنع أكده ويؤكده الأوروبى فى محاولته السيطرة على شقى أفريقيا وعليه فقد بدأت تنهار الأسس العنصرية والتركيز على السواد والتضامن اللونى بالذات على أساس أنه لا يوجد هناك جنس خالص وكلمة افريقى معناها أى شخص يعيش فى أفريقيا خلاف الأوروبى والآسيوى (١١٠) وباختصار فان الوعى القارى حـل محـل الوعى العنصرى على أساس أن شعوب القارة أجمعها عانت من الاستعمار •

من ناحية أخرى المناداة بالاستقلال التام لكل أفريقيا ورفض الاستعمار فى كافة أشكاله وتصفيته تماما فى القارة بما فى ذلك بقاياه المتمثلة فى النظم العنصرية فى جنوب القارة وذلك تأكيدا للمبدأ الذى رفعـه آباء الوحـدة الافريقية • حقيقة أن الاتفاق لم يكن تاما على الموقف الموحد ضد الاستعمار الجديد ولكن الاتفاق كان تاما على تصفية الاستعمار بمفهومه التقليدى فى كافة صوره •

ومع أن التركيز كان على رفض الاستعمار الا أنه كان هناك أيضا تأكيد على رفض العنف كأسلوب للكفاح من أجل الاستقلال والعمـل على تأكيـد الأساليب السلمية وعلى رأسها تعاليم غاندى فى العمل الايجابى ــ أى العمل

الايجابى القائم على عدم العنف مثل الاضطرابات والمقاطعة وعدم الطاعة المدنية. وقد تضمن هذا المبدأ تحفظا وهو أنه يعتبر ساريا الا اذا لجأ المستعمر للعمل القهرى العسكرى أى الرد على العنف بالعنف .

ومن ضمن الأسس الايديولوجية المناداة بضرورة قيام نوع من الاتحاد على مستوى القارة وتحقيق ما أطلق عليه كهدف بالولايات المتحدة الافريقية على نمط يشبه الولايات المتحدة الأمريكية أو « كومنولث الأمم الافريقية » . وكان الاتجاه السائد فى خطوات تحقيقه : هو عن طريق مجموعات من الاتحادات الاقليمية المتشابكة بحيث تتنازل كل دولة عن جزء من سيادتها للاتحاد .

ويلاحظ أن الوحدة الافريقية اشتراكية فى أبعادها الاقتصادية . ومن هنا يجدر توضيح علاقتها بالشيوعية . فمن الأسس الايديولوجية الهامة للوحدة الافريقية التى تميزها فى صورتها الحديثة نبذ الشيوعية كمذهب عالمى ورفضها رفضا باتا مع الايمان بالاشتراكية النابعة من واقع مشاكل الدول الافريقية .

ويلاحظ أن الرواد الأوائل كانوا سباقين فى هذا المجال وفى اتخاذ الوحدة الافريقية كبديل ايديولوجى للشيوعية وذلك كما سبق توضيحه .

وفى هذا المجال تجدر الاشارة الى أن أبعاد الاشتراكية فى أفريقيا تضمنت القيم الأساسية للمجتمعات الافريقية وعلى رأسها التأكيد على الدين والقيم الروحية السائدة مع التركيز على الأسس العلمية لا مجرد المذاهب المجردة وعليه فهى اشتراكية قائمة على الانتقاء والاستفادة بغيرها مع تطويع مثل هذه المبادىء الخارجية لواقع الحياة الافريقية .

وهذه النقطة ترتبط بها نقطة أخرى وهى الحياد الايجابى بمعنى عدم التدخل كأطراف فى السياسة الدولية والمشاكل العالمية ولكن لا يعنى هذا أنهم محايدون فيما يتعلق بما يمس مصالح أفريقيا . أى الحياد بمعناه الايجابى بما يضمن عدم الانحياز وابعاد الحرب الباردة عن أفريقيا ويرتبط بهذا تأكيد الشخصية الافريقية فى المجال الدولى .

ومن دعامات الوحدة الافريقية التركيز على ابراز الشخصية الافريقية وتأكيدها وهو المفهوم الذى استمر مع حركة الوحدة الافريقية منذ نشأتها خارج أفريقيا . ويتمثل فى العمل على نهضة القيم والثقافة الافريقية واحياء الماضى الذى عمل الأوروبى على طمسه . ولكن عدم الوقوف عند الماضى فقط بل التركيز على التقدم الحديث والتمدين وأخذ ما هو مفيد من الماضى مع امتزاجه بالأفكار الحديثة .

ومن ناحية أخرى : تضامن الشعوب الافريقية فى كل مكان والتحالف الأخوى مع الشعوب الملونة المبنى على التاريخ المتبادل المكفاح ضد السيطرة البيضاء والاستعمار .

أما فيما يتعلق بالاتجاهات الداخلية فى وحدات أو مكونات الوحدة الافريقية ــ أى الدول الافريقيةالمستقلة ــ فقد كانهناكالتركيز على القومية لتحل محل القبلية أى الايمان بالقومية فى أفريقيا على مستوى الدولة القومية وفى حالة قيام اتحاد تتنازل هذه الدولة القومية عن جزء من سيادتها للاتحاد كما سبق توضيحه . ومن ناحية أخرى الايمان بنوع من الديمقراطية نابع من طبيعة المجتمعات الافريقية .

وقد يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضا فى هذه الاتجاهات الداخلية اذ أنها من ناحية تنادى بالتخلص من القبلية والزعامات التقليدية ومن ناحية أخرى تنادى باحياء الماضى وعصوره الذهبية وقيمه . ولكن فى الواقع لا يوجد تناقض حيث الهدف هو التخلص مما هو تقليدى فى التنظيم السياسى والمؤسسات وكل ما يمثل تحديا للدولة الحديثة فى افريقيا مع احياء الماضى معنويا ومن جهة القيم .

وأخيرا يمكن تلخيص أهم الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية فى شكلها الحديث بعد الحرب العالمية الثانية فى ظل الاستقلال بأنها حركة قارية ، تحررية ، اتحادية ، اشتراكية لا شيوعية ، سلمية ، حيادية وتضامنية مع الشعوب الآسيوية .

الهــوامش

١ ــ عرف دكتور دى بوى ــ المعروف باسم « اب الوحدة الافريقية » ــ «Pan Africa» بأنها تعنى « تفهما ثقافيا وتعاونا بين كافة الجماعات المنحدرة من اصل زنجي من اجل تحقيق تحرر اقتصادى وروحى للشعوب الزنجية فى اقرب وقت ممكن » .

Julius Lester (ed.,). The Seventh Son : The Thought and Writings of W.E.B. Du Bois. New York : Vintage Books, Vol. II, 1971, p. 208.

ومن الواضح ان اصطلاح «Pan-Africanism» او الجامعة الافريقيــة اصبح يستخدم كمرادف للوحدة الافريقية .

٢ ــ استخدم هذا المعنى المحدود على وجه الخصوص ريفورد لوجان استاذ التاريخ بجامعة هاورد الأمريكية ، واحد زملاء دكتور دى بوى اى احــد الرواد الأوائل للوحدة الافريقية كحركة فكرية .

Rayford W. Logan. «The Historical Aspects of Pan Africanism, 1900 - 1945 in Pan Africanism Rconsidered. Edited by the Ame rican Society of African Culture. Los Angeles : Univ. of Calif. Press, 1962, P. 38.

٣ ــ Immanuel Wallerstein. Africa: the Politics of Independence. New York: Random House, 1961, P 103.

٤ ــ Immanuel Wallerstein. Africa: the Politics of Unity. London : Pall Mall Press, 1968. p. 7.

٥ ــ لمزيد من المعلومات عن الجذور العاطفية لحركة الوحدة الافريقية ، انظر :

Colin Legum. Pan-Africanism : A Short Politcal Guide. New-York: Frederick A. Praeger, 1962. pp. 13-23.

ولمزيد من المعلومات عن الجذور الأولى للوحدة الافريقية وتطور الأفكار ، انظر :

G. Shepperson & T. Price. Independent African. Edinburgh: The University Press, 1958.

٦ ــ عبر فى اشعار غنية عن هذه المشاعر الكثير من الأوائل ومن اهمهم كلودماكى :

Claud Mckay. Selected Poems of Mckay.New York, Twayne, 1959-1961.

٧ ــ كما يوضح جون برايس مارس ــ احد رواد الوحدة الافريقية من الناطقين بالفرنسية كيف أن عذاب الزنجي وما تمتع به من تفاؤل مستمر على الرغم من صعوبة ما عاناه فضلا عن دفء عواطفه وصدق احساساته كان من اهم نتائجها الموسيقى الأمريكية ــ الجاز ــ المعروفة عالميا والتى تعتبر اصالتها احتكارا للزنوج .

The American Societe of African Culture, Pan Africanism Reconsidered ... op. cit., p. 20.

٨ ــ بهذا الصدد عبر احد الدعاة الأوائل للفكرة وهو Langston Hughes الذى جاء من أصل مختلط فى الولايات المتحدة الأمريكية ولكن كان على وعى لونى كبيز حين قال :

نحـــن مرتبطـــون ــ انت وانـــا انت من الهند الغربية وانا من كنتاكى
نحـــن مرتبطـــون ــ انت وانـــا انت من افريقيـــا وأنا من الولايات
نحـــن اخـــوة انت وانـــا

٩ ــ فى المهرجان الثقافى للوحدة الافريقية المنعقد فى عاصمة الجزائر سنة ١٩٦٩ تحت رعاية منظمة الوحدة الافريقية بدا واضحا الانفصال بين الزنوجة والوحدة الافريقية ، الأمر الذى اعلن لأول مرة . فقد دعى المؤتمر لتأكيد أصالة الفن الافريقى وتأييد الوحدة وتنسيق الحساسية بين شمال الصحراء وجنوبها. وقد هاجمت الدول الثورية وعلى راسها غينيا مفهوم الزنوجة . وقام الرئيس سيكوتورى بهجوم مباشر على فكرة الزنوجة على اساس انها تقسم الدول الافريقية وتقف ضد الوحدة الافريقية وقد أيده الى حد كبير الرئيس بومدين . ونفس الهجوم قام به ديااللوتللى سكرتير عام منظمة الوحدة الافريقية .

فقد عبر سيكوتورى عن أن « المسئولين الافريقين ، الزعماء ايا كان موقفهم يجب الا يسترشدوا بالمفاهيم الخاطئة للزنوجة أو بتكتيك الاستعمار الجديد الذى يقسم القارة الى افريقيا الناطقة بالفرنسية وافريقيا الناطقة بالانجليزية ، افريقيا شمال الصحراء وأفريقيا جنوب اصحراء بل فقط بالآمال الوحيدة للشعوب التقدمية التى بصرف النظر عن مسائل اللون ، الدين ، أو الجنسية تكون قوة واحدة هى قوة الثورة التى تأخذ مكانها فعلا فى عدد كبير من الدول فى العالم » .

على العكس فان الدول المحافظة والاصلاحية ، وعلى راسها اعضاء الـ OCAM وخاصة ساحل العاج ، لم تتقبل هجوم الثوريين ومنهم ديااللوتللى على الزنوجة وتتأييدهم للوحدة الافريقية .

انظر :

«Festival D'Alger. Negritude et Panafricanisme» Le Mois en Afrique No 46, Oct., 1969, pp. 9 — 12.

George Padmore. Pan Africanism or Commusim ? The Coming Struggle for Africa, London : Dennis Dobson, 1956. p. 379.

١١ —
Edmund David Cronon. Black Moses : The Story of Marcus Garvey & the Universal Negro Impovement Association. Madison: The University of wisconsin Press, 1955.

انظر ايضا : Legum op. cit., p. 14.

نفس الراى ارتآه رائد آخر من رواد الوحـدة الافريقية من النـاطقين بالفرنسية وهو جون برايس مارس وان كان فى نفس الوقت قد اكد على عـدم عنصرية حركة الوحدة الافريقية وانها ليست ضد عالمية العنصر البشرى :

انظر تقريره فى :

The American Society of African Culture, Pan Africanism Reconsidered ... op. cit., p. 20.

١٢ — Philippe Decraene. Le Pan-Africanisme. Paris : Presses Universitaires de France, 1970, p. 20.

١٣ — The Crisis. Feb. 1919. New York. NAACP.

١٤ — من اهم هؤلاء كولين ليجوم ، انظر لمناقشة هذا الراى :
Legum, op. cit., p. 14-22.

١٥ — William H. Lewiss. New Forces in Africa. Washington : Public Affairs Press, Libray of Congress, 1962, p. 54.

١٦— وان كان Aloune Diop الذى انشأ مجلة « الوجود الافريقى Presence Africaine» المعروفة فى مجال الدراسات الافريقية بدافـع عن مفهوم الزنوجة على اساس انه يركز على اصالة وقيمة الثقـافة الافريقيـة والروح الافريقية وان هذا التركيز لا يعنى عنصرية بل هو خطوة لمساواة الثقافة الافريقية والشخصية الافريقية بغيرها فى العالم حيث يؤكد ديوب ان السعى كان ضد العنصرية والمناداة بالمساواة العنصرية .

انظر المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٤ — ٢٥ .

١٧ — عن آرائه الخاصة فى هذا الموضوع انظر :
W.E.B. du Bois, Dusk of Dawn, New York : Harcourt, Brace and Co., 1945 (reprinted by Schocken Books, New York, 1968).

١٨ — لمزيد من المعلومات انظر :
Immanuel Geiss, «Pan-Africanism». Journal of Contemporare Vol. 4 N. 1, 1969, pp. 187-200.

انظر ايضا :
R.W. July. The Origins of Modern African Thought. London : Faber & Faber, 1968.

١٩ ـ بدات الحركة كوعى عنصرى بين أولئـك الطليعة ممن جاءوا من اصل افريقى أسود وفقا لمثلث التجارة عبر الأطلنطى الذى مثل العنصر البشرى فيه اهم اضلاعه وهو ذلك الذى قام بين أفريقيا والعالم الجديد آخذا من أفريقيا اقوى عناصرها البشرية ومادا العالم الجديد بدعامة تنميـة موارده الزراعيـة والتعدينية الا وهو العنصر البشرى الذى جلب فى ظل تجارة الرقيق .

٢٠ ـ Geiss, *op. cit.*, pp. 187-188.

٢١ ـ المرجع السابق .

٢٢ ـ راجع :

Hollis R. Lynch. Edward Wilmost Blyden. 1832-1912. Pan-Negro Patriot. London : Oxford Univ. Press, 1967. See also, Gideon-Cyrus M. Mutiso & S.W. Rohio, (eds.,). Readings in African Polical Thought. London : Heinemann, 1975. pp. 3-18.

٢٣ ـ انظر :

Martin Minogue and judith Molloy (eds). African Aims & Attitudes : Selected Documents. London : Cambridge Univ. Press, p. 15-14.

٢٤ ـ انظر : Padmore, *op. cit.*, p. 89.

ونفس الشيء اطلقه Decraene مرجع سابق ص ١١٠ .

٢٥ ـ انظر : Minogue & Molloy (eds.,) op. cit. pp. 17-25.

٢٦ ـ فقد نادى بأن : « سياستنا يجب أن تكون افريقيا للجنس الافريقى ويحكمهم الرجال السود وبالرجال السود أعنى من اصل افريقى : الذين ينادون بالانتماء لهذا الجنس » .

انظر آراءه فى : M.R. Delany. Official Report of the Niger : Exploring Party. New York, 1861.

وللفترة المذكورة انظر ص ٦١ من هذا المرجع .

٢٧ ـ انظر :

Cryil E. Griffith. The Africai Dream : Martin R. Delany & the Emergeneeof Pan-African University Park & London : The Pennsy lvania State Univ. Press, 1975.

٢٨ ـ E.B. Du Bois, The World & Africa. New York : Viking, 1947. p. 78

ولدراسـة تفصيليـة حديثـه عن هنرى سيلفستر ويليامز ـ وحياته ونشاطه انظر :

J.R. Hooker. Henry Sylvester Williams. Imperial Pan Africanist. London : Rex Collings, 1975.

ومن المراجع العربية الاساسية التى تناولت الوحدة الافريقية فى مرحلتها الاولى نخص بالذكر : د. عبد الملك عودة ، فكرة الوحدة الافريقية ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٦ .

٢٩ – هنرى سيلفستر ويليامز من مواليد ترينداد سنة ١٨٦٩ . وقد سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس القانون ثم سافر الى كندا ومنها الى لندن سنة ١٨٩٥ حيث أكمل دراسته وعمل هناك بالمحاماة . ولم يبدأ تبلور فكره عن أجداده من القارة الافريقية ومشاكلها الا بعد وصوله الى لندن . وقد بدأ سنة ١٨٩٨ كتابة المقالات السياسية ضد الاستعمار البريطانى لروديسيا .

٣٠ – اعتمدت الجمعية على تدعيم الجمعية الفابية لها ، وعلى حصيلة اشتراكات الأعضاء وكان الافريقى يدفع ٥ شلنات والأوربى جنيها . انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

٣١ – المرجع السابق ص ٢٣ .

٣٢ – عن تجربة ويليامز فى جنوب افريقيا انظر المرجع السابق من ص ٦٤ – ٨٢ .

٣٣ – عن أهم الاختلافات بينهما انظر :
Padmore, op. cit. p. 128 & after.

٣٤ – ولد دى بوى فى ٢٣ فبراير سنة ١٨٦٨ فى احدى قرى مسشوستس فى الولايات المتحدة الأمريكية . وهو زنجى من اصل مختلط وكان فخورا بأجداده من الفرنسيين والهولنديين وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هايدلبرج وعمل استاذا لعلم الاجتماع بجامعة اطلنتا بالولايات المتحدة الأمريكية .

أما ماركوس جارفى فقد ولد سنة ١٨٨٥ فى مدينة خليج سانت آن على الساحل الشمالى لجمايكا ، وقد جاء الى الولايات المتحدة فى ٢٣ مارس سنة ١٩١٦ وكان زنجيا خالصا فخورا للغاية بهذا وكان يقول عن دى بوى انه عدو الجنس الأسود ودخيل عليه .

٣٥ – انظر ، دى بوى Du Bois, Dusk of Dawn, op. cit, p. 303.

انظر ايضا : Decreane, op. cit, p. 15.

عن تجميع لمجموعة كتابات دى بوى انظر :
Julius Lester (ed.,). The Seventh Son. The Thought and Writings of W.E.B. Du Bois. New York : Vintage Books, Vol I & II, 1971.

٣٦ – بدأ دى بوى النشاط الفعلى منذ مؤتمر سنة ١٩٠٠ الذى بدأت تبرز فيه مقدرته القيادية . وقد كان الحدث الذى حرك جهوده التنظيمية هو انه فى يونيو سنة ١٩٠٥ طرد نحو ٣٠ من المثقفين من الزنوج من احد الفنادق فى مدينة بفلو الأمريكية بسبب اللون فقرروا الصراع من أجل الحصول على الحقوق السياسية وقد عقدوا اجتماعا عند شلالات نياجرا فى الجانب الكندى وفى الصيف التالى اجتمعوا تحت زعامة دى بوى فى فرجينيا الغربية وأعلنوا برنامجا سمى « بحركة نياجرا » الذى ركز بصفة خاصة على المطالبة بكافة الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية لكل الأمريكيين المولودين احرارا وأنهم لن يكفوا عن الاحتجاج حتى يحصلوا على كافة هذه الحقوق وتعتبر حركة نياجرا أول حركة احتجاج للسود فى القرن العشرين .

عن حركة نياجرا هذه انظر :
Lester *op. sit*, Vol. I, pp. 52-54.

٣٧ _ The Crisis. February, 1919, Vol. X VII, No 4, p. 166 in
Lester. *op. cit.*, 189-190

٣٨ _ اسهمت عدة عوامل فى جعل جارفى شعبيا وفى جعل آرائه تلقى الصدى لدى الكثير من عامة الزنوج فمن ناحية توفى بوكر واشنطون أحد رواد الزنوج فى امريكا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٥ اى قبل حضوره بشهور ومن ناحية اخرى ففى هذه الفترة نزح عدد كبير من الزنوج من الجنوب للشمال مما جذبهم للزعامة الجديدة .

٣٩ _ Logan, *op. cit.*, p. 45.

٤٠ _ عبر دى بوى عن آرائه هـذه المعـادية لبرنامج بوكر واشنطون سنة ١٩٠٣ فى كتابه السابق ذكره
The Souls of Black Folk. Chicago : A.C. Mc Clurg & Co, 1905.

انظر ايضا كتابه Dusk of Dawn. السابق ذكره خاصة ص ٧٠ _ ٨٣ .

٤١ _ "The National Association For the Advancement of Colored People"

عن نشأة هذه الجمعية وتطورها انظر : Lesetr, Vol. I. op. cit., p. 55-62

٤٢ _ Yves bénot, Les idéologies des indépendances Africaines, Paris : Francois Maspero, 1969.

٤٣ _ "The Universal Negro Improvement Association".

ولمزيد من المعلومات عنها أنظر : Cornon, *op. cit.*

انظر : J. Garvey, Philosophy & Opinions. New York : 1923.

٤٤ _ مما يلفت النظر انه قد جعلت الملائكة فيها سود بينما الشيطان أبيض .

٥٤ _ ركزت الكنائس المنشقة على وجـود هيراركية افريقية سـوداء للكنيسة . وقد ادمجت فى المفاهيم المسيحية بعض العادات والقيم الاساسية للمجتمعات الافريقية وعلى راسها تعدد الزوجات والكنائس المنشقة "Separatist Churches» يطلق عليها البعض الكنائس المستقلة او الكنائس الاثيوبية .

انظر :
Wallerstein. Africa : the polities of Unity ... op. cit p. 10.

٤٦ _ انظر : Longan, *op. cit.*, p. 46.

٤٧ ـ انظر :

Dcreane, *op cit.*, p. 19, Legum ; *op. cit.*, P.26, & Wallerstein, Africa, the Politics of Unity, *op. cit.*, P. 26.

٤٨ ـ استطاع جارفى ان يجمع فيما بين ١٩١٩ ، ١٩٢١ ما يقرب من ١٠ ملايين دولار بطرق متعددة تضمنت بيع صوره وخطبه وكروت اعياد الميلاد وقد كان يحرص فى خطبه على ان يعطى لنفسه طابعا يتميز بالقوة الخارقة والنبوة من ذلك ما اعلنه : « ابحثوا عنى فى الرعد ، ابحثوا عنى فى العاصفة ، ابحثوا عنى فى كل ما هو حولكم لاننى بمعونة الله سآتى وسأحضر معى ملايين العبيد السود الذين ماتوا فى امريكا وجزر الهند الغربية وملايين الموتى فى افريقيا لاساعدكم فى الصراع من اجل الحرية والاستقلال والحياة » .

انظر Decraene مرجع سابق ص ٨ ـ ٢٠ .

٤٩ ـ Kwame N Krumah. Chana : The Autobiography of Kwame N Krumah. Edinburgh & New York : Nelson, 1957, p. 45.

٥٠ ـ انظر : Logan, *op. cit.*, p. 46.

ولعل اهم ما جذب نكروما فى افكار جارفى هو ما يتعلق برايه فى ضرورة اللعب على الأصابع السوداء فقط للبيانو بدلا من الحاجة للعب على كل من الأصابع البيضاء والسوداء حتى يتحقق التناسق وهو الراى الذى نادى به Dr. Kwegyir Aggrey مساعد مدير كلية امير ويلز واول عضو هيئة تدريس افريقى بها والذى كان اول من غرس فى نكروما واشعل فيه فكرة الوحدة الافريقية وعليه فقد وجد نكروما فى مبدا جارفى « افريقيا للافريقيين » هاديا ومرشدا .

انظر : N Krumah, the Autobiography of ..., op. cit. p. 33.

٥١ ـ Vernon Mc Kay. Africa in World Politics. New York & Evanston : Harper & Row, 1936, p. 99.

عن رأى دى بوى فى الشيوعية انظر :

Lesetr, *op.cit.*, Vol. II, pp. 261-296

٥٢ ـ W.E.B. Du Bois, "Pan Africa, 1919-1958," All-African Peoples Conference, News Bulletin, Vol.1 No. 3.

٥٣ ـ من الملاحظ ان حركة العودة لافريقيا ماتت واقعيا بعد اختفاء جارفى من على المسرح ولكن ربما يكون من المفيد الاشارة الى انه عندما قامت حركة القومية السوداء فى الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك فى بداية الستينات رفعت بعض المطالب التى تبع الأفضلية فى اولا : المعاملة الحسنة فى أوطاننا ، والا فثانيا : يقسم الوطن فيما بين البيض والسود والا فثالثا : اعيدونا لافريقيا .

٥٤ ـ ولد جورج بادمور سنة ١٩٠٣ وتوفى فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٩ وقد تربى فى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس التاريخ والعلوم السياسية والقانون .

واسمه الحقيقى مالكوم ايفان ميرديث نورس ıalcolm Ivan M. Nu.

٥٥ ـ انظر اهم كتاباته :

Padmore, Pan Africanism or communism... *op. cit.*, . especially pp. .7-144.

٥٦ ـ Wallerstein, Africa : the Politics of Unity ... *op. cit* ; p. 12

وعن اول واكمل دراسة عن حياة جورج بادمور ونشاطه انظر :

James R. Hooker. Black Revoututionary : George Padmore s Path from Communism to Pan-Africanism. London : Pall Mall Press, 196.

لمزيد من المعلومات عن تجربته فى الاتحاد السوفيتى انظر ص ١٠ ـ ١٦

٥٧ ـ Padmore, *op. cit.*, p. 379.

٥٨ ـ Benot,*op. cit.*, pp. 117-9.

٥٩ ـ عن التطورات فى حركة الوحدة الافريقية راجع ديكرين ، مرجع سابق ، ود. عودة ، مرجع سابق .

٦٠ ـ Wallerstein, Africa : the Politics of Unity ... op cit. pp. 11-12.

٦١ ـ ولد فى هايتى ودرس الطب فى باريس وعمل بالدبلوماسية ومثل جمهورية هايتى فى باريس حتى سنة ١٩٦٠ وله مواهب متعددة وكتابات وآراء فى الانثربولوجيا والتاريخ والاجتماع بالاضافة الى تخصصه فى الطب وقد توفى سنة ١٩٦٩ .

٦٢ ـ Decreane, op. cit., pp. 21-2.

٦٣ ـ عن راى سنجور فى الزنوجة انظر :

L.S. Senghor. "What is Negutud.". in Mutiso & Rohio, op. cit., pp. 83-84 & Irving Leonard Markovity. Leop old Sidar Senghar and the Politics of Neguitude. London : Heinemann, 1969. pp. 40-79.

٦٤ ـ على راس هؤلاء

Countee Cullen, Langston Hughes, Claude Mc Kay.

٦٥ ـ Wallerstein, Africa : the Politics of Unity ... op. cit., p. 12.

٦٦ ـ فى اول انشائها اشترك فى تحريرها كتاب معروفون : ايمانويل ايمانويل مونييه ، جون بول سارتر ، البيركامو ، اندريه جيد .

انظر : Decreane, *op. cit.*, pp. 35-7.

٦٧ ـ Jean Price Mars in Pan Af. Reconsidered ...op. cit. p. 19.

٦٨ ـ "The **Atlantic triangle** of influnce"

انظر :

G. Shepperson. "Notes on Negro American Influences on the Emergence of African Nationalism." Journal of African History, Vol. I No. 2, Cambridge Univ. Press, 1960.

٦٩ ـ انظر النص فى : Hooker. *op. cit.* pp. 28-9

٧٠ ـ Anthony Sampson. Common sense about Africa. New York : the Mac millan Company, 1962, p. 73.

٧١ ـ انظر :
Wallerstein. Africa : the Politics of Unity, *op. cit.* p. 7.

٧٢ ـ كما قال دى بوى فان هذا المؤتمر قد أدخل كلمة الوحدة الافريقية "Pan-African" فى القواميس لأول مرة .

انظر :
W.E.B. Du Bois. The World and Africa : New York : Viking, 1947, pp. 7-8

٧٣ ـ انظر : Hooker, *op. cit.*, pp. 29-30.

٧٤ ـ من المصادر الأساسية عن المؤتمر الأول ما كتبه ولترز ـ الذى راسه ـ انظر :
Bishop Alxander Walters. My life & Work. New York . Revel, 1971.

عن القرارات انظر ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ .

وعن المؤتمر انظر : Hooker, *op. cit.*, pp. 28-38

٧٥ ـ Legum. *op. cit.*, p. 24

٧٦ ـ عن راى دى بوى هذا وآرائه الاخرى فى المرحلة الاولى من حياته ونشاطه انظر :
W.E.B. Du Rois. The Souls of Black Folk. Chicago. Mcllurg, 1903, and Lester *op. cit., Vol. I.*

٧٧ ـ Hooker, *op. cit.*, p. 29.

٧٨ ـ عن النص .. انظر المرجع السابق ص ٣٧ .

٧٩ ـ لمزيد من المعلومات عن تطور حركة الوحـدة الافريقية واطارها التنظيمي انظر :

J. Ayodele Langley. Pan-Africanism and Nationalism in West Africa 1900-1945. Oxford Studies in Arrican Affairs. London : Oxford at the Clarendon Press, 1973.

٨٠ ـ عن ظروف عقد المؤتمر وراى دى بوى فيه انظر :

The Crisis, Nov. 1921, Vol. XXIII pp. 5-10 in Lester, Vol. II *op. cit.* pp. 196-9.

٨١ ـ بليزديان كان افريقيـا من المستوعبين فى الثقافة الفرنسية وكان يقول عن نفسه « أنا فرنسى أولا وزنجى بعـد ذلك » . وهذا شأن غـيره من المستوعبين ثقافيا .

ومن اقواله ايضا : « نحن فرنسيو افريقيا نرغب فى أن نظل فرنسيين لأن فرنسا اعطتنا الحرية وتقبلتنا بدون تحفظ كأبنائها الأوروبيين » .

٨٢ ـ عن قائمة بأسماء الدول المشتركة وعدد أعضاء كل منها انظر :
Lester, Vol. II, op. cit., p. 190-1

ولمزيد من المعلومات عن بليزديان انظر :

La revue indigène, No. 151 Juillet-Sept. 1921 and No. 167 Nov., Dec. 1922, and G. W. Johnson, in Africa No. 3, 1966.

٨٣ ـ عن قرارات المؤتمر انظر :

Du Bois, The world and Africa. *op. cit.*, pp. 11-12.: انظر النص فى
The Crisis, April1919 in Lester, Vol. II, *op. cit.*, pp. 193-6

٨٤ ـ Logan, *op. cit.*, p. 42.

٨٥ ـ The Crisis, April 1919, in Lester, *op. cit.*, Vol. II p. 193.

٨٦ ـ انظر : Decraene, *op. cit.*, p. 25.

٨٧ ـ انظر مانيفستو المؤتمر الثانى للوحدة الافريقية المنعقد سنة ١٩٢١،
The Crisis, Nov. 1921, Vol. XXIII pp. 5-10 in Lester, Vol. II *op. cit.*, pp. 199-205.

٨٨ ـ McKay, *op. cit.*, p. 99.

٨٩ ـ انظر : Lester, Vol. II., *op. cit.*,

٩٠ ـ عن تحول بادمور وزملائه انظر :
Hooker, *op. cit.*, pp. 32-57.

٩١ ـ يذكر لوجان زميل دي بوى أن الاخير طلب منه نتيجة انشغاله بان يعمل سكرتيرا تنفيذيا للمؤتمر المرتقب فى تونس . كما ذكر انه الح على دى بوى مرارا للدعوة لمؤتمر جديد للوحدة الافريقية ولكن دون جدوى . انظر
Logan. *op. cit.*, p. 45.

٩٢ ـ Du Bois. Dusk of Dawn, *op. cit.*, pp. 279-280.

٩٣ـ عن راى نكروما انظر N Krumah, Autobiography, *op. cit.*, P. 41.

وانظر راى بادمور فى :
Padmore, Pan-Africanism or Communism, *op. cit.*, p. 155.

٩٤ ـ «The International African Friends of Ethiopia-IAFA»

يوضح بلايدن وهو من الرواد الاوائل للوحدة الافريقية ان كلمة اثيوبيا تعنى القارة باكملها وعليه فان كلمة اثيوبيين تعنى الشعوب الافريقية اى الجنس العظيم الذى يسكن تلك القارة . وان هذا المعنى هو ما قصده الانجيل والكتب القديمة .

انظر خطابه امام جمعية الاستيطان الامريكية فى مايو سنة ١٨٨٠ :
Edward W. Blyden. «Ethiopia stretching out her hands unto God ; or Africa's Service to the world», in Mutiso and Rohio, *op. cit.*, p. 3.

٩٥ ـ من الشخصيات الافريقية الأخرى التى لمعت فيما بعد والتى حضرت المؤتمر بل ونشطت فيه نذكر على سبيل المثال الزعيم اكينتولا الذى عمل رئيسا لوزراء الاقليم الغربى فى نيجيريا ، ووالاس جونسون ـ زعيم الحركة النقابية فى سيراليون ، ودكتور روفائيل أرماتوى ـ شاعر توجو ، وبيتر ابراهامز قصاص وشاعر جنوب افريقيا الذى عمل مثل بادمور وجيمس على مهاجمة الشيوعية وادارة ظهره لها . وكذلك ماركو هولولى ممثلا عن المؤتمر الوطنى الافريقى . أما الدكتور ازيكو الذى اسهم كثيرا فى نمو الحركة فلم يستطع الحضور وأرسل نيابة عنه ماجنوس ويليامز .

٩٦ ـ انظر Padmore, *op. cit*,. pp. 152 — 170 and NKrumah, *op. cit.*, pp. 52-56 See also, Legum, *op. cit.*, pp. 31—32.

٩٧ ـ Decraene, *op. cit.*, p. 30.

٩٨ ـ وهو الذى نتج عن تصريح مشترك للرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل بعد اجتماعاتهم فى منتصف اغسطس سنة ١٩٤١ وقد أوضح أسس الوضع الدولى فيما بعد الحرب ومن أهم ما تضمنه من بنود : احترام حقوق كافة الشعوب فى اختيار شكل الحكومة التى يعيشون فى ظلها .

٩٩ ـ Wallerstein, Africa : the Politics of Indendence ... ..., op. cit., p. 103.

١٠٠ ــ كان راى نكروما منذ اقامته للدراسة فى الولايات المتحدة الأمريكية ان وحدة غرب افريقيا متطلب ضرورى لحركة وحدة افريقية لتحــرير القــارة باكملها .

انظر : Nkrumah, Autobiography, *op. cit.*, p. 44.

١٠١ ــ Decraene, *op. cit.*, p. 33.

١٠٢ ــ اخذ بهذا الراى الكثيرون وعلى راسهم كولن ليجوم الذى لم يفرق بينهما Legum. op. cit., p. 31.

١٠٣ ــ انظر قرارات المؤتمر فى المرجع السابق ص ١٣٥ ــ ١٣٧ والنص واضح على وجه الخصوص فى الاعلان الخاص بالشعوب المستعمرة الذى تضمنته الفقرة الثالة من قرارات المؤتمر .

١٠٤ ــ انظر Decraene, op. cit., p. 34.

١٠٥ ــ يرى البعض ان حركة الوحدة الافريقية فى شكلها الأولى فى مرحلتها الأولى بدات فى مصر وذلك فى شكل مجهودات دوس محمد على وان كنا لا نوافق تماما على هذا الراى لعدة أسباب على راسها ان دوس محمــد على مثــل رايا شخصيا وليس حركة عامة اى كان رايه ومجهوداته قاصرة عليه . من ناحيــة أخرى فانه لم يــكن مصريا خالصا بل كان من اصــل سودانى وكانت آراؤه عنصرية وبالتالى لم تلق صدى فى مصر التى لم تتبن فى المــاضى أو فى الحــاضر الدعوة العنصرية ومن ثم كانت معارضتها أو على الأقل فتورها تجــاه حركة « الزنوجة Negritude» .

والتضامن الافريقى فى راى مصر قصد به تضامن حوض النيل وهى نظرة تقليدية منذ عهد الفراعنة .

لمزيد من المعلومات عن دوس محمد على ، انظر : د. عبــد الملك عودة ، سنوات الحسم فى افريقيا ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ ص ٢٦٧ ــ ٢٧٧ .

١٠٦ ــ أوضح الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة ان دوائر السياسة الخارجية المصرية هى ثلاث دوائر اساسية وهى :

الدائرة العربية والدائرة الافريقية ودائرة الدول الاســلامية وفقا لهــذا الترتيب . وقد ذكر : « اننا لن نستطيع بحال من الأحوال ــ حتى لو اردنا ــ ان نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى اعماق افريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين . لا نستطيع لسبب هام وبديهى هو اننا فى افريقيا . ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله ... » .

انظر جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، مصلحة الاستعلامات (د . ت) ص ٥٢ ــ ٥٣ ــ ونفس الشىء اكده الرئيس محمــد انور الســادات فى « ورقة اكتوبر » حيث أوضح ان هناك ثلاث دوائر هى العربية والافريقية وعدم الانحياز .

١٠٧ ـ تولت مصر الزعامة فى تحقيق مؤتمرات التضامن الافريقى ـ الآسيوى فمصر هى الدولة الوحيدة فى افريقيا التى يقع جزء منها فى آسيا وهى بالتالى تمثل حلقة الاتصال بين القارتين اما غانا فى ظل نكروما فقد تجاهلت هذه الحركة بمعنى أنها لم تلق منها التأييد الحقيقى على زعم أن حركة تحرير افريقيا لا تحتل الا اهتماما هامشيا عند الآسيويين بالنسبة للمشاكل الدولية انظر :

Pan-Africanism Reconsidered, op. cit.

١٠٨ ـ عن آراء نكروما فى الوحدة الافريقية انظر :

Kwame Nkaumsh. Africa must Unite. London : Heinemann Educa-

Books Ltd., 1963.

١٠٩ ـ Legum *op. cit.*, pp. 38—39

انظر ايضا Padmore, *op. cit.*, p. 178.

١١٠ ـ فى تحليل للأجناس والاجابة على كثير من التساؤلات المثارة بشأن الزنوج انظر

UNESCO. The Race concept. Results of an Inquiry. Paris : UNESCO, 1951.

قائمة المراجع

اولا ـ المراجع العربية :

- ايهاب زكى سرور ، تطور الوحدة الافريقية ـ رسالة دكتوراه ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ١٩٦٩ .
- بطرس بطرس غالى (دكتور) ، منظمة الوحدة الافريقية . القاهرة : مكتبة الانجلو ، ١٩٦٤ .
- ـــــــــــــ ، الحركة الأفرو آسيوية . القاهرة : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٩ .
- ـــــــــــــ ،العلاقات الدولية فى اطار منظمة الوحدة الافريقية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ .
- عبد الملك عوده (دكتور) ، فكرة الوحدة الافريقية . القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٦ .

ثانيا ـ المراجع الأجنبية :

المؤلفات :

— Adekunle, Ajala, Pan Africanism : Evolution, Progress & Prospects. London : André Deutsh ltd, 1974.

— Bénot, Yves. Idéologies des Independances Africaines. Paris : Francois Maspero, 1969.

— Cronon, Edmund David. Black Moses : The Storey of Marcus Garvey & the Universal Negro Improvement Association. Madison : The University of Wisconsin Press, 1955.

— Delany, M.R. Official Report of the Niger Valley Exploring Party. New York, 1861.

— Decraene, Philippe. Le Panafricanisme, Paris : Presses Univrserstiaires de France, 1970.

— Du Bois, W.E.B. Dusk of Dawn. New York : Harcourt, Brace & Co., 1945 (reprinted by Schocken Books, New York, 1968).

— Du Bois, W.E.B. The World & Africa. New York : Viking, 1947.

— ——————, The Sould of Black Folk. Chicago : Mcllurg, 1903.

— Griffith, Cyril E. The African Dream : Martin R. Delany & the Emergence of Pan-African Thought. University Park & London : The Pennsylvania State Univ. Press, 1975.

— Hooker, James, Black Revolutionary : George Padmore's Path from Communism to Pan Africanism. London : Pall Mall Press 1967.

— ——————, Henery Sylvester Williams : Implrial Pan-Africanist. London : Rex Collings, 1975.

— July, R.W. The Origins of Modern Africain Thought. London : Faber & Faber, 1968.

— Langley, J. Ayodele. Pan-Africanism & Nationalism in West Africa 1900 - 1945. Oxford Studies in African Affairs. London : Oxford at the Clarendon Press, 1973.

— Lester, Julius (ed.). The Seventh Son : The Thought & Writings of W.E.B. Du Bois., Vol. I & III New York : Vintage Books, 1971.

— Legum, Colin. Pan Africanism: A Short Political Guide. New York: Frederick A. Praeger, 1962.

— Lewiss, William H., New Forces in Africa. Washington : Public Affairs Press, Library of Congress, 1962.

— Lunch, Hollis R. Edward Wilmost Blydeno. 1832-1912 : Pan Negro Patriot. London: Oxford Univ. Press, 1967.

— Mckay, Claud. Selected Poems of Mckay. Twayne, New York, 1959-1961.

— Mutiso, Gideon-Cyrus M., & Robio, S.W., (eds.). Readings in African Political Thought. London: Heinemaun, 1975, pp. 3-18.

— Minogue, Martin & Molloy, Judith, (eds.). African aims & attitudes: Selected Documents. London: Cambridge Uiv. Press, 1974.

— Nkrumah, Kwame. Ghana : The Autobiography of Kwame Nkrumah. Edinburgh & New York: Nelson, 1957.

— ——————, African must Unite. London. : Heinemenn Educational Books Itd., 1963.

— Padmore, George. Pan Africanism or Communism? The Coming Struggle for Africa. London: Dennis Bobson, 1956.

— Sampson, Anthony. Common sense about Africa. New York: the MacmillanCompany, 1962.

— Shepperson, G. & Price, T. Independent Africa. Edinburgh: The University Press, 1968.

— Walkerstein, Inmanuel. Africa : The Politics of Independence. New York: Random House, 1961.

— ——————, Africa : The politcs of Unity. London : Pall. Mall press, 1968.

المقالات والدوريات

— Blyden, Edward W. "Ethiopia stretching out her hands unto God ; or Africa's Service to the world" in Mutiso, Gideon Cyrus M. & Rohiru S. W. (eds.), Readings in African Political Thought. London : Heinemamn, 1975. pp. 3-9.

— Cisis, Feb. 1919, Vol. XVII No 4, New York. NAACP. p, 166,

— Du Bois, W.E.B. "Pan Africa, 1919-1958, All African People's Conference, Accra, News Bulletin, Vol. I No 3., 1958.

— "Festival D'Alger : Negritude et Panafricanisme." *Le Mois en Afrique*, 46, Oct., 1969, *pp.* 9-13.

—Mars, Jean. Price, in Pan Africanism, Recnsidured, published by the American Society for the African culture. Calif., Berkeley : Unive. of Calif. Press. 1969.

— La revue indigene, No. 151 Juillet-Sept., 1921 & No V. Dec:, 1922.

— Senghor, L.S. "what is Nepitude" in Mutiso, Gideon Cyrus M. & Rohio, S.W. (eds.) Readings in African Politcal Thought. London : Heinemann, 1975. pp. 83-4.

— Shepperson, G. "Notes on Negro American Influenes on the Emergence of African Nationalisim." *Journal of African History*, Vol. I No 2, Cambridge Uive. Press, 1960.

مدينة عطبرة بالســودان

(دراسة فى جغرافية المدن)

الدكتور شريف محمد شريف
استاذ مساعد بجامعة القاهرة فرع الخرطوم

ATBARA TOWN IN THE SUDAN
(A STUDY IN URBAN GEOGRAPHY)

Atbara town lies on both right banks of the two rivers Nile and Atbara, at the point of their conjunction. According to occupational classification, it is considered the first industrial town in the Sudan. Its population size puts it in the eighth rank among the largest tows of the country, the population of each exceeds forty thousand inhabitants.

The nucleus of Atbara town was a small village, called El Dakhla, lying on the riglt bank of the River Nile. It grew progressively till, at the beginning of the present century, when it lecame a large town with the name Atbara.

According to geographical situation and position, Atbara town became the main centre of the Sudan Railways.

At Atbara, the moded and standera of living is very low. The mojority of the oppulation are labourers. This may count for the irlow standard of living.

Atbara has a young population. Nearly 40 % are under 13 years and 50 % under 18.

A great proporti7n of Atbara population consisis if in-migronts, ; the majority of which are males. The masculinity ratiois 117 males per 100 females. Most of males are in the labour force.

The town is divided into the following disiotricts and sub-districts :

1. *Western Area :*

Hai el Sawdana, Railways area, Hai el Ommal, el Dakhfla el Gadida, el Dakhla el Gadida and el Saiyala.

2. ***Central Area :***

Madani west, Market area, el Morabaat el Gadima, el Morabaat el Shargi and el Hilla el Godida.

3. ***Sauhtiern Area :***

Um Bfoor, el Morada west, el Morada east and el Tilaih.

4. ***Eastern Area :***

El Hassa west, el Hassa east, 1*st* Hassa extension, 2 *nd* Hassa extensioa, el Gala, el Anadi Madani east, 1 *st* Madani extension and 2 *nd* Madani extension.

5. ***Northern Area :***

Central area and Military area. Owing to the rail ways works in the town Atbara is still expanding.

تمهيـــد :

إن مدينة عطبرة التى أشتهرت بين أهل السودان بأنها « مدينة الحديد والنار » إشارة إلى ما تحويه من « ورش السكك الحديدية » ، تعتبر من أحدث المدن السودانية نشأة وعمرانا ، بل إنها أعظم مركز عمرانى وسكانى بالمديرية الشمالية فى التقسيم الإدارى السابق ، أو بمديرية النيل فى التقسيم الحالى(١) .

وعلى أساس التصنيف الوظيفى للمدن تعتبر عطبرة مدينة نقل ومواصلات (٢) من الدرجة الأولى ، حيث إن السكك الحديدية السودانية قد خلقت هذه المدينة خلقاً حينما كانت خطوطها تمتد مع مطلع القرن الحالى فى مختلف أنحاء البلاد ، قادمة إلى عطبرة من وادى حلفا فى الشمال ، أو متجهة إلى بور سودان و سواكن فى الشرق ، أو مارة بهذه المدينة عبر نهر عطبرة متجهة صوب الجنوب تجاه الخرطوم

---

(١) صدر قرار جمهورى فى مايو ١٩٧٤ بالتقسيم الإدارى الجديد للسودان (خمس عشرة مديرية) وبمقتضى القرار قسمت المديرية الشمالية الى مديريتين: إحداهما فى الأجزاء الشرقية منها باسم مديرية النيل وعاصمتها الدامر ، والأخرى فى بقية أجزاء المديرية القديمة وقد احتفظت بأسم المديرية الشمالية وعاصمتها دنقلا .

(٢) جمال حمدان (١٩٦٤) – المدينة العربية . ص ص ٥٥–٥٧

عاصمة البلاد . وبذلك أتيح لهذه المدينة بموقعها الجغرافى أن تكون المركز الرئيسى للسكك الحديدية بالسودان ، حيث استقرت بها رئاسة السكك الحديدية وأنشئت معها « ورش » للاصلاحات وللصيانة ، كما أقيمت المخازن والمنشآت الخاصة بالسكك الحديدية . وانجذبت إلى المدينة أعداد كبيرة من العمال والصناع والموظفين حتى أصبحت عطبرة من أكبر المناطق الصناعية والعمالية فى البلاد .

ورغم حداثة هذه المدينة فقد استأثرت بالأهمية السكانية والعمرانية متفوقة فى ذلك على مختلف العواصم الإدارية فى إقليمها . ومن أمثلة هذه العواصم « بر بر » ذات الدور التاريخى ، حيث كانت ملتقى[1] لطرق القوافل المتجهة إلى مصر أو القادمة منها عبر صحراء العطمور ، وكذلك الطرق البرية بين النيل والبحر الأحمر. كذلك فإن «الدامر» رغم إتخاذها عاصمة للمديرية (الشمالية سابقاً والنيل حاليا) ، لأسباب خاصة[2] ، لاتزال أقل من مدينة عطبرة سكاناً وعمراناً ، وإن تكن لها أهمية روحية تتمثل فى كونها مركزاً لطائفة المجاذيب حيث دفن بها فقيه الدامر الشيخ محمد المجذوب عام ١٨٢٦[3] .

أما على أساس الحجم الذى يقصد به عدد سكان المدينة ، والذى له أهمية كبيرة فيما يختص بوزن المدينة ، بوصفه مقياسا عاما ، فإن مدينة عطبرة تحتل غالباً المرتبة الثامنة بين مدن السودان الكبرى التى يزيد عدد سكان كل منها على أربعين ألف نسمة . وهذه المدن الكبرى هى على الترتيب : أم درمان (١٨٥٣٨٠ نسمة) والخرطوم (١٧٣٥٠٠ نسمة) والخرطوم بحرى (٨٠٠١٠ نسمة) وبور سودان (٧٨٩٤٠ نسمة) وكسلا (٦٨١٣٠ نسمة) وود مدنى (٦٣٦٦٠ نسمة) والأبيض (٦٢٥٦٠ نسمة) ثم عطبرة (٤٨٢٥٠ نسمة) والقضارف (٤٥٠٩٠ نسمة)[4] .

والجدير بالذكر أن مدينة عطبرة قلما تناولتها الدراسات العلمية كمركز

---

(١) الصياد وسعودى (١٩٦٦) – السودان – ص ١٩٢

(٢) يقال إنها الخلاف الذى دب بين مدير المديرية ومدير السكك الحديدية على أولوية كل منهما فى البروتوكول (الصياد وسعودى فى كتاب السودان ١٩٦٦ – ص ١٩٢) .

(٣) نفس المكان .

(4). Population and Housing Survey, 1964/66, General survey of the Urban Areas, Oct. 1968, Table A.1, pp. 41 - 43.

عمرانى هام ، ولم تتطرق إليها الابحاث بالأهمية التى تطرقت بها إلى سواها من المدن الكبرى ولا سيما مدينة الخرطوم بوصفها عاصمة للسودان . ولذلك كان جمع المادة العلمية عن مدينة عطبرة تكتنفه صعوبات جمة . وكان لابد من دراسة ميدانية لهذه المدينة فى واقعها الطبيعى وكيانها البشرى ، إلى جانب ما دون عنها فى أشتات التقارير والمدونات المنشورة وغير المنشورة ، ليمكن فى هذه الدراسة الجمع بين المنهج الوصفى من ناحية والمنهج الإحصائى من ناحية أخرى فى منهج تطبيقى (١).

الخصائص الطبيعية للمدينة :

(١) الموقع والموضع :

تقع مدينة عطبرة فلكيا عند ملتقى دائرة العرض ٤٢َ — ١٧ْ شمالاوخط الطول ٥٨َ — ٣٣ْ شرقا(٢)، وطبيعياً على الضفة اليمنى لنهر عطبرة عند نقطة التقائه بنهر النيل الرئيسى . أما منسوب المدينة فانه نحو ٣٤٥ متراً فوق مستوى سطح البحر (٣).

وللموقع الجغرافى لمدينة عطبرة مميزات عديدة منها أنها تقع عند التقاء للنيل الرئيسى بآخر رافد له تجاه الشمال ، وهذا يجعلها آخر مدينة مقرنية فى تتابع الجريان النيلى ، فضلا عن كونها بداية للنطاق الصحراوى الكبير الذى لا رافد فيه النيل .

ومن جهة أخرى فان طبيعة الجريان النيلى فى إقليمها جعل موقع المدينة أبعد أجزاء الأقليم تجاه الشرق ، الأمر الذى جعل مدينة عطبرة أقرب المراكز العمرانية على النيل الرئيسى إلى بور سودان وسواكن . ولذلك اختيرت بداية للخط الحديدى الواصل إلى بور سودان ، حيث المنفذ البحرى للسودان إلى العالم الخارجى . ولم تلبث مدينة عطبرة أن أصبحت عقدة مواصلات جيدة تربط إقليمها

---

(١) اعتمدت فى منهج الدراسة على المراجع الآتية : —

أ — كتاب « جغرافية الحضر » للدكتورين محمد السيد غلاب ويسرى الجوهرى الاسكندرية ١٩٧١

ب — كتاب « جغرافية المدن » الدكتور جمال حمدان — القاهرة ١٩٧٢

جـ — رسالة الدكتوراه غير المنشورة (نسخة إنجليزية) للدكتور السيد البشرى بجامعة الخرطوم وموضوعها « مدينة الخرطوم : تحليل اقتصادى واجتماعى » مقدمة إلى جامعة لندن عام ١٩٧٠ .

(2). Sudan Meteorlogical Dept. Atbra Climatological Normals, 1941 - 1970.

(3). Loc. Cit.

بمختلف أجزاء السودان بالخطوط الحديدية فضلا عن الطرق البرية والخطوط الجوية ، مما أهلها لأن تكون بحق المركز الرئيسى للسكك الحديدية بالسودان(*) ويبلغ طول الخط الحديدى الذى يصلها بالخرطوم ٣١٠ من الكيلومترات ، والذى يصلها ببورسودان ٤٧٤ كيلومتراً والذى يصلها بوادى حلفا ٦١١ كيلومتراً(١).

وتعتبر مدينة عطبرة أهم المراكز العمرانية فى إقليمها إذ تتوسط الإقليم بينما تقع بينها وبين بربر ٣٦،٨ كيلومتراً ، وبينها وبين الدامر ١٢ كيلومتراً ، وبينها وبين شندى ١٣٦ كيلومترا (٢) .

ومدينة عطبرة أشبه فى موقعها بمدينة الخرطوم بحرى إن كلا منهما على الضفة اليمنى لأحد روافد النيل ، وتحف بها الضفة اليمنى للنيل الرئيسى شاغلة الركن الشمالى عند ملتقى النهرين .

والجدير بالملاحظة أن مدينة عطبرة نشأت على ضفة النهر مستطيلة الشكل(٣)، طولية الامتداد ، شأنها فى ذلك شأن المدينة الحديثة بالسودان على ضفاف أنهاره ، إذا تبدأ فى أولى مراحلها التطورية مستطيلة على ضفة النهر ثم تصل فى طريق نموها إلى مرحلة الانفجار التطورى الذى يبتعد باتجاه النمو إلى الخارج بعيداً عن ضفة النهر . ومدينة عطبرة تشبه فى ذلك مدن أم درمان والخرطوم وودمدنى ووادى حلفاً و دنقله وسنار .

ولئن كانت مدينة عطبرة ينطبق عليها مبدأ استقطاب النيل لمراكز العمران فى المناطق الجافة وشبه الجافة ، فان طبيعة امتداد السكك الحديدية بالسودان خلقت منها مدينة ذات أهمية عمرانية كبرى .

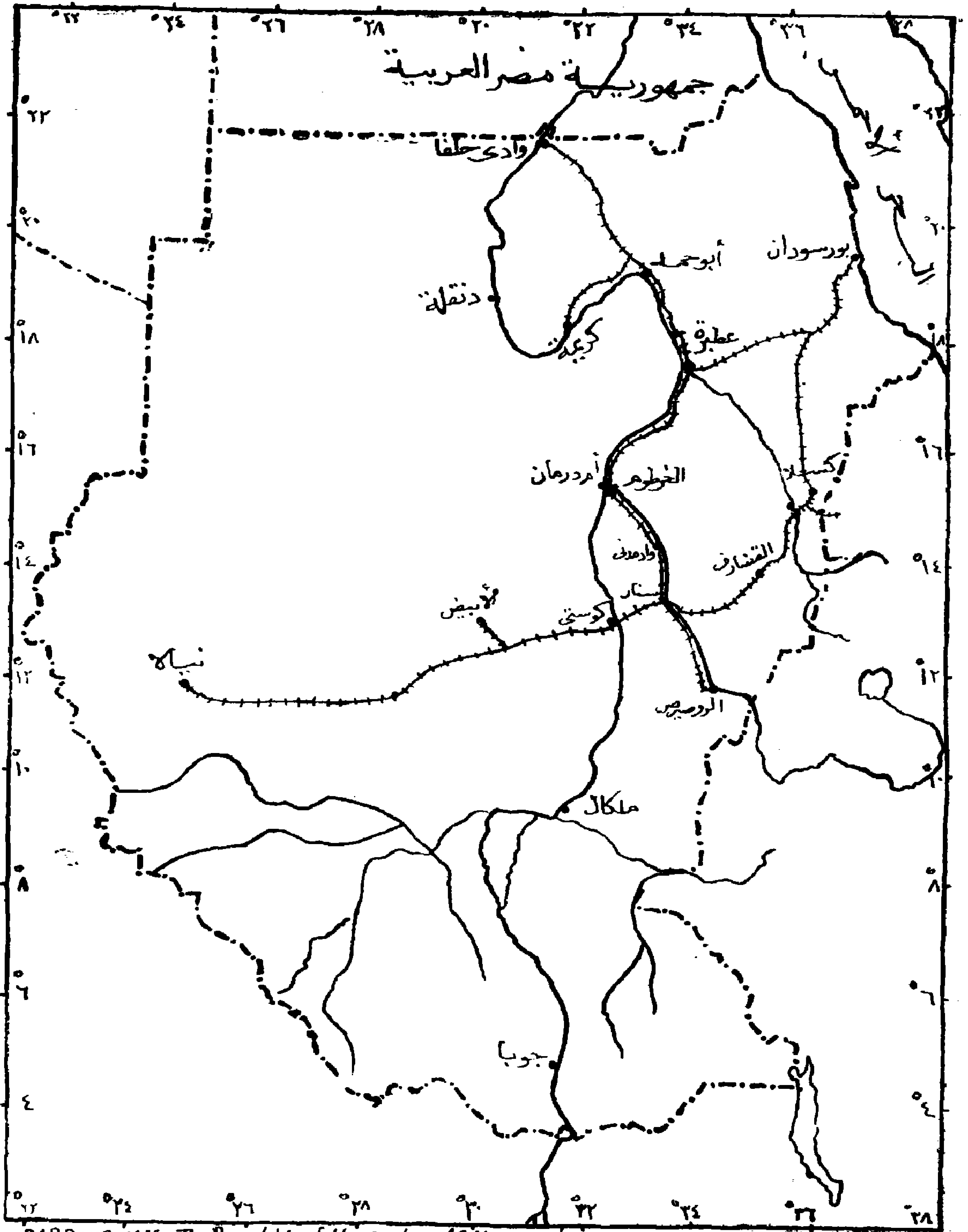
أما من حيث الموضع فإن الأرض فى موضع المدينة تبدو شبه مستوية ، ولكنها ترتفع قليلا فى أجزائها الشرقية والشمالية . وقد نتج من ذلك ظهور أخوار فى هذه

(*) أنظر الخريطة فى الشكل رقم (١)

(1) .March, G.F., "Transport in the Sudan, in Tathill, J.D., "Agriculture in the Sudan,, London, 1952, p. 179.

(2). Sudan Almanac, 1970 / 1971., p. 23.

(٣) صلاح مازرى (١٩٦٨) : المدينة السودانية الحديثة » – مجلة الدراسات السودانية – كلية الآداب بجامعة الخرطوم – العدد الأول (يوليه ١٩٦٨) ص ٤٧ .



BARBOUR, K.M., The Republic of the Sudan, 1964

شكل رقم (١)
مدينة عطبرة مركز السكك الحديدية بالسودان

المنطقة كان لها تأثير فى اتجاهات العمران بالمدينة . وأظهر تلك الأخوار ثلاثة ذات اتجاه شمالى جنوبى تصرف ماقد يتجمع فيها من مياه المطر إلى نهر عطبرة . وهذه الأخوار يفصل أحدها حى السكة الحديدية عن بقية الأنحاء الأخرى من من المدينة تجاه الشرق ، بينما يتوسط الثانى منطقة المربعات السكنية ، وأما الخور الثالث فانه يفصل بين قسمى حى الموردة . وهنالك أيضاً ثلاثة أخوار أخرى رئيسية تمتد فى إتجاه شرقى غربى بحيث تصرف ما قد يتجمع بها من مياه المطر إلى مجرى النيل الرئيسى . وثلاثتها تمتد فى شمال غربى المدينة مخترقة قريتى الداخلة والسيالة .

(ب) المناخ :

إن الإقليم الممتد بين مدينتى الخرطوم وأسوان فى حوض النيل يعتبر بوجه عام من أشد أقاليم العالم حرارة (١) ، ومناخه قارى ، حيث يكون الاختلاف عظيماً بين حرارة الصيف وحرارة الشتاء بل بين حرارة النهار وحرارة الليل . وعلى ذلك يتميز المناخ فى مدينة عطبرة بارتفاع درجة الحرارة وخاصة فى فصل الصيف (مايو — سبتمبر) ، ويصل متوسط النهاية العظمى للحرارة فى السنة من واقع المتوسطات الشهرية نحو ٤ر٣٧°م . أما فى فصل الشتاء (ديسمبر — فبراير) فان الحرارة تنخفض ، ويصل متوسط النهاية الصغرى للحرارة فى السنة من واقع المتوسطات الشهرية نحو ٢ر٢٢°م .

أما الرياح السائدة على المدينة فهى الشمالية ، وتهب طول العام فيما عدا شهرى يوليه وأغسطس إذ تهب خلالها الرياح الجنوبية الغربية . ويبلغ متوسط سرعة الرياح فى السنة نحو ٤ر٦ من الأميال فى الساعة (٣ر١٠ كيلو مترات) ، على أن أقصى سرعة لها ٨ أميال (٨ر١٢ كم) فى الساعة ، وأقل سرعة لها ٤ أميال (٤ر٦ كم) فى الساعة .

هذا ، وتثير الرياح كميات هائلة من الأتربة الناعمة بحيث تتعذر الرؤية ، بل قد تمتنع تماماً فى بعض الأحيان .

---

(١) محمد عوض محمد (١٩٤٨) : نهر النيل — الطبعة الثانية — ص ٢١١

أما المطر فانه قليل نوعاً إذ متوسطه السنوى نحو ٩٨ر١ من المليمترات . وفيما يلى بيان بعناصر المناخ فى مدينة عطبرة (*)وهو متوسطات الأرصاد الجوية فى المدة ١٩٤١ — ١٩٧٠ (١) :—

أولا — الحرارة : (بالدرجات المئوية) :

	متوسط النهاية العظمى	أعلى نهاية عظمى	أدنى نهاية عظمى (٢)
ينــاير	٣٠ر٥	٣٩ر٨	٢٠ر٤
فـبراير	٣٢ر٠	٤١ر٧	٢٠ر٥
مارس	٣٥ر٩	٤٤ر١	٢٤ر١
إبريل	٣٩ر٣	٤٦ر٠	٢٦ر٦
مايــو	٤٢ر١	٤٦ر٨	٣٣ر٧
يونيه	٤٣ر٠	٤٦ر٦	٣٥ر٧
يوليه	٤٠ر٤	٤٥ر٦	٣٠ر٥
أغسطس	٣٩ر٤	٤٥ر٢	٣٠ر٠
سبتمبر	٤١ر٠	٤٥ر٣	٣٤ر٢
أكتوبر	٣٩ر٣	٤٢ر٩	٢٦ر٨
نوفمبر	٣٥ر٠	٣٩ر٧	٢٦ر٣
ديسمبر	٣١ر٤	٣٨ر٣	٢٢ر٤
السنة	٣٧ر٤	٤٦ر٨	٢٠ر٤

	متوسط النهاية الصغرى	أعلى نهاية صغرى(٣)	أدنى نهاية صغرى
يناير	١٤ر٧	٢١ر٠	٦ر٦
فبراير	١٥ر٣	٢٣ر٠	٦ر٦
مارس	١٨ر٤	٢٦ر٨	٩ر٨

(*) أنظر الأشكال بأرقام(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥)

(1) Sudan Meteorological Dept., Atbara, Climatological Normals, 1941 — 1970.

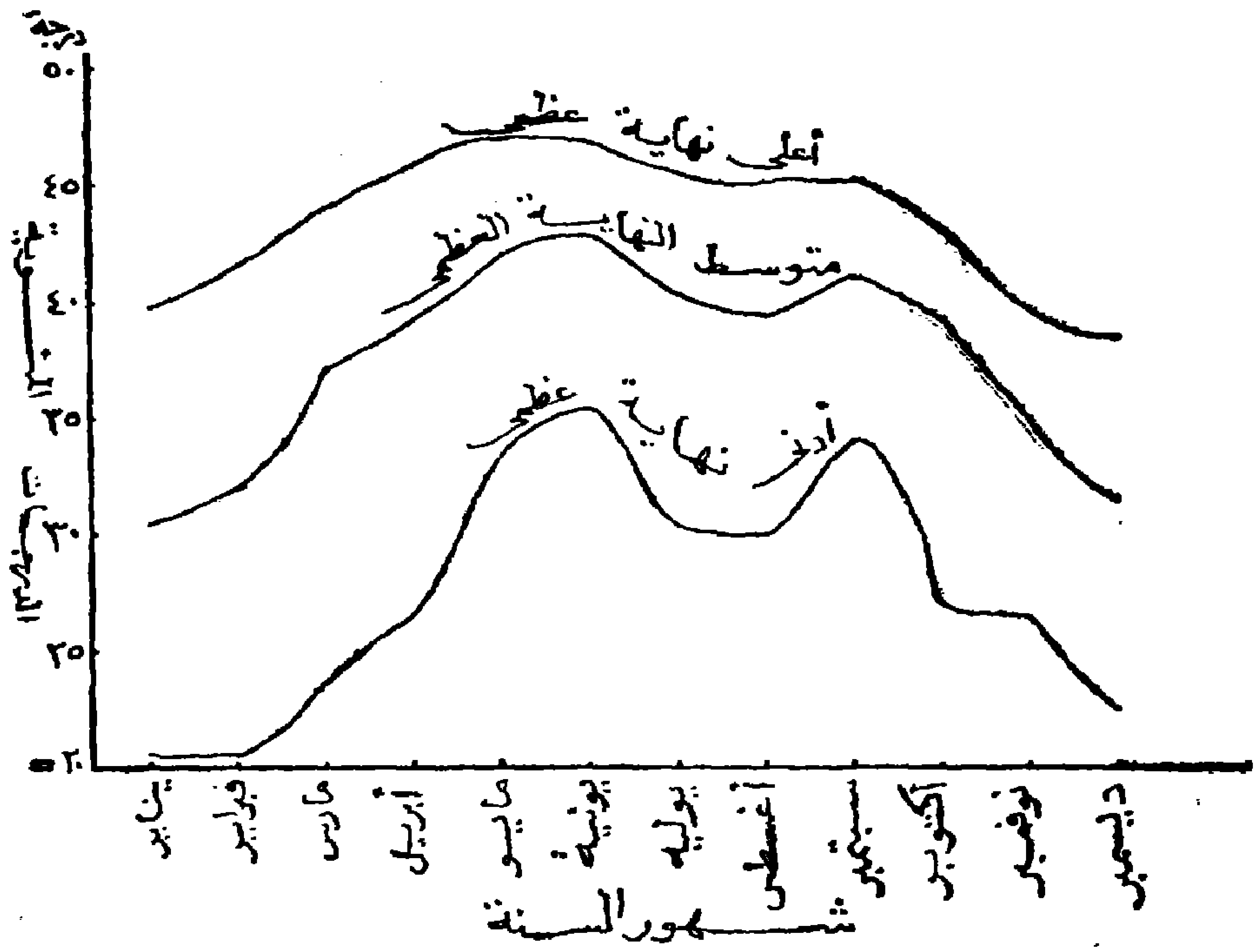
(2) Ibid., Climatological Normals, 1931—1960.

(3) Sudan Met. Dept., ATBARA, Climatological Normals, 1931 — 1960.

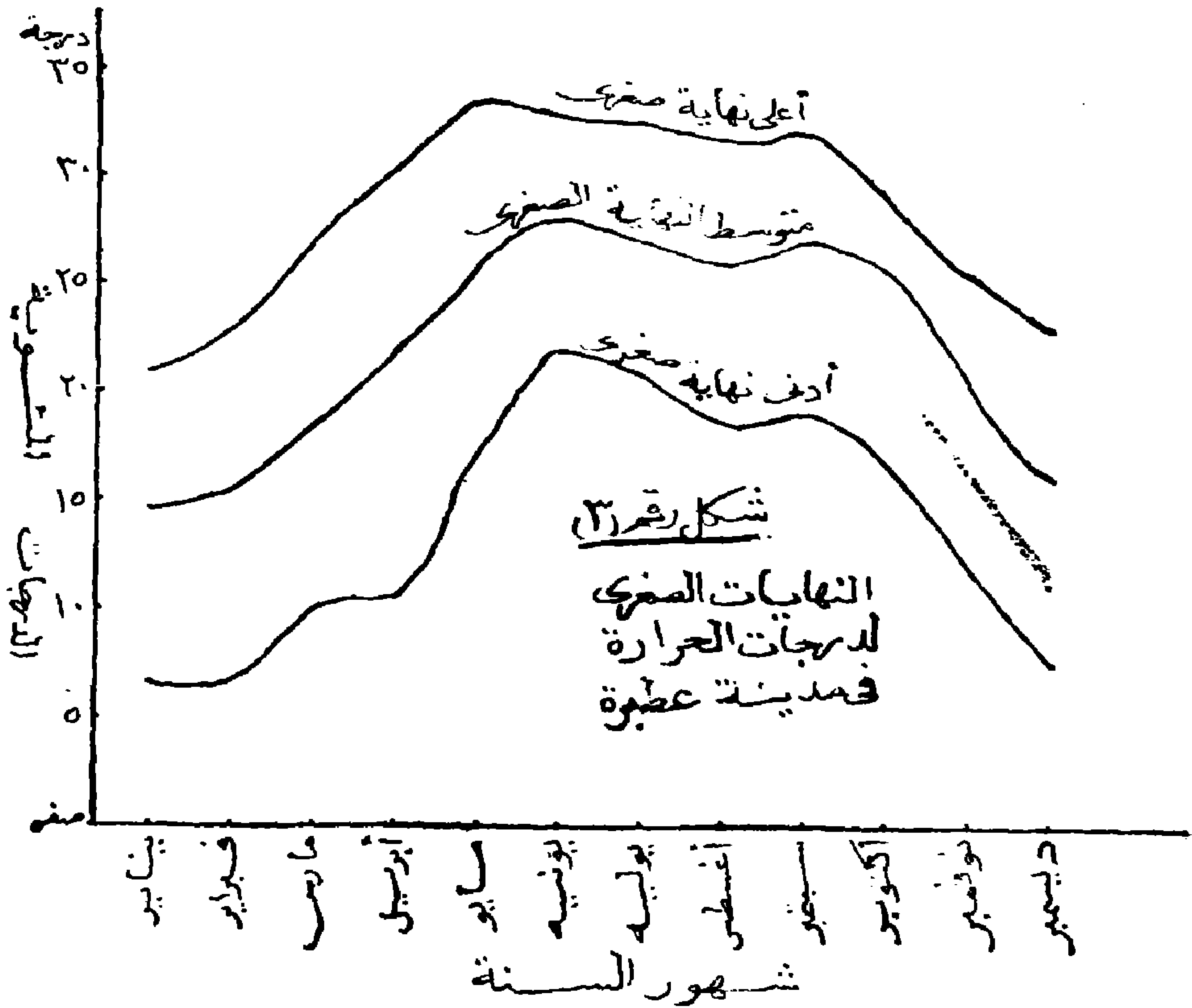
أبريل	٢١٫٩	٣٠٫٦	١٠٫٦
مايو	٢٥٫٨	٣٣٫٤	١٧٫٣
يونيه	٢٨٫٠	٣٣٫٢	٢٢٫٠
يوليه	٢٧٫٢	٣٢٫٥	٢٠٫٩
أغسطس	٢٥٫٨	٣١٫٦	١٧٫٧
سبتمبر	٢٧٫١	٣٢٫٠	١٨٫٩
أكتوبر	٢٥٫٦	٢٩٫٠	١٨٫٠
نوفمبر	٢٠٫٥	٢٥٫٥	١٢٫٠
ديسمبر	١٦٫٠	٢٢٫٧	٧٫٤
السنة	٢٢٫٢	٣٣٫٤	٦٫٦

ثانياً — الرياح والرطوبة النسبية :

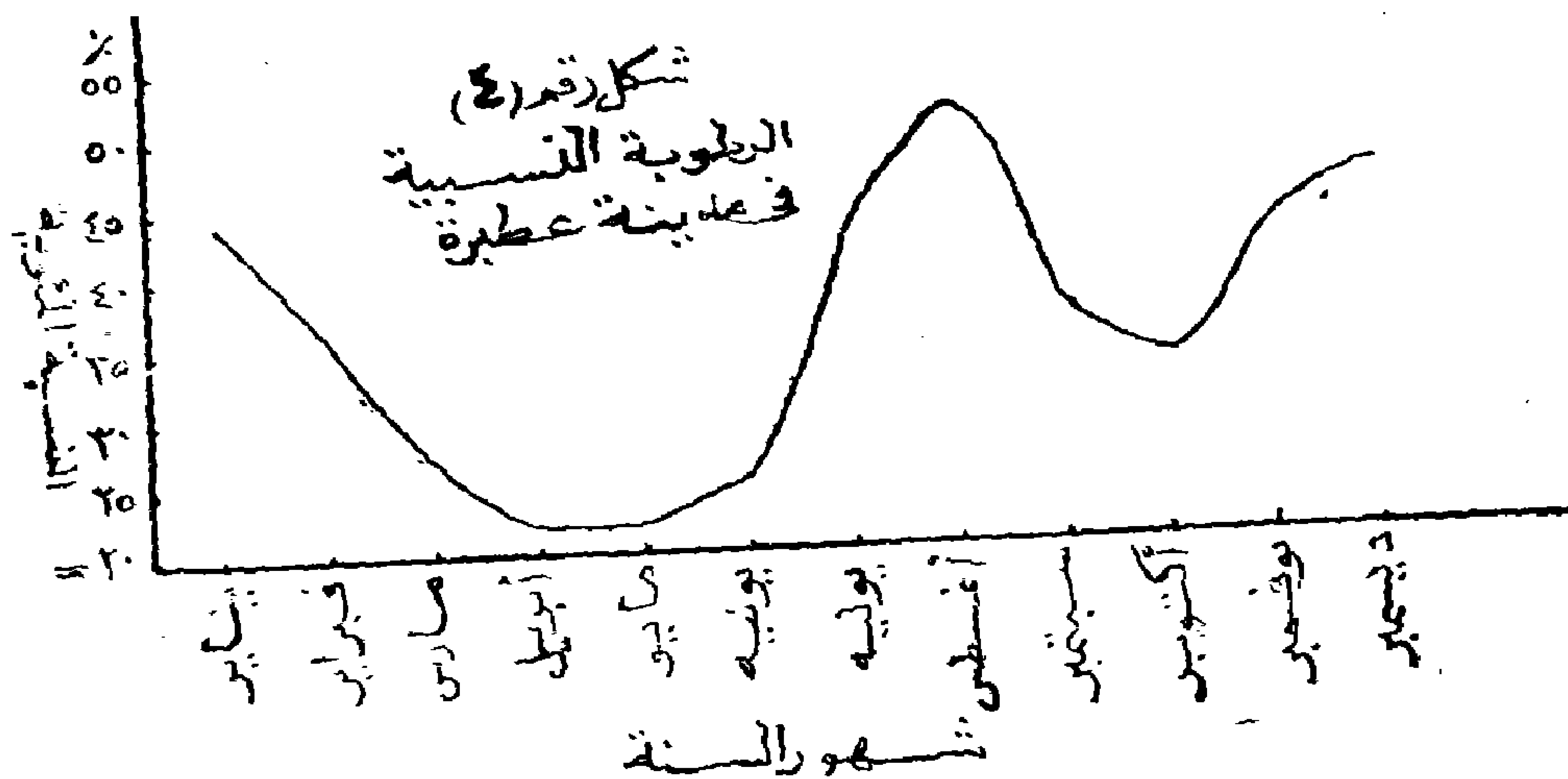
	جهة هبوب الرياح	السرعة (ميل / ساعة)	الرطوبة النسبية (٪)
يناير	الشمال	٨	٤٤
فبراير	«	٨	٣٦
مارس	«	٨	٢٧
أبريل	«	٧	٢٢
مايو	«	٦	٢٢
يونيه	«	٦	٢٥
يوليه	الجنوب الغربي	٦	٤٣
أغسطس	«	٧	٥١
سبتمبر	الشمال	٤	٣٧
أكتوبر	«	٥	٣٣
نوفمبر	«	٦	٤٢
ديسمبر	«	٦	٤٦
السنة	—	—	٣٦

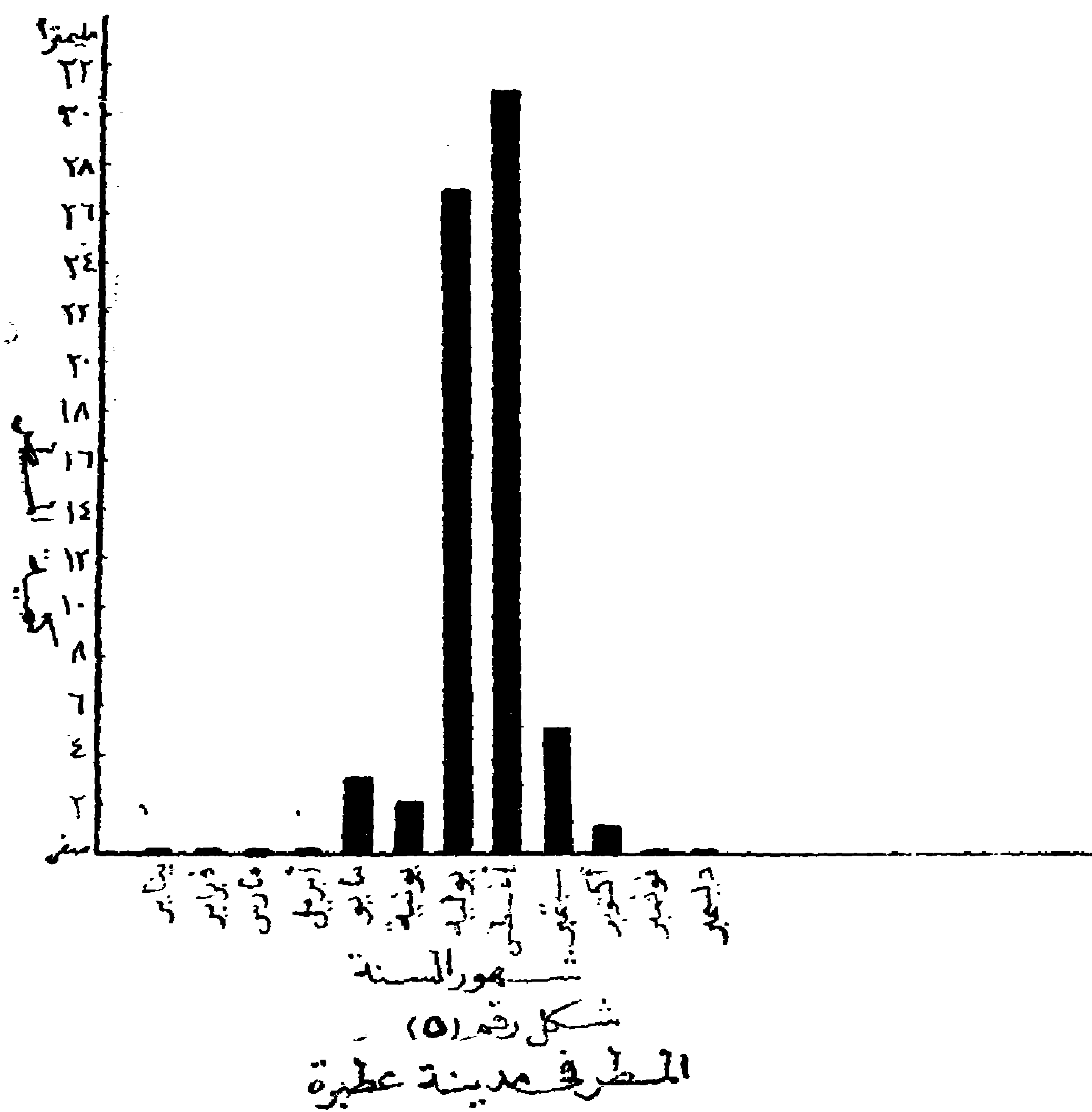


شكل رقم ٢
النهايات العظمى لدرجات الحرارة في مدينة عطبرة



شكل رقم (٣)
النهايات الصغرى لدرجات الحرارة في مدينة عطبرة





شكل رقم (٥)
المطر في مدينة عطبرة

ثالثاً ـ الأمطار : (المجموع بالمليمترات) :ـ

يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	
أثر	أثر	أثر	أثر	٣	٢	
يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
٢٧	٣١	٥	١	أثر	أثر	٦٩

(ج) النبات الطبيعى :

من الصورة المناخية للمدينة وإقليمها يتضح أن السمة الغالبة على هذا الإقليم هى الطبيعة الصحراوية وشبه الصحراوية . ومن ثم تنتشر الأحراش بعيداً عن المجارى النهرية ، خلال بقع من الحشائش القصيرة (الاستبس) الفقيرة . ولكن على ضفاف النيل ونهر عطبرة ينمو نخيل الدوم بكثرة وكثافة ، مما جعل له أهمية تجارية سواء من حيث الأخشاب أو السعف أو الألياف أو الثمار ، حتى لقد استخدم الأهالى أخشاب الدوم فى تسقيف المنازل وصناعة السواقى ، وذلك لوفرتها ورخصها كما استخدموا ألياف الدوم فى صناعة الحبال اللازمة للسواقى وغيرها . ولقد ازدهرت تجارة السعف فى وقت ما لدرجة أنها كانت تنقل إلى أم درمان بالقوارب والمراكب فى أوائل الأربعينيات من القرن الحالى (١) . وأمام التطور العمرانى للمدينة أزيل أغلب النباتات الطبيعية ولا سيما فى المنطقة البعيدة عن ضفاف النهرين ، أى فى النطاق الحالى لمدينة عطبرة .

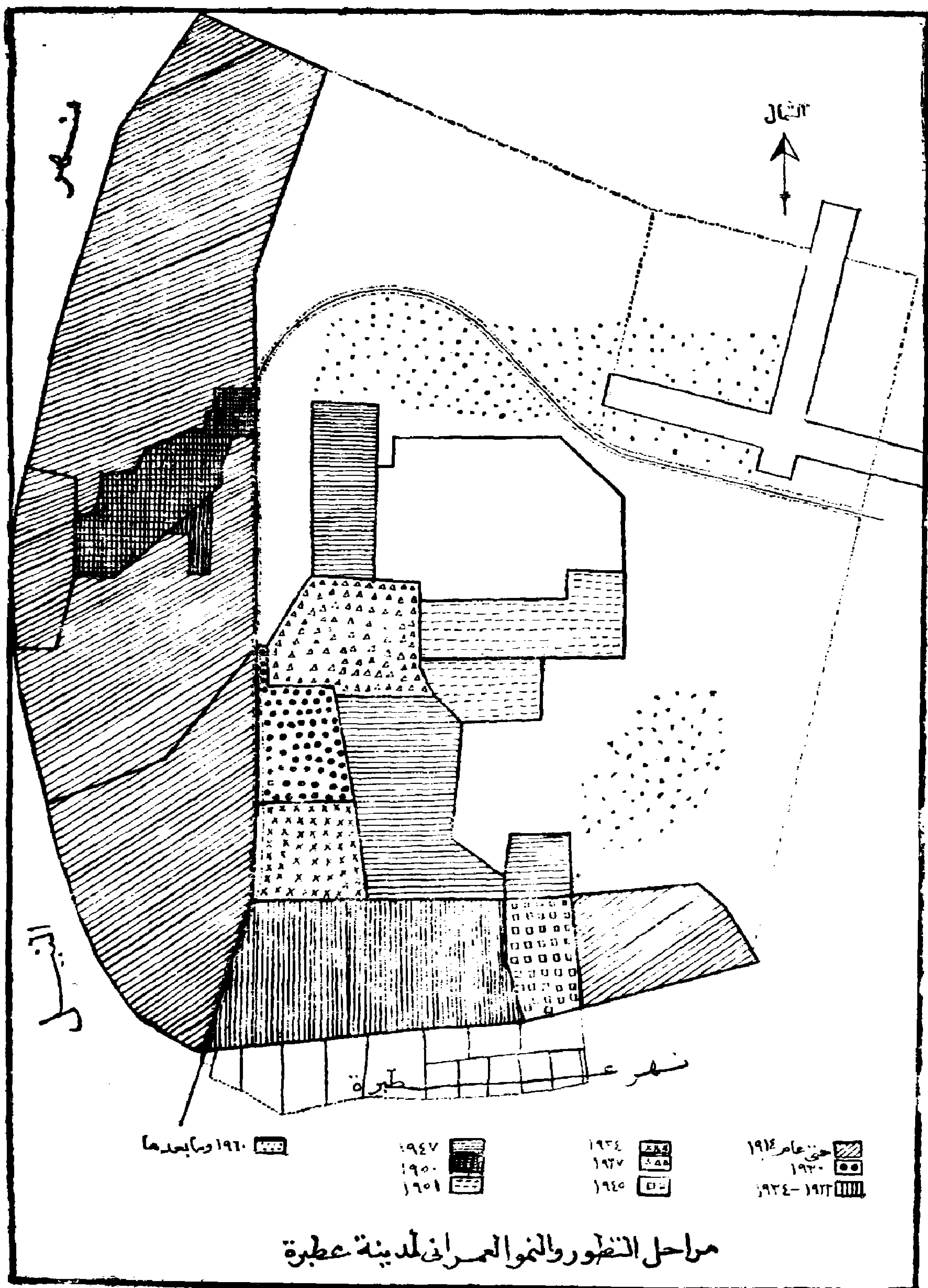
نشاة المدينة وتطورها العمرانى (*):

كانت مدينة عطبرة فى حقيقة أصلها قرية نكرة على الضفة اليمنى للنيل الرئيسى فى منطقة التقائه بنهر عطبرة . تلك هى قرية الداخلة القديمة ، وفى شمالها قرية أخرى أقل أهمية ولا تزال محتفظة بطابعها الريفى وهى قرية السيالة(٢) . وكان العمل الأساسى لغالبية السكان هو الزراعة على ضفتى النيل والعطبرة باستخدام السواقى فى الرى .

(*) أنظر الخريطة بالشكل رقم (٦) .

(١) كتاب محافظ الشمالية برقم N. P./30.B.3 بتاريخ ١٠-٥-١٩٤٢ بشأن نخيل الدوم وأهميته فى التجارة (دار الوثائق المركزية بالخرطوم : ملف رقم N.P. 2/66/656

(٢) عبد الله على حامد (١٩٧٠) : تخطيط المدن فى السودان(رسالة ماجستير لم تنشر) ص٢٣٥



مراحل التطور والنمو العمراني لمدينة عطبرة

شكل رقم (٦)

وإلى جانب الزراعة احترفت قلة من السكان صناعة القوارب من الاخشاب. أما المناطق البعيدة عن ضفتى النهرين والتى يشغلها اليوم معظم مبانى المدينة فقد كانت مليئة بأشجار النخيل.

وباستعراض المراحل التطورية لنمو المدينة يمكن القول أن مدينة عطبرة بدأت نموها من قرية الداخلة كنواة. فلقد وقع الاختيار على هذه القرية لتكون موقعاً حربياً استراتيجياً بعد أن سقطت الحاميات العسكرية فى أبو حمد وبربر ابان إعادة الفتح للسودان عام ١٨٩٨ (١). ولعل السبب فى اختيارها لهذا الغرض هو طبيعة موقعها الهام الذى يجعلها قادرة على عمليات الدفاع حيث تحيط بها المياه من الجنوب والغرب ممثلة فى نهر عطبرة والنيل الرئيسى. ولما وصل الخط الحديدى القادم من الشمال إلى هذا الموقع برزت أهمية تلك القرية وكان ذلك فى اليوم الثالث من يوليه عام ١٨٩٨(٢).

وقد استمر هذا الموقع الحربى على أهميته حتى نهاية العام ذاته (١٨٩٨)، باعتباره النهاية الجنوبية للخط الحديدى، فضلا عن اعتباره أيضاً محطاً نهرياً يستقبل البواخر المحملة بالقوات العسكرية فى طريقها إلى أم درمان، حيث وقعت معركة كررى فى الثانى من سبتمبر عام ١٨٩٨(٣).

وفى العام التالى ١٨٩٩ افتتحت القنطرة الخشبية التى أقيمت على نهر عطبرة، وبدأت فوقها حركة السكك الحديدية، تجاه الجنوب، ثم تمت تقوية القنطرة بتدعيمها وتركيزها عام ١٩١١ لكى تتحمل الحركة الحديثة. وكان الخط الحديدى الذى يربط مدينة عطبرة بميناءى بور سودان وسواكن قد اكتمل فى أكتوبر عام ١٩٠٥(٤).

---

(١) عبد الله على حامد (١٩٧٠) ص ٢٣٦

(٢) Morrice, H.A., The Development of Sudan Communications, SNR. Part I, Vol.XXX, 1949, p.1.

(٣) Barbour, K.M. (1964) The Republic of the Sudan, p. 137.

(٤) موريس (١٩٤٩) ١ ص ١.

ولقد وقع الاختيار على مدينة عطبرة حينذاك (١٩٠٥) (١) لتكون مركزاً لرئاسة السكك الحديدية بالسودان (٢) ، فضلا عن جعلها مركزاً هاماً لأعمال الإصلاح والصيانة لعربات وقاطرات السكك الحديدية فى كافة أنحاء البلاد . وعلى ذلك شيدت مبانى الرئاسة ، ومحطة السكة الحديدية . كما شيد مستشفى عطبرة عام ١٩٠٨ . وإلى جانب مبانى الرئاسة أقيمت « الورش » ومنازل لموظفى السكك الحديدية . وحتى عام ١٩١٤ لم تتجاوز المدينة فى تطورها المنطقة المحصورة بين النيل الرئيسى ومنطقة السكك الحديدية ، مع ملاحظة وجود قريتى السيالة والداخلة إلى الشمال من هذه المنطقة ثم ازداد عدد « الورش » التى شيدت بقصد صيانة الآلات وقطع الغيار ، فترتب على ذلك انجذاب أعداد كبيرة من العمال سواء من ضواحى المدينة الحديثة أو من مختلف الأنحاء بالمديرية الشمالية (آنذاك) .

وفى عام ١٩٢٧ أنشئت بالمدينة عدة مكاتب فضلا عن منطقة للمخازن ، والقوى المحركة ، ومصلحة النقل الميكانيكى ، ورئاسة الشرطة ، والكنيسة عدا منازل لكبار الموظفين .

بعد ذلك ظهرت شرقى منطقة السكك الحديدية منطقة أخرى هى السوق الرئيسية ولم يكن مظهرها تجارياً محضاً بل كانت بمثابة منطقة سكنية لبعض الأجانب العاملين بالسكك الحديدية ، ولكنها لم تلبث أن تحولت بعد عام ١٩٣٠ إلى منطقة تجارية بها عدد كبير من المحال التجارية .

وفى الفترة ١٩٢٣ – ١٩٣٤ إتسعت منطقة السكك الحديدية بتشييد عدد من المنازل للعمال الذين أخذت أعدادهم فى التزايد خلال تلك الفترة . وفى جنوب منطقة السكك الحديدية نشأت مربعات سكنية هى المعروفة بالأرقام ١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ ، وكان معظم سكانها من قرى المديرية الشمالية (حينذاك) .

أما فى جنوب المدينة وبالقرب من نهر عطبرة فقد أنشئت منطقة سكنية بدائية تشغلها مجموعة من الأكواخ عرفت باسم « العشش » ، ثم لم تلبث بعد ذلك أن أطلق عليها إسم « الموردة » بسبب وقوعها بالقرب من « موردة » الخشب على نهر عطبرة .

---

(١) عرف اسم عطبرة فى ذلك الوقت لأول مرة ولا سيما حين أنشئت مبانى الرئاسة للسكك الحديدية فى الفترة ١٩٠٢ / ١٩٠٦ .

(٢) بادبر (١٩٦٤) ص ١٣٧ .

وحتى عام ١٩٣٠ كانت مدينة عطبرة بتلك الصورة تحدها من شرقها خور ممتد من أقصى شمال المدينة حتى يبلغ مجرى نهر عطبرة ، فيصرف فيه ماقد يجرى به من ماء المطر ، ولكنه يعتبر خطاً دفاعياً عن مدينة عطبرة .

أما بعد عام ١٩٣٠ فقد تطلب إزدياد عدد السكان توسعاً عمرانياً للمدينة فنشأت مربعات سكنية أخرى فى المنطقة المعروفة باسم « العشش » . ثم فى عام ١٩٣٧ تجاوز إتساع المدينة الخور الشرقى وبدأت منطقة « الفكى مدنى » فى الظهور ببعض من المنازل ، ولكن العمران بالمدينة توقف متجمداً على هذه الصورة خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، ولم يعاود نشاطه إلا عام ١٩٤٧ ، بعد إنتهاء الحرب ، حينما إتسعت منطقة « الفكى مدنى » وأنشىء حى القلعة شرقى المدينة ، كما ظهرت فى الشمال نواة المنطقة الصناعية وازدادت المربعات السكنية لتشغل جزءاً كبيراً من الأرض الخالية بين بعض المربعات القديمة وحى « الفكى مدنى » .

وعند هذا الحد ينبغى إلقاء نظرة على الخريطة (*) التى تصور مدينة عطبرة عام ١٩٣٩ (١) ، وقد قسمت فيها المدينة إلى قطاعات أربعة بقصد الدفاع عن المدينة ضد الغارات الجوية فى الحرب العالمية الثانية . هذه القطاعات الأربعة فى الخريطة هى :

القطاع رقم ١ : ويشمل الجانب الشمالى الغربى من المدينة ، وتظهر فى شماله قرية الداخلة ، وقرية السيالة على طول ضفة النيل الرئيسى ، كما يقع الحى البريطانى فى وسط القطاع . وتبلغ مساحة القطاع نحو ميل مربع واحد ، ويضم نحو ٧٥٠ موظفاً بالسكك الحديدية فيما يجاور الثكنات البريطانية بجنوب الحى البريطانى . وسكان القطاع بيانهم كالآتى :

٢٣٧ من البريطانيين و ٤٠ من الأوربيين و ٥١٠ من المصريين و ٢٠٠٠ من السودانيين . (المناطق التى بها أعلى كثافة سكانية مظللة بالخريطة) . أما أهم معالم

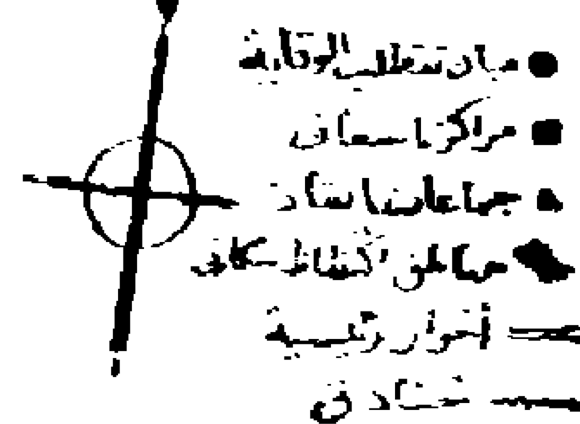
(*) أنظر الشكل رقم (٧)

(١) (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) File No. N.P. 2/47/504. A.R.P. Scheme Atbara,

(هذه الخريطة أقدم خريطة لمدينة عطبرة)

شكل رقم (١٧)

خريطة لمشروع الدفاع عن مدينة عطبرة
ضد الغارات الجوية عام ١٩٣٩
(تقدم خريطة لمدينة عطبرة)
دار الوثائق المركزية بالخرطوم: ملف رقم [N.P.2/47/504



إلى بورسودان

النيل

١

٢

٣

٤

منطقة أكواخ من القش

عطبرة

هذا القطاع فتتمثل فى مكتب تلغراف السكة الحديدية ، ومحطة اللاسلكى ، ومضخات الماء النقى ، وخزان المياه فى الثكنات ، ثم ناد رياضى .

القطاع رقم ٢: ويقع جنوبى القطاع السابق ، وتوجد به أهم « ورش » السكة الحديدية ، وكذلك مخازنها ، فضلا عن محطة لتوليد الكهرباء ومحطة بنزين . وتبلغ المساحة نحو ثلاثة أرباع الميل المربع ، أما عدد السكان فنحو ١٦٠٠ نسمة (المناطق ذات الكثافات السكانية العالية مظللة بالخريطة) . وبالقرب من كوبرى عطبرة شيدت مبان سكنية لرجال « البوليس » قبابية الشكل .

القطاع رقم ٣ : يقع فى الجانب الشمالى الشرقى من المدينة . وفى جنوب هذا القطاع مكاتب الرئاسة للسكك الحديدية . وفى غرب السكة الحديدية بهذا القطاع يقع المستشفى الرئيسى ، ومركز البوليس ، وفى جنوب ذلك يقع السوق الرئيسى لعطبرة . كما يظهر المحلج فى الخريطة كمبنى منعزل بشمال القطاع . أما مساحة هذا القطاع فنحو ثلاثة أرباع الميل المربع ، وعدد السكان نحو ١٣٫٠٠٠ نسمة (المناطق ذات الكثافات السكانية العالية مظللة بالخريطة) .

القطاع رقم ٤: يقع إلى الجنوب من القطاع السابق . ومساحته نحو ثلاثة أرباع الميل المربع ، ولكنه يضم الغالبية العظمى من سكان المدينة إذ يقدر عددهم بنحو ٢٠٫٠٠٠ نسمة ، منها عدد كبير من الفلاتة فى جنوب شرق المدينة يعيشون فى أكواخ من القش (قطاطى) . (والمناطق ذات الكثافات السكانية العالية مظللة بالخريطة) .

هكذا كانت الصورة العمرانية لمدينة عطبرة فى تلك الفترة . ويلاحظ أن الهيكل الامتدادى للمدينة على هيئة هلال يرتكز بحافته المحدبة إلى الضفة اليمنى لكل من النيل الرئيسى ونهر عطبرة ، ولعل السبب فى ذلك هو الارتباط بالزراعة كحرفة أساسية للسكان على ضفتى النهرين . وبذلك بقيت فى وسط المدينة أراض خالية صالحة لقيام المبانى ، وهى التى إمتد إليها العمران بعد ذلك .

ولقد كان الحى البريطانى(١) فى ذلك الوقت هو المنطقة الرئيسية للعمران ،

(١) هو الذى سمى بعد ذلك بحى السودنة .

بمعنى أن المدينة بدت حينذاك وكأنها مستعمرة للسكك الحديدية ، وقد تركزت فيها بالفعل مرافق الخدمات جميعها من تعليم وصحة وغيرهما .

وفى عام ١٩٤٥ تم تخطيط منطقة الموردة فى جنوب المدينة إلى منطقة سكنية وأزيلت منها الأكواخ .

أما عام ١٩٥٠ فيمكن إعتباره بداية مرحلة جديدة فى التطور العمرانى للمدينة إذ نشطت حركة العمران ممثلة فى إنشاء أحياء سكنية جديدة ، وإعادة تخطيط كثير من الأحياء القديمة لتواكب التطور الحديث للمدينة ، فضلا عن التوسع فى مشروعات الإمداد بالمياه والإنارة الكهربائية لمعظم المناطق .

فلقد نقلت منطقة « الأنادى »[1] من مكانها الواقع شرقى السوق الرئيسية إلى مكان بعيد فى شرق المدينة ، وتم تخطيط المكان منطقة سكنية جديدة . وفى نفس الوقت (عام ١٩٥٠) أعيد تخطيط قرية الداخلة القديمة (نواة المدينة) المضافة لمنطقة سكنية إلى الشرق منها ، سميت بالداخلة الجديدة .

وفى مطلع عام ١٩٥١ أخذت حركة العمران بالمدينة فى الإمتداد تجاه الشرق إذ أنشئت منطقة « الفكى مدنى شرق » والحصا (أو الحصايا) [2] بقسميها الغربى والشرقى .

وفى عام ١٩٥٤ أعيد تخطيط المربعات السكنية ١٠ و ١١ و ١٢ بشكل يواكب التطور العمرانى للمدينة .

وفى عام ١٩٦٠ اقتضت الضرورة إنشاء منطقة سكنية جديدة شرقى المدينة سميت منطقة « المزاد » ، وخصصت للمواطنين من ذوى الدخل المحدود .

وفى عام ١٩٦٢ خصصت منطقة أخرى للسكن فيما بين منطقتى القلعة والمزاد ويجرى العمل التنفيذى فيها منذ عام ١٩٧٢–١٩٧٣ . وقد اقتضت الضرورة إزالة بعض المرافق القريبة منها وهى « الأنادى » وأماكن الذبح وغيرهما ، حيث نقلت إلى أقصى شرق المدينة .

---

(١) جمع « إنداية » وهى مكان تعاطى المسكرات .

(٢) هذا هو الأسم الشائع بين أهالى عطبرة .

وفى عام ١٩٦٨ وزعت أراض سكنية فى شمال المدينة بالمنطقة الواقعة جنوبى خط سكة حديد عطبرة – بور سودان ، على الأهالى الذين تأثروا باعادة تخطيطه قرية السيالة ، كما خصصت منطقة المطار فى شمال شرق المدينة لسكنى عدد من أهالى قرية السيالة ، وهم الذين لم تستوعبهم المنطقة الأولى . واختيرت للمطار منطقة أخرى تقع خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة .

هكذا يتضح أن نمو المدينة وتطورها العمرانى يزحف من أطرافها ولا سيما فى الاتجاهين الشرقى والشمالى الشرقى .

ولكى تكتمل قصة التطور العمرانى لمدينة عطبرة تجدر الإشارة إلى فكرة الامتداد الجنوبى للمدينة بحيث يعبر المد العمرانى مجرى نهر عطبرة .

إن فكرة الامتداد الجنوبى لمدينة عطبرة قد برزت فى ديسمبر عام ١٩٤٨ على أساس أن المناطق السكنية ينبغى ألا تبتعد كثيراً عن النيل فى هذا الإقليم الصحراوى الذى تقع فيه المدينة . وقد أشار خطاب مفتش عطبرة المؤرخ فى ٢٦ –١١–١٩٤٩ إلى أن مشروع الامتداد الجنوبى لمدينة عطبرة «قددرس بدقة من جميع الزوايا[1]». وأن هذا المشروع يشمل تخطيط ستمائة منزل فضلا عن المرافق العامة وذلك لاحتياج عطبرة إلى الامتداد السكنى .

ترددت فكرة الامتداد هذه بين المؤيدين والمعارضين من مدير المديرية الشمالية ومدير الأراضى ومخطط المدن ومفتش مركز عطبرة وسكرتير لجنة تخطيط المدن ، حتى قام مخطط المدن بوضع خريطة للمشروع عقب زيارته لمنطقة الامتداد فى مارس عام ١٩٥٠ . ثم عدلت الخريطة مرتين إحداهما فى يونيه من نفس العام والأخرى فى عام ١٩٦٧ ، وتم التصديق على الامتداد عام ١٩٦٨ من واقع الخريطة رقم ١٨٩–٦٨ . غير أن اعتراض مجلس ريفى شندى وأهالى قرية المقرن الواقعة فى المنطقة تسبب فى إلغاء قرار مد مدينة عطبرة بناء على توصية من لجنة تخطيط المدن المركزية التى أوصت بقيام مدينة منفصلة قائمة بذاتها ضمن المنطقة الريفية (٢) .

---

(١) بكرى أحمد : قسم التخطيط والبحوث بوزارة الإسكان بالخرطوم ، « مذكرة عن عطبرة الجنوبية » بتاريخ ٢٨–١٢–١٩٧٢ – ، ص ٢ .

(٢) مذكرة لجنة تخطيط المدن المركزية برقم ٣–٨–١–٤٨٤ بتاريخ ١٢–٢–١٩٦٩

ثم أثير الموضوع مرة أخرى بخطاب المحافظ رقم م ش / ٦٣ / ى / ١٤ بتاريخ ٩-٢-١٩٧٢ طالباً إعادة النظر فى ضم المنطقة الجنوبية هذه إلى مدينة عطبرة ، نظراً لوجود أزمة إسكان حادة فى المدينة .

وبناء على ذلك إتجهت عناية المختصين بتخطيط المدن إلى دراسة هذا المشروع من عامة الوجوه ، لا سيما وأن سلطات تخطيط المدن المركزية كانت قد دعت أحد الخبراء المصريين [١] فى تخطيط المدن للاستفادة من خبراته فى تخطيط المدن الكبرى بالسودان ، فقام بزيارة مدينة عطبرة عام ١٩٥٨ ، واقترح لتخطيطها أن يزحف التوسع العمرانى فى الاتجاه الشمالى الشرقى باعتباره أنسب اتجاه للتوسع حيث الأراضى لا تصلح للاستغلال الزراعى . ولم يؤيد فكرة الامتداد الجنوبى لمدينة عطبرة عبر النهر لأنه يكلف الدولة مبالغ طائلة لإمداد ذلك الجزء بمختلف الخدمات [٢] .

ويضاف إلى ذلك أيضاً رغبة هيئة السكك الحديدية فى تخصيص مناطق لأعمالها فى هذا الامتداد الجنوبى للمدينة ، كما أن وجود مصنع الأسمنت فى تلك المنطقة الجنوبية حالياً يصلح أن يكون نواة لمنطقة صناعية ، ناهيك بقيام مناطق ترفيهية على طول الضفاف لنهرى النيل الرئيسى وعطبرة .

والواقع أن نمو مدينة عطبرة فى تطورها العمرانى بالزحف تجاه الشرق والشمال الشرقى جعل قلب المدينة الذى تتركز فيه جميع الأعمال التجارية والحكومية وأماكن الترفيه فى الطرف الجنوبى الغربى بحيث يؤدى ذلك إلى خلق مشكلات فى المواصلات وفى التسويق ، الأمر الذى قد يوحى بفكرة عدم الإمعان فى استمرار التوسع فى هذين الاتجاهين ، لا سيما وأن الخيران والهضاب فى أطراف المدينة تجعل الإمداد بالمياه صعباً بالنسبة إلى المواقع الحالية لضخ الماء .

أما من حيث التذرع بحدة أزمة الإسكان فى المدينة وأن حلها يكمن فى الامتداد الجنوبى لعطبرة فيمكن القول أن فى داخل المدينة مساحات كبيرة خالية من المبانى ويمكن استغلالها فى الإسكان ، فضلا عن منطقة واسعة أخرى محجوزة للسكة الحديدية والجيش والمنطقة الصناعية ، ولم يتم تعميرها كلها ، ولا تزال تسمح

---

(١) هو السيد / محمود رياض .

(٢) عبدالله على حامد (١٩٧٠) « تخطيط المدن بالسودان » ص ٢٦٣

بالاستغلال فى هذه الأغراض . ولعل البيان الآتى [1] الخاص بقطع الأراضى المخططة للسكن (سواء المصدق به منها أو تحت التصديق) بمختلف درجاته ، فضلا عن إغفال ٥٠٠ قطعة مخططة كمنطقة تعويضات لمناطق إعادة التخطيط ، لعله ينهض دليلا على أن مدينة عطبرة ليست بها أزمة فى الأراضى السكنية ، ولا تحتاج إلى توسع جديد بقدر حاجتها إلى التكثيف فى التعمير والتركيز فى الخدمات داخل إطارها الحالى :—

الدرجة	القطع المصدق بها	القطع تحت التصديق	الجملة	عدد المستحقين	الفائض
الأولى	٤٥	—	٤٥	٢١	٢٤
الثانية	٧٥٠	١٥٠	٩٠٠	٩٦	٨٠٤
الثالثة	١٦١٩ [2]	١٦٥٩	٣٢٧٨	١٣٠٠ [3]	١٩٧٨

ومع ذلك فان المنطقة الواقعة جنوبى نهر عطبرة عند التقائه بالنيل الرئيسى هى الامتداد الطبيعى لمدينة عطبرة فى مستقبلها العمرانى وذلك لقربها من قلب المدينة وأماكن العمل فضلا عن موقعها الممتاز على ضفتى النهرين .

تخطيط المدينة :

إن التطور العمرانى لمدينة عطبرة يقدم صورة واضحة عن تخطيط المدينة ، ذلك أن المراحل الأولى كانت هى المحلات السكنية القديمة على ضفاف كل من النيل ونهر عطبرة متمثلة فى قرى الداخلة والسيالة والموردة ، ثم حدث الامتداد التطورى متمشياً أول الأمر مع الضفتين ولا سيما ضفة نهر عطبرة ، ولكنه بعد ذلك أخذ إتجاهات أخرى مبتعدة عن ضفتى النهرين . ومعنى ذلك أن الأحياء القديمة بالمدينة واقعة على ضفتى النيل وعطبرة . ويلاحظ أن الامتدادات السكنية الجديدة المشيدة بعد عام ١٩٦٠ تتجه نحو الشمال الشرقى . ويمكن تصوير ذلك بأن الأحياء القديمة إذا اتخذت شكل قوس تستند حافته المحدبة إلى الضفتين فان الامتدادات الحديثة للمبانى السكنية تأخذ موضع السهم من القوس غير أن تحركها عكسى .

(١) بكرى أحمد — مذكرة عن عطبرة الجنوبية . ص ٣
(٢) يضاف إلى ذلك ١٩٨٦ قطعة تم توزيعها خلال المدة ١٩٦٩—١٩٧١ ولم يكتمل تعميرها بعد .
(٣) يضاف إلى ذلك ٥٠٠ قطعة خالية محجوزة كمنطقة تعويضات .

والملاحظ فى مدينة عطبرة بوجه عام اتساع المساحات التى تشغلها المناطق الصناعية والزراعية والعسكرية ، إذ يضاف إلى ما هو قائم بذاته منها بعض أجزاء فى مناطق مختلفة بأنحاء المدينة حتى وسط المناطق السكنية ، ولعل ذلك راجع إلى أن عطبرة تمثل مدينة مواصلات صناعية ، وتعتبر أيضاً مركزاً عسكرياً .

وليس من شك فى أن تخطيط المدينة يعكس صورة واضحة لأنماط استخدام الأرض مبرزاً التركيب الوظيفى لمدينة عطبرة . ولكى يمكن تتبع تخطيط المدينة بشىء من التفصيل ينبغى عرض صورة موجزة لأقسامها الإدارية وما تضمه من مختلف الأحياء ـــ ، وذلك فيما يلى [1] :

(ا) المنطقة الغربية :

وهى تضم ستة أحياء هى : (١) حى السودنة (٢) منطقة السكك الحديدية (٣) حى العمال (٤) الداخلة الجديدة (٥) الداخلة القديمة (٦) السيالة .

(ب) المنطقة الوسطى :

وتضم خمسة أحياء هى : (١) الفكى مدنى غرب (٢) منطقة السوق (٣) المربعات السكنية القديمة (٤) المربعات السكنية الشرقية (٥) الحلة الجديدة .

(ج) المنطقة الجنوبية :

وتضم أربعة أحياء هى : (١) أم بكور [2] (٢) الموردة غرب (٣) الموردة شرق (٤) الطليح .

(د) المنطقة الشرقية :

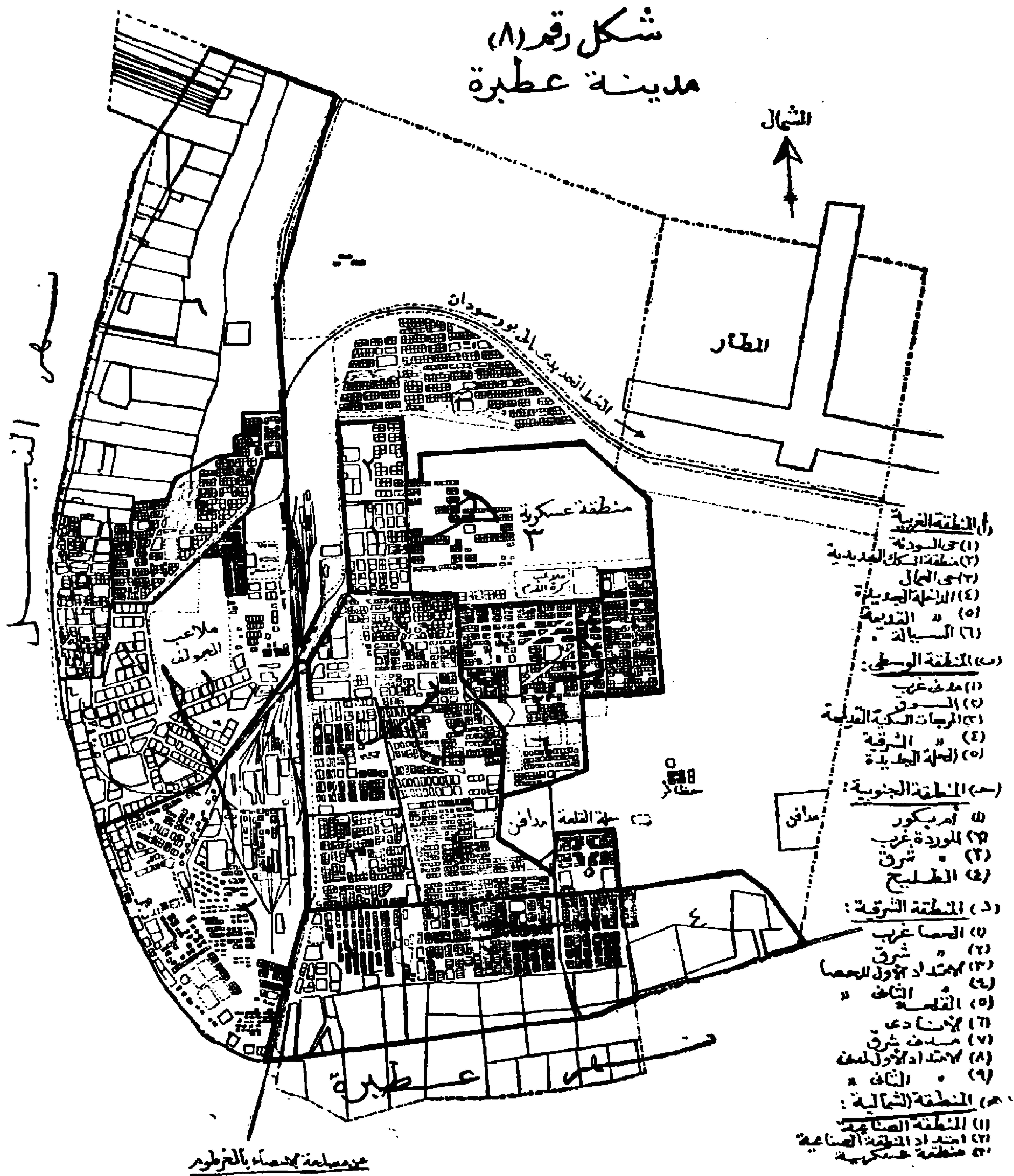
وتضم تسعة أحياء هى : (١) الحصا غرب (٢) الحصا شرق (٣) الامتداد الأول للحصا (٤) الامتداد الثانى للحصا (٥) القلعة (٦) الأنادى (٧) الفكى

---

(١) روعى فى ترتيب الأقسام الإدارية والأحياء نفس النظام الذى اتبعته مصلحة الإحصاء .

(٢) هكذا ورد الأسم فى مطبوعات الإحصاء ولكنه ورد فى « مرشد المديرية الشمالية لعام ١٩٧٣» ص ٤٠ حى أمبكول،وقد أكد لى أهالى عطبرة صحة الأسم الأخير معللين ذلك بأن أصول السكان فى هذا الحى هجرات قادمة من قرية أمبكول التابعة لمروي .

شكل رقم (٨)
مدينة عطبرة



مـــدنى شرق (٨) الامتـــداد الأول للفكى مدنى (٩) الامتـــداد الثـــانى للفكى مدنى[١] .

(هـ) المنطقة الشمالية :

وتضم منطقتين فرعيتين هما : (١) المنطقة الصناعية[٢] (٢) المنطقة العسكرية. على أساس هذه الأقسام الإدارية وأحيائها العمرانية ، يمكن تجسيد المناطق الوظيفية بمدينة عطبرة على النحو الآتى :

أولا — منطقة السكك الحديدية :

وهى الظاهرة العمرانية الواضحة التى تتسم بها مدينة عطبرة فتتميز عن سائر مدن السودان ، وذلك لأن عطبرة هى المركز الرئيسى لسكك حديد السودان .

والمنطقة تشغل من المدينة مساحة كبيرة تمتد فى محاذاة النيل الرئيسى على مسافة بعيدة منه فى قسمها الشمالى وقريبة منه فى قسمها الجنوبى . وتفصل منطقة السكك الحديدية بين جزأى المدينة قديمه وحديثه فلا يصل بين الجزأين سوى « كوبرى » حديث البناء ، شيد فوق الخطوط الحديدية .

ثانياً — المنطقة الصناعية :

يمكن إعتبار منطقة السكك الحديدية فى عطبرة أكبر منطقة صناعية بها ، حيث أماكن إصلاح عربات السكك الحديدية وصيانتها (الورش) وتعتبر من أقدم المناطق الوظيفية بالمدينة . وقد نشأت أول الأمر كنواة صناعية ثم أخذت فى النمو والتطور مع المراحل العمرانية للمدينة . وهى اليوم تشغل مساحة كبيرة غربى الخط الحديدى : عطبرة — بور سودان .

وفضلا عن هذه المنطقة الصناعية الرئيسية المتخصصة فى شئون السكك الحديدية توجد منطقة صناعية أخرى شمالى مدينة عطبرة واقعة بين منطقة السكك الحديدية

---

(١) تكون الأحياء الثلاثة الأخيرة مع حى الفكى مدنى غرب بالمنطقة الوسطى نطاقا سكنيا كبيرا متصلا يمتد من قلب المدينة حيث الخط الحديدى (عطبرة —بور سودان) إلى أقصى شرقها .

(٢) هما فى الحقيقة منطقتان متصلتان فى اتجاه جنوبى شمالى وتعتبر الجنوبية الأصل والشمالية امتداد .

فى الغرب والمنطقة العسكرية فى الشرق . وقد اتسعت بامتداد تجاه الشمال(١) . وتختص هذه المنطقة بصناعات خفيفة تستخدم منتجاتها فى الحياة اليومية لسكان المدينة ، منها على سبيل المثال بعض أعمال النجارة والبرادة وإصلاح العربات وصناعة بعض قطع الأثاث .

هنالك أيضاً فى شرق المدينة منطقة صناعية صغيرة تزاول عملية دبغ الجلود بالطرق البدائية . أما فى أقصى شمال غرب المدينة فيوجد مصنع صغير لإنتاج الألبان .

وأما المنطقة المقترح جعلها إمتداداً جنوبياً لمدينة عطبرة عبر النهر فيقع بها مصنع الأسمنت المشهور فى منطقة عطبرة ، وهو الذى يرجى له أن يكون نواة لمنطقة صناعية كبيرة فى هذا الإمتداد الجنوبى . ولئن كان المصنع يتبع إدارياً مجلس ريفى الدامر لوقوعه فى قرية العكر فان معظم عماله يقطن مدينة عطبرة . ولقد كان مصنع الأسمنت هذا يدار تحت إسم شركة أسمنت بورتلاند السودان ، وفى ٤-٦-١٩٧٠ أممت هذه الشركة(٢) وحملت إسم مؤسسة « ماسبيو »(٣) للأسمنت . وقد بدأ إنتاج هذا المصنع عام ١٩٤٩(٤) . والحجر الذى يغذى المصنع بالحجر الجيرى يقع منه على بعد نحو ٢٣ كيلو متراً غربى النيل ، وينقل الحجر بالناقلة الهوائية .

ثالثا — المناطق العسكرية :

تشغل أجزاء متفرقة من المدينة . وأقدمها معسكر يحى السودنة يسمى « المعسكر الغربى » ، وهو واقع على ضفة النيل الرئيسى . غير أن هنالك مناطق عسكرية أخرى ذات مساحات كبيرة ، منها المنطقة العسكرية الواقعة شرق المنطقة الصناعية فى أقصى شمال المدينة . وقد كانت هذه المنطقة فى وقت ما تمثل النهاية الشمالية للمدينة

---

(١) يعرف الأمتداد الشمالى فى مطبوعات الأحصاء باسم المنطقة المركزية بينما المنطقة الأصلية جنوبية أغفل الإحصاء اسمها .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٥٦

(٣) عرفت من أهالى عطبرة أن الاسم يتألف من ثلاثة مقاطع يتكون كل منها من الحرفين الأولين لاسم الشهر الذى قامت فيه الثورة بكل من مصر والسودان وليبيا (مايو بالسودان وسبتمبر بليبيا ويوليه بمصر) .

(٤) المرجع السابق (مرشد المديرية الشمالية) بنفس الصفحة .

ولكنها فى الوقت الحاضر محاطة بالمنطقة الصناعية والمناطق السكنية . وهى فى الواقع تعتبر عائقاً أمام الإمتداد العمرانى للمدينة فى الإتجاه الشمالى الشرقى .

وهنالك فى أقصى شرق المدينة منطقة عسكرية أخرى خاصة بالقيادة الشمالية .

رابعاً – المناطق التجارية :

تقع المنطقة الرئيسية للسوق وسط المدينة تقريباً ، ويحدها من الغرب الخط الحديدى : عطبرة – بور سودان فى إتجاه جنوبى شمالى بحيث يفصل بينها وبين منطقة السكك الحديدية . وموقع السوق الرئيسية قريب من أحياء السودنة والسكك الحديدية والمربعات السكنية : القديمة ، والشرقية ، والفكى مدنى غرب . وسوق عطبرة من أكبر الأسواق التجارية بالمديرية الشمالية (حالياً مديرية النيل) إذ يعتمد عليه معظم القرى والمدن الصغيرة فى الحصول على السلع وفى تسويق المنتجات .

وبالسوق عدد كبير من المطاعم والمقاهى[1] إلى جانب المحال التجارية العديدة ولاسيما فى الجانب الغربى ، وذلك لأن الجانب الشرقى يضم متاجر اللحوم والخضر والأخشاب كما يشتمل أيضاً على محاط الوقود للسيارات .

وفضلا عن السوق الرئيسية تنتشر بالمدينة أسواق صغيرة بالأحياء السكنية ، منها على سبيل المثال سوق بكل من الموردة والمربعات السكنية والحصا وحى السودنة . كما تنتشر محال التجارة (البقالة) بين المساكن بأعداد لا بأس بها .

خامساً – المناطق الزراعية :

لاتزال الزراعة بمدينة عطبرة حرفة أساسية لطائفة من السكان إعتادت الأعتماد على الإنتاج الزراعى المتمثل فى الخضر وعلف الحيوان .

وتمتد المناطق الزراعية بطول الضفتين الغربيتين للنيل الرئيسى ونهر عطبرة مطوقة المدينة من غربها وجنوبها حيث ينتشر عدد من المشروعات الزراعية فى أقدم مناطق المدينة عمراناً ، كما فى قرى الداخلة والسيالة ثم فى الموردة والطليح .

---

(١) سبب ذلك ارتفاع عدد العمال غير المتزوجين ، واعتماد هؤلاء العمال على المطاعم فى تناول الوجبات الغذائية ، وعلى المقاهى فى قضاء أوقات الفراغ .

ومع أن هذه المناطق الزراعية تسهم فى أقتصاديات المدينة بقـــدر لابأس به من المواد الغذائية للاتسان والحيوان فمن الممكن الإفادة منها فى الأغراض السكنية وخاصة النواحى الترويحية لا سيا على ضفة نهر عطبرة .

سادساً ــ المناطق السكنية :

تشغل معظم ما تبقى من المساحات فى حدود المدينة الحالية ولا سيا شرقى الخط الحديدى : عطبرة — بور سودان .

ويعتبر حى السودنة غربى السكة الحديدية أجمل وأفخم المناطق السكنية إذ يضم المساكن الخاصة بكبار الموظفين،وجميعها مزود بالحدائق كما يضم الحى عددا من أهم المرافق العامة .

أما بقية أحياء المدينة السكنية فمنها القديم والمجدد وحديث النشأة كما أن من الأحياء الأصلية ما أضيف إليه امتدادات تحمل نفس الاسم كالفكى مدنى والحصا على سبيل المثال . وقد تكون مبانيها حديثة التصميم ولكنها لا تضارع فخامة المساكن بحى السودنة ، إذ يغلب عليها طابع المستوى المنخفض حيث معظم السكان من العمال .

سابعاً ــ المرافق العامة :

وهذه تشمل النواحى الإدارية والترفيهية كما تشمل الخدمات .

فأما من الناحية الإدارية لمدينة عطبرة فإن مبانيها قليلة لأن المدينة ليست عاصمة إدارية للمديرية ولا لإقليمها الواقعة فيه . ولذلك تقتصر المبانى الإدارية على ما هو خاص بمصلحة السكك الحديدية أساساً ، ثم بضع مبان خاصة بالأمن والمواصلات كرئاسة الشرطة وكذلك المجلس البلدى ثم البريد والبرق .

وأما من الناحية الترفيهية فان مدينة عطبرة تعانى فيها نقصاً كبيراً ، شأنها فى ذلك شأن كافة المدن السودانية ، حيث السمة العامة هى القصور والعجز فى وسائل الترفيه ومناطق السياحة ، لاسيا على ضفاف الأنهار التى تقع عليها مدن مثل عطبرة .

وفى هذه المدينة تتمثل وسائل الترفيه فى الحدائق العامة ودور السينما والأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية . فأما الحدائق العامة فلا يوجد منها بالمدينة سوى حديقة واحدة هى حديقة البلدية الواقعة شمالى منطقة السوق الرئيسية حيث تتوسط المدينة كلها . وأما دور السينما(١) فإنها ثلاث ، فقط يختص غرب المدينة منها بواحدة ، ويختص شرقها بالاثنتين الأخريين . وأما الأندية الرياضية فإن حى السودنة يختص بأكبرها على الإطلاق « الاستاد » الرئيسى فى المدينة غير أن هنالك بمدينة عطبرة سبعة عشر نادياً رياضياً منها ستة من الدرجة الأولى وأحد عشر من الدرجة الثانية ، ويضاف إلى ذلك كله سبعة إتحادات للرياضة لمزاولة مختلف الأنشطة الرياضية . وكل ذلك موزع على الأحياء المختلفة بالمدينة . وأما الأندية الثقافية والاجتماعية فإنها قليلة ، وأشهرها نادى قوات الشعب المسلحة إلى جانب عدد من مراكز الشباب ،

أما من حيث مرافق الخدمات فإن ذلك يتمثل فى التعليم والصحة ووسائل الإعلام و الإتصال والنقل والمواصلات وبيوت المال والتجارة فضلا عن الفنادق وغيرها من مختلف المرافق .

فأما عن التعليم فان عطبرة بها عدد من مختلف المدارس بيانه كالآتى(٢):

		عدد	عدد	
أ — المدارس الإبتدائية	:	١٨ للبنين +	١٤ للبنات —	٣٢ مدرسة .
ب — الثانوى العـــام	:	٩ « +	٦ « =	١٥ « .
جـ — « العالى	:	٩ « +	٦ « =	١٥ «

د — مدارس ومعاهد مهنية وفنية : ١ مدرسة مهنية صناعية فى مستوى الثانوى
١ معهد الفنيين العالى .

هـ — حلقات محو الأمية : ٥ للرجال + ٧ للنساء = ١٢ حلقة .

و — رياض الأطفال (٣) : ١٢ منها إثنتان نموذجيتان والباقيات ريفية .

---

(١) تقدم دور السينما فى عطبرة حفلا واحداً فى اليوم لأن جمهور المشاهدين معظمه عمال لاينبغى لهم السهر ليلا حتى يمكنهم التوجه إلى أعمالهم فى الصباح الباكر .

(٢) راجع مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ١٣٠-١٤٢ .

(٣) لا يشمل الإحصاء الرياض التى ينشئها الأهالى ويمنحها مجلس الشعب التنفيذى إعانات كما لا يشمل أيضاً الرياض التى تنشئها مصلحة الشباب .

عدد

ز – الخلاوى[1] : ١٢ خلوة .

هذه المدارس والمعاهد موزعة على كافة الأحياء السكنية بالمدينة سواء فى نطاق مساكنها أو على مقربة منها .

أما المدارس الأجنبية فإن عطبرة وحدها تختص به دون سائر المدن بالمديرية ويتمثل ذلك فى مدرستين : إحداهما مدرسة « الكمبونى » وبها أقسام للتعليم الإبتدائى والثانوى العام والثانوى العالى ، والأخرى المدرسة الإنجيلية الإرسالية السودانية وبها قسم للتعليم الإبتدائى والآخر للثانوى العام المختلط . وفضلا عن ذلك فهنالك مدرسة الأقباط المصرية بعطبرة وبها أقسام التعليم الإبتدائى والإعدادى والثانوى .

أما من حيث المرافق الصحية فإن بالمدينة مستشفى حكوميا واحدا هو المستشفى الرئيسى الواقع فى حى السودنه ، ولكن فى شرق المدينة يوجد بعض مراكز صحية ونقاط للإسعاف علاوة على االركز الصحى الخاص بالسكة الحديدية ، والى جانب ذلك كله عدد من عيادات الأطباء الخاصة وهى تتركز فى المربعات السكنية القديمة ولا سيما جنوب شرق السوق الرئيسية . ومن جهة أخرى فإن عطبرة بها «شفخانة» واحدة خاصة بورش السكة الحديدية ،كما توجد بها ثلاث صيدليات فقط ، فضلا عن أربع مدارس [2]صحية تختص إحداها بالمساعدين الطبيين وأخرى بالمولدات (الدايات) وثالثة بالزائرات الصحيات للقرى حيث يقمن بالإشراف على الأمومة والطفولة أما الرابعة فخاصة بالممرضين فى المستشفى .

أما عن وسائل الإعلام والثقافة فيتمثل ذلك فى مكتب الإعلام الذى يضم قسما للتحرير يقوم باصدار نشرة إخبارية يومية ، وقسما للإذاعة يقوم باعداد رسالة أسبوعية عن المديرية ، وقسما للتصوير ، وقسما للسينما المتجولة . كما تتمثل الثقافة فى المكتبات الأربع بمدينة عطبرة ثلاث منها تجارية والرابعة مكتبة عامة أنشأها مجلس المدينة الشعبى .

---

(١) جمع خلوة وهى مكان مخصص لتحفيظ القرآن الكريم وتشبه الكتاب فى قرى مصر .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ١٥١ .

أما عن وسائل الاتصال فالمدينة بها مكاتب البريد والبرق والهاتف والتليفون، » وأما وسائل النقل والمواصلات فتتمثل فى السيارات والدراجات[1] داخل المدينة وفى القطارات والطائرات المحلية خارج المدينة . ولقد انتهى العمل فى المطار الجديد بعطبرة بمنطقته المختارة خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة ، وتم افتتاحه رسميا فى مارس ١٩٧٣[2] ، وهو مهيأ لاستقبال الطائرات الكبيرة .

أما بيوت المال والتجارة فتتمثل فى ثلاثة من المصارف « البنوك » هى بنك السودان وبنك الدولة للتجارة الخارجية ، ثم البنك الزراعى .

وأما الفنادق فتشمل ثلاثة قرب السوق الرئيسى ، وهى ذات مستوى منخفض للغاية . بينما فى حى السودنة استراحة السكة الحديدية ذات المستوى الأرفع بكثير ، بل لا وجه للمقارنة ، وهى تابعة لهيئة السكة الحديدية .

أما دور العبادة فتتمثل فى كنيسة واحدة بالمدينة ، ومسجد بكل حى من أحيائها السكنية .

ويضاف إلى كافة المرافق المذكورة بالمدينة مرفق من نوع آخر ويؤدى وظيفة مختلفة . وهو يتمثل فى مناطق المقابر لدفن الموتى وعددها أربعة : تقع واحدة منها جنوبى شرق المدينة وكانت فى مكان خال ناء غير أن الزحف العمرانى للمدينة أحاطها اليوم بأحياء سكنية . وتقع منطقة أخرى للمقابر فى أقصى شرق المدينة بعيدة عن العمران ، وثالثة شرقى المدرسة الصناعية ، أما منطقة المقابر الرابعة فإنها فى جنوب المدينة وهى خاصة بالمسيحيين من الأهالى .

من دراسة تخطيط المدينة يمكن ملاحظة الآتى :

١ — نواة المدينة المتمثلة فى قرية الداخلة القديمة تقع اليوم فى أقصى الطرف الشمالى الغربى للمدينة مرتكزة على الضفة اليمنى للنيل الرئيسى ، بعد أن اتجه النمو العمرانى نحو الجنوب والشرق بالنسبة لها ، فلم يحط بها أحياء سكنية من

---

(١) تستخدم الدراجات فى مدينة عطبرة بكثرة لا مثيل لها فى أى مدينة أخرى بالسودان نظراً لكثرة عدد العمال .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٨٦ .

شمالها ، وكل ما فى الأمر أنه عندما اتجهت النية إلى إعادة تخطيطها أضيف إليها من شرقها امتداد سكنى حديث اتجه نحو الشمال الشرقى حتى الخط الحديدى ، وسمى بالداخلة الجديدة .

أما شمال الداخلة القديمة (نواة المدينة) فلا يزال أراضى زراعية تنتظمها مشروعات للانتاج الزراعى .

ولعل الإبقاء على الأراضى الزراعية شمالى الداخلة القديمة على ضفة النيل الرئيسى له أهميته الاقتصادية البالغة ، لا سيما فى حالة تكامل هذه الأراضى مع نظيرتها جنوبى المدينة على الضفة اليمنى لنهر عطبرة ، إذ أن ذلك من شأنه العمل على إمداد المدينة بالمواد الغذائية الزراعية والحيوانية . .

٢ - منطقة السكة الحديدية هى أبرز المعالم العمرانية لمدينة عطبرة ، وتعتبر المنطقة الرئيسية إذ تتركز بها وعلى أطرافها أهم المرافق العامة فى المدينة . بل إن التخطيط العمرانى للمدينة وثيق الصلة بالسكة الحديدية ولا سيما فى المراحل المبكرة من نشأة المدينة وتطورها . فالى جانب هذه المنطقة أنشىء الحى البريطانى[١] ليضم مساكن كبار الموظفين بنظام يكفل الراحة والمتعة والرفاهية ، وقد حظى بأهم المرافق العامة وارتفع فيه مستوى الإمداد بالخدمات .

هذا الحى يرتكز إلى الضفة اليمنى للنيل الرئيسى ، ويشغل هو ومنطقة السكة الحديدية معظم الجانب الغربى من المدينة (غربى الخط الحديدى عطبرة - بورسودان). وقد خططت شوارعه بحيث يتعامد معظمها مع ضفة النيل ، ويتجه بعض شوارعه بميل طفيف تجاه الجنوب الشرقى لتقريب المسافة إلى مكاتب السكة الحديدية ومبانى الرئاسة : أما المنازل فقد أحاطت بكل منها حديقة كبيرة كما زودت المنازل بالكهرباء والماء منذ إنشائها ، وغرست الأشجار على جوانب الشوارع ، وهى اليوم باسقة متشابكة بحيث توفر الظل وتضفى الجمال .

٣ - السوق الرئيسى يكاد يتوسط المدينة غير أن تخطيطه قديم لا يواكب التطور إذ لم يعمل حساب لاحتياجات الأغراض العمومية الجديدة التى جعلت

(١) هو حى السودنة الحالى .

السوق الرئيسي بالمقياس الحديث منطقة مركزية للنشاط التجارى والإدارى والترفيهى والحركة فى المدينة . ولقد أنشىء سوق عطبرة على غرار نظائره فى كافة المدن السودانية بحيث يخدم غرضا واحدا هو مجرد حصول الأهالى على حاجاتهم الضرورية من السلع البسيطة . على أن جمهور المترددين على السوق يتمثل فى المشاة وراكبي الحيوانات والدراجات ولذلك كانت شوارع السوق ضيقة لا تسمح بيسر الحركة للعربات لا سيما وأنها فى حاجة إلى مواقف للانتظار .

ومع التطور العمرانى للمدينة ونشاط الحركة التجارية فإن سوق عطبرة ينبغى له أن يتطور أيضاً ، ويعاد تخطيطه على نظام حديث .

٤ — المناطق العسكرية فى مواقعها الحالية أصبحت ملاصقة للمناطق والأحياء السكنية بل بعض المواقع تكاد تكون محاطة بالمساكن التى زحفت بمقتضى المد العمرانى نحو تلك المعسكرات فزاحمتها بل وأخذت تنازعها مواقعها . والحق أن المناطق العسكرية ينبغى إعادة النظر فى مواقعها الحالية . ويوضع لها التخطيط الذى يكفل فاعليتها فى القيام بواجباتها الدفاعية . ومن الممكن على سبيل المثال نقل المنطقة العسكرية الواقعة شمالى شرق المدينة ملاصقة للمنطقة الصناعية إلى أقصى الشمال عبر الخط الحديدى : عطبرة — بور سودان ، فى الأرض الخالية الواقعة غربى المطار القديم أو حتى خارج حدود المدينة غربى المطار الجديد ، ثم استغلال موقعها الحالى فى التوسع العمرانى للأحياء السكنية فى الاتجاه الشمالى .

٥ — المناطق السكنية فى الجانب الشرقى من المدينة أى شرقى الخط الحديدى عطبرة — بور سودان ذات أحياء كثيرة العدد ومتلاصقة ومساكنها متكافئة على عكس ما هو واقع منها غربى الخط الحديدى باستثناء حى العمال والداخلة الجديدة.

ولقد استوعبت المناطق السكنية معظم المساحات فى الجانب الشرقى ، ومن المنتظر أن تستوعب ما تبقى من المساحات الخالية وكذلك مكان المنطقة العسكرية لو نقلت منه ، وبذلك يمكن تفادى زحف المد السكنى نحو المناطق الزراعية على ضفة النيل الرئيسى أو ضفة نهر عطبرة .

ولقد يرى البعض أن التوسع السكانى قد بلغ مداه وليس فى الإمكان الابتعاد به عن الحد الحالى إلا بتنفيذ فكرة الامتداد الجنوبى لمدينة عطبرة ، غير أن الواقع يؤكد أنه لا يزال فى داخل حدود المدينة حاليا ما يكفل التوسع العمرانى ، وليست الحاجة ملحة فى الوقت الحاضر على الأقل لتنفيذ الامتداد الجنوبى ، ولكن المستقبل البعيد قد يتطلب ذلك .

والجدير بالذكر أن كافة المساكن فى مدينة عطبرة مزودة بالماء والإضاءة الكهربائية .

٦ — وسائل الترفية فى المدينة قاصرة عن الكفاية ، وينبغى إنشاء مزيد من الحدائق العامة ولا سيما فى بعض المواضع المطلة على النهرين إلى جانب إنشاء عدد من المتنزهات « والكازينوات » ليقضى بعض الراغبين من السكان أوقات فراغهم .

مورفولوجية المدينة :

تبدو مدينة عطبرة فى شكلها العام على هيئة أشبه بالدائرة تحتضنها الضفتان اليمنيان لنهرى النيل الرئيسى وعطبرة .

على أن الخط الحديدى (عطبرة — بور سودان) الذى يخترقها من الجنوب إلى الشمال يعتبر فاصلا بين قسمين متميزين هما القسم الغربى الذى يعتبر أقدم أجزاء عطبرة والقسم الشرقى الذى يمثل المدينة الحديثة .

وفى القسم الغربى يمكن التميز بين منطقتين : إحداهما شمالية تضم القرى (الداخلة والسيالة) والأراضى الزراعية التابعة لها . وأما الأخرى فجنوبية تشمل حى السودنة بتخطيطه الذى يكفل فخامة المساكن ذات الحدائق الخاصة ، وجمال الشوارع ذات الأشجار الضخمة ، فضلا عن تركز أهم المرافق العامة منذ النشأة نظرا لقيام هيئة السكة الحديدية بمعظم الخدمات فى نطاق حدودها ، وكان مدير مصلحة السكك الحديدية حتى عام ١٩٥٥ يمثل سلطة الأراضى والتخطيط والشئون العامة فى منطقته(١) .

وإلى الجنوب من حى السودنة تقع منطقة السكك الحديدية .

---

(١) القوانين الحالية الخاصة بالأراضى والتخطيط خولت المجلس المحلى فى المدينة حق الإشراف على كافة الشئون فى المدينة بما فى ذلك حى السودنة بالتعاون مع مصلحة السكة الحديدية فى شئون هذا الحى

أما القسم الشرقي من المدينة فيضم المناطق التجارية ومعظم الأحياء السكنية فضلا عن منطقة زراعية في جنوبه ممتدة على ضفة نهر عطبرة .

ويلاحظ في هذا القسم أن المناطق السكنية مخططة بشكل رقعة الشطرنج ، مع اتساع الشوارع والميادين .

وجدير بالذكر أن مدينة عطبرة هي المدينة الوحيدة[1] ذات الشوارع والطرق المرصوفة (مسفلته) في المديرية كلها . والبيان الآتي [2] يوضح الطرق العامة المرصوفة بالمدينة وأطوالها والأحياء والمناطق التي تربطها :

الطريق	الطول بالأمتار	الأحياء التي يربطها
شارع الحصا	٢٥٠	الفكي مدني غرب ــ الحصا شرق الفكي مدني شرق
شارع كسلا	١٩٠٠	المربعات ١٠ــ١ (ممتد من شارع الدامر الى حلة القلعة)
شارع السلك	٣٤٠٠	ممتد من المنطقة الصناعية حتى مدخل كوبري عطبرة ــ الدامر.
«الكمبوني» ــ الجامع	٥٥٠	يربط السوق «بالكمبوني» والمجلس الشعبي وبنك السودان وهيئة الإعلام ، كما يربط المربعات السكنية ١ــ١٢ شرق السوق الرئيسي.
شارع الجمهورية	١٧٠٠	ممتد من المنطقة الصناعية حتى شارع كسلا شمالا
المركز ــ ميدان السوق	٨٠٠	يخدم منطقة السوق
الجامع ــ محطة بترول «شل»	٥٠٠	ممتد من السوق حتى المربع السكني العاشر
السكة الحديدية ــ نادي الشبيبة	٤٥٠	ينتهي إلى السوق الرئيسي
شوراع منطقة السكة الحديدية	١٢,٠٠٠	تخدم منطقة السكك الحديدية كلها .

(١) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٩٦ .

(٢) مذكرة ضابط المجلس الشعبي بعطبرة (مذكرة خاصة غير مطبوعة) .

هذا ، وليس بمدينة عطبرة سوى قنطرة (كوبرى) واحدة قديمة هى المقامة على نهر عطبرة، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام١٨٩٩. وهناك اتجاه إلى إنشاء قنطرةأخرى[١] على النهر ذاته لتسهيل حركة المواصلات بين عطبرة والدامر.

أما البيان الآتى[٢]فيوضح مختلف وسائل النقل بأهم مدن المديرية الشمالية عام ١٩٧٣ (قبل التقسيم الإدارى الجديد لعام ١٩٧٤) مرتبة من الشمال إلى الجنوب :

(المدينة)	عدد سيارات النقل التجارية (اللوارى)	عدد سيارات النقل للركاب العامة والفاخرة (البصات والبولمان)	عددسيارات الأجرة (التاكسيات)	عددالسيارات الخاصة	عددالسيارات الحكومية
وادى حلفا	١٨	—	٢	١٤	٢٢
دنقله	٥٨	٨	١٢	٢٥	—
مروى	٤٥	١٢	١١	٢٢	٥٠
بربر	٣٠	١٤	٢٨	٨٧	مع عطبرة
عطبرة والدامر	١٢١	١٢٤	١٨٢	٣٣٦	٣٥٠
شندى	١١٢	٩٦	٨٢	٢٦١	١١٧

فى هذا البيان شملت الإحصائية عطبرة والدامر معا وبها أكبر عدد من كل نوع من وسائل النقل بالمديرية ، ويرجع ذلك إلى مركز كل منهما بين سائر المدن الأخرى بالمديرية حيث عطبرة عاصمة المواصلات والدامر عاصمة المديرية .

أما المبانى فى مدينة عطبرة فمعظمها طابق واحد ، إذ أن المبانى ذات الطابقين معدودة ، وتكاد تقتصر على مبانى الهيئات الحكومية وشبة الحكومية مثل رئاسة السكة الحديدية وبعض المدارس كالمدرسة المصرية والمدرسة الثانوية العليا الحكومية

(١) هذه القنطرة متعلقة بفكرة الامتداد الجنوبى لمدينة عطبرة .

(٢) مرشد المديرية الشمالية (١٩٧٣) ص ٩٧ .

ومدارس الخدمات الأجتماعية ، وهنالك مبنى سكنى واحد من طابقين (يعتبره الأهالى « عمارة ١١) .

على أن جميع المساكن مزودة بخدمات الكهرباء والماء ، فلقد اكتمل ذلك فى العام الماضى (١٩٧٣) ، وكانت نسبة المساكن المزودة بالكهرباء حتى عام ١٩٦٥[١] نحو ٦٦٪ والمزودة بالماء نحوى ٧٧٪ ، وذلك على مستوى المدينة كلها بوجه عام أما على مستوى الأقسام الكبرى (المناطق) وماتضمه من الأحياء فقد كانت النسب المئوية للمساكن المزودة بالكهرباء والماء على النحو الموضح بالبيان الآتى[٢] :

المنطقة والأحياء	الكهرباء	الماء
المنطقة الغربية :	٥٥	٧٤
حى السودنة	١٠٠	١٠٠
منطقة السكة الحديدية	٨٧	١٠٠
حى العمال	١٠٠	١٠٠
الداخلة الحديدة	٥٥	٩٤
الداخلة القديمة	٣٥	٧٠
السيالة	٤	٢
المنطقة الوسطى :	٧٨	٩٩
الفكى مدنى غرب	٩٦	١٠٠
منطقة السوق	٨٩	١٠٠
المربعات القديمة	٨٢	١٠٠
المربعات الشرقية	٦٧	٩٨
الحلة الحديدة	٦٨	١٠٠
المنطقة الجنوبية :	٦٦	٣٧
أم بكور	٦١	٩٥

(١) Population and Housing Survey, 164,1965, Oct. 1966 pp. 42—47, Tables 20—22.

(٢) نفس المكان .

المورده غرب	٧٨	٣٢
المورده شرق	٦٣	١١
الطليح	—	٩
المنطقة الشرقية :	٦٧	١٠٠
الحصا غرب	٧٥	١٠٠
الحصا شرق	٦٩	١٠٠
الأمتداد الأول للحصا	١٠٠	١٠٠
الأمتداد الثانى للحصا	٥٦	١٠٠
القلعة	٦٧	١٠٠
الأنادى	١٠٠	١٠٠
الفكى مدنى شرق	٦٧	١٠٠
الأمتداد الأول للفكى مدنى	٦٧	١٠٠
الامتداد الثانى للفكى مدنى	٤٥	١٠٠
المنطقة الشمالية :	٤٨	٩٦
المنطقة الصناعية	١٠٠	٥٠
المنطقة العسكرية	٤٤	١٠٠

أما من حيث النسب المئوية للمساكن المزودة بالشرفات (الفراندات) والمطابخ والحمامات ودورات المياه فإنها حتى عام ١٩٦٥ يوضحها البيان الآتى[1]:

المناطق والأحياء	شرفة	مطبخ	حمام			دورة مياه		
			خاص	مشترك	بدون	خاص	مشترك	بدون
المنطقة الغربية :	٨١	٧٩	٤٦	١٠	٤٤	٦٤	٣٢	٤
السودنة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	—	—
السكة الحديدية	٨٤	١٠٠	٧٥	٥	٢٠	٩١	٧	٢
العمال	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	—	—

(١) لم يكن بد من الأعتماد على التقديرات الواردة فى الجدول رقم ٢٠ من المسح السكانى الخاص بمدينة عطبرة الصادرة فى أكتوبر ١٩٦٦ حيث إن نتائج الإحصاء لعام ١٩٧٣ لم تظهر بعد .

الداخلة الجديدة	٨٨	٧٥	٣٦	١٨	٤٦	٥٥	٤٥	—
الداخلة القديمة	٦٠	٦٥	٣٥	—	٦٥	٣٠	٧٠	—
السيالة	٦٩	٥٨	٩	١١	٨٠	٤٤	٣٨	١٨
المنطقة الوسطى :	٧٧	٧٧	٥٥	١٦	٢٩	٥٨	٤٢	—
مدنى غرب	١٠٠	٩٣	١٠٠	—	—	١٠٠	—	—
السوق	٨٤	٦٨	٦٨	١١	٢١	٧٩	٢١	—
المربعات القديمة	٨٢	٧١	٤٤	٢٥	٣١	٣٧	٦٣	—
المربعات الشرقية	٦٠	٨٠	٣٨	١٥	٤٧	٥٢	٤٨	—
الحلة الجديدة	٧٦	٧٢	٦٠	٢٤	١٦	٥٢	٤٨	—
المنطقة الجنوبية :	٦٣	٧٤	١٣	٥	٨٢	١٩	٦٧	١٤
أم بكور	٨٢	٨٤	٣١	٨	٦١	٦٦	٣٤	—
الموردة غرب	٦١	٨١	٤	١	٩٥	٤	٨٧٨	١
الموردة شرق	٥١	٥٤	١٠	٩	٨١	٦	٨٢	١٢
الطليح	٧٣	٧٣	٣٧	١٨	٤٥	٥٥	—	٤٥
المنطقة الشرقية :	٨٧	٨٧	٥٤	٢٦	٢٠	٥٧	٤٢	١
الحصا غرب	٦٣	١٠٠	٥٠	—	٥٠	٥٠	٥٠	—
الحصا شرق	٨٥	٨٨	٣٥	٢٧	٣٨	٢٣	٧٧	—
الأمتداد الأول للحصا	٩١	٩٥	٧٢	١٤	١٤	٧٣	٢٧	—
الأمتداد الثانى للحصا	١٠٠	٩٤	٦٧	—	٣٣	٧٨	٢٢	—
القلعة	٨٣	٧٥	٢٥	٢٥	٥٠	٤٢	٥٨	—
الأنادى	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	—	—
مدنى شرق	٨١	٨٦	٥٦	٣٧	٧	٥٨	٤٢	—
الأمتداد الأول لمدنى	٩٢	٨٨	٦٧	٢٩	٤	٧٥	٢٥	—

الامتداد الثانى								
المدنى	٩٠	٧٦	٥٣	٣٨	١٠	٥٥	٤٢	٣
المنطقة الشمالية :	٩٦	٩٢	٨٤	٨	٨	٩٢	٨	—
المنطقة الصناعية	١٠٠	١٠٠	—	—	١٠٠	١٠٠	—	—
المنطقة العسكرية	٩٦	٩٢	٩١	٩	—	٩٢	٨	—
مدينة عطبرة كلها	٧٧	٨٠	٤٣	١٤	٤٣	٥٠	٤٥	٥

أما من حيث النظم الخاصة بدورات المياه فى المساكن فقد كانت متنوعة إذ شملت نظام « السيفون » والحفر « البيارات » والدلاء (الجرادل) والنظام المائى كما أن دورات المياه منها الخاصة ومنها العامة « الجماعية » . وكانت نظم دورات المياه فى مدينة عطبرة حتى عام ١٩٦٥ يوضحها البيان الآتى (١) طبقاً للنسب المئوية للعائلات التى تستخدم دورات المياه فى مساكنها بمختلف مناطق المدنية(٢) :

المنطقة	السيفونات	الدلاء	الحفر	النظام المائى	النظام الجماعى	نظم أخرى
الغربية	٤٧	١	٣٣	١٢	٣	٤
الوسطى	٥٧	٧	٩	٢٦	١	—
الجنوبية	٢	١٩	٦	٢	٥٧	١٤
الشرقية	٥٠	—	٢٧	٢٢	—	١
الشمالية	—	١٢	—	٢٨	٦٠	—
مدينة عطبرة كلها	٣٧	٧	١٨	١٦	١٧	٥

من هذا البيان يتضح أن«السيفونات»هى النظام الأغلب فى دورات المياه إذ تبلغ نسبتها فى المدينة كلها نحو ٣٧٪ ويقل استخدام الدلاء (٧٪) إلى أدنى حد . كما أن بالمدينه مناطق تخلو من نظام دورات المياه وترتفع نسبتها إلى ١٤٪ بين عائلات المنطقة الجنوبية.أما اليوم فقد اختفى نظام الدلاء تماماً وعم نظام «السيفونات».

(١) Population and Housing Survey, 1964/65, Oct. 1966. Table 22, pp. 46—47.

(٢) Population and Housing Survey, 1964, /65, Oct. 1966, Atbara Table 22, pp. 46—47

وهى تعمل بنظام الحفر « البيارات » وتقوم البلدية بكسح الفضلات المتجمعة فى الحفرة الكبرى العميقة دوريا بمعدل مرة كل أربع سنوات أو خمس .

أما من حيث مواد البناء المستخدمة فى المساكن فإنها فى الأغلب مواد محلية لأن عطبرة مدينة عمالية ينخفض فيها دخل الأفراد . وتتمثل المواد المحلية فى الطين واللبن (الطوب النيئ) والآجر (الطوب المحروق « الأحمر ») ، ويندر استخدام الأحجار « والقش » وينعدم استخدام الأخشاب إلا فى الأسقف ؛ كما أن الأسمنت المسلح « الخرسانة » يستخدم فى المبانى الحديثة. والبيان الآتى[1] يوضح مختلف مواد البناء المستخدمة بالمدينة فى الحوائط والأرضيات والأسقف بالنسبة المئوية :

(ا) المواد المستخدمة فى الحوائط

المنطقة	قش	طين	لبن	آجر	حجر	خشب	موادأخرى
الغربية	—	٦١	٣	٣٤	٢	—	—
الوسطى	٦	٥٩	١٣	٢٢	—	—	—
الجنوبية	١	٩٧	—	٢	—	—	—
الشرقية	—	٨٣	٥	١٢	—	—	—
الشمالية	—	٥٦	٨	٣٦	—	—	—
مدينة عطبرة كلها	٢	٧٤	٥	١٨	١	—	—

(ب) المواد المستخدمة فى الأرضيات

المنطقة	تراب	طوب أحمر	أسمنت	بلاط	مواد أخرى
الغربية	٦٨	٢	١٣	١٧	—
الوسطى	٧٣	٥	٧	١٥	—
الجنوبية	٩٥	١	٣	١	—
الشرقية	٩٠	—	٥	٥	—
الشمالية	٣٢	—	٣٢	٣٦	—
مدينة عطبرة كلها	٨٠	٢	٨	١٠	—

(١) نفس المرجع : جدول ١٤ و ١٦ و ١٨ ص ص ٣٥ – ٣٨ .

(ح) المواد المستخدمة فى الأسقف

المنطقة	مواد محلية	خشب	ألواح من الزنك	خرسانة	مواد أخرى
الغربية	٦٢	٥	١٦	١٥	٢
الوسطى	٦٨	٢٧	٣	٢	—
الجنوبية	٩٥	٤	١	—	—
الشرقية	٧٢	٢	١	١	١
الشمالية	٨٤	—	١٢	٤	—
مدينة عطبرة كلها	٧٥	١٤	٥	٥	١

من هذه البيانات يتضح أن الطين هو المادة السائدة فى المبانى (٧٤٪) ولا سيما فى المنطقتين الجنوبية والشرقية . وإن كان الآجر بدأت نسبة استخدامه فى الارتفاع ولا سيما فى المنطقتين الشمالية والغربية ، فهو اليوم أكثر ارتفاعا فى نسبته مع استخدام نظام الأسمنت المسلح « الخرسانة » فى المبانى الحديثة .

أما أرضيات المساكن فقد سادها التراب (٨٠٪) لا سيما فى المنطقتين الجنوبية والشمالية غير أن البلاط بدأت نسبته فى الارتفاع وينتظر أن يسود كافة الأرضيات . وأما الأسقف فقد سادتها المواد المحلية من القش وفروع الأشجار والطين (٨٥٪) ولا سيما فى المنطقتين الجنوبية والشمالية ، وإلى جانب ذلك نسبة قليلة من الأخشاب (١٤٪) ثم نسبة أقل بكثير من ألواح الزنك و « الخرسانة » ، ولكن المنتظر أن تزداد نسبة الخرسانة فى استخدامها للأسقف .

تركيب المدينة :

ويشمل ذلك دراسة السكان وخصائصهم الديموغرافية ، كما يشمل أيضا دراسة الخصائص الإجتماعية والإقتصادية للمدينة .

أما من حيث السكان فقد سبقت الإشارة إلى أن مدينة عطبرة بحجمها السكانى تتبوأ المرتبة الثامنة بين مدن السودان الكبرى التى يزيد عدد سكان كل منها على أربعين ألف نسمة .

وجدير بالذكر أن دراسة السكان فى السودان بوجه عام تنقصها الإحصاءات والتعدادات الدقيقة . ولا يزال التعداد الأول لسكان السودان عام ١٩٥٥–١٩٥٦ هو التعداد الرسمى الوحيد ، وفيه من النقائص والثغرات الشئ الكثير . وأما التعداد الثانى الذى أجرى عام ١٩٧٣ فإن نتائجه لاتزال أولية ولم تنشر بعد بصورة نهائية وبصفة رسمية . وهنالك بعض عمليات للمسح السكانى ذات تقديرات لها اعتبارها المقبول وصدرت بها تقارير منشورة . ولذلك فلا مناص فى دراسة السكان من الاعتماد على ذلك التعداد الأول رغم قدمه ونقائصه إلى جانب مختلف التقديرات الواردة فى تقارير المسح السكانى . والبيان الآتى يوضح أعداد السكان فى مدينة عطبرة خلال الفترة ١٩٤٢–١٩٧٤ : (*)

السنة	١٩٤٢(١)	٥٥–١٩٥٦(٢)	٦٤–١٩٦٥(٣)	٧٠–١٩٧١(٤)	٧٣–١٩٧٤(٥)
عدد السكان	١٩,٧٥٧ نسمة	٣٦,٢٩٨ نسمة	٤٨,٢٥٠ نسمة	٥٥,٦٦٣ نسمة	٦٤,٣٢٦ نسمة

ومن البيان يتضح تطور النمو السكانى على النحو الآتى :–

١ – فى المدة ١٩٤٢–٥٥/١٩٥٦ (١٣ سنة) زاد عدد السكان ١٦,٥٤١ نسمة بنسبة نحو ٨٤ ٪

٢ – فى المدة ٥٥/١٩٥٦–٦٤/١٩٦٥ (٩ سنوات) زاد عدد السكان ١١,٩٥٢ نسمة بنسبة نحو ٣٣ ٪

٣ – فى المدة ٦٤/١٩٦٥–٧٠/١٩٧١ (٦ سنوات) زاد عدد السكان ٧,٤١٣ نسمة بنسبة نحو ١٥,٤ ٪

٤ – فى المدة ٧٠–١٩٧١–٧٣–١٩٧٤ (٣ سنوات) زاد عدد السكان ٨,٦٦٣ نسمة بنسبة نحو ١٥,٦ ٪

(*) أنظر الرسم البيانى بالشكل رقم (٩) .

(١) Salih, A.El Arifi, 1971, Urbanization and Distribution of Economic Development in the Sudan, Sudan Urban Studies, Africa Urban Notes, p. 127.

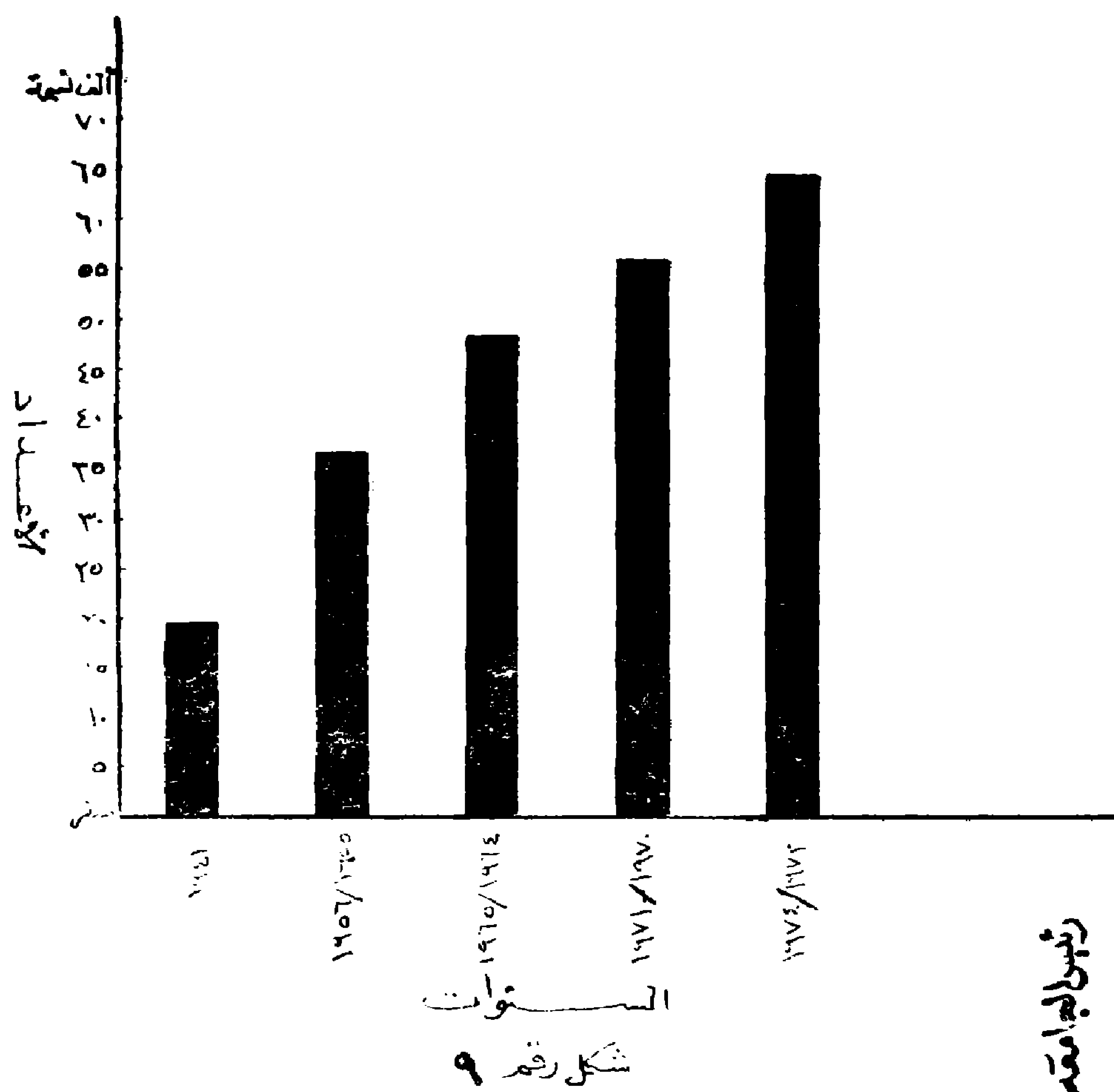
(٢) First Population Census of the Sudan, 1955/56.

(٣) Population and Housing Surrey, e 9 64/66, ct. 1968, p. 47.

(٤) Sudan Almanac, 1970/71, p.18.

(٥) النتائج الأولية لتعداد ١٩٧٣ (عن السيد / سراج الدين حسن – مصلحة الإحصاء).

٥ — فى المدة ١٩٤٢–١٩٧٤/٧٣ (٣١ سنة) زاد عدد السكان ٤٤,٥٦٩ نسمة بنسبة نحو ٢٢٥,٦ ٪



شكل رقم ٩

أعداد السكان فى مدينة عطبرة خلال المدة ١٩٤٢-١٩٧٤

ولعل فى الأختلافات الظاهرة فى نسب الزيادة وعدم إتساقها مع طول الفترات الزمنية ما يعكس الأختلافات التقديرية والتعدادية ، غير أن ما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن عدد سكان مدينة عطبرة قد تضاعف مرتين وربع المرة فى نحو ثلاثين عاما .

أما كثافة السكان بالمدينة فعلى فرض أن المساحة(١) تبلغ ٢١ من الكيلومترات المربعة

(١) El Sayed El Bushra, 1965, The Urban Geography of North and Central Sudan
A Thesis of Master of Arts, London, p.119.

فإن الكثافة الحسابية على أساس العدد الحالى للسكان (٦٤,٣٢٦ نسمة) تبلغ نحو ٣٠٦٣,١ نسمة فى الكيلومتر المربع . ونظراً لأن نتائج التعداد الأخير (لعام ١٩٧٣) لم تنشر تفاصيله بعد فمن الصعب دراسة الكثافات السكانية بمناطق المدينة دراسة مفصلة ، ولكن من الممكن إتخاذ المسح السكانى لعام ٦٤-١٩٦٥ أساساً لتصوير هذه الكثافات المفصلة فى فترة معينةعلى سبيل المثال وذلك فيما يلى(١) :-

(أ) المنطقة الغربية :

تضم نحو ٢٩ ٪ من جملة سكان المدينة ، نحو ٢٦ ٪ من جملة العائلات .وبها نحو ٢٥,١ ٪ من مجموع حجرات المدينة .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة بهذه المنطقة عامة نحو ٦,٧ من الأفراد ، غير أن من أحياء هذه المنطقة ما يتجاوز متوسط عدد أفراد العائلة به هذا المتوسط العام ، وهى حى العمال (٧,٢) والداخلة القديمة والسيالة (كل منهما ٧,١).

أما الكثافة السكانية للحجرة فإن متوسطها نحو ٢,٨ من الأفراد للحجرة الواحدة غير أن الأحياء ذات الكثافة الأعلى من ذلك فهى بالترتيب : حى العمال (٣,٦) والسيالة (٣,١) والداخلة الجديدة (٢,٩) .

(ب) المنطقة الوسطى :

تضم نحو ٢٤,٥ ٪ من جملة سكان المدينة ، ونحو ٢٣ ٪ من جملة العائلات ، وبها نحو ٢٥,٢ ٪ من مجموع حجرات المدينة .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة عامة نحو ٦,٥ من الأفراد ، غير أن المتوسط يزيد عن ذلك فى إثنين من أحياء هذه المنطقة وهما : المربعات الشرقية والحلة الجديدة (كل منهما ٦,٧ من الأفراد) .

وأما الكثافة السكانية للحجرة فان متوسطها نحو ٢,٤ من الأفراد ، غير أن بعض الأحياء تتجاوز كثافة الحجرة بها هذا المتوسط وهى بالترتيب : الحلة الجديدة (٢,٧) والمربعات الشرقية (٢,٦) والمربعات القديمة (٢,٥) .

---

(١) Population and Housing Survey, 1964/65, Atbara, Oct. 1966, Table 11, p.32.

(حولت الأعداد الدالة على مجموع السكان والعائلات والحجرات بالجدول إلى نسب مئوية)

(ج) المنطقة الجنوبية :

تضم نحو ٢١ ٪ من مجموع سكان المدينة ، ونحو ٢٥ ٪ من جملة العائلات ، وبها نحو ٢٣,٥ ٪ من جملة حجرات المدينة .

ويبلغ المتوسط العام لعدد أفراد العائلة بهذه المنطقه نحو ٤,٩ من الأفراد ، بينما بعض بعض أحيائها يتجاوز ذلك ، وهى بالترتيب أم بكور(٦,٥) والطليح (٥,٤) .

وتبلغ كثافة السكان بالحجرة فى المتوسط نحو ٢,٢ من الأفراد ، ويزيد هذا المتوسط فى حى أم بكور فقط (٢,٧) .

(د) المنطقة الشرقية :

بها نحو ٢٢,٥ ٪ من جملة سكان المدينة ، ونحو ٢٣ ٪ من جملة العائلات ، وتضم نحو ٢٣,٦ ٪ من مجموع حجرات المدينة .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة بهذه المنطقة نحو ٥,٩ من الأفراد ، ولكن الأحياء الزائدة على هذا المتوسط هى بالترتيب : الأمتداد الثانى للحصا (٦,٩) وحى القلعة (٦.٦) والحصا غرب (٦.٥) والامتداد الأول للحصا والامتداد الأول لمدنى (كل منهما ٦,٣) ثم مدنى شرق (٦) .

أما كثافة الحجرة الواحدة فتوسطها نحو ٢,٣ من الأفراد . ولكن الأحياء التى يزيد المتوسط فى كثافة الحجرة بها عن ذلك هى بالترتيب : حى القلعة (٢,٦) ومدنى شرق والامتداد الثانى للحصا (كل منهما ٢.٥) .

(هـ) المنطقة الشمالية :

وهى أقل المناطق جميعها من حيث الكثافة السكانية إذ تضم فقط نحو ٣ ٪ من جملة سكان المدينة ، وكذلك نحو ٣ ٪ من مجموع العائلات ثم نحو ٢,٦ ٪ من جملة الحجرات .

ويبلغ متوسط عدد أفراد العائلة بها عامة نحو ٥.٣ من الأفراد . غير أن المنطقة الصناعية يزيد المتوسط بها عن ذلك إذ يبلغ نحو ٦,٥ .

أما كثافة الحجرة فيبلغ متوسطها بالمنطقة عامة نحو ٢,٦ من الأفراد ، يزيد فى المنطقة الصناعية إلى ٤,٣ من الأفراد ، وهذا أعلى متوسط لكثافة الحجرة فى مدينة عطبرة كلها على الإطلاق .

أما بالنسبة لمدينة عطبرة جميعها فان متوسط عدد أفراد العائلة الواحدة يبلغ نحو ٦ أفراد ومتوسط الكثافة للحجرة عامة نحو ٢.٤ من الأفراد .

من هذا التوزيع السكانى يمكن ملاحظة الآتى :

١ – تختص المنطقة لمنطقة الغربية بأعلى نسبة مئوية من سكان المدينة (٢٩ ٪) وكذلك بأعلى نسبة مئوية من عدد العائلات (٢٦ ٪) . بينما المنطقة الشمالية تختص بأدنى نسبة إذ تضم فقط ٣ ٪ من جملة السكان و ٣ ٪ أيضاً من جملة العائلات (منطقة صناعية وثكنات عسكرية) .

٢ – يختص حى العمال فى المنطقة الغربية بأكبر حجم للعائلة إذ يبلغ المتوسط نحو ٧,٢ من الأفراد. كما يختص أيضاً بأكبر كثافة لسكان الحجرة باستثناء المنطقة الصناعية إذ يبلغ متوسط عدد الأفراد فى الحجرة الواحدة بحى العمال ٣,٦ من الأفراد .

٣ – الأحياء السكنية التى يتجاوز فيها متوسط عدد أفراد العائلة المتوسط العام لمدينة عطبرة وهو ٦ أفراد تتمثل فى الأحياء الآتية وهى مرتبة تنازليا :–

الداخلة القديمة والسيالة (كل منهما ٧,١) – الداخلة الجديدة والامتداد الثانى للحصا (كل منهما ٦,٩) – السودنة (٦,٨) – المربعات الشرقية والحلة الجديدة (كل منهما ٦,٧) – القلعة (٦,٦) – أم بكور والحصا غرب والمنطقة الصناعية (كل منها ٦,٥) – السوق (٦,٤) – الامتداد الأول للحصا والامتداد الأول لمدنى (كل منهما ٦,٣) – مدنى غرب والمربعات القديمة (كل منهما ٦,٢) .

٤ – الأحياء السكنية التى يزيد فيها متوسط كثافة السكان بالحجرة على المتوسط العام (٢,٤) هى بالترتيب التنازلى :

المنطقة الصناعية (٤,٣) – حى العمال (٣,٦) – السيالة (٣,١) – الداخلة الجديدة (٣) – الداخلة القديمة (٢,٩) – الحلة الجديدة وأم بكور (كل منهما ٢,٧)

– المربعات الشرقية والقلعة والسكة الحديدية (كل منها ٦ , ٢) – الامتداد الثانى للحصا والمربعات القديمة ومدنى شرق (كل منها ٢,٥) .

٥ – يتمثل التركز السكانى عامة بمدينة عطبرة فى (أ) الجانب الشمالى من المنطقة الغربية حيث الداخلة الجديدة والداخلة القديمة والسيالة ثم حى العمال .(ب) المربعات السكنية القديمة والمربعات الشرقية فى المنطقة الوسطى (ج) المنطقتين الجنوبية والشرقية بوجه عام إذ أنها تمثلان التركز السكانى الرئيسى بالمدينة .

أما من حيث القوميات الخاصة بسكان عطبرة فإن بيانها كالآتى[1] : –

٩٧,٢ ٪ من جملة سكان المدينة سودانيون بالميلاد .
٠,٥ ٪ من جملة سكان المدينة سودانيون بالتجنس .
٢,٣ ٪ من جملة سكان المدينة أجانب (منهم نحو ٤٠٪)[2] من العناصر الإفريقية الغربية ويعادل ذلك نحو ٠,٩ ٪ من جملة سكان عطبرة) .

والبيان الآتى[3] يلخص التغيرات التى حدثت فى حجم السكان من الأجانب والسودانيين بالتجنس خلال الفترة ١٩٥٦/٥٥ – ١٩٦٥/٦٤ : –

القومية	العدد		الفرق		النسبة المئوية للتغير
	١٩٥٦/١٩٥٥	١٩٦٥/١٩٦٤	بالزيادة	بالنقص	
سودانيون بالتجنس	٦٧٢	٢٥٠	–	٤٢٢	٦٢,٨
أجانب	١٩٢١	١١٠٠	–	٨٢١	٤٢,٧
منهم : عناصر					
أفريقية غربية	٤٢٢	٤٤٠	١٨	–	٤,٣
مصريون	١٠٥٩	٣١٠	–	٧٤٩	٧٠,٧
عناصر أخرى	٤٤٠	٣٥٠	–	٩٠	٢٠,٥

(١) Population and Housing Survey, 1964/66. General Survey of the Urban Areas, Oct,1958 p.. 71
(٢) Population and Housing survey, 1964/65, Atbara, Oct. 1966,R10.
(٣) Loc, Cit.,

أما من حيث الجهات التى ولد بها سكان مدينة عطبرة فضلا عن مدينة عطبرة ذاتها كمحل للميلاد فيوضح ذلك البيان الآتى (1) : —

٦٢,٤ ٪ من السكان ولدوا بمدينة عطبرة ذاتها

٢٨,٨ ٪ من السكان ولدوا بالمديرية الشمالية

٢,١ ٪ من السكان ولدوا بمديرية الخرطوم

٢,١ ٪ من السكان ولدوا خارج جمهورية السودان

٢ ٪ من السكان ولدوا بمديرية كردفان

١ ٪ من السكان ولدوا بمديرية كسلا

٠,٩ ٪ من السكان ولدوا بمديرية النيل الأزرق

٠,٤ ٪ من السكان ولدوا بالمديريات الجنوبية (جنوب السودان)

٠,٣ ٪ من السكان ولدوا بمديرية دارفور .

أما الخصائص الديموغرافية للسكان فى مدينة عطبرة فيمكن دراستها من الجوانب الآتية على أساس التعداد الأول ٥٥–١٩٥٦ وتقارير المسح السكانى :—

ا — **فئات السن**[2]: (*)

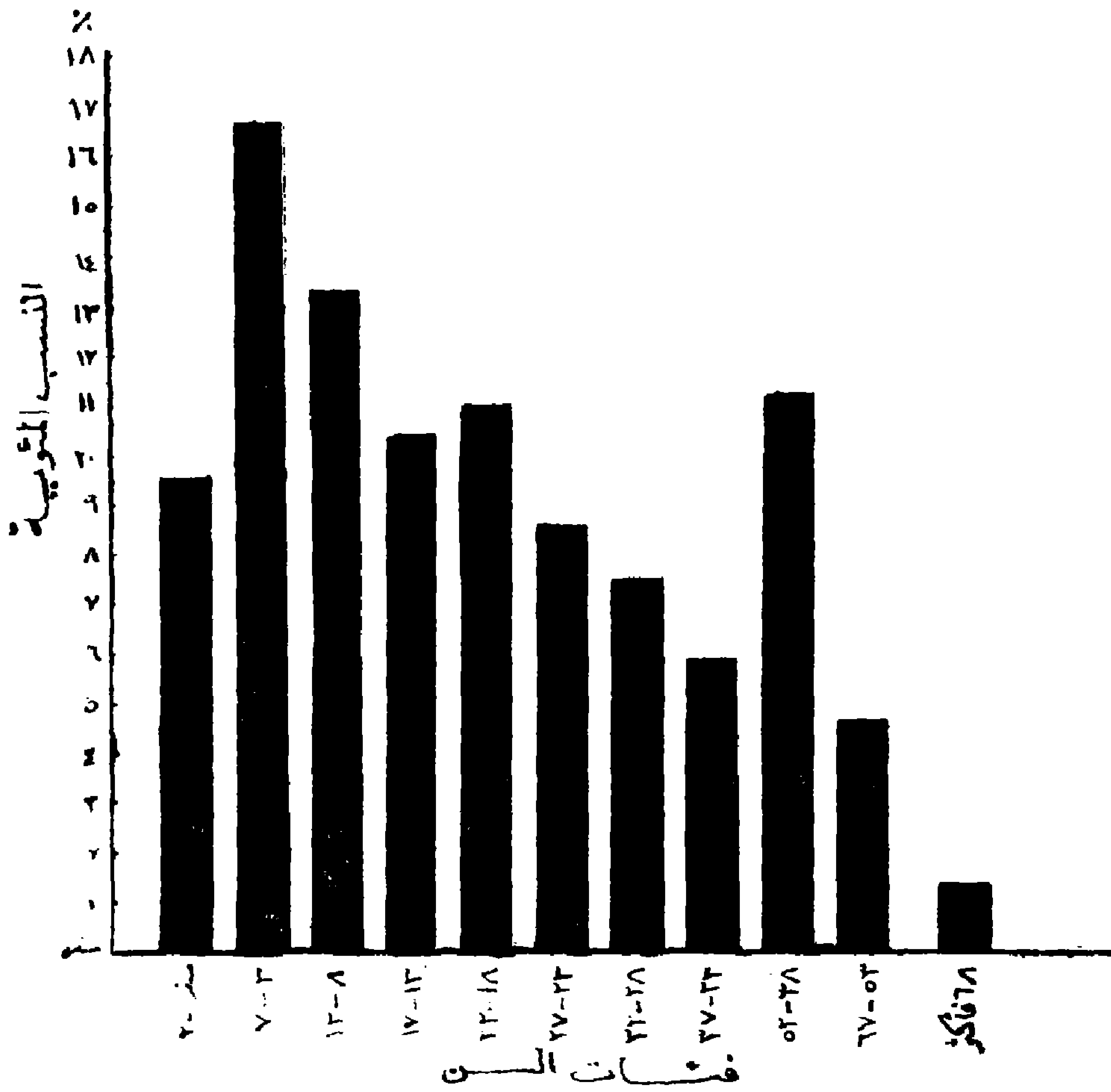
فئات السن	٪	فئات السن	٪
صفر — ٢ سنة	٩ر٦	٣ — ٧ سنة	١٦ر٦
٨ — ١٢ »	١٣ر٣	١٣ — ١٧ »	١٠ر٤
١٨ — ٢٢ »	١١	٢٣ — ٢٧ »	٨ر٦
٢٨ — ٣٢ »	٧ر٥	٣٣ — ٣٧ »	٥ر٨
٣٨ — ٥٢ »	١١ر٢	٥٣ — ٦٧ »	٤ر٧
٦٨ فأكثر	١ر٣		

ومن ذلك يتضح أن ٤٠ ٪ تقريباً من سكان مدينة عطبرة فى فئات السن الأقل من ١٣ سنة ، و ٥٠ ٪ أقل من ١٨ سنة ، ومعنى ذلك أن سكان مدينة عطبرة فى مرحلة الشباب .

(*) أنظر الرسم البيانى بالشكل رقم (١٠) .

(١) General Survey of the urban Areas, 1968, p. 71.

(٢) General Survey of the Urban Areas, 1964/66, Oct. 1968, p. 70



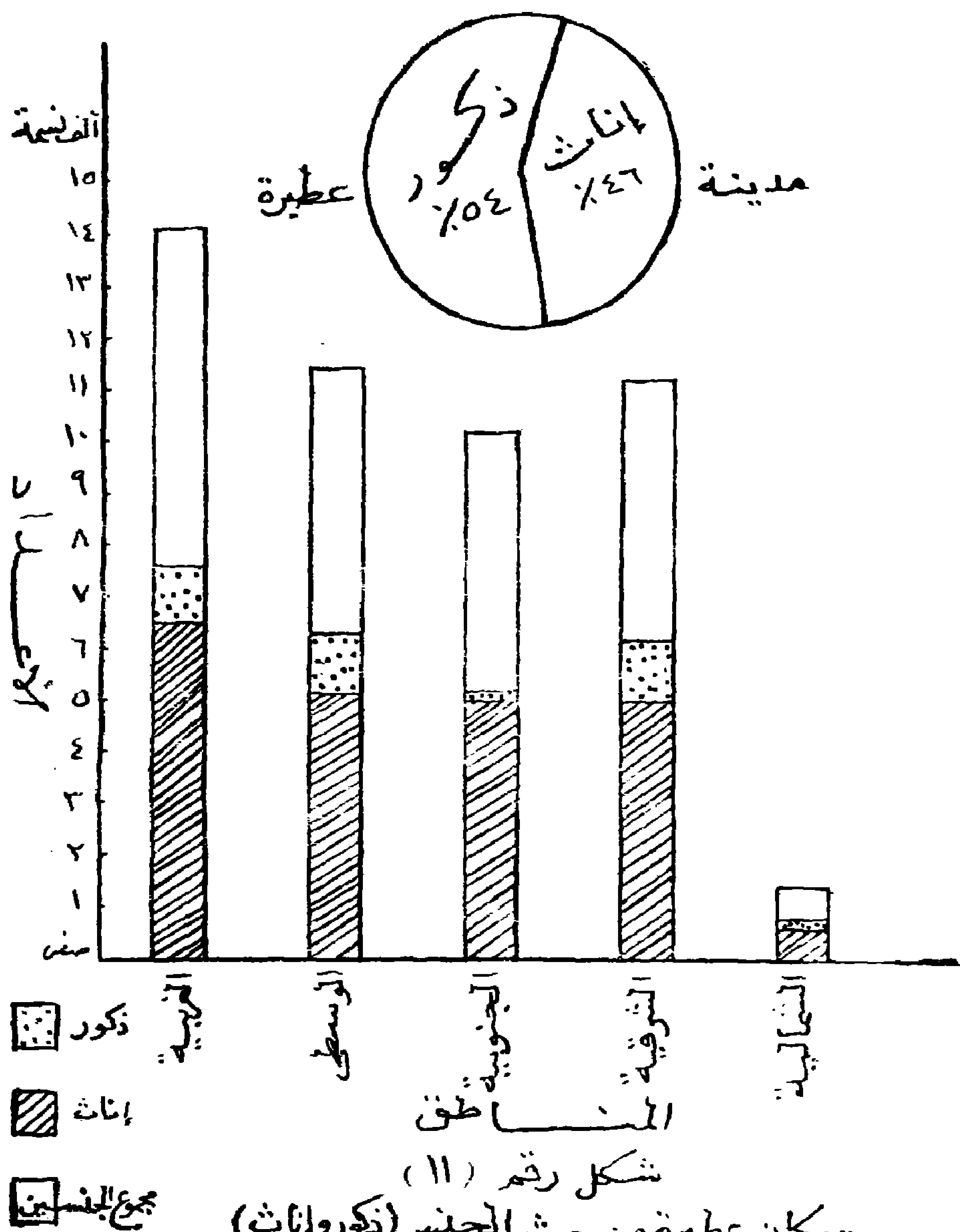
شكل رقم ١٠
فئات السن بين سكان عطبرة

ب- الجنس (ذكور وأناث) : (**)

على أساس المسح السكانى لعام ١٩٦٥/٦٤ والذى قدر فيه عدد سكان عطبرة بمقدار ٤٨٫٢٥٠ نسمة ، يلاحظ (كما فى التعداد الأول ١٩٥٦/٥٥) زيادة عدد الذكور على عدد الإناث ، والبيان الآتى(١) يوضح ذلك فى مدينة عطبرة بكافة مناطقها :-

(**) أنظر الرسم البيانى بالشكل رقم (١١) .

(١) Population and Housing Survey, 1964/65, ATBRA, Oct. 1966. Tablelo, p.31.



شكل رقم (١١)
سكان عطبرة من حيث الجنس (ذكور وإناث)

المنطقة	جملة السكان	عدد الذكور	عدد الإناث
الغربية	١٤,١٤٠	٧,٦١٠	٦,٥٣٠
الوسطى	١١,٤٠٠	٦,٣٢٠	٥,٠٨٠
الجنوبية	١٠,١٨٠	٥,١٣٠	٥,٠٥٠
الشرقية	١١,١٥٠	٦,٢١٠	٤,٩٤٠
الشمالية	١,٣٨٠	٧٦٠	٦٢٠
مدينة عطبرة كلها	٤٨,٢٥٠	٢٦,٠٣٠	٢٢,٢٢٠

ومن هذا البيان حسب معدل الذكورة فاتضح أنه ١١٧ بمعنى أن كل مائة من الإناث يقابلها مائة وسبعة عشر من الذكور .

ويبدو أن معدل الذكورة آخذ فى الإنخفاض حيث كان فى التعداد الأول (١٩٥٦/٥٥) نحو ١٢٢ حيث كان مجموع سكان المدينة ٣٦ر٢٩٨ نسمة ، منهم ١٩ر٩٤٨ من الذكور و ١٦ر٣٥٠ من الإناث .

ويبدو أن ارتفاع معدل الذكورة راجع إلى ارتفاع نسبة الذكور فى المهاجرين إلى المدينة .

حـ - المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية :(١)

١ - المعدل الخام للمواليد	٣٥,٢ فى الألف
٢ - « « للوفيات	٨,٥ « «
٣ - الزيادة الطبيعية	٢٦.٧ « «
٤ - معدل وفيات الأطفال	٨٨.٢ « « (من كل ألف مولود)
٥ - معدل التعويض	٢,٣ من الإناث ، بمعنى أن كل أنثى تترك رسالتها إلى ٢ر٣ من الإناث بعدها .

د - الهجرات إلى عطبرة :

على أساس المسح السكانى لعام ٦٤-١٩٦٥ بلغ عدد المهاجرين إلى عطبرة ١٨ر١٤٠ نسمة من كلا الجنسين بالنسبة لمجموع السكان البالغ ٤٨ر٢٥٠ نسمة وكان عدد الذكور منهم ١٠,٢٠٠ نسمة بنسبة ٥٦ ٪ وعدد الإناث ٧ر٩٤٠ نسمة بنسبة ٤٤ ٪ .

وبمقارنة النسبة المئوية للمهاجرين فى هذا المسح السكانى بنظيرتها فى التعداد الأول لعام ١٩٥٦/٥٥ يتضح الآتى(٢): -

١ - بلغ عدد المهاجرين فى تعداد ١٩٥٦/٥٥ نحو ٢٣,٠١٥ بنسبة ٦٣ ٪ من جملة سكان عطبرة البالغ عددهم فى هذا التعداد ٣٦,٢٩٨ نسمة .

(١) General Survey of the Urban Areas, 1964/66, Oct. 68, p. 85.

(٢) Rehfisch, F., "Sudan Urban Pofiles", International conference, "Sudan in Africa", 1968, PP.

٢ – بلغ عدد المهاجرين فى المسح السكانى المذكور نحو ١٨,١٤٠ نسمة بنسبة ٣٨٪ من جملة سكان عطبرة البالغ عددهم فى هذا المسح ٤٨,٢٥٠ نسمة .

٣ – بلغت الذكورة نسبة مئوية ثابتة فى التعداد الأول والمسح هى ٥٦٪ .

أما البيان الآتى(١) فيوضح النسب المئوية لكل من الذكور والإناث بين المهاجرين إلى عطبرة فى فئات السن المختلفة على أساس المسح السكانى ١٩٦٥/٦٤ :–

فئات السن	الذكور	الإناث	كلا الجنسين
	٪	٪	٪
صفر – ١٧ سنة	١٧,٢	٢٢,٣	١٩,٥
١٨ – ٣٧ «	٤٩	٥٠,١	٤٩,٥
٣٨ «	٣٣,٧	٢٧,٦	٣١

ويوضح البيان الآتى(٤) النسب المئوية لكلا الجنسين بين المهاجرين فى مختلف فئات السن حسب المسح السكانى ١٩٦٦/٦٤ :–

فئات السن	٪	فئات السن	٪
صفر – ٢ سنة	١,٨	٣ – ٧ سنة	٤,٥
٨ – ١٢ «	٧,١	١٣ – ١٧ «	٧,٨
١٨ – ٢٢ «	١٠,٣	٢٣ – ٢٧ «	١٣
٢٨ – ٣٢ «	١١,٩	٣٣ – ٣٧ «	٨,٥
٣٨ – ٥٢ «	٢٠,٦	٥٣ – ٦٧ «	١٠,٨
٦٨ فأكثر	٣,٧		

ومن هذين البيانين يتضح أن أكبر عدد من المهاجرين إلى عطبرة يقع فى سن الشباب (١٨– ٣٨ سنة) ، إذ هدفهم الأساسى من الهجرة هو العمل فى عطبرة .

أما البيان الآتى(٢) فيوضح الجهات التى وفد منها المهاجرون إلى عطبرة وذلك على أساس المسح السكانى ٤٤–١٩٦٦ :–

المديرية الشمالية	٧٣,٤	مديرية الخرطوم	٧,١
خارج السودان	٦,١	« كردفان	٥,١

(١) Ibid, p. 11,

(٢) General Survey, 1968, p.72.

مديرية كسلا	٣,٥		» النيل الأزرق	٢,٧	
» دارفور	١,١		مديريات الجنوب	١	

وفيما يلى بيان[1] بالنسب المئوية للمهاجرين فى الفترة من قبل ١٩٥٥ إلى ما بعد ١٩٦٤ :—

١٩٥٥ وما قبلها	٥٥,٤	٪	١٩٥٦—١٩٦٠	١٨,٤	٪
١٩٦١	٣,٤	٪	١٩٦٢	٦,٤	٪
١٩٦٣	٦,٨	٪	١٩٦٤ وما بعدها	٩,٦	٪

يتضح من البيانين أن أكبر نسبة من المهاجرين إلى عطبرة مصدرها المديرية الشمالية (٧٣,٤ ٪) حيث الجدب فى المديرية الشمالية يشكل عامل طرد قوى ، ويشكل العمل فى مدينة عطبرة قوة جذب لهؤلاء المهاجرين . كما يبدو أن أكبر نسبة من المهاجرين وفدت إلى عطبرة عام ١٩٥٥ وما قبله ثم تضاءلت النسب بعد ذلك ربما لأن فرص العمل قد تضاءلت أمام المهاجرين بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ حيث أن العمل الرئيسى فى عطبرة وهو « ورش » السكك الحديدية قد استوعبت القدر الكافى من العمال بحيث لم يبق أمام الوافدين من المهاجرين سوى ملء الأمكنة التى تخلو وما أقلها ، أما القطاع الخاص فان مجاله ضيق نوعاً ، وإلى جانب ذلك كله الأعمال المكتبية فى المصالح الحكومية على قلتها .

أما من حيث جهات الميلاد لهؤلاء المهاجرين فان البيان المقارن الآتى[2] يوضحها حسب التعداد الأول ٥٥—١٩٥٦ والمسح السكانى ٦٤—١٩٦٥ بالنسب المئوية :—

الجهة / السنة	المديرية الشمالية	مديرية الخرطوم	مديرية النيل الأزرق	مديرية كسلا	مديرية كردفان	مديرية دارفور	مديريات الجنوب	خارج السودان
١٩٥٥/١٩٥٦	٧٥,٩	٦,٦	٣,٣	٢,٧	٣,٥	٠,٧	٠,٦	٦,٨
١٩٦٤/١٩٦٥	٧٦,٦	٥,٦	٢,٣	٢,٦	٥,٣	٠,٩	١,١	٥,٦

(١) Loc. ci..
(٢) Rehfisch, (1868) p.7.

ومن هذا البيان يتضح أن الغالبية العظمى للمهاجرين مولود فى المديرية الشمالية ثم مديرية الخرطوم بعدد قليل يماثله المهاجرون الوافدون من خارج السودان ، وبعد ذلك نسب صغيرة جداً من مختلف مديريات السودان الأخرى .

النشاط الإقتصادى بالمدينة :

يكاد العمل فى الصناعة والخدمات أن يكون أهم مجال للنشاط الاقتصادى بالمدينة ، باعتبار عطبرة المركز الرئيسى للسكك الحديدية بالسودان ، وعقدة للمواصلات . فمجالات النشاط الزراعى والتجارى محدودة ، كما أن المهن الحرة معدودة . والبيان الآتى[1] يوضح مجالات العمل فى مدينة عطبرة على أساس جملة سكانها فى التعداد الأول لعام ١٩٥٥–١٩٥٦ :–

جملة السكان ٣٦,٢٩٨ نسمة

حجم القوة العاملة ١٠,٥٣٣ نسمة موزعة كالآتى (*) :–

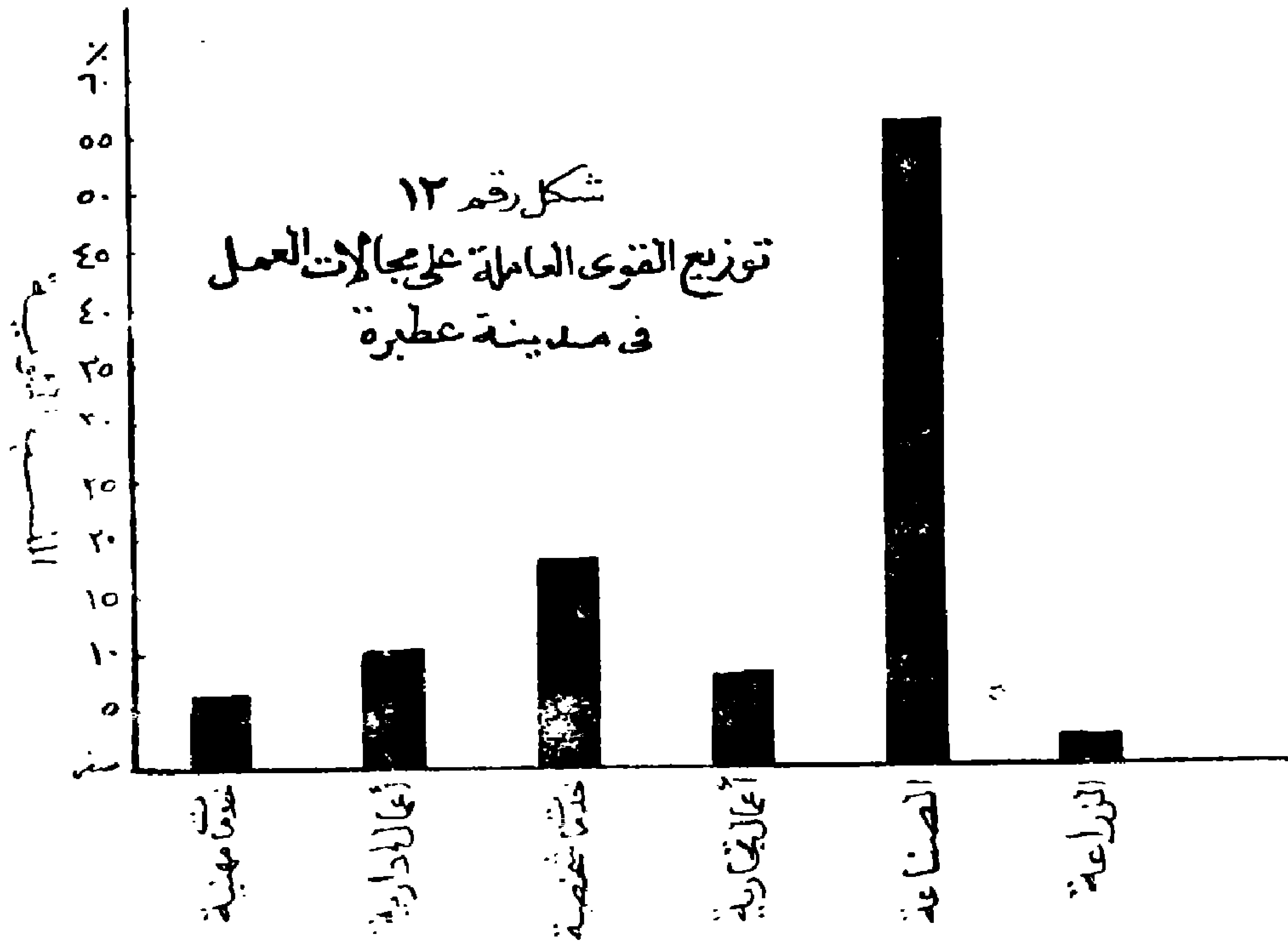
نسمة		%
٧٠٠	خدمات مهنية بنسبة نحو	٦,٦
١,٠٦٧	أعمال إدارية « «	١٠,١
١,٨٧٠	خدمات شخصية « «	١٧,٨
٨٠٥	أعمال تجارية « «	٧,٧
٥,٨٥٩	بالصناعة « «	٥٥,٦
٢٣٢	بالزراعـة « «	٢,٢

ومن ذلك تتضح ضآلة النسبة المئوية للمشتغلين بالتجارة والزراعة والمهن الحرة . ولعل ذلك راجع إلى أن مدينة عطبرة ليست مركزاً تجارياً هاماً فلا هى ميناء على البحر مثل بور سودان تنشط بها حركة الصادرات والواردات ، ولا هى فى إقليم ذى إنتاج نباتى تجارى أو حيوانى كالأبيض مثلا ، وإنما هى مجرد مركز للمواصلات الحديدية فى إقليم فقير مجدب إلا من شريط ضيق على ضفتى النيل ونهر عطبرة ،

(*) أنظر الرسم البيانى بالشكل رقم (١٢) .

(١) السيد البشرى : رسالة الماجستير ١٩٦٥ ص ١١٦ .

الأمر الذى أدى أيضاً إلى ضيق المجال الزراعى وخاصة بعد إنشاء خزان خشم القربة على نهر عطبرة ، فقد أثر حجز المياه على مساحة الأراضى الزراعية شرقى مدينة عطبرة حيث أدى ذلك إلى انكماش المساحة المزروعة وبالتالى اندفاع بعض الزراع نحو « ورش » السكك الحديدية للعمل بها .



شكل رقم ١٢
توزيع القوى العاملة على مجالات العمل في مدينة عطبرة

وكان الأهالى فى هذه المنطقة على الضفة اليمنى لنهر عطبرة يزرعون الأرض ويتجرون بالأخشاب الواردة مع مياه نهر عطبرة . ولكنهم اليوم بتأثير خزان خشم القربة يجلبون الأخشاب اللازمة للوقود من قرية «سيدون» الواقعة شرقى المدينة على نهر عطبرة حيث تنمو مجموعة كبيرة من أشجار السنط ، كما يجلبون بعض الأخشاب الأخرى والفحم من منطقى كسلا والقضارف .

وإن عدم انتظام جريان المياه فى نهر عطبرة بعدم قيام خزان خشم القربة هذا جعل المياه غير ميسورة للمشروعات الزراعية الصغيرة على ضفة النهر ماعدا تلك التى تمكن أصحابها من حفر آبار عميقة على الشاطئ لسحب المياه .

هذه هى حال الزراعة فى الموردة وفى الطلح على نهر عطبرة ، أما فى السيالة

وفى الداخلة القديمة على الضفة اليمنى للنيل الرئيسى فحال الزراعة أفضل نوعاً ويعتمد السكان بمدينة عطبرة على تلك المنطقة وامتدادها شمالا حتى قرية دار مالى التابعة لمجلس ريفى بربر فى الحصول على حاجتهم من المواد الغذائية كالخضروات والألبان ، كما يعتمدون أيضا على قريتى أم الطيور والفاضلاب التابعين لمجلس ريفى الزيداب فى الحصول على الألبان .

وجدير بالذكر أن بمدينة عطبرة معمل ألبان تابع لوزارة الإنتاج الحيوانى ولكن انتاجه لايفى باحتياجات جميع السكان فى المدينة .

أما من حيث الحصول على الذرة وهى الغذاء الرئيسى لغالبية السكان فإن ذلك غير موفر بكثرة فى الأنتاج الزراعى من حول المدينة ، بل أن الذرة ترد إلى مدينة عطبرة من منطقة القضارف .

وأما من حيث اللحوم فنظرا لأن مدينة الدامر تعتبر سوقاً رئيسية لتجارة الماشية والضأن والإبل فإن سكان مدينة عطبرة ،وغالبيتهم يفضلون لحوم الضأن فى غذائهم ، يحصلون على حاجتهم من اللحوم مدينة الدامر .

من ذلك يتضح أن النشاط الإقتصادى فى مدينة عطبرة يتمثل أغلبة فى مجالات الصناعة والخدمات . على أن الصناعة إنما تقتصر على العمل فى «ورش» السكك الحديدية أساسا ، وإلى جانبها بعض صناعات خفيفة فى المنطقة الصناعية لإنتاج مصنوعات محلية بسيطة ، فضلا عن مصنع الأسمنت جنوبى عطبرة عبر النهر ، وهو مصنع «ماسبيو» .

والجدير بالذكر أن وجود «ورش» السكك الحديدية بمدينة عطبرة يعتبر أهم عائق فى طريق التنمية الصناعية بالمدينة إذ أنه غير مسموح قط بانشاء مؤسسات صناعية حتى لاتجذب إليها عمال السكك الحديدية ولذلك لايعمل بالقطاع الخاص فى مجال الصناعة سوى عدد قليل جداً . والبيان الآتى(١) يوضح عدد العمال فى القطاع الخاص حتى يناير ١٩٧٤ :

---

(١) مكتب العمل بالمديرية الشمالية (مدينة عطبرة) : ملف رقم ع ع / ٥٠/ح٣ . إستمارة أستخدام ٨ / ب .

عدد العمال فى مصنع «ماسبيو» للأسمنت ٥٩٧ عاملا
« « « المصانع الأخرى ٤٥٥ «
« « « الورش والمحال الصغيرة التى
يستخدم كل منها أقل من خمسة عمال يقدر بنحو ٢٠٠ عامل

الجملة ١٢٥٢ عاملا

أما القطاع العام فانه يستأثر بمعظم القوه العاملة . وفيما عدا عمال السكك الحديدية يمكن ضرب أمثلة(١) لأعداد العمال فى بعض جهات العمل الحكومية لحين نشر نتائج التعداد الأخير لعام ١٩٧٣ :

الإسكان والمرافق العامة ٣٦٩ عاملا (حتى مارس ١٩٧٢) — الأشغال ٤٠٨ عمال (حتى مارس ١٩٧١) — المواصلات السلكية واللاسلكية ٢٧٦ عاملا (حتى مايو ١٩٧٤) — النقل الميكانيكى ٨٣ عاملا (حتى مايو ١٩٧٤) .

ومن المفيد دراسة حجم القوة العاملة فى مدينة عطبرة على أساس التعداد ١٩٥٦/٥٥ والمسح السكانى ١٩٦٥ وذلك على النحو الذى يبينه الجدول الآتى(٢) :

تعداد ٥٥–١٩٥٦					المسح السكانى لعام ١٩٦٥				
	السكان		القوة العاملة			السكان		القوة العاملة	
الجنس	العدد	العدد	النسبة المئوية		الجنس	العدد	العدد	النسبة المئوية	
ذكور	١٩,٩٤٨	١٠,٨٢٦	٥٤,٣		ذكور	٢٦,٠٣٠	١٣,١١٠	٥٠,٤	
إناث	١٦,٣٥٠	٧٢٠	٣٦		إناث	٢٢,٢٢٠	٧٢٠	٣,٢	
جملة الجنسين	٣٦,٢٩٨	١١,٥٤٦	٣١,٨		جملة الجنسين	٤٨,٢٥٠	١٣,٨٣٠	٢٨,٧	

وبمقارنة الزيادة فى حجم القوة العاملة بالزيادة فى عدد السكان يتضح أن

(١) مكتب العمل بمدينة عطبرة : ملف رقم م ع ع / ٥٠/ح ٣ — إستمارة إستخدام رقم ٢ / سرى .
(٢) المسح السكانى لمدينة عطبرة فى المدة ٦٤ / ١٩٦٥ — التقرير الصادر فى أكتوبر ١٩٦٦ (نسخة إنجليزية) ص ص ١٢ — ١٤ .

الأولى نسبتها المئوية أقل منها فى الأخرى ، ذلك أن عدد السكان قد زاد بمقدار ١١,٩٥٢ نسمة بنسبة ٣٣٪ بينما ازداد حجم القوة العاملة بمقدار ٢,٢٨٤ نسمة بنسبة ١٩,٨ ٪ ، وكانت الزيادة فى الذكور وحدهم بنسبة ٢١,١ ٪ .

وجدير بالذكر أن عدد الذكور فى فئة السن ١٨/٥٢ سنة هم الذين يكونون القوة العاملة الرئيسية فى المدينة ، ويبلغ عددهم ١٠٨٧٠ فى المسح السكانى لعام ١٩٦٥ فتكون نسبتهم إلى مجموع القوة العاملة البالغ ١٣,٨٣٠ نحو ٧٨,٦٪ ومن دراسة القوى العاملة بوجه عام فى مدينة عطبرة على أساس المسح السكانى لعام ١٩٦٥ يتضح أن حجم القوى العاملة فعلا هو ١٣,١٦٠ منهم ١٠٧١٠ من المستخدمين (عمالا وموظفين) و٢٣٨٠ من ذوى المهن الحرة (يعملون لحسابهم) وأما الباقون وعددهم ٧٠ فموزعون بين أعمال أخرى . وعلى كل حال فإن البيان الآتى(١) يوجز صور النشاط الاقتصادى للسكان بالمدينة :

جملة سكان عطبرة	فى قوة العمل	تصنيفهم		خارج قوة العمل	تصنيفهم			
		العاملون فعلا	المعطلون موقتا		أعمال منزلية	طلاب	ذوو دخل خاص	آخرون
٤٨,٢٥٠	١٣,٨٣٠ (٢٨,٧٪)	١٣,١٦٠ (٩٥,٢٪)	٦٧٠ (٤,٨٪)	٣٤,٤٢٠ (٢١,٣٪)	١١,٢٩٠ (٣٢,٨٪)	٩,٨٢٠ (٢٨,٥٪)	٣٧٠ (١,١٪)	١٢,٩٤٠ (٣٧,٦٪)

أما من حيث الدخل الشهرى(٢) فمن الطبيعى أن قيمته تختلف من عائلة إلى أخرى تبعاً لاختلاف عدد القائمين بالعمل والمتكسبين للدخل فى كل عائلة . وفى المسح السكانى لعام ١٩٦٥ اتضح أن متوسط عدد المتكسبين فى كل عائلة هو نحو ١,٦ من الأفراد . وعلى أساس عدد المتكسبين فى العائلة جاء التوزيع الآتى للعائلات مقدرا بالنسب المئوية :

---

(١) المسح السكانى لمدينة عطبرة ٦٤ –١٩٦٥ – التقرير الصادر فى أكتوبر ١٩٦٦ (نسخة إنجليزية) جدول ٨ ص ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٨ و ١٩ .

نحو ٦٤ ٪ من العائلات بكل منها متكسب واحد

و ٢٢ ٪ من العائلات بكل منها اثنان متكسبان

و ٩ ٪ من العائلات بكل منها ثلاثة متكسبون

و ٣ ٪ من العائلات بكل منها أربعة متكسبون

وتبين أيضاً أن متوسط الدخل الشهرى للعائلة هو نحو ٣١,٢ من الجنيهات ، ومتوسط الدخل الشهرى للفرد هو نحو ٥,٢ من الجنيهات .

واتضح أن أعلى متوسط للدخل الشهرى إنما يوجد فى حى السودنة ومنطقة السوق وحى مدنى غرب . وأن أدنى متوسط للدخل الشهرى إنما يوجد فى المناطق الجنوبية والشرقية والشمالية .

ومما يجدر ذكره أن فى عطبرة بعض دخول للعائلات لم تبذل محاولات لتقييمها(١) وربطها بالدخل الإجمالى للعائلات ؛ فمثلا تبين من الدراسة أن نحو ثلث العائلات بالمدينة لديهم منتجات حيوانية منزلية ، وهذا النوع من الإنتاج شائع بين سكان عطبرة بدرجة لا بأس بها . كذلك فان نحو ٤ ٪ من العائلات لديه إنتاج من الخضروات ، كما أن نحو ٦ ٪ من العائلات لديه دخل من بيع منتجات زراعية .

الحياة الإجتماعية بالمدينة :

تبين من المسح السكانى لعام ١٩٦٥ أن مدينة عطبرة بها نحو ثمانية آلاف عائلة (٨٠٠٠ عائلة) متوسط عدد الأفراد بكل منها نحو ٦ أفراد . ومن هذه العائلات نحو ٧٤٨٠ أسرة بنسبة نحو ٩٣٫٥ ٪ ونحو ٥٢٠ مجموعة من الشباب الأعزب بنسبة نحو ٦٫٥ ٪ .

---

(١) نفس المرجع ص ١٨ .

والجدول الآتى يوضح الحالة الاجتماعية المتعلقة بالزواج والطلاق والترمل :

الحالة الإجتماعية للسكان	كلا الجنسين		ذكور		إناث	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
لم يتزوجوا قط	٣٠,٠١٠	٦٢,٢	١٧,٢٢٠	٦٦,١	١٢,٧٩٠	٥٧,٥
متزوجون	١٦,٢١٠	٣٣,٦	٨,٤٦٠	٣٢,٥	٧,٧٥٠	٣٤,٩
مطلقون	٤٥٠	٠,٩	١٠٠	٠,٤	٣٥٠	١,٦
مترملون	١,٥٨٠	٣,٣	٢٥٠	١	١,٣٣٠	٦
المجموع	٤٨,٢٥٠		٢٦,٠٣٠		٢٢,٢٢٠	

من الجدول يتضح أن المتزوجين تبلغ نسبتهم نحو ثلث عدد السكان فى المتوسط سواء فى الذكور أو فى الإناث أو فى الجنسين معاً ، بينما الذين لم يتزوجوا قط تبلغ نسبتهم نحو الثلثين تقريباً ، وتمتد فى أدنى فئات السن حتى الثامنة عشرة تقريباً ، ومعظم غير المتزوجين إنما هم فى فئات السن تحت البلوغ . كما يبدو أن حالات الطلاق نسبتها ضئيلة للغاية .

أما من حيث مستوى المعيشة فى مدينة عطبرة ، فنظراً لأن المدينة عمالية فى جوهرها كان مستوى المعيشة منخفضاً بوجه عام . ويتضح ذلك فى عدة مظاهر منها ما يأتى :—

أولا — مظهر غالبية المبانى بالمدينة من حيث الحجم ومواد البناء ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل .

ثانياً — نمط المسكن فهناك مساكن تقطنها عائلات (أسرات) ومساكن تقطنها مجموعات من الشباب الأعزب تشترك كل مجموعة فى مسكن وتقتسم النفقات فيما بين أفرادها . وقد سبقت الإشارة من قبل إلى أن النمط الأول هو الأغلب إذ تبلغ نسبته نحو ٩٣٫٥ ٪ بينما النمط الآخر نسبته نحو ٦٫٥ ٪ .

ثالثاً — نظام الحيازة للمسكن فقد تبين من المسح السكانى والإسكانى للمدينة عام ١٩٦٥ أن عدد المساكن نحو ٨٠٠٠ منها ٢٩١٠ ملكية خاصة لساكنيها بنسبة

نحو ٤ر٣٦٪ و ٤٦٥٠ مستأجرة بنسبة نحو ٥٨٪ والباقى وهو ٤٤٠ بنسبة ٥ر٥٪ حالات أخرى . ومعنى ذلك أن الساكنين بالإيجار هم الغالبية .

على أن متوسط الإيجار الشهرى لمسكن العائلة هو نحو ٢ر٣ من الجنيهات . وتختلف فئات الإيجار باختلاف المناطق والأحياء السكنية . فإن الإيجارات أعلى ما يمكن فى المنطقة الوسطى ، وكذلك توجد إيجارات مرتفعة للغاية فى بعض جهات بالمناطق الأخرى . غير أن أعلى متوسط للإيجار الشهرى إنما هو فى المنطقة الوسطى ، وأقل متوسط للإيجار الشهرى يظهر فى المنطقتين الغربية والجنوبية وكذلك فى المنطقة العسكرية .

ولعل تفسير ذلك هو درجة الكثافة السكانية فضلا عن مميزات الموقع السكنى من حيث القرب أو البعد عن أماكن العمل . وتتمثل هذه العوامل جميعها فى المنطقة الوسطى لما لها من مميزات كثيرة تقل كلما ابتعد السكن نحو أطراف المدينة وتطلب تكاليف انتقال . أما المنطقة الغربية فان انخفاض متوسط الإيجار الشهرى لمساكنها راجع إلى أحد أمرين إما السكن فى مبان حكومية بايجار رمزى كما هى الحال فى حى السودنة ، وإما السكن فى أحياء فقيرة متطرفة كالداخلة والسيالة ، ومثل ذلك أيضاً نجده فى المنطقة الجنوبية وفى المنطقة العسكرية .

رابعاً — التسهيلات المتمثلة فى ملكية بعض الأجهزة والأدوات والخدم ، والجدول الآتى[1] يوضح النسب المئوية للعائلات التى تمتلك مختلف الأجهزة والأدوات والخدم موزعة على مختلف المناطق والأحياء :—

المنطقة والحى	راديو	سيارة	دراجة بخارية	تليفون	ثلاجة كهربائية	مبردهوائى أو جهاز تكييف	ماكينة خياطة	خادم
المنطقة الغربية	٦١	٧	اقل من ١	٩	٩	١	٢٩	٦
السودنة	٨٦	٤٣	—	٦٤	٦٤	١٤	٨٦	٣٦
السكة الحديدية	٨٠	١٣	٢	١٨	١٨	—	٥٦	٧
العمال	٧٥	—	—	—	—	—	٥٠	—

(١) المسح السكانى لمدينة عطبرة ١٩٦٥ — تقرير أكتوبر ١٩٦٦ (نسخة إنجليزية) جدول ٢٣ ص ٤٨—٤٩ .

المنطقة والحى	راديو	سيارة	دراجة بخارية	تليفون	ثلاجة كهربائية	مبرد هوائى أو جهاز تكييف	ماكينة خياطة	خادم
الداخلة الجديدة	٥٨	—	—	—	—	—	١٠	—
« القديمة	٥٥	٥	—	—	—	—	١٥	١٠
السيالة	٣٣	—	—	—	—	—	٩	٢
المنطقة الوسطى :	٧٠	٦	١	٦	٦٢	١	٣٠	٥
مدنى غرب	٨٩	١٥	٤	١٥	٣٣	—	٤٨	١٩
السوق	٧٤	١٦	—	٣٢	١٦	٥	٥٨	٥
المربعات القديمة	٦١	—	—	—	—	—	١٨	٢
« الشرقية	٧٥	٣	—	٢	٢	—	٣٢	٢
الحلة الجديدة	٥٦	٤	—	—	—	—	١٢	—
المنطقة الجنوبية	٤٥	٢	—	—	١	—	١١	١
أم بكور	٦٢	٣	—	—	٣	—	١٩	٣
الموردة غرب	٤٥	١	—	—	—	—	١٠	—
« شرق	٣١	—	—	—	—	—	٧	—
الطليح	٦٤	١٨	—	—	—	—	٩	—
المنطقة الشرقية :	٥٨	٢	—	١	—	—	٢٥	١
الحصا غرب	٥٠	١٣	—	١٣	—	—	٢٥	—
« شرق	٦٢	—	—	—	—	—	٢٣	—
الامتداد الأول للحصا	٧٠	—	—	—	—	—	١٧	—
« الثانى للحصا	٥٦	—	—	—	—	—	٢٢	—
القلعة	٥٠	—	—	—	—	—	٥٠	—
الأنادى	١٠٠	١٠٠	—	—	—	—	—	١٠٠
مدنى شرق	٥٧	٥	—	٢	—	—	٣٤	—
الامتداد الأول لمدنى	٦٣	—	—	—	—	—	٢١	—
« الثانى «	٥٢	—	—	—	—	—	١٤	٣
المنطقة الشمالية :	٤٨	—	—	٤	—	—	١٢	—
المنطقة الصناعية	٥٠	—	—	—	—	—	—	—
« العسكرية	٤٨	—	—	٤	—	—	١٣	—
مدينة عطبرة	٥٨	٤	أقل من ١	٤	١٧	أقل من ١	٢٣	٣

من الجدول يتضح أن النسب المئوية لامتلاك الأجهزة والأدوات والخدم منخفضة بوجه عام ، وأكثر الأجهزة شيوعاً فى عطبرة أجهزة الراديو (٥٨ ٪) وماكينات الخياطة (٢٣ ٪) بمعنى أن ٥٨ ٪ من العائلات تمتلك أجهزة راديو و ٢٣ ٪ منها تمتلك ماكينات خياطة أما ما عدا ذلك فان نسبة امتلاكه ضئيلة للغاية فالدراجات البخارية وأجهزة تبريد الهواء أو أجهزة التكييف تقل نسبة من يملكها من العائلات عن ١٪ ويرجع ذلك إلى انتشار الدراجات العادية بأعداد ضخمة كما أن أجهزة التبريد والتكييف للهواء لا يملكها إلا ذوو الدخول الكبيرة أو كبار الموظفين . وتتضح ضآلة النسب المئوية أيضاً فيمن يمتلكون السيارات والتليفونات والخدم إذ أن ذلك يتناسب طردياً مع ارتفاع مستوى المعيشة بارتفاع الدخل .

وتختلف مناطق المدينة والأحياء السكنية فى نسبة امتلاك هذه الأجهزة والأدوات فأعلى نسبة للسيارات توجد بحى السودنة وكذلك أعلى نسبة للتليفونات والثلاجات الكهربائية وأجهزة التبريد والتكييف للهواء ثم أعلى نسبة للخدم باستثناء « الأنادى » فيما يختص بالسيارات والخدم .

أما من حيث الخدمات المختلفة فإنها مرتبطة بما فى المدينة من مرافق عامة ، وقد سبقت الإشارة إلى أن كافة المبانى بالمدينة مزودة بالكهرباء والماء والمرافق الصحية .

أما التعليم فقد تبين من المسح السكانى لعام ١٩٦٥ أن الملتحقين بالمدارس فى كافة المراحل تبلغ نسبتهم نحو ٣١٪ من جملة السكان موزعين كالآتى(١) :—

٢١٪ بالمرحلة الأولية و٨ ٪ بالمرحلة الوسطى و ١ ٪ بالمرحلة الثانوية فضلا عن ١ ٪ بالتعليم الجامعى .

وإلى جانب ذلك كله نحو ١٧ ٪ من السكان ملتحقون بالحضانة ورياض الأطفال وغيرها ، وهم فى فئات السن المختلفة إبتداء من ٣ — ٧ ، وأعلى نسبة لهم هى فى فئة السن ٨ — ١٢ حيث تبلغ ٧٧ ٪ من جملة عددهم فى هذه الفئة من السن ، على أن نسبة المتعلمين بالمدارس أعلى فى الذكور منها فى الإناث بصفة عامة .

---

(١) المسح السكانى لمدينة عطبرة (٦٤-١٩٦٥) ، جدول ٦ ص ٢٦ (نسخة إنجليزية) .

وأما الصحة فقد سبقت الإشارة إلى مستشفى عطبرة والمراكز الصحية بالمدينة ولكن ينبغى الإشارة هنا إلى عدد الأسرة فيها جميعاً ويبلغ ذلك ٣١٢ سريراً موزعة كالآتى(١) :— ٢٣٤ سريراً عاماً و ٢٦ للأمومة و ٣٦ للسل و ١٦ للأطفال . ولما كان عدد السكان فى مدينة عطبرة يقدر بنحو ٤٨٫٢٥٠ نسمة فان توزيع الأسرة يكون بمعدل سرير واحد لكل نحو ١٥٥ شخصاً من السكان .

هذا ، وقد سبقت الإشارة إلى النقص الكبير فى الوسائل الترفيهية ، الأمر الذى يعانى منه السكان فى المدينة ، والذى يسهم فى انخفاض مستوى الحياة الاجتماعية ويعكس صورة واضحة لتخلف المجتمع .

إقليم المدينة :

قد يكون من الصعب تحديد إقليم المدينة تحديداً واضحاً نظراً لأن وضع عطبرة كمركز رئيسى للسكك الحديدية بالسودان من شأنه أن يضيف إليها إقليماً كبيراً يمتد إلى جهات بعيدة ويتأثر بوظيفتها الأساسية كعقدة مواصلات حديدية . غير أن الإقليم الصغير الذى يؤثر فى المدينة ويتأثر بها مباشرة إنما يمكن تحديده بالمنطقة الممتدة بين بربر شمالا والدامر جنوباً فضلا عن النطاق الممتد من نقطة إلتقاء نهر عطبرة بالنيل الرئيسى حتى نقطة إلتقاء الحدود الإدارية لمديرية النيل (حالياً) بنهر عطبرة . على أن منطقة النيل الرئيسى أكثر حيوية وأكبر مجالا إقتصادياً بالنسبة للمدينة مع أنها مدينة مقرن .

إن العمران بوجه عام فى مديرية النيل ينحصر فى نطاق ضيق من الأراضى الواقعة على ضفى النيل الرئيسى ، وهذا النطاق العمرانى يختلف عرضه من مكان إلى آخر فقد يضيق فى بعض المواضع حتى لا يتجاوز عدة أمتار ، وقد يتسع فى أماكن أخرى لدرجة أنه قد يبلغ نحو أربعة من الكيلومترات ، ويمتد هذا النطاق العمرانى فى المديرية بين الحدود المصرية السودانية شمالا وخانق سبلوقة جنوبا . أما بقية أجزاء المديرية فإنها كانت تكون مع المساحة التى تشغلها اليوم المديرية الشمالية منطقة صحراوية خالية من العمران ، ولا سيما فى الركن الشمالى الغربى

(١) Sudan Almanac, 1970/71, p.280.

الذى يطلق عليه مجازا اسم «الربع الخالى بالسودان» ولقد كانت هذه المناطق القاحلة مناطق طرد للسكان ، بحيث يندفعون مهاجرين إلى مراكز الإستقرار على ضفاف النيل ولا سيما مدينة عطبرة حيث مجال العمل الواسع فى « ورش » السكك الحديدية وغيرها .

وفى هذا النطاق العمرانى على النيل الرئيسى مجموعة من المدن النيلية المتقاربة تتمثل مع عطبرة فى مدن بربر والدامر وشندى ، وتضم معاً ما يقرب من ٩٠ ٪ من سكان المديرية ، ولئن كانت الدامر العاصمة الإدارية للمديرية وبربر وشندى من أهم المراكز ، فإن عطبرة قد طفت بأهميتها على تلك المدن جميعاً باختيارها عاصمة للسكك الحديدية بالسودان . ومن هنا نجد التأثير الكبير لمدينة عطبرة على الإقليم حتى لقد باتت تمثل المركز الإقليمى الممتاز الذى تذكر فيه الخدمات التعليمية والصحية والإجتماعية وغيرها . فمعظم أبناء الإقليم يتلقون التعليم فى المراحل الأعلى من المرحلة الإبتدائية فى مدينة عطبرة ، كما يفيدون من النواحى الصحية والإجتماعية بالمدينة . وفضلا عن ذلك فإن معظم القرى المحصورة بين بربر والدامر تعتمد على مدينة عطبرة فى تسويق إنتاجها الزراعى ، والحصول على متطلباتها من مختلف السلع ، وذلك باعتبار مدينة عطبرة مركزاً تجاريا فى الإقليم .

وتقوم مدينة عطبرة بخدمة المشروعات الزراعية فى الإقليم بالنطاق الممتد من بربر حتى الزيداب مارا بالدامر نظرا لمميزات الموقع الهام للمدينة . كما أن مطار عطبرة يعتبر من المطارات الهامة فى الإقليم وتعتمد عليه المدن الكبيرة بهذا النطاق فى النقل الجوى .

ومن جهة أخرى فان للاقليم تأثيراً واضحاً فى مدينة عطبرة من حيث الكيان البشرى والبناء الإقتصادى والإجتماعى . ذلك أن الإقليم هو الذى أمد المدينة بنسبة كبيرة من سكانها عن طريق الهجرات للعمل فى مختلف المجالات ولا سيما ورش » السكك الحديدية . كما أن عطبرة تعتمد على الإقليم فى المواد الغذائية ومواد البناء . فالأراضى الزرعية على نهر النيل حيث قرية الداخلة القديمة وقرية السيالة وكذلك الأراضى الزراعية على نهر عطبرة ، تمد المدينة بحاجتها من المواد الغذائية . فضلا

[عن حصول المدينة على مقدار لا بأس به من الألبان التى ينتجها مصنع يقع فى شمال المدينة إلى جانب ما يحصل عليه من ألبان من بعض المناطق الداخلية بالمدينة . أما مواد البناء فتحصل المدينة عليها من بعض مناطق على حدودها الشرقية ، كما تتوفر الأخشاب اللازمة للبناء وللوقود من مناطق أداخلة . وهنالك مصنع الأسمنت فى قرية العكر جنوبى المدينة عبر نهر عطبرة ، وهو يمد المدينة بحاجتها من هذه المادة اللازمة فى البناء .

أما إقليم المدينة الممتد على الضفة اليمنى لنهر عطبرة فقد قلت أهميته للمدينة بعد إنشاء خزان خشم القربة على نهر عطبرة ، فلم يعد الأهالى يحصلون على الأخشاب التى كانت تجلبها مياه الفيضان فى الماضى ، كما بطلت زراعة البطيخ والشمام وغيرهما من المحاصيل الزراعية لعدم أنتظام كمية المياه بالنهر الأمر الذى جعل الماء غير ميسور للمشروعات الزراعية الصغيرة فيما عدا المشروعات التى تمكن أصحابها من حفر آبار عميقة على ضفة النهر تسحب المياه . ومما زاد المشكلة تعقيداً أن مصلحة الغابات قامت بحجز مساحات من غابات الدوم بالإقليم رغبة فى وقف الزحف الصحراوى وصيانة التربة ، وبذلك حرمت الأهالى من أخشاب الدوم وسعفه . وبذلك يعيش سكان هذا الأقليم فى ضنك شديد ، وقد تخلى بعضهم عن الزراعة متحولا إلى العمل فى مجالات النشاط بالمدينة .

المراجع

اولا ــ العربية :

١ـ الصياد (الدكتور محمد محمود) وسعودى (الدكتور محمد عبد الغنى) : السودان : دراسة فى الوضع الطبيعى والكيان البشرى والبناء الإقتصادى ــ القاهرة ١٩٦٦.

٢ـ بكرى أحمد : «عطبرة الجنوبية» (مذكرة غير منشورة) ــقسم التخطيط والبحوث بعطبرة ١٩٧٢ .

٣ـ حمدان (الدكتور جمال) :« جغرافية المدن » ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٧٢ .

٤ـ حمدان (الدكتور جمال) : « المدينة العربية » ــ معهد الدراسات العربية ــ القاهرة ١٩٦٤ .

٥ـ صلاح مازرى : « المدينة السودانية الحديثة » ــ مجلة الدراسات السودانية ــ شعبة أبحاث السودان ــ كلية الآداب بجامعة الخرطوم ــ العدد الأول : يوليه ١٩٦٨ .

٦ـ عبد الله على حامد : « تخطيط المدن فى السودان ــ دراسة فى الجغرافيا التطبيقية » ١٩٧٠ (رسالة ماجستير لم تنشر) .

٧ـ عوض (الدكتور محمد عوض محمد) : « نهر النيل » الطبعة الثانية : القاهرة ١٩٤٨ .

٨ـ غلاب (الدكتور محمد السيد) والجوهرى (الدكتور يسرى) : «جغرافية الحضر» الإسكندرية ١٩٧١ .

٩ـ لجنة تخطيط المدن المركزية بالسودان : مذكرة برقم ٣ـ٨ـ ١ـ٤٨٤ بتاريخ ١٢ـ٢ـ١٩٦٩ .

١٠ـ مرشد المديرية الشمالية : أصدرته إدارة المديرية الشمالية بالدامر فى أبريل ١٩٧٣ .

١١ـ مصطفى اليمنى : مذكرة خاصة عن مدينة عطبرة (غير منشورة)ـ المجلس الشعبي بعطبرة .

١٢ـ مكتب العمل بعطبرة : ملف رقم م ع ع ٥٠/ح/٣ (استمارة استخدام ٨ـب : عمال القطاع الخاص حتى يناير ١٩٧٤ واستمارة استخدام ٢ـ سرى : عمال القطاع العام حتى مايو ١٩٧٤ .

ثانيا ـ الاجنبية :

ا ـ كتب ومقالات ورسائل جامعية :

1. Barbour, K.M., "The Republic of the sudan : A Regional Geography, London, 1964.

2. El Sayed El Bushra Mohmed, "The Urban Geography of North and Veutral Suden," Unpublihed Thesis of M.A.., London, 1965.

3. ———, "The Khartouni Conurbation : An Economic and Social Analysis, Unpublished Thesis of ph. D., London,

4. March, G.F., "Transport in the Sudan," in Tothill, J.D., "Agriculture in the Sudan, London, 1952.

5. Morrice, H.A., "The Development of Sudan Communication," Sudan Notes and Records (SNR) part I, Vol. XXX, 1949.

6. Rehfisch, F., Sudan Urban Profiles", Intrenational Conference Sudan in Africa", Khartoum, February 1968.

7. Salih A. El Arifi, "Urbanization and Distribution of Economic Derelopmeut in the Sudan," African Urban Notes, Vol. VI, 1971, No.2, African Studies Center, Michigan State University, Sudan Urban Studies.

ب– مطبوعات حكومة السودان :

1. Sudan Almanac, 1970/1971.

2. Sudan Meteorological Department, Climatological Normals, ATBARA, 1931-1960 and 1941-1970.

3. The Republic of the Sudari, Department of Statistics, :

   (a) Population and Haousing Survey, 1964/65, ATBARA, Oct. 1966.

   (b) Population and Housing survey, 1964/66, Narthern Province, Urban Areas, July 1968.

   (c) Population and Housing Survey, 1964/66, General Survey of the Urban Areas, oct. 1968.

ج– ملفات بدار الوثائق المركزية بالخرطوم :

1. File No. N.p. 2/47/504, A.R.P. Scheme ATBARA.

(خريطة لمشروع الدفاع عن مدينة عطبرة ضد الغارات الجوية عام ١٩٣٩)

2. File No. N.P. 2/66/656, Letter No. N.P./30. B.3. Concerning the Concerning the Dom Palm.

ظاهـرة الانقـلابات العسـكرية
فى افريقيـا
بين النظرية والتطبيق

للدكتورة سلوى محمد لبيب

الانقلاب العسكرى هو سيطرة جماعة من القوات المسلحة على الحكم فى الدولة بالقوة[1] . وهى ظاهرة معروفة سواء فى العالم القديم أو الحديث ، وقد سادت هذه الظاهرة فى كثير من الدول النامية مما دفع المحللين السياسيين إلى محاولة تفسيرها بنظريات ومبررات مختلفة . وقد ركز البعض منهم فى كثير من الأحيان على دراسة ميكانيكية الانقلاب فى الدول النامية ، أو على وضع الحكومات قبل حدوث الانقلاب ، وتجاهلوا المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المترابطة فى تلك الدول ، مما أدى إلى ظهور مجموعة مفككة من النظريات يصعب تعميمها على الدول النامية عموما وعلى القارة الإفريقية على وجه الخصوص ، خاصة وأن ظروف الدول التى قامت فيها الانقلابات فى أفريقيا تختلف عن مثيلاتها فى أمريكا اللاتينية أو الشرق الأوسط .

وقد كانت الموجة السائدة بين الكتاب السياسيين البريطانيين والفرنسيين حتى نهاية الستينات هى عدم اعتبار الانقلابات العسكرية فى القارة الإفريقية ظاهرة

---

(١) يجب التفرقة بين الأنقلاب العسكرى وبين التمرد فى الجيش (Mutiny) فالتمرد هو حدوث تذمر مصحوب باستخدام العنف داخل القوات المسلحة لسبب أو لعدة أسباب معينه يرجع معظمها إلى المطالبة بتحسين الحالة المادية أو الأدبية لتلك القوات . ومثـل التمرد ماحـدث فى شرق أفريقيا فى عام ١٩٦٤ وعادة يكون القضاء على العصيان سريع عن طريق قمعة بالقوة عن طريق مجموعات أخرى فى الجيش أو الاستعانة بقوى خارجية كما حدث عندما لجأ نيريرى إلى بريطانيا بعد حدوث تمرد فى تنجانيفا عام ١٩٦٤ ، ويتبع القمع عادة أستجابة لمطالب القوات المسلحة ، ولا يكون من أغراض التمرد الاستيلاء على الحكم أو مشاركة السلطات المدنية فى النفوذ السياسى داخل الدولـة .

سياسية تستحق وضع نظريات لمحاولة تفسيرها ، أو وضع قواعد خاصة بها ، وأن هذه الموجات المتفرقة من الانقلابات العسكرية ما هى إلا حركات موقتة لا يجب أن تقارن بما يحدث فى أمريكا اللاتينية (١) واستندوا فى ذلك على أن الدول الإفريقية حديثة الاستقلال لا زالت جيوشها ضعيفة تمنعها التقاليد العسكرية الموروثة من الدول الأوربية من التدخل فى الشئون السياسية (٢) ، وأن فكرة السيادة المدنية لا تمثل مشكلة بالنسبة لتلك الدول(٣) ، وقد انعكست هذه الآراء على الدساتير الافريقية التى تضمنت مواد خاصة تتعلق بتحديد اختصاصات كل السلطات المدنية ، حيث أن السيادة المدنية هى المفهوم السائد للحكم فى هذه الدول بدليل ما ورد فى معظم الدساتير الإفريقية من تأكيد وتحديد للسلطات المدنية ، كذلك تبعية القوات المسلحة للقيادة السياسية ممثلا فى حق رئيس الدولة فى تعيين قائد الجيش .

وفى نهاية الستينات بدأ هذا الاتجاه يتغير وبدأ التفكير فى أن أفريقيا كلها معرضة للانقلابات العسكرية ، وذلك بعد حدوث ٢٧ انقلاب عسكرى فى ١٣ دولة أفريقية ، ومحاولات انقلابات فاشلة فى ٩ دول أخرى ، وبقيت ٧ دول بدون انقلابات وأصبح من الصعب الاستمرار فى الجزم بأن الانقلابات ظاهرة موقتة ، كما لعبت القوات المسلحة دورها كوحدة سياسية متميزة داخل المجتمعات الافريقية وليس مجرد تنظيما انتقاليا ، أو أداة تحكيم بين قوتين مدنيتين متنازعتين ، وأصبحت الانقلابات العسكرية تمثل ظاهرة سياسية واجتماعية .

تعددت المحاولات لشرح هذه الظاهرة ، ووضع نظريات تفسرها وتتنبأ بها وتضع قواعد يمكن تطبيقها بالنسبة للقارة الإفريقية ، لكن كان يطغى على هذه النظريات بعض التفسيرات التى نتجت من تحليل الانقلابات فى الدول النامية الأخرى ، خاصة تلك التفسيرات التى تقوم على أساس المفاهيم الأوربية التى تنظر

---

(١) Gutteridge, W. «Military Institutions and power in the new States» 1965, New York. P. 144.

(٢) Joanowitz, U. «The Military in the Political development of new nations» 1954, chicago, University of Chicago Press, P. 13.

(٣) Coleman, J. and Price, B. «The role of the Military in Sub-Sahara Africa» 1962, Princton University Press, P. 398.

إلى العسكريين على أنهم طبقة مستقلة لا يمكن أن تتدخل فى الشئون السياسية فى الدولة وأن تدخلهم فى هذه الشئون على أى وجه يعتبر تصرفاً موقتا[1] ، ولو حاولنا تحليل معنى اشتراك العسكريين فى السياسة لوجدنا أنفسنا أمام اتجاهين :

الاتجاه الأول : هو اعتبار الاشتراك فى سياسة الدولة هو الاشتراك فى الأحزاب والتنظيمات السياسية الرسمية الأخرى ، وهذا اعتبار ظاهرى لا يعنى شىء بالنسبة لتركيب الدول الإفريقية التى تتميز بنظم سياسية مختلفة عن النظم الأوربية تماما .

الاتجاه الثانى : هو التفسير الخاص بالاشتراك فى أجهزة القوى والنفوذ ، سواء على المستوى الرسمى أو الاجتماعى ، وفى هذه الحالة من المستحيل أن نتصور حياد العسكريين الإفريقيين ، لأن السياسة بهذا المعنى يكون لها صلة وثيقة بالمكانة الاجتماعية والنواحى الإقتصادية ، وهنا يكون للعسكريين اهتمام واضح بالانتاج وتوزيع مصادر الثروة فى مجتمعهم . وفى حالة عدم كفاية الموارد المتاحة لاحتياجات المجتمع نجد أن المشاركة السلبية من جانب العسكريين تتطور لتصبح مشاركة ايجابية عنفية ، وتعجز النصوص الدستورية والبرلمانات عن مواجهة هذا التدخل العسكرى. وليس هذا قاصراً على إفريقيا بل من المعروف أنه حدث فى دول متقدمة مثل فرنسا ، فما بالنا بالبرلمانات والدساتير الإفريقية التى تعجز عن مواجهة قوى أضعف بكثير من قوة العسكريين ، وفى الدول الإفريقية تتركز القوى السياسية للدولة فى أضيق نطاق مما يصعب معه ابعاد أى قطاع من قطاعات المجتمع عن المشاركة الفعلية فى النواحى السياسية خاصة وأنها تتعلق بالناحية الإقتصادية مباشرة .

وقد أثبتت الأحداث فى توجو وغانا أنه فى حالة الانقلابات العسكرية لا يكفى أن يستحوذ العسكريون على مناصب السلطة السياسية فقط ، وإنما لا بد من السيطرة على مصادر الانتاج أيضا ، وإلا اضطروا إلى الاعتماد على الفئة التى تسيطر

---

(١) Bell, M.J., «The Military in the new States of Africa» 1968, The Hague, Mauton P. 272.

على الانتاج والتوزيع فى الدولة (١) ، وبالتالى ضعف سيطرتهم ، واحتمالات قيام فئات أخرى منهم لمحاولة ازاحتهم من الحكم .

ومن هنا نجد أنه من الصعب الاعتماد على التفسيرات الأوربية التى تحاول اقصاء العسكريين عن مجريات الأمور داخل الدولة الإفريقية والتى تحاول شرح كل انقلاب على حدة ، كوضع خاص وليس كظاهرة عامة .

وقد تعددت الاتجاهات الخاصة بشرح الانقلابات العسكرية فى الدول الإفريقية بحيث جمعت بين النظريات التى تعتمد على التحليل التقليدى وبين النظريات التى تقوم على التحليل الرياضى . وسوف نحاول أن نعرض هنا لبعض هذه التفسيرات لنرى مدى صحتها وامكانية اخضاع ظاهرة الانقلابات للتحليل العلمى وللقياس الموضوعى .

١ – نظرية التطور المؤقت فى المجتمعات النامية أو الــ Temporal Theory

مؤدى هذا التفسير أن معظم الدول حديثة الاستقلال معرضة للانقلابات وأنه متى حصلت الدولة على استقلالها ، وتسلمت السلطة فيها إدارة مدنية ، فإن هذا يعتبر مرحلة انتقالية تنتهى بحدوث الإنقلاب العسكرى(٢) ، لأن المدنيين عادة يفشلون فى إرضاء حاجات المجتمع مما يدفع العسكريين للتدخل المباشر . وقد حدد بعض الكتاب فترة الإنتقال من الحكم المدنى إلى العسكرى بخمس سنوات(٣)

وفى الواقع أن فى هذه الفكرة شىء من الصحة فيما عدا الخمس سنوات هذه ، وذلك لأنه حتى عام ١٩٦٩ كانت الخمس دول التى شهدت انقلابات قد مر على استقلالها ٦ سنوات ، وفى حالات أخرى مرت أكثر من ١٠ سنوات (٤) قبل حدوث أى انقلاب . فصراع القوى فى مرحلة الانتقال أو التطور من القديم إلى

---

(١) Bretton, H.L., «Power and Politics in Africa», New York, State University, P. .

(٢) Zolberg, R. «Military intervention in the new States of Tropical Africa : Elements of comperative Analysis» 1968 New York PP. 74-79.

(٣) Scott, R. «The politics of new States» 1971, New York P. 39.

(٤) فى ٢٢ دولة .

الجديد يخلق نوعا من الفراغ السياسى والإقتصادى التى لا تستطيع الوسائل السياسية التقليدية — وهى فى أفريقيا الحكومات البرلمانية التى تلت فترة الاستعمار — على مواجهته . وعدم القدرة هذه من جانب السياسيين تخلق حالة من عدم التوازن تشجع العسكريين على التدخل المبدئى لحفظ حقوقهم ثم يتسع نطاق هذا التدخل وينتهى بالانقلاب العسكرى .

وتفسر النظرية أسباب فشل المدنيين فى الإدارة والسيطرة وبالتالى تدخل العسكريين بأنه غالباً ما يكون هناك تفاوت وخلاف بين البيروقراطيين وصانعى القرار فى الدول النامية يؤدى إلى سوء الإدارة وتخلخل الجهاز الحكومى ، مما يغرى قادة القوات المسلحة ، وهم من ذوى الخبرات الفنية والإدارية ، على التدخل(١) .

وفى العديد من الحالات وجدت القوات المسلحة نفسها قادرة على أن تلعب دوراً على قدم المساواة مع السلطات العليا فى الدولة ، إن لم يكن أكثر كفاءة ، وخاصة أن تركيب الدول الإفريقية بعد استقلالها كان تركيباً ضعيفاً لا تناسق فيه بين السلطة التشريعية والتنفيذية . كذلك فإن المدنيين من الساسة اتجهوا إلى تحقيق مصالح قبلية وشخصية زادت من عجزهم عن مواجهة المشاكل التى أورثها لهم الاستعمار ، وفشلوا فى تكوين قاعدة جماهيرية تساندهم وتؤيد سياستهم إلا فى حالات استثنائية مثل زامبيا وتنزانيا والسنغال حيث تمكنت السلطة المدنية فى هذه الدول من خلق قاعدة شعبية قللت من احتمالات تدخل العسكريين فى الشئون السياسية المدنية . أما فى الدول الأخرى فقد تدخل العسكريون ، ولعل هذا ليس بمستغرب فى الدول الإفريقية حيث كانت شعبية العسكريين وتنظيمهم من العوامل التى تلعب دوراً خطيرا فى تكوين المجتمعات الإفريقية ، إلى أن أدى الاستعمار إلى تفكيك هذه الروح ، وحول كافة القوات المسلحة إلى قوات ذات وظائف بوليسية بحته انتهى دورها فى الدفاع عن كيان الدولة خارجياً وداخلياً(٢) .

---

(١) Mazrui, A. «The Militarization of Chanirma» 1973, Addis Ababa-Ethiopia P. 3

(٢) Ibid.

والتفسير السابق ، إن احتوى على كثير من المنطق ، يعطى انطباعا بأن العسكريين فى الدول الافريقية يكونون وحدة مترابطة ومتجانسة ، وإن كان الواقع غير ذلك ، فان النزاعات والتفكك الذى يسود التكوين القومى ينعكس على القوات العسكرية ، ويبدو هذا واضحا فى حالة كينيا ، فهناك صراع فى داخل القوات المسلحة بين الـ Kamba الذى اعتمد عليهم الانجليز وبين الـ Kikuya أو الـ Luo الأكثر تقدما من الناحية السياسية . وفى نيجيريا كان الشعب ينظر نظرة استعلاء إلى المتطوعين فى الجيش وبذلك كان معظم الجيش من الـ Tiu الأقل تقدما من القبائل الأخرى مثل الـ Ibo الذين مثلوا الطبقة القليلة لكن المتقدمة داخل الجيش النيجيرى خاصة وأنهم استفادوا من البعثات التبشيرية بعكس الـ Hausa الذين يدينون بالاسلام . فكانت النتيجة أن ثلاثة من أربعة من الجيش النيجيرى كانوا من الإقليم الشرقى مما جعل الحكومة الفيدرالية بعد حصول نيجيريا على استقلالها تحاول أن تركز على الأقاليم الأخرى لتحدث توازن داخل الجيش ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات حيث تأثرت ترقيات الضباط القدامى بدخول مجموعة جديدة من الضباط الجدد . وعلى هذا كان الجيش يعكس إلى حد كبير المنازعات التى تحدث فى داخل الدولة نفسها .

ومثال آخر للانقسام داخل الجيش ما حدث فى سيراليون فقد اعترض قائد الجيش مع بعض الوحدات على انتخاب Siaka Stevens كرئيس للوزراء ، ودافع عن بقاء رئيس الوزراء السابق Sir Albert Marges ، ولكن مجموعة أخرى من الجيش قبضت على القائد ، وكونت مجلس إصلاح خاص بها بدلا من الحكومة المدنية(١) ، ولكن بعد ذلك بسنة قامت حركة أخرى من الجيش وقبضت على هذا المجلس وأعادت Stevens إلى رئاسة الوزارة ، بينما حاولت مجموعة أخرى قتله فهوجمت بجزء آخر من الجيش فى عام ١٩٧١ .

وينطوى التفسير السابق أيضا على الاعتقاد بأن هناك وعى من نوع خاص يسود بين معظم قادة حركات الانقلاب فى أفريقيا ، وهذا ينافى الواقع لأن الظروف

---

(١) National Reformation Council.

التى كانت تحدث فيها معظم الانقلابات كانت لا تشجع اطلاقا أى ترتيب منظم بأسس مدروسة على القيام به . فحركات الانقلابات فى أفريقيا حركات دموية مملوءة بالمخاطر ، وعلى سبيل المثال ما حدث فى أثيوبيا عام ١٩٦٠ ، وفى غانا عام ١٩٦٧ وفى السودان عام ١٩٧١ وفى مراكش عام ١٩٧٢ . وعادة يكون(١) — القائمون على هذا الانقلاب قد تجمعوا بمحض الصدفة بسبب مصلحة مشتركة تجمع بين فئات متناقضة تماما لا يجمعها إلا هذه المصلحة المشتركة الطارئة . وعادة ما يظهر هذا الاختلاف الشديد بعد أسابيع أو حتى شهور من قيام الانقلاب . ومثال على ذلك ما حدث فى غانا عام ١٩٦٦ حيث أن العامل المشترك الطارىء الذى وحد بين الضباط فى القيادة كان التخوف من الحرس الخاص الذى كونه نكروما لنفسه(٢) وكان مدربا فى الصين والاتحاد السوفييتى ، وسادت الاشاعات فى الجيش الغانى بأن القوات المسلحة سوف تفكك بأن ترسل إلى المناطق الجنوبية فى أفريقيا لتحرير روديسيا وغيرها . وفى نيجيريا فى عام ١٩٦٦ قامت سلسلة من الحركات كان الدافع المباشر لها الخوف من سيطرة القادة الشماليين على الجيش وعلى الحياة المدنية أيضا . وبعد ذلك قامت حركة من الشماليين ضد الا Ibo لنفس الأسباب . أما فى أوغندا وسيراليون عام ١٩٧١ فقد كان الدافع المباشر هو الخوف من حركة الاعتقالات الواسعة التى تمت ضد ضباط متهمين بالفساد والثراء غير المشروع .

ونظرية التطور فى المجتمعات النامية تبدو منطقية للوهلة الأولى إلا أنها مضللة حيث يغلب فيها التعميم بحيث يمكن ارجاع معظم الظواهر السياسية لها، مثل ظاهرة الحزب الواحد ، وفشل الأنظمة البرلمانية ، والثورات المضادة . وتحت نطاق هذا التفسير يمكن ادراج كثير من العوامل التى لا يمكن انكار أن لها تاثير ودخل كبير فى امكانية حدوث الانقلاب ، والبعض الآخر يمكن استبعاده خاصة إذا طبق على أفريقيا .

---

(١) Bretton, H.L., «Power and Politics in Africa» P. 178.

(٢) تكون هذا الحرس الخاص من ٥٠ ضابطاً وحوالى الف عسكرى .

٢ ــ نظرية الميراث الاستعماري Colonial Heritage

اتجه بعض الكتاب عند تفسيرهم لظاهرة الانقلابات العسكرية فى أفريقيا إلى وضع الخلفية الاستعمارية كعامل فعال وسبب رئيسى فى هذه الظاهرة ، وأكد هؤلاء المحللين أن ــ العسكريين فى أفريقيا ليسوا مؤهلين بحكم حداثتهم إلى تحمل التضحية التى تفرضها عليهم التقاليد الإنجليزية ، أو الفرنسية ، والتى تقضى بعدم التدخل فى الشئون السياسية من جانب العسكريين . ولكن بعد الاستقلال ــ وانتقال السلطة إلى الافريقيين ، وجد العسكريون أن الفرصة سانحة لتحسين أحوالهم سواء من الناحية الإقتصادية أو من ناحية الأوضاع الاجتماعية . خاصة وأن الأنظمة التى تلت الاستقلال كانت ضعيفة بحكم تكوينها ولن تؤدى إلى تحقيق مطالبهم . كذلك لا يملك المدنيون القوة والخبرة لترويض والسيطرة على العسكريين ، خاصة وأن هؤلاء المدنيين يعتمدون على العسكريين للحفاظ على الوضع القائم فى كثير من الأحيان . وعندما يلجأ المدنيون إلى العسكريين لخدمة أغراضهم السياسية ينتهى الأمر بسيطرة العسكريين على السلطة ، كما حدث فى نيجيريا بعد استعانة السلطات الفيدرالية بالجيش ، وانتهى الأمر باستيلائه على السلطة السياسية فى الدولة .

واتجه المحللون السياسيون إلى التفرقة بين النظم السياسية الموروثة من فرنسا والنظم الموروثة من بريطانيا ، من حيث قابلية كل منهما لحدوث الانقلابات ــ العسكرية . فهم يرون أن الاستعمار البريطانى يهيء بناء الدولة أسرع من النظام الفرنسى (١) . كما أن التقاليد العسكرية نفسها تؤثر على مدى تدخل العسكريين فى الحياة السياسية . فالفرنسيون يستمرون فى دفع المرتبات والمهايا الكاملة للقوات العسكرية حتى بعد الاستقلال ، كما أنهم يفرضون نظام التجنيد الإجبارى . أما الإنجليز فيعتمدون على نظام التطوع وتنتهى صــلة الجند بالجيش بنهاية مدة خدمته ، وهذا يؤدى إلى أن الدول التى كانت خاضعة لفرنسا تكون أكثر قابلية لحدوث الاضطرابات التى تؤدى إلى الانقلابات العسكرية للاثر الذى يتركه نظام التجنيد فى داخل المجتمعات الإفريقية .

---

(١) Rivkin, A. «Nation building in Africa» 1969. New Brunswik, P. 223.

وقد أثبتت التطبيقات العملية خطأ هذا الفرض فى نهاية سنة ١٩٦٩ نجد أن ٥ دول من ١٤ دولة كانت خاضعة لبريطانيا قد قامت بها انقلابات ناجحة بالمقارنة بـ ٦ دول من ١٥ دولة كانت خاضعة لفرنسا وقامت بها انقلابات ناجحة أيضا . أى أنه من الصعب الربط بطريقة مطلقة بين الميراث الاستعمارى وقابلية الدولة للتعرض للانقلاب العسكرى(١).

ولكن فى الوقت نفسه يجب عدم اغفال هذا العامل كلية فمن الملاحظ أنه خلال الحكم الاستعمارى كانت القوات العسكرية ، سواء كان البوليس أو الجيش قليلة(٢) العدد بالنسبة للمساحات التى تسيطر عليها وتقوم بحكمها ، وأنه فى حالة قيام أى اضطراب كانت جماعة مسلحة صغيرة تكفى لإنهاء هذا الاضطراب ، لكن بعد نهاية الاستعمار ، وانتقال قيادة القوات إلى العناصر الوطنية ، وانشاء قوات جديدة نجد أن تكاليف الأمن بدأت ترتفع بشدة ، وذلك لعدة أسباب : مثل الاضطرابات الداخلية ، كما حدث فى كينيا ونيجيريا . أو لأنه بعد خلو المناصب الكبيرة من الأجانب توقع الإفريقيون الذين ملأوا هذه المناصب الحصول على مرتبات مساوية للمرتبات السابقة مما يمثل ضغطا اقتصاديا كبيراً للدول الحديثة الاستقلال ، وقد حدث هذا فى الكنغو عام ١٩٦٠ (٣) . هذا إلى أنه بعد الاستقلال واجهت هذه الدول مسئولية تحمل أعباء مالية كبيرة يصاحبها ضعف فى الرقابة على النواحى المالية لضعف الاشراف الفنى الموروث عن النظم الاستعمارية ، فتنتشر الرشاوى والفساد وتفشل معظم المشروعات الاقتصادية ، مما يدفع الجيش إلى التدخل أولا للحفاظ على حقوقه ، وثانيا لمحاربة هذا الفساد . وتكون هذه أولى الخطوات نحو الانقلابات العسكرية .

وكحل لهذا حاولت بعض الدول تأجيل عملية الأفرقة فى داخل الجيش ولكنها فشلت فى تحقيق ذلك ، بل كاد يؤدى إلى حدوث تذمر فى داخل جيوشها ،

---

(١) Lee, J.M. «African armies and civil order» 1969. New Yirk. P. 73.

(٢) Bretton «Power and Polities in Africa» P. 224.

(٣) لتفاصيل أكثر عن تركيب الجيوش فى أفريقيا أنظر : عبد الملك عودة : سنوات الحسم أفريقيا ١٩٦٦ .

كما حدث فى تانزانيا عندما أعلن نيريرى أن أفرقه الجيش لن تتم إلا فى عام ١٩٧١ ، ولكن اضطر إلى الرجوع عن رأيه بعد ثورة الجيش فى عام ١٩٦٤ ، والجدول التالى يبين نسبة الأفريقيين فى الجيوش الأفريقية عند الأستقلال(١) .

الدولة	تاريخ الأستقلال	عدد الجيش عند الاستقلال تقريبا	أوربيون أو آسيويون	عدد الضباط الأفريقين	النسبةالمئوية
غانا	٥٧	٧,٠٠٠ آلاف	١٨٤	٢٧	١٢,٨ ٪
نيجريا	٦٠	٨,٠٠٠ آلاف	٣٢٠	٥٧	١٥,١ ٪
سيراليون	٦١	١,٠٠٠ آلاف	٥٠	٩	١٥,٢ ٪
تنجانيقا	٦١	٢,٠٠٠ آلاف	٥٨	٦	٩,٤ ٪
أوغندا	٦٢	١,٠٠٠ آلاف	٥٠	١٤	٢١,٩ ٪
كينيا	٦٣	٦,٥٠٠ آلاف	٨٥	٨٠	٤٨,٥ ٪
مالاوى	٦٤	٠,٧٥٠ آلاف	٩	٤٠	٨,٤ ٪
زامبيا	٦٤	٢,٢٠٠ آلاف	١٣٤	١	٠,٧ ٪

وهناك عامل موروث من الاستعمار ، وله أثر فى تدخل العسكريين فىالشئون السياسية فى معظم الدول الافريقية ، فنجد أن المدنيين كانوا يقودون حركة الكفاح ضد الاستعمار ، وورثوا السلطة السياسية فيما بعد ، فى حين أن الجيش ، بحكم تكوينه ، كان يقود الحركة ضد الوطنين ويخضع مباشرة للسلطة الاستعمارية ، وهنا نشأ نوع من العداء بين الوطنيين التقليديين المدنيين وبين العسكريين . وقد ظهر ذلك بوضوح فى حالة المستعمرات الفرنسية حيث تشبع العسكريون الإفريقيون بالتقاليد الفرنسية لأنهم مثلوا جزءاً من الجيش الفرنسى العامل ، مما أثر على شعورهم نحو التركيبات الإفريقية الجديدة بعد الاستقلال . وفى الفترة التالية للاستقلال كانت فرنسا تساعد بقواتها على بقاء النظم المدنية ، كما حدث فى السنغال فى عام ١٩٦٢ عندما حاول محمد ضيا Mohamedu Dia رئيس الوزراء أحداث الانقلاب ضد الرئيس سنجور ، وكذلك الحال فى جابون حيث كان لوجود الفرنسيين أثر

(١) Maitl and Jones, J.F. «Politics in British Africa» 1973, London. P. 112.

كبير على استمرار وجود الرئيس Miba وأيضاً بالنسبة للرئيس هو فيه بوانييه فى ساحل العاج . فطالما كان هناك وجود فرنسى كان من الصعب حدوث انقلابات عسكرية . لكن بعد خروج الفرنسيين بدأ النفوذ واضحاً بين المدنيين والعسكريين .

ومن العوامل الهامة أيضاً الربط بين قوات المخابرات أو الأمن الداخلى وبين الجيوش(١). فى معظم الدول التى كانت خاضعة لفرنسا نجد أن المخابرات العسكرية ، أو قوات الأمن تتبع الرؤساء مباشرة ، وتعتمد على الفرنسيين فى أدائها حتى بعد الاستقلال كما هو الحال فى السنغال وساحل العاج . وفى معظم الحالات نجد أنه بعد استقلال الدول الأفريقية وانتقال السلطة العسكرية إلى الحكام الأفريقين اهتم هؤلاء الحكام بزيادة قوات الأمن ، فحدثت زيادة كبيرة فى الإنفاق ، مما أدى إلى اختلال الميزانية . وإلى حدوث تذمر بين العسكريين ، كان هو الطريق إلى الإنقلاب . فاثناء وجود النظم الإستعمارية لم تكن هناك حاجة كبيرة إلى قوات الأمن الخاصة أو المخابرات التى تمثل عبأ كبير على الميزانية ، ولكن بعد الإستقلال أصبح الرؤساء يحتاجون إلى هذه القوات . وقد اتبعت غانا ونيجريا سبيلين مختلفين ففى نيجريا نجد أن الحكومه النيجيرية زادت من ميزانية الجيش بمبلغ مليون جنيه استرلينى ، فى حين كانت ميزانية الأمن الخاصة بالوزارة والرئيس لا تتعدى ١٢٥ ألف جنيه ، ورغم ذلك فقد كانت القوات المسلحة هى التى قامت بالأنقلاب ضد الحكومة فى ١٤ فبراير ١٩٦٦ .

وعلى هذا رأى بعض المعلقين أن الزيادة فى مصاريف الجيش كان يجب أن تنفق على الأمن . أما فى حالة غانا فنجد العكس ، فقد كون الرئيس نكروما قوات أمن ضخمة خاصة به ، وإلى جانب ذلك تضاعفت نفقات الجيش بين عام ١٩٥٨ أو ١٩٦٤ ومع ذلك قام الجيش بالأنقلاب .

وميزانية الجيوش فى كل من كينيا ونيجريا وغانا تشير إلى أن الزيادة الكبيرة فى أعداد العسكريين كانت عادة بسبب المحافظة على الأمن الداخلى الخاص بالنظام

---

(١) Hatch, J. «Africa emergent» 1974, London P. 152.

القائم ، ماعد كينيا التى كان لها وضع خاص داخلى وخارجى . ومن الصعب تحديد أوجه النفقات العسكرية لدواعى السرية . وقد تقيد هذه النفقات على أنها نفقات خاصة بالدفاع ثم تتحول إلى مصاريف خاصة بأمن شخص أو أشخاص كما كان الحال فى غانا .

وفصل قوات الأمن أو المخابرات عن الجيش وجعلها جهاز مستقل ، قد يفقد القوات المسلحة بعض قوتها . ويقلل من احتمالات تدخلها فى الشئون السياسية فى الدولة . حيث لا تصبح أداة رقابة على المدنين ، وقد أتبعت غنيا وتانزانيا ومالاوى ومالى وفولتا العليا وتوجو والصومال هذا النظام . ولكن هذا لم يمنع من قيام الانقلابات العسكرية ، وإن كان قد قلل من احتمالات حدوثها .

ويبدو أن الطريقة الوحيدة لمنع حدوث انقلاب أو أبعاد هذا الاحتمال ، هو العمل على حل الجيش وإرساله إلى الحدود . وإن كان ثمن هذا غاليا . والمثال على ذلك ماحدث فى غينيا عام ١٩٧٠ ، حيث تمكنت القوات الأجنبية من التدخل لفرض الأوضاع التى تريدها بدون مقاومة تذكر(١) .

نقطة أخيرة بالنسبة للميراث الاستعمارى ، فمن المعروف أن التكوينات القبلية فى الجيوش الأفريقية ميراث عن الأستعمار فنجد أن القبائل الآتية تمثلت فى الجيوش الأفريقية كالآتى :

فى كينيا نجد الـ Kamba وفى نيجريا الـ Tiv وفى زائيرى Ba-Ngwalua والـ Balwba ، وفى غانا الـ Ewe والـ Gie ونيجريا كانت من الـ Ibo والـ yoroba .

وكان الأختيار يقع على حسب مصلحة القوى الأستعمارية فكانت تفضل اختيار الأغلبية من العناصر الأقل تقدما ، وأما الضباط فهم العناصر الأكثر تقدما وهكذا . ولكن هذا الإنقسام القبلى فى رأيى لم يكن سبباً فى حدوث الإنقلابات ،

---

(١) Gutteridge, W.F. «The Politica! role of African Armed forces — The impact of forgien Military assistance» African Affairs, vol. 66 April 1968, P. 93.

وإنما الأهتمام بالتقسيمات القبليه عادة يظهر إلى السطح بعد حدوث الانقلاب الفعلى ، كوسيلة للحصول على التأييد والحماية من الحركات المضادة . أى أن الأنقلاب الناجح يؤدى إلى ظهور الخلافات القبلية ، ولا تؤدى للخلافات القبلية إلى حدوث الأنقلاب .

٣ — نظرية العدوى Contagion theory :

يرى أصحاب هذا الرأى أن حدوث أنقلاب فى دولة أو فى منطقة يشجع باقى الدول المجاورة على القيام بالأنقلاب . ويعتمد أصحاب هذا الرأى على أن الأنقلابات تحدث عادة على شكل موجات [1] ، وهناك موجتين من الأنقلابات العسكرية الأولى بدأت فى ديسمبر ١٩٦٢ وأستمرت شهراً ، والثانيةفى نوفمبر ١٩٦٥ واستمرت حتى فبراير ١٩٦٦ ، والموجه الأولى كانت بين الضباط التابعين لفرنسا ، والذين شعروا بأنهم يشاركون فعلا فى حكم البلاد .خاصة وأنه بعد خروج الفرنسيين سرحوا أعداداً كبيرة من الجنود ، ورفضت الدول الإفريقية الحديثة الأستقلال ضم هؤلاء القوات إلى جيوشها ، كما حدث فى توجو ، إذ كان حجم الجيش سوف يتضاعف ٤ مرات . وقد حدث الإنقلاب الأول فى توجو ،وجاء بحكومة مدنية ، ثم تلاه إنقلاب آخر أعطى الجيش السلطة المطلقة ٤ سنوات .

أما فى الموجة الثانية فإن ضباط كلا من داهومى وفولتا العليا وأفريقيا الوسطى كانوا يخدمون جنبا إلى جنب فى الهند الصينية ، مما ساعد على حدوث عملية العدوى [2].

وليس معنى ذلك حدوث تدبير مسبق من هؤلاء الضباط ، وأنما هو تشابه فى الظروف وفى الخلفية الإجتماعية .

---

(١) Bell, M.J. «The Military in the New states of Africa» 1968. The Hague, P. 12.

Gutteridge, W.F. «The political role of African Armed forces — The impact of forgien.

(٢) Zolberg, A. «Military Role and Political Development in Tropical Africa» 1969. The Hague P. 86.

ومما يكمل هذه النظرية فكرة الربط الجغرافى ، ففى أفريقيا جنوب الصحراء هناك منطقتين معرضتين للانقلابات العسكرية . والمنطقة الأولى هى المنطقة الغربية ، وهى مكونة من توجو وداهومى وغانا ونيجيريا وفولتا العليا ومالى ، ومنطقة متوسطة أو حزام متوسط فى أفريقيا الوسطى والسودان وزائيرى وبوروندى والكنغو وأخيراً أوغندا ، وانضمت أيضا فولتا والصومال وسيراليون . وقد تعرضت المنطقتين السابقتين لموجات متوالية من الانقلابات والخريطة التالية توضح هذا .



الانقلابات العسكرية فى افريقيا

وفى الواقع هذه النظرية لها جانب من الصحة ولكنها لا تشرح كل شيء ، ولا تكفى لتفسير حدوث الانقلابات العسكرية ، وكذلك لا تشير إلى التنبؤ بحدوث موجة جديدة من الانقلابات أو متى ستبدأ هذه الموجة .

٤ — نظرية التفسير الاحصائى :

الاتجاه الغالب الآن هو محاولة التحليل الاحصائى ، والخروج بنظريات تشرح الظاهرة فى الماضى ، وتساعد على التنبوء بحدوثها فى المستقبل عن طريق استخدامها الأرقام . وقد تزعم هذا الاتجاه المحللين الأمريكيين ، وهم يحاولون الربط بين المجتمع والسياسة والقوات المسلحة . ويتم ذلك عن طريق التركيز على مطالب اجتماعية معينة . ومدى قدرة السلطات فى الحكومة المدنية على تحقيق هذه المطالب ، وفى حالة فشل المدنيين يحدث التدخل من جانب العسكريين .

وتقاس قدرة الحكومة فى الاستجابة إلى هذه المطالب بتقدير عدة بنود منها مستوى التقدم الاقتصادى . والقدرة على جمع المعلومات ، وتقدم التعليم ، وزيادة معدلات النمو وغيرها . وعادة يلاحظ أن زيادة الطلب فى الدول النامية لا تتناسب مع قدرة الحكومات على الاستجابة لها لقصور القدرة الاقتصادية فى داخل المجتمع ، وتكون هذه هى البداية لتدخل العسكريين .

وقد ثبت من الاحصاءات أن هناك تناسب بين حدوث اضطرابات من المدنيين وبين حدوث التدخل العسكرى (١) .

والصعوبات التى تواجه النظرية الاحصائية تتمثل فى نوعية القياسات ، وامكانية اخضاعها للاحصاء . وأول صعوبة تواجه الدارس هى تعريف التدخل العسكرى . وقد حاول Putnam (٢) التغلب على هذه الصعوبة ، فقسم أنواع التدخل إلى خمسة أقسام ، وأعطى كل منها درجة معينة . فى حالة الدول التى لا يلعب فيها العسكريون أى دور سوى الدفاع الخارجى تعطى درجة صفر ،

---

(١) Dourse, R.E. «The Military and Political development 1969» Combridge, P. 219.

(٢) Putnam, R. D. «Toward explaining Military intervention in Latin American Politics» world politics XIX, october 1967. P. 88.

وفى حالة الدول التى يتدخل فيها العسكريون تدخلا معقولا فى الشئون المدنية تعطى درجة واحدة أما الدول التى يتم فيها التوافق بين العسكريين والمدنيين بحيث توزع بينهم الاختصاصات فى الشئون السياسية فقد أعطاها درجتين والدول التى للعسكريين فيها النفوذ الأكبر ثلاث درجات . ومن الواضح أن هذا الترتيب يخضع لكثير من الجدل والنقاش الذى يكاد يفقده معناه . وفى حالة قياس النمو الاجتماعى يلجأ إلى تقييم مدى انتشار وسائل الأعلام ومدى انتشار التعليم . فاذا ازدادت نسبة النمو الإجتماعى قلت احتمالات التدخل العسكرى ، والعسكس صحيح . أما فى قياس النمو الاقتصادى فيحسب على أساس دخل الفرد ، وكلما زاد دخل الفرد قلت فرص التدخل العسكرى . ولكن هذه العوامل ليست كل شىء فهناك قياس مدى النمو السياسى . وقد دارت حول امكانية قياس هذا العامل مناقشات طويلة ، فهو يقاس عن طريق الأحزاب وأهميتها وصحة الانتخابات ، ومدى مشاركة الشعب فيها ، وكلها عوامل من الصعب إخضاعها للقياس الفعلى .

وقد قدم الاحصائيون فروضا لا يستهان بها ، وإن لم يتوصلوا بعد إلى ايجاد نظرية متكاملة تعلل الانقلابات . والخطورة فى النظرية الاحصائية هى اعطاء صحة لنظرية قد تكون قائمة على فروض غير صحيحة بالنسبة لصعوبة وعدم توافر وعدم صحة الاحصائيات فى الدول النامية .

النظرية الإحصائية وتطبيقها على الدول الإفريقية

فى حالة تطبيق النظرية الإحصائية على افريقيا تم أخذ ٣١ دولة أفريقية كعينه. وأخذت مجموعة مختلفة من المتغيرات الإجتماعية الإقتصادية إلى جانب التركيب العسكرى للقوات المسلحة فى تلك الدول . وتم تكوين إحصائيات مقارنة تربط بين هذه العوامل وبين الانقلابات العسكرية، وقد تم فى البداية تكوين جدول يشير إلى قابلية تلك المجموعة من الدول الإفريقية إلى حدوث الإنقلابات . فليس من الضرورى فى حالة حدوث إضطرابات مرة واحدة أن يتوالى حدوث الإنقلابات، وكذلك لا يعنى وجود حكومة دستورية مستقرة إن تلك الدولة محصنة ضد الإنقلابات وقد تم فى ذلك الجدول حصر الإنقلابات الناجحة إلى جانب الفاشلة

والمؤمرات التي تسبق الأنقلاب وقد تم وضع ١٠ درجات للانقلاب الناجح ، وثلاثة للانقلاب الذى فشل . ونقطة واحدة للمؤامرة . والجدول التالى يوضح ذلك(١)

الـــدولة	توالى حدوث الأنقلابات: انقلابات	انقلابات فاشلة	مؤمرات	المعيار القياسى للنشاط الأنقلابى	عـــدد سنوات الاستقلال	معدل الأنقلابات
بورندى	٢	١	٢	٢٥	٨	٣,٢٥
الكاميرون	—	—	صفر	صفر	١٠	٠,١٠
أفريقيا الوسطى	١	—	٢	١٢	١٠	١,٣٠
تشـــاد	—	—	—	صفر	١٠	٠,١٠
الكنغو برازافيل	٣	٣	—	٤١	١٠	٤,٢٠
الكنغو كنشاسا	٢	٤	—	٣٧	١٠	٣,٨٠
داهـــومى	٥	—	—	٥٠	١٠	٥,١٠
أثيوبيـــا	—	٢	١	٧	١٠	٠,٨٠
جابـــون	—	١	—	٣	١٠	٠,٤٠
جامبيـــا	—	—	—	صفر	٥	٠,٢٠
غانـــا	١	١	١	١٤	١٠	١,٥٠
غينيـــا	—	—	٢	٢	١٠	٠,٣٠
ساحل العاج	—	—	١	١	١٠	٠,٢٠
كينيـــا	—	١	—	٣	٧	٠,٥٧
ليبريـــا	—	—	—	٢	١٠	٠,٣٠
مالاجـــاش	—	—	—	صفر	١٠	٠,١٠
مالاوى	—	—	—	صفر	١٦	٠,١٧
مـــالى	١	—	—	١٠	١٠	٠,١٠
موريتانيا	—	١	—	—	١٠	٠,٤٠
النيجـــر	—	—	١	١	١٠	٠,٢٠
نيجريـــا	٤	—	٢	٤٢	١٠	٠,٣٠
رواندا	—	—	—	صفر	٨	٠,١٣

(١) Wells, A., «The coup d'etat in theory and practice : Independent black Africa in the 1969's A.J.S. vol. 79 P. 871.

تابع الجدول السابق

الدولة	توالى حدوث الانقلابات: إنقلابات	إنقلابات فاشلة	مؤامرات	المعيار القياسى للنشاط الانقلابى	عدد سنوات الاستقلال	معدل الانقلابات
السنغال	—	١	—	٣	١٠	٠.٤٠
سير اليون	٢	—	١	٢١	٩	٢.٤٤
الصومال	١	١	—	١٣	١٠	١.٤٠
السودان	٢	صفر	٢	٥	٩	٢.٣٠
تانزانيا	—	١	٢	٥	٩	٠.٦٧
توجو	٢	٢	—	٢٦	١٠	٠.٧٠
أوغندا	—	١	٣	٦	٨	٠.٨٨
فولتا العليا	١	—	—	١٠	١٠	١.١٠
زامبيا	—	—	٢	٢	٦	٠.٥٠

(لم يتضمن الجدول بتشوانا أو غينيا الأستوائية أو لسيوتو أو سوازى لأنه ليس لها قوات مسلحة بالمعنى المفهوم) .

بعد ذلك نلجا إلى تحليل المتغيرات الإقتصادية والإجتماعية التى تشير إلى المتطلبات فى الدولة النامية . وعدم القدرة على تحقيقها يؤدى إلى أضطرابات مدنية وبالتالى إلى إنقلابات عسكرية كما أشرنا من قبل .

هذه المتغيرات كانت فى حالة الدول الأفريقية السابقة الإشارة إليها هى :(١)

١ ــ حجم السكان : كلما زاد السكان كلما قلت قدرة الدولة ومواردها على سداد الاحتياجات الاقتصادية للسكان . مما يسهل وجود تذمر وبالتالى حدوث الانقلابات وقد تم قياس عدد السكان على حسب إحصائيات الأمم المتحدة عام ١٩٦٨ .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧٩ .

٢ ـ معدل الزيادة فى السكان : فكلما زاد هذا المعدل زادت بالتالى احتمالات حدوث الانقلابات . وقد أخذت الأرقام من احصاءات الأمم المتحدة عام ١٩٦٧ .

٣ ـ التحول إلى الحياة فى المدن[١]. وقدتم قياس هذا على أساس المدن التى يزيد عدد السكان فيها عن ١٠ آلاف نسمة فى عام ١٩٧٠ .

٤ ـ المركزية فى الدولة : وقد ثبت أن الدولة التى تتمركز فيها السلطات السياسية يمكن بسهولة السيطرة عليها . وقياس هذا العامل عن طريق معرفة عدد المدن الكبرى وتمركز السكان والأداة الحكومية .

٥ ـ نسبة الأمية فى الدولة : فكلما زادت هذه النسبة كان حدوث الانقلاب أسهل مما لو كانت معدلات التعلم عالية . حيث أن المعارضة تكون ضعيفة ويكون التأييد أكبر للحركات العسكرية .

٦ ـ السيطرة على وسائل الأعلام : أول عمل ناجح للانقلاب هو السيطرة على وسائل الأعلام . فكلما زادت تلك الوسائل . كلما زادت فاعلية الحركة ، ويقاس ذلك لعدد أجهزة الراديو فى الدولة .

٧ ـ المستوى الإقتصادى : كلما ارتفع المستوى الإقتصادى قلت احتمالات الإنقلابات العسكرية . وكلما انخفض تضاعفت إحتمالات الإنقلاب وعلى هذا فإن الدول الأفريقية تمثل أنسب مكان للانقلابات العسكرية .

٨ ـ النمو الإقتصادى : كلما زادت معدلات النمو الإقتصادى . كلما دل هذا على نجاح الحكومة المدنية . وقلت احتمالات وقوع الأنقلابات .

المتغيرات العسكرية : ـ

بما أن القوات المسلحة هى التى تقود عادة حركة الإنقلابات فى داخل الدول النامية ، فقد أكد المحللون السياسيون أهمية تركيب تلك القوات بالنسبة لقدرتها وقابليتها على القيام بالانقلاب . وأكدوا أن تلك القوات تقوم بالإنقلابات إذا شعرت بتهديد لمكانتها كمؤسسة من مؤسسات الدولة [٢] .

(١) Urbanization

(٢) Miller, N., «Military Coup in Uganda» 1970. American University's Field staff. East Africa Series, vol. 10, No. 3 P. 16.

أو أن تؤدى الإنقسامات التى سببها الخلافات القبلية التى حدوث الأنقلاب ، كما حدث فى شرق أفريقيا ، كما أن الجيوش الأفريقية عادة يكون لها من الأمكانيات الفنية والمكانة الإجتماعية مايفوق المجموعات الأخرى داخل المجتمعات الإفريقية .

وعلى ذلك تم أختيار مجموعة من المتغيرات خاصة بتكوين القوات المسلحة الإفريقية ، وبقياس هذه المتغيرات ومقارنتها بالمتغيرات الإجتماعية والإقتصادية السابقة ، أمكن التوصل إلى نتيجه بالنسبة لامكانية حدوث الانقلاب وهذه المتغيرات تتلخص فيما يلى : —

نسبة عدد العاملين فى القوات المسلحة إلى عدد السكان : حيث تؤثر هذه النسبة فى عملية التوازن فى القوى بين المدنيين والعسكريين . وتقاس هذه النسبة بحساب النسبة المئوية لعدد العاملين فى الجيش .(١)

حجم الجيش : مع أن الاعتراضات كانت كثيرة حول أهمية هذا العامل ، إلا أنه ممكن وضعه كعامل موثر ، بالرغم من أن الأنقلاب الذى حدث فى توجو عام ١٩٦٣ كان مكونا من ٢٥٠ عسكرى فقط إلا أن زيادة حجم الجيش قد تكون أحد العوامل التى تساعد على التمهيد لحدوث الإنقلاب .

عدد قوة البوليس : كلما زاد عدد قوات البوليس أو كانت تتبع الجيش ، كلما زاد احتمال الأنقلاب . ولكن إذ زاد البوليس ولم يكن تحت سيطرة الجيش قلت الاحتمالات .

ميزانية الدفاع : تعكس ميزانية الدفاع مدى أهمية القوات المسلحة ، ومدى نفوذها فى داخل الدولة .

نسبة نفقات الدفاع إلى الإقتصاد القومى : وهى تبين أولوية المصاريف العسكرية على الأمور المدنية .

ويضيف أصحاب الطريقة الإحصائية أن هناك عامل آخر وهو العلاقة مع قوة خارجية . فهذه العلاقة قد تؤثر على إمكان حدوث الإنقلاب إذا كان للقوة الخارجية مصالح معينة داخل الدولة ، والسلطات المدنية لا تستجيب لها . أو قد تقف هذه

---

(١) Booth, R. «The Armed forces of African States» Adelphi papers, No. 67, May, P. 27.

القوة الخارجية فى وجه الانقلاب إذا كان لها مصالح من بقاء السلطة المدنية ، كما كان الحال فى ليبريا وأثيوبيا بالنسبة للولايات المتحدة . وبالنسبة لفرنسا فى السنغال هذه القوة الخارجية قد تفرض نفوذها بعدة طرق ، سواء عن طريق المخابرات أو عن طريق الأمداد بالاسلحة . وقرار التسليح هذا قرار سياسى سواء بالنسبة للدولة التى تقوم بالمساعدة بالاسلحة أو بالنسبة للدولة الأفريقية التى تطلب تلك المساعدة فمن المعروف أن التكالب على أفريقيا الذى حدث فى القرن الماضى أصبح يعيد نفسه ولكن بصورة أخرى . . فمثلا إسرائيل أقوى مثل لمحاولة تحقيق مكاسب وفتح أسواق لها فى الدول الإفريقية عن طريق المساعدات العسكرية وكذلك الصين فى محاولة للتفوق على الأتحاد السوفيتى وتشيكوسلوافاكيا التى تحاول تعويض الصعوبات الأقتصادية التى تواجهها فى الكوميكون عن طريق بيع الأسلحة لافريقيا ، وكندا التى تحاول تصدر المركز القيادى بين دول الكومنولث ، وإيطاليا أيضا أشتركت فى هذا المضمار أخيراً سواء مع جمهورية جنوب أفريقيا أو زامبيا . وأيضا بلغاريا والبانيا ، الجزائر . هذا بالطبع إلى جانب كلا من انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة . وكل دولة من هؤلاء تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة بغض النظر عن مفاهيم الحرب الباردة . وتختلف دوافع الدول الأفريقية فى قبول التعامل مع دولة معينة ويعتمد هذا على مدى استجابة تلك الدولة لشروط الدول الأفريقية ، وعلى مدى درجة عدم الأنحياز التى تحاول الدول الأفريقية تأكيدها ، وهى تختلف بين دولة إلى دولة . والمساعدات الخارجية يكون لها أثر فى تصرفات القوات المسلحة من الناحية السياسية وإن كان يصعب التنبؤ باتجاه ومدى هذا الأثر إذا كانت مصلحة القوة الخارجية مصلحة مباشرة فى قيام أو عدم قيام الأنقلاب العسكرى . وان كان لهذا العامل أهمية فى محاولة تفسير أسباب حدوث الأنقلابات العسكرية إلا أنه من الصعب قياسه من الناحية الأحصائية ، فعادة ماتكون تلك المساعدات سرية ويصعب معرفة مقدارها ، وبأى وجه تمت الاستعانة بها .

بعد حساب كل هذه العوامل ووضع أرقام إحصائية لها توصل أصحاب الطريقة الأحصائية إلى أن العوامل الأقتصادية والأجتماعية معاً تمثل ١٦٪ من أسباب حدوث الانقلابات العسكرية وتدخل العسكريين فى الشئون المدنية . وأن وسائل الأعلام

وعدد السكان تمثل أقل العوامل أهمية بالنسبة للدول الأفريقية من حيث تأثيرها على حدوث أو عدم حوث إنقلابات عسكرية ، أى أن الطريقة الإحصائية ربطت بين العوامل الإقتصادية والإجتماعية وبين أثر تلك العوامل على العسكريين بحيث يمكن وضع نسبة لحدوث الأنقلاب .

ختام :

بعد أن أستعرضنا للاتجاهات المختلفة فى شرح وتفسير ظاهرة الانقلابات العسكرية يمكن أن نصل إلى الاستنتاجات الآتية : —

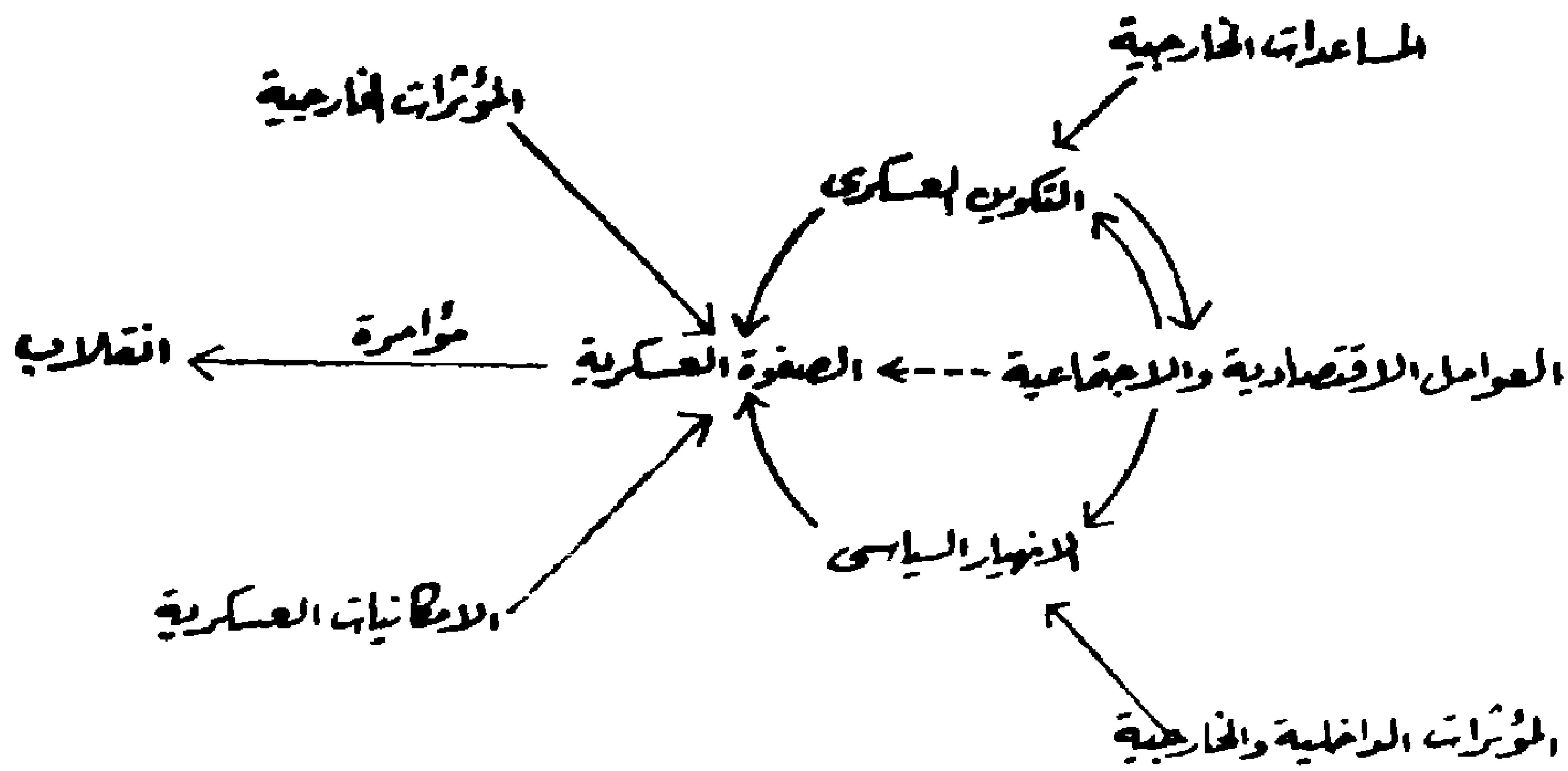
١ — أن تدخل العسكريين فى الأمور السياسية فى الدول الأفريقية يمثل ظاهرة جديرة بالبحث والدراسة وليس مجرد مظهر مؤقت أو طارئ .

٢ — أن الإنقلابات العسكرية تحدث عادة لأن مجموعة من العسكريين تقرر القيام بهذا الإنقلاب وقد يكون هذا رد فعل لأزمة طويلة أو قصيرة المدى تمر بها الأوضاع فى الدولة التى يحدث فيها الانقلاب . وهذه الأزمة غالباً ماتكون إقتصادية .

٣ — قد يكون الإنقلاب مدبر بدقة ودراسة وإن كان فى أغلب الأحيان مايكون نتيجة لطموح شخص أو أشخاص معينين وليس نتيجة لتدبير محكم .

٤ — هناك متغيرات عديدة إقتصادية وإجتماعية تؤثر تاثيراً مباشراً فى حدوث ظاهرة التدخل العسكرى . وعلى أساس التحليل الإحصائى والمتغيرات النظرية نجد أن العسكريين يمثلون فى مجموعهم طبقة إجتماعية مميزة سواء من ناحية التقدم التكنولوجى أو المستوى الإقتصادى والإجتماعى أو حتى من حيث مستوى التعليم . هذا الوضع المميز يدفع مجموعة العسكريين إلى التدخل فى الشئون المدنية فى حالة إحساسهم بفشل المدنيين فى تسير دقة الأمور . ويكون ذلك أول الخطوات نحو الأنقلابات العسكرية . ولكن هؤلاء العسكريين لا يعيشون فى فراغ وأنما يتاثرون بالعوامل الإقتصادية والإجتماعية المحيطة بهم ، ويتأثرون أيضاً بنوع التدريب الذين خضعوا له وأيضاً بالمساعدات الخارجية من الدولة المعنية . خاصة وأن الجيوش الأفريقية بامكانياتها المختلفة مرتبطة بالقوى الخارجية . كما أن طريقة تكوين الجيش

نفسه تؤثر على قابليته لأحداث الأنقلاب والرسم التالى يوضح تشابك واتجاهات تلك العوامل وأثرها فى حدوث الأنقلابات .



٥ ــ بقيت نقطة أخيرة وهى اتجاه العسكريين بعد نجاح الانقلابات .

وقد أعطى الدارسون قليل من الأهمية لدراسة تلك النقطة . وان كان الملاحظ فى حالة الدول النامية على وجه العموم أن مبادئ العسكريين بعد توليهم للحكم هى مبادئ وأفكار الطبقة المتوسطة خاصة من الضباط الشبان الذين يمثلوا الغالبية . كما أن العسكريين عادة يميلون إلى المناداة ومحاولة تطبيق مبادئ الديمقراطية الأشتراكية . وفى أفريقيا نجد أن هذا المبدأ يسود إلى الحد الذى تسمح فيه الظروف الأجتماعية والاقتصادية الخاصة بالدول الأفريقية . كما أن الأنقلابات العسكرية عادة لاتقابل بأى مقاومة بل على العكس تقابل بترحاب كوسيلة لتحقيق الاحتياجات التى فشلت السلطات المدنية فى تحقيقها حتى ولو فشلت هذه التوقيعات كما هو الغالب فى معظم حركات الأنقلاب فى داخل القارة . بعد الأنقلاب نجد أن تحقيق الأمان الفعلى والمصلحة المهنية والعسكرية تسبق مصلحة المجموع التى تأتى فى المرتبة الثانية . ولو تغاضينا عن هذه الحقيقة نكون قد بعدنا عن الأتجاه الصحيح . ومن الملاحظ فى أفريقيا أن الأنقلابات العسكرية لاتقوم على أساس أيديولوجى وأنما بمجرد نجاح الأنقلاب نجد أن الحركة العسكرية مهما كان أتجاهها تهتم بالعسكريين وبزيادة مخصصاتهم . فى غانا مثلا نجد أن ميزانية القوات المسلحة زادت بعد انقلاب عام

١٩٦٦ — ٤٠,٤ ٪ بالمقارنة ١٠,٨ بالنسبة لوزارة العمل مع الحاجة الماسة لحل مشاكل البطالة فى غانة .

أما مدى نجاح العسكريين أو فشلهم فى تحقيق المبادئ التى تعلن عند نجاح الانقلاب فهو أمر يعتمد على الأحوال الداخلية فى الدولة نفسها . وعادة مايجد العسكريون صعوبة شديدة فى مواجهة المشاكل المختلفة . وفى كثير من الأحيان تتفاقم تلك المشاكل مما يؤدى إلى قيام إنقلاب مضاد . كما أن العسكريين عادة مايستمروا فى الاستحواذ على تقاليد السلطة السياسية فى الدولة بالرغم من إعلانهم عن رغبتهم فى إعادة الحياة المدنية إلى الدولة بعد فترة انتقال .

قرية العشى

دراسة انثروبولوجية ميدانية

للدكتورة سعاد شعبان

Ashi Village

An Anthropologiçal Study

Dr. Soad Shaaban

This field-work study aimed to give a clear idea about the social life of upper Egyptian community.

The study concerned with patterns of culture. behaviour, and prevailing values.

Kinship structure consists mainly of nine clans to which all village families belongs, and their chiefs keep order and social control.

From the economic aspect Ashi people practise agriculture that depends mainly on animals and primitive machinaery and tools, and also some other tasks needed. Due to lack of agricultural lands, some people emmigrate to other regions seaking for prosperity to enjoy life.

The importance of this research is to indicate the social values and inherited traditions that people still practise in spite of its conflict with the change attitudes that aimed to improve the rural life.

The study also showed that the people in this rural community are ready to accept the elements of material changes, like new technology. On the contrary they still reject any immaterial change, such as birth control, women discrimination (education, employment and their role in social life) and vengeance.

Considering the necessity of social change, all rural community will be able to get rid of the development obstacles and adapt the new life conditions gradually.

يهدف هذا البحث الميدانى إلى التعرف على نماذج السلوك والتصرفات الاجتماعية وأنماط الثقافة القروية كما تمارس فى قرية مصرية تتوسط محافظات الوجه القبلى وهى محافظة قنا ولذلك فهو يصور طبيعة الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة بين قطاع عريض من الشعب المصرى هو سكان الصعيد الذين بسبب الظروف الطبيعية والبيئية التى يعيشون فيها يتميزون بثقافة مغايرة لما يوجد بين سكان الوجه البحرى رغم ما بين كلا الثقافتين من أوجه التشابه .

ويتكون مجتمع قرية العشى التى يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة من تسع بدنات رئيسية تتفرع منها عائلات القرية التى تتوزع مكانيا على النجوع المتناثرة . ونظراً لقيام المجتمع على النظام الأبوى وشيوع مبدأ العصبة والانتماء القرابى ، يتمتع رؤساء البدنات وكبار السن فى العائلات بسلطة قوية على الأهالى ، تمكنهم من القيام بدور أساسى فى استقرار النظام والضبط الاجتماعى فى المجتمع ، ومراعاة عدم الخروج عما ألفته الجماعة وارتضته معياراً للسلوك المثالى التقليدى لأعضائها .

ورغم اعتماد الحياة الإقتصادية أساساً على الزراعة المستديمة بالرى من مياه النيل ، إلا أن الأهالى هناك يمارسون بجانب الزراعة تربية الحيوانات للاستفادة من لحومها كغذاء وأيضاً للمعاونة فى الأعمال الزراعية المختلفة . بالاضافة إلى قيام بعض الحرف والصناعات البسيطة اللازمة لمتطلبات الحياة فى مجتمع قروى . وبسبب ضيق المساحات القابلة للزراعة وزيادة معدل السكان يفضل البعض ابتغاء لحياة أرغد الهجرة من القرية إلى مدن أخرى للعمل كأجراء وبخاصة فى مجال التشييد والبناء ، لما اشتهر به سكان الصعيد من قدرة على التحمل والجلد فى تلك الأعمال البدنية الشاقة — ويترتب على تلك الهجرة غير المنظمة أيضاً عدة مشكلات لكل من القرية والمدينة على السواء .

وتتضح أهمية هذا البحث فى إبراز القيم والتقاليد الموروثه التى يحترمها الأهالى فى تلك المجتمعات القروية ويحرصون على التمسك بها . رغم تعارضها مع الأفكار

التحررية التى تحملها تيارات التغير التى بدأت تجتاح تلك المجتمعات لرفع مستوى معيشتها ورفاهية سكانها .

وقد تبين من الدراسة أن عناصر التغير المادية كاستخدام الكهرباء ومبتكرات التكنولوجيا الحديثة تلقى قبولا عاماً على العكس تماماً من عناصر التغير غير المادية كفكرة تحديد النسل أو اشتغال المرأة أو التخلى عن الأخذ بالثأر . ولكن إذا كان التغير الاجتماعى ضرورة حتمية فبفضل الدراسات الميدانية المركزة ستتمكن هذه المجتمعات من التخلص تدريجيا من معوقات التنمية ، وتعيد تكيف نفسها مع الأوضاع الجديدة .

الموقع الجغرافى :

تقع قرية العشى فى محافظة قنا وتتبع مركز الأقصر من الناحية الادارية ، وهى تبعد عن الأقصر بحوالى ١٢ كيلو متراً شمالا .

ويحدها من الشمال زمام قرية خزام .

ومن الجنوب زمام قرية الصعايدة .

والغرب مجرى نهر النيل .

ويبلغ زمامها حوالى ألفى فدان .

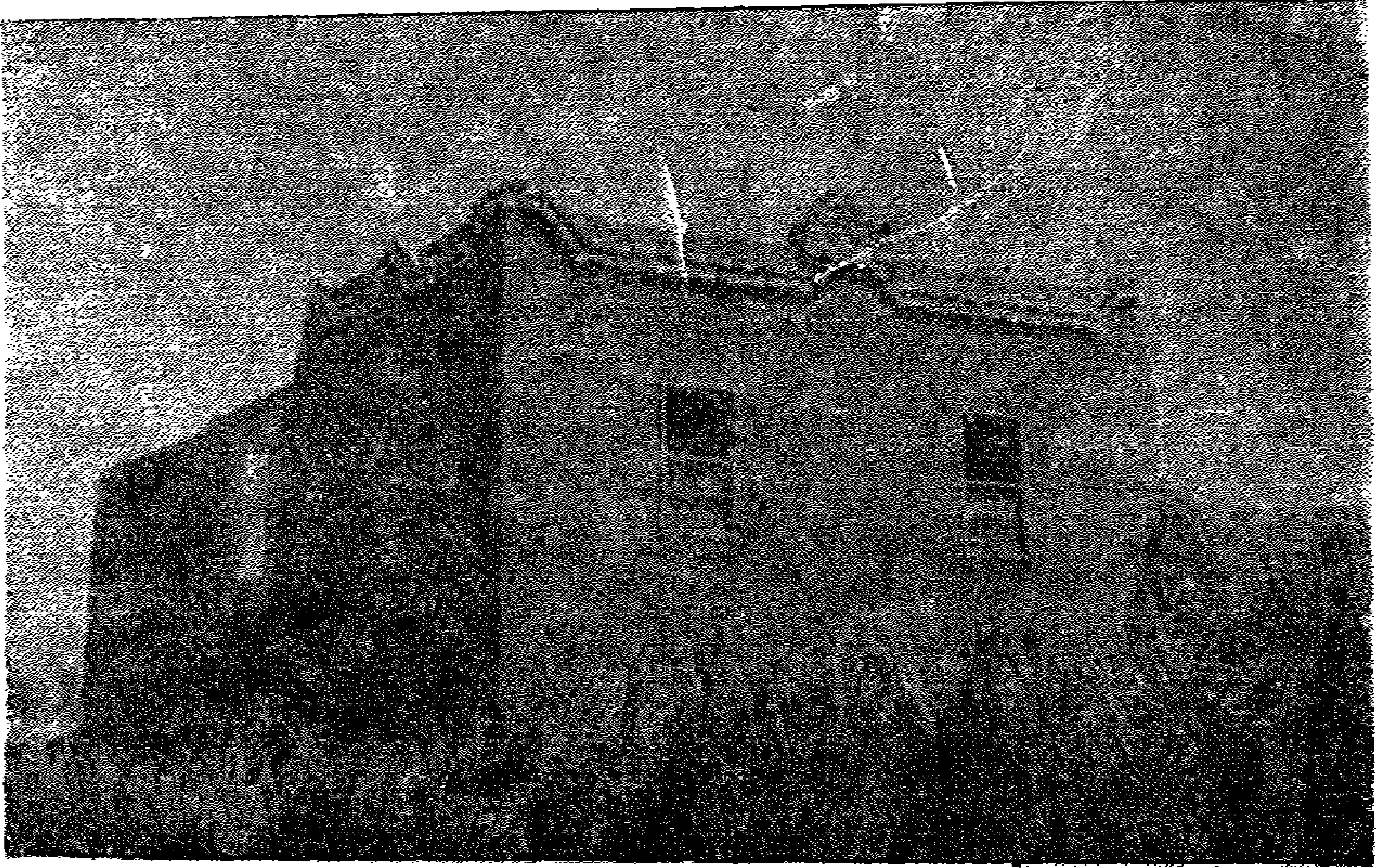
تتميز قرية العشى بشكلها المستطيل ويتوسطها مبنى الوحدة المجمعة وتقع أراضيها الزراعية على خط واحد تقريباً ، ومساكنها على خط آخر حيث توجد منازل القرية بين الأراضى الزراعية ونهر النيل .

أما عن تاريخها فلايعرف أحد تاريخ انشائها بالضبط ولكن الأهالى ينسبون تسميتها إلى اسم الشيخ محمد العشى الذى يقال أنه من الصحابه الذين هاجروا إلى مصر ثم استقر فى مكانها الحالى وتوفى بها ولذا سميت (بقرية العشى) ، ويعتقد الأهالى أن القرية لم تكن موجودة قبل قدوم الشيخ محمد العشى الذى يعتبرونه مؤسس أقدم البدنات بالقرية وإليه يرجع الفضل فى انشاء القرية ككل .

ومعظم الأهالى سمر البشرة طوال القامة إلى حد ما ، عيونهم عسلية اللون وملامحهم دقيقة التقاطيع يعتزون بانتسابهم للقبائل الوافدة من الجزيرة العربية .

ويتحدث أهالى القرية العربية التى تغلب عليها اللهجة الصعيدية .

أما عن الجانب الحضارى للقرية (مسكن ، ملبس ، غذاء ، أدوات عمل وإنتاج) . فنجد أن معظم المساكن مبنى بالطوب اللبن ومسقوف بأعواد النخيل والجريد وجذوع الأشجار والبوص المجدول بالحبال والمغطى بطبقة من الطين ، ويلحق بها حظائر الماشية والحيوانات .



صورة خنفية لأحد منازل القرية (يلاحظ الأهتمام بالزخرفه)

ومنازل القرية متجاورة ومتلاصقة . والشوارع ضيقة جداً وملتوية ولا يوجد أسماء للشوارع ولا أرقام للمنازل . ومع ذلك يسهل الاستدلال على أى شخص بمجرد السؤال عنه .

وتتجمع كل (بدنة)[1] فى مربع سكنى ولا يبنى أفرادها بيوتاً خاصة بهم

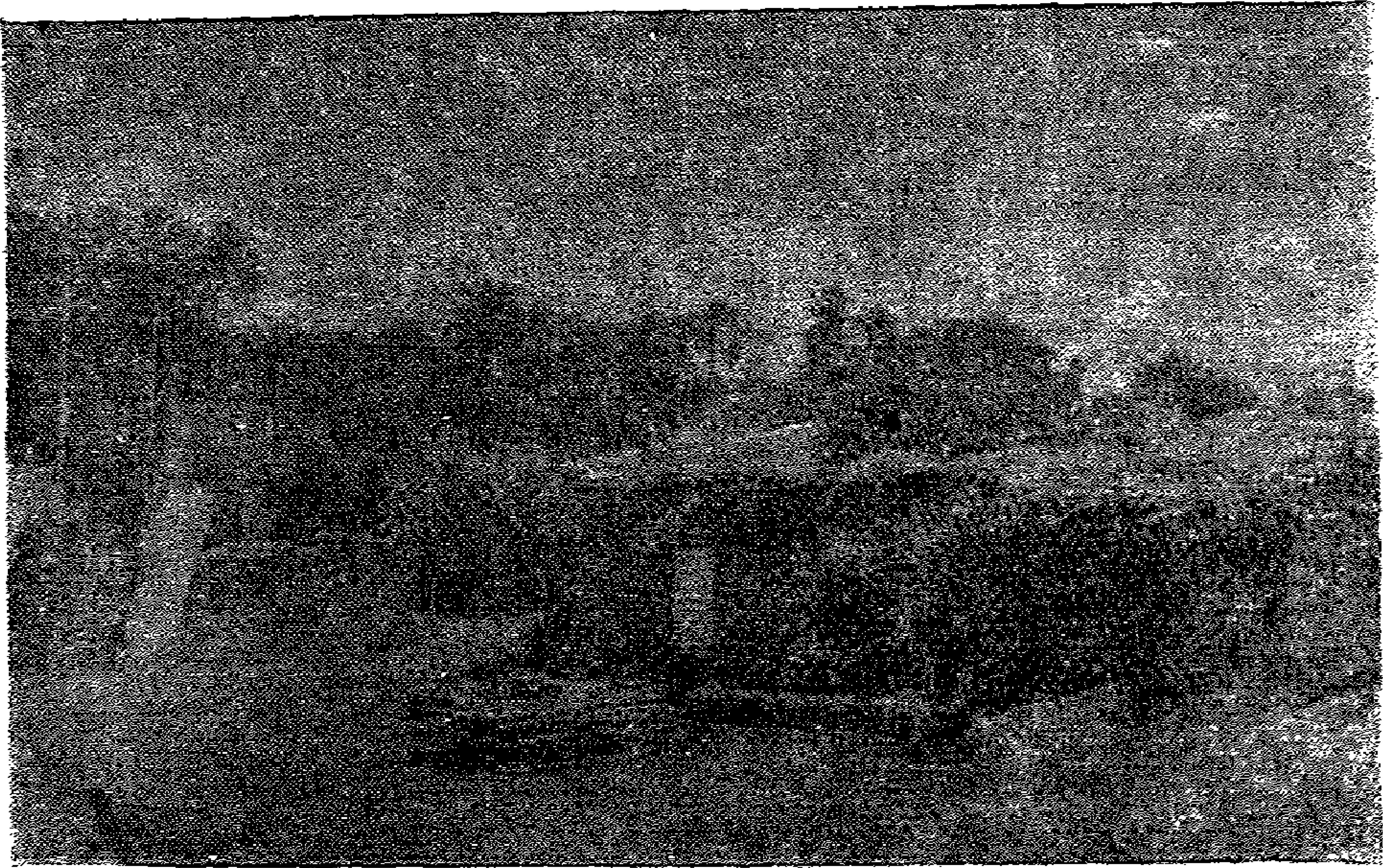
(١) البدنة : تمثل الجماعات القرابية بالقرية وفروعها هى العائلات التى تنقسم بدورها الى بيوت تتجاور حسب درجة القرابة وقد يشمل البيت الواحد عدة أسر مكونة من أب وأم واولاد .

خارج هذا المربع إلا فى حالة ضيق المساحة أو لصعوبة الحصول على قطعة أرض سواء بالميراث أو الشراء .

والشكل الشائع فى بناء المنزل ينقسم إلى قسمين : —

الأول : خاص بالإعاشة وغالباً ما يكون الطابق العلوى .

الثانى : خاص باستقبال الضيوف والغرباء وغالباً ما يكون الطابق الأرضى .



ملحقات المنزل وأماكن مبيت الماشية

ويعتبر الطابق العلوى قسم خاص بالأسرة لا يدخله الغرباء مهما كانت الظروف وهو عبارة عن صالة واسعة نصف مسقوفة تحيطها الغرف من جميع الجهات ، إلا من جهة السلم الموصل إلى السطح الموجود به الفرن وأدوات عمل الخبز وحجرات نوم جميعها فى الدور العلوى ، وغالباً ما تجهز بسرير ذو أربعة أعمدة وناموسية ؛ ودولاب ويراعى تخصيص مكان للطهى وحفظ الأوانى وكل ما يلزم الإعاشة بحيث لا توجد ضرورة تدعو النساء للنزول إلى الدور الأرضى ، اللهم إلا عند نظافته وجلب المياه فى غير أوقات الزيارة أو الضيافة ، والحجرات واسعة وجيدة الإضاءة والتهوية .

أما الطابق الأرضى فيتألف من (مندرة) ، وهى حجرة واسعة نسبياً وتكون فى مدخل الباب الخارجى الذى نادراً ما يغلق نهاراً وهى حجرة جيدة الإضاءة والتهوية ، يوجد فى معظمها شباكان من الحجم الكبير ، كما يفرش بها الحصير والأكلمة ومزودة بالأرائك الخشبية المفروشة بالمساند والمراتب القطنية ويعتنى بنظافتها والعمل على بقائها جاهزة ومعدة دائماً لاستقبال الضيوف ويوجد بعد المدخل والمندرة حوش داخلى فسيح به غرفة مخزن وأخرى لتربية الطيور ، كما يجهز الدور الأرضى (بمدود)[1] .

ويوجد بالحوش الداخلى السلم الثابت المبنى من الطين أو الطوب الأحمر والأسمنت وله باب لحجب رؤية أهل الدار ، وتحت أنحناءة السلم ، الذى يراعى فى بنائه أن يكون على شكل زاوية قائمة ، يبنى المرحاض البلدى ، وهو عبارة عن فتحه سفليه تؤدى إلى خزان يفرغ مرتين أو أكثر سنوياً ويزود بإناء صغير للاغتسال غالباً مايكون إبريقاً من الفخار . ويراعى أن يكون المرحاض فى الجهة القبلية للمنزل حتى لا تفسد رائحة الخزان هواء المنزل .

وقد توجد طلمبة المياه فى بعض البيوت . وأما البعض الآخر فيحصل على المياه من الصهاريج التى عملت بالقرية حديثاً .

ومعظم المنازل مرتفعة الأسقف ذات فتحات كبيرة كافية للتهوية والإضاءة . وأرضية المنازل بطابقيها إما من الطين المخلوط بالتبن أو من الطوب الأحمر باستثناء الموسرين من الأهالى فتكون مكسوة بطبقة من الأسمنت أو البلاط ومفروشة بالحصير أو بالأكلمة . كما تطلى معظم المنازل من الداخل بالجير وإن تيسر تطلى من الخارج أيضا وتضاء بالكهرباء خاصة بعد اتمام السد العالى واستكمال شبكة الكهرباء فى ٣١–٧–١٩٧٣ م .

أما عن الملابس : (أ) فملابس النساء تتكون من بردة أوخلالية أو جبة وهى عبارة عن سترة من القماش الأسود تلبسها السيدة فوق ملابسها وهى فضفاضة

---

(١) المدود : عبارة عن حوض مستطيل على امتداد الحائط يرتفع إلى حوالى ٧٥ سم بعرض ٥٠ سم تقريبا وبعمق ٣٠ سم ومبنى من الطين واحيانا من الأسمنت لتأكل فيه الدواب .

واسعة بحيث تغطى الجسم كله من قمة الرأس حتى أظافر القدمين . والقنائع هى عبارة عن قطعة من القماش الأسود تلبس من أعلى الرأس وتتدلى حتى تلمس الأرض ، وهى التى يلبس فوقها الجبة ، ويكونان معا الملابس الظاهرة التى يراها بها كل من يقابلها . وتلبس النساء أيضا ثوبا تحت البردة أو الجبة يحدد لونه حسب المناسبة التى يلبس من أجلها . ويلبس فى القدم المداس أو الكندرة وأحيانا حذاء بدون كعب ورباط .

تلك هى ملابس الغالبية من النساء ولا تختلف ملابس زوجات أو بنات الموسرين عن غيرهن إلا فى النوع والخامات .

ويغطى النساء رؤوسهن بجردة أو تربيعة وهى منديل غالبا ما يكون من الستان الأسود ويغطى بالطرحة .

كما يتحلين بلبس الحلى المصنوعة من الذهب والفضة وأحيانا من النحاس والعاج وتكون على شكل أساور أو خواتم أو عقود وغيرها ، كما يلبسن الخلخال من الفضة .

(ب) ملابس الرجال : تتكون من سروال أبيض اللون ينتهى تحت الركبة ويلبس فوقه قميص ذو أكمام واسعة وقصيرة وفوقه الصديرى ثم جلباب أبيض أو سمنى ذو أكمام واسعة تزيد فى الإتساع كلما وصلت إلى أطراف اليد وكذلك الجلباب كلما اتجه إلى أسفل ، لكى يمكنه من السير . أما الرأس فتغطى بطاقية من الصوف أو القطن بيضاء اللون ويلف عليها (عمامة) .

ويحرص كل فرد على أن يكون لديه جلبابا من الصوف أو التيل أو الجبردين للمناسبات .

(جـ) أما الأطفال فيلبسون جلباباً ذا طوق من قماش الزفير وسروالا وقميصا وطاقية من صوف الغنم أو القطن المزركش ، ولا يلبسون العمامة إلا إذا بلغوا سن الرشد .

ولا بد لكل رجل أن يحمل عصاه التى يطلق عليها اسم (الشومة) .

وعند الزواج يلبس العريس (لاسة) وهى عبارة عن قطعة من الحرير المحلى بنقوش إسلامية وتوضع على الكتف فوق الجلباب الصوف وقت الزفاف .

ويتحلى الرجال بخواتم من الفضة والذهب .

أما الموتى فيشترى لهم (الجهاز) وهو الكفن ، عبارة عن قماش أبيض اللون يحاك على شكل كيس مستطيل يغطى الجسد كله من الرأس إلى القدم ، ويعمل (للرجال) طاقية بيضاء ويلف رأسه بعمامة كما لو كان على قيد الحياة ويحضر الموسرون طربوشاً أحمر وعمامة بيضاء ليدفن بهما .

أما النساء فيشترى لهن قماش أبيض يبطن بقماش أخضر اللون وتربط رأسها بطرحة خضراء لتدفن بها .

الغذاء :

تعتبر وجبه العشاء هى الوجبة الرئيسية ، حيث يقدم فيها اللحوم أو الطيور والخضر .

أما الإفطار فيتكون عادة من اللبن والجبن والعسل ونوع من الخبز يطلق عليه (العيش الشمسى) يلعب دوراً هاماً فى جميع المأكولات وهو سميك الحجم يخمر فى أشعة الشمس ، بعد أن يقطع قطعاً مستديرة الشكل على مقارص طينية ويوضع فى الفرن إلى أن يحمر لونه ، ويقومون فى العادة بعملية الخبيز هذه كل أربعة أيام . كما يوجد نوع آخر يطلق عليه الرقاق ، ويستعمل فى عمل (الفتة) . ولديهم أيضاً المطبق أو الفطير المشلتت ويعرف من أنواع الخبز مايسمى (الفايش أو الشريك) ويؤكل مع السوائل كاللبن أو الشاى .

ومن الأكلات المشهورة (العصيدة) التى تعمل من الدقيق واللبن والسكر . ولا يشترى أهالى القرية أى نوع من أنواع الخبز كما أنه لا يوجد بالقرية من يبيع الخبز أو مشتقاته السابقة .

أما عن أدوات عمل الخبز فهى : الماجور يستخدم لعجن الدقيق به والمقارص ويوضع الخبز عليها قبل أن يدخل الفرن ، المطرحة وتصنع من الخشب على شكل

قرص دائرى رقيق السمك له يد طولها متر تقريباً تستخدم فى إخراج وادخال الخبز من وإلى الفرن . ويعتبر الفرن من أبرز تلك المستلزمات وله شكل خاص حيث يبنى من الطين وله فتحتان جانبيتان . الأولى علوية والثانية سفلية جانبية . وقاعدة الفرن مستديرة الشكل مصنوعة من طمى النيل المخلوط بروث الحمير المحروق وهى التى يسوى عليها الخبز ويوقد تحتهاللغرض نفسه ، ووجود الفرن بالمنزل يعد أمراً لازماً للأسرة .

ومن أنواع الغذاء التى تقدم : العدس ، البامية ، الملوخية الأرز ، الفول ، ومشتقاته ، اللحوم والطيور وغالباً مايتناول الطعام على الطبلية ولا يستعمل الأهالى من أدوات الطعام غير الملعقة إذا مادعت طبيعة الطعام إليها .

ولا يختلف الطعام العادى اليومى عن ذلك الذى يعمل فى المناسبات كالعزائم والأفراح والمآتم .

أما عن آنية الطهى : فمازال يستخدم عدد كبير من الأهالى الآنية الفخارية كالبرام ، وهو عبارة عن وعاء من الفخار المحروق ، والطاجن والمقلاية التى تستخدم كالأطباق كما يوجد المغرفة الخشب وليس معنى ذلك أن أستخدام آنية نحاسية أو الومنيوم أو صينى أو صاج غير موجود ولكن ذلك هو الشائع . ومن الشائع أيضاً أن يطهى الأهالى طعامهم على الكانون . هذا وقد تقتنى بعض الأسر وابور جاز لنفس الغرض .

أما بالنسبة للأوانى التى تستخدم للمياه فمنها : الزير ، وهو الوسيلة المفضلة والمضمونة للشرب من ماء النيل بعد ترسيبها به ، رغم وجود المياه الصالحة للشرب بعد تنفيذ مشروع تنقية مياه الشرب سنة ١٩٥٦ م . كما تستخدم القلل .

ومن المشروبات الشائعة بالقرية الشاى ولابد من تقديمه للجميع .

الجانب الإقتصادى السائد بالقرية :

(أ) الزراعة :

تعتمد الزراعة أساساً على مياه النيل ويبلغ زمام القرية حوالى ألفى فدان مقسمة إلى ٢٤ حوضاً تمر بينها ترعة الكلابية وعلى جانبيها – بعد بناء السد العالى – ترعة الكرنك الشرقية والغربية وترعة ساحل العشى كما توجد ترعتا الصغيرة والروضة وترعة الأقصر ومضافا إليها مصرف على حدود زمام قرية خزام .

ولما كان رى الحياض هو السائد قبل خمس سنوات كانت أهم المحاصيل الزراعية هى العدس والحمص والقمح والشعير والذرة الرفيعة والذرة الصفراء (العويجة) . كما لم يكن هناك نظام للدورة الزراعية .

ولكن بعد أن تحول نظام الرى إلى رى دائم – بعد بناء السد العالى – وتوفر المياه طوال العام أصبحت تزرع الأرض ثلاثة مواسم :

(ا) شتوى ويزرع فيه القمح والعدس والحمص والحلبة والبرسيم والفـــول والباذنجان والخضروات .

(ب) صيفى ويزرع فيه الذرة الشامى والذرة العويجة والسمسم واللوبيا .

(ج) نيلى ويزرع فيه الذرة النيلى الذى يستخدم فى طعام الدواجن والمواشى .

وأصبح المحصول النقدى الرئيسى حالياً هو قصب السكر حيث تزرع ثلث الأرض الزراعية به .

ويفرق الأهالى بين نوعين من الأراضى الزراعية :

الأول : أرض صفراء، تلك التى يقولون عنها أنها تصلح لزراعة الحمص والعدس وهذه لا تحتاج إلى أسمدة كثيرة .

الثانى : وهو الأرض السوداء التى يجود فيها محصول قصب السكر الذى يحتاج إلى أسمده أكثر من غيره . ويفضل الأهالى عادة النوع الأول على الثانى رغم حاجتهم إلى زراعة قصب السكر باعتباره المحصول النقدى الأول .

كما يزرع من أنواع الخضر النقدية أيضاً الباذنجان .

أما الملكية الزراعية فموزعة على كل الأهالى ولا يوجد أى شكل لتركيزها فى أيدى قلة محدودة منهم .

هذا وتسمى الأرض الزراعية باسم البدنة وليس باسم الأفراد الحاليين . فالأربعة والعشرون حوضا المقسمة إليها أراضى القرية تحمل أسماء العائلات الكبيرة .

والملكية عموما مفتتة وتتراوح بين خمسة قراريط وخمسة وثلاثون فدانا للعائلة وذلك بسبب الميراث .

أما أدوات العمل المستخدمة فى الزراعة ، فما زالت الالآت التقليدية البدائية كالمحراث والنورج الزحافة والفأس ، هذه الآلات التى يحرص على اقتنائها المشتغلون بالزراعة تعتبر الرئيسية والمفضلة لديهم جميعا ، كما تروى الأرض بالساقية وماكينات الرى وكليهما يستخدم فى رفع المياه من الترع إلى الحقول .

هذا وتقدم الجمعية التعاونية الزراعية المبيدات الحشرية للقضاء على الآفات والفئران التى تهدد محصول القصب ، والأسمدة وكافة الخدمات الزراعية .

أما عن طريقة الزراعة الشائعة فتمر بمراحل متتالية فبعد تنظيف الأرض من المحاصيل تترك فترة معرضة للشمس ثم تروى وتترك لتجف حتى تستحرث(١) فتحرث ويبذر الحب بها بعد تسميدها بالسماد البلدى ، ثم تعرض للشمس مرة أخرى ثم تسوى بالزحافة وتقسم بعد ذلك إلى بيوت وخطوط ثم تروى ويتابع المحصول بالرى والرعاية والتسميد حتى ينمو وينضج .

وبالنسبة لقصب السكر فيبدأ موسمه فى أواخر ديسمبر وينتهى فى آخر ابريل ويتم تصديره إلى شركات صناعة السكر فى كل من نجع حمادى وأرمنت وقوص ودشنا . وذلك عن طريق مندوبين لتلك الشركات بالجمعية التعاونية الزراعية .

---

(١) تستحرث أى تصبح درجة الرطوبة بها ملائمة للحرث لاهى بالجافة جدا او بالينة فيصعب حرثها .

أما عن العمالة فتعتبر الأيدى العاملة مناسبة إن لم تكن تزيد عن حاجة العمل الزراعى فى غير مواسم الحصاد ، حيث توجد هجرة من القرية إلى المدن وخاصة القاهرة والإسكندرية ، حيث تعمل تلك الأيدى مع مقاولى البناء (كفعله) أو كعمال تراحيل بالسكة الحديد أو كعمال مؤقتين فى مصانع السكر .

ورغم هذا فانهم لا يقطعون صلتهم بالقرية ، فهم يشاركون فى المناسبات العامة كالأعياد والأحتفالات بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى ، إلى جانب تقديم المساعدات المالية لذويهم وكانت تلك الهجرة واضحة وقت أن كان رى الحياض هو السائد ، لأن العمل الزراعى كان يستمر أربعة أشهر فقط فى العام . هذا ولايفكر المهاجرون بهدف التعليم فى العودة إلى القرية رغم محافظتهم على الود والاتصال بالاهل وتتبع أخبار القرية . كما أن القرية تستقبل هجرات خارجية من القرى المجاورة فى مواسم الحصاد خاصة فى موسم كسر القصب ، كعمال تراحيل يقيمون عند رؤوس الأحواض ولا يقل عدد الترحيلة عن خمسين فرداً .

أما عن تربية الماشية :

فيحرص الأهالى على إقتناء الجمل الذى يقدم خدمات كثيرة فى الحمل والجر وكذلك يربون الأبقار للجر ، بينما يقتنى الجاموس بهدف الحصول على الألبان والنسل . كما يقتنون الدواب حيث تعتبر وسيلة من وسائل المواصلات بالنسبة للأهالى وخاصة الرجال وهناك أيضاً الماعز والأغنام .

(ب) الحرف والمهن الموجودة :

هناك أعداد من سكان القرية متخصصة فى مهن وحرف غير الزراعة التى يشتغل بها غالبية الأهالى ومن أهم هذه الحرف والمهن :

(أ) النجار : ومهنته متوارثة ويفرق الأهالى بين نوعين منها :

الأول : نجار دقى وهو الذى يعمل الأبواب والشبابيك والأرائك .

الثانى : النجار العادى أو البلدى الذى يصنع الساقية والمحراث والنورج والفأس وغيرها من أدوات العمل الزراعى .

هذا ويتناول النجار أجرة إما نقداً وذلك يكون فى الأغلب عند صناعة شئ جديد — ، وإما عينا عند صيانته .

٢ — السرايرى : هو الذى يقوم بعمل الأسرة من الجريد .

(ب) الترزى البلدى : وهو يزاول المهنة فى المنزل مقابل أجر نقدى .

(حـ) السقا : ومهنته وراثية ويضاف إلى عمله رش المنزل والشوارع المحيطة فى المناسبات .

(د) السمكرى : ومهنته وراثية أيضاً وتعتبر مهنة حديثة العهد بالقرية ويحصل السمكرى على أجره نقداً نظير إصلاح وابور الجاز ، الكلوب ، وعمل الفوانيس ولمبات الجاز وأعمال الصفيح .

(هـ) الفحار (الحانوتى) : ومهنته وراثيه ، كذلك يقتصر عمل الفحار على حفر القبر — ثم دفن جثث الموتى . بينما يقوم أهل المتوفى بغسله وتجهيزه . ويحصل الفحار على أجره عينا ، كأن يأخذ عدس وحمص فى موسم الحصاد ، كما يأخذ جلد ورأس الذبيحة التى تنحر فى المأتم .

(و) الحلاق والداية : ومهنتهما تختص بها عائلات معينة ، والحلاق يحلق للرجال والأطفال مرة كل أسبوعين على مدار العام نظير أجر عينى من المحاصيل الزراعية ، أو نقداً إذا كان الشخص مغترباً ، كما أنه هو الذى يقوم بختان الأولاد وتزيين الشباب عند الزواج وله دوراً فى علاج بعض الجروح والأسنان .

أما الداية فتختص بشئون النساء من حيث الإشراف على الولادة ،ومتابعة السيدة الوالدة ومولودها ، كما أنها هى التى تقوم بختان الفتيات وتقوم بعملية إعداد العروس ليلة زفافها وابداء النصائح لها .

(ز) الدلال : وهو دلال المساحة الذى يقوم بعملية قياس الأراضى الزراعية وتحديد الملكية ، ويستخدم فى ذلك (القصبة) ويستعان به فى فض المنازعات الخاصة بالأراضى الزراعية ويؤخذ برأيه كحجة قانونية وهو يستخرج خريطة رسمية من المساحة لتساعده فى أعماله ، وهو شخص متطوع لهذه العملية بدون أجر .

(ح) المداحون : وهم الذين ينشدون المواويل ويستخدمون فى عملهم الآلات الموسيقية كالرق والشخاليل والمزمار والربابه .

(ط) مهنة صناعة الجريد وزعف النخيل : حيث تعمل الأقفاص والمقاطف والقفف والأسرة .

(ى) مهنة صناعة الطوب : وهى عمل قوالب الطوب واعدادها .

(ك) البناء : وهو المختص بأعمال البناء .

(ل) مهنة صيد السمك : وهى مهنة وراثية ولكنها فى طريقها إلى الأنقراض لقلة كمية الأسماك بعد السد العالى . ويتحول العاملون بها إلى عمل المعدية حيث ينقلون أهالى القرية فى قوارب النيل .

(م) القزاز : وهى مهنة وراثية يقوم فيها القزاز بنسج أكياس مصنوعة من صوف الغنم كما يقوم بعمل الشيلان ، ويأخذ أجره على كل رطل ينسجه وهو يستعمل النول ولكنها مهنة فى طريقها إلى الزوال نظراً لأن الإنتاج فردى ولا يكفى لسد حاجة الأهالى .

(ج) تقسيم العمل وتوزيعه :

لا تشارك النساء فى أية أعمال خارج المنازل ولكن يقمن بتربية ورعاية الأطفال والقيام بأعمال نظافة المنزل وطهى الطعام وعمل الخبز وحلب الماشية وتربية الدواجن، كما يقمن بغزل وبر الجمال وصوف الأغنام الذى يأخذه القزاز لكى يصنع منه أكياس تسمى بالتلاليس ويعبأ فيها المحصول كما يصنع منه الشيلان التى يغطى بها المحصول كما يقمن بصنع المراوح والهوايات من جريد النخيل المكسو بخيوط وقماش مزركش والتى لا يخلو منزل منها كما يختص بعضهم بعمل الأفران من الطين وروث الحمير والجمال .

أما الرجال فيعملون بصفة رئيسية فى الزراعة أو التجارة كالبقالة أو تجارة الخضروات أو المحاصيل كالعدس والفول والبصل ، والمهن السابقة كالنجار والحلاق والبناء والقزاز . . . الخ .

أما الأولاد الذين يقل سنهم عن السادسة فلا عمل لهم إلا اللعب واللهو .

أما بعد هذه السن وفى أوقات فراغهم من الدراسة قد يساعدون آباءهم فى جنى المحاصيل وزراعتها . أما كبار السن فينحصر عملهم فى فض المنازعات والتشاور فيما يهم القرية وتسيير دفه الأمور بها ، وبعض الأعمال الخفيفة فى الحقول كالحراسة أو الإشراف على عمل ما واسداء النصائح للصغار .

(د) تنظيم الإنتاج والتبادل :

تعتبر المحاصيل الزراعية سمة مميزة للقرية حيث لا يوجد أى منتجات غيرهـــا .

ويتداول الأهالى فيما بينهم المحاصيل التى يحتاجها كل منهم كما يتمتعون بخدمات المهن السابقة نظير تلك المحاصيل؛ هذا وتتجر النساء فى الصوف والبيض والدواجن والجبن والزبدة .

الجانب السياسى :

يبلغ تعداد العشى حوالى ثمانية آلاف نسمة ويتكون مجتمعها من بدنات وعائلات غالبيتهم من المسلمين .

والقرية فى عمومها تتكون من عدة نجوع[1] تحمل اسم البدنة التى تعيش فيه فيوجد : نجع الناصرية فى الجنوب الغربى ، نجع أحمد عوض ويوجد بين نجع الناصرية ونجع عبد القادر ، يوجد فى الجزء الغربى ، ونجع يوسف فى شمال القرية ، ونجع الدار وهو عبارة عن خمسة بيوت فى الحد الفاصل بين قريتى الصعايدة والعشى .

وتمثل البدنة الجماعات القرابية فتنقسم البدنة إلى عائلات تنقسم بالتالى إلى بيوت مكونة من أسر تتركب من أب وأم وأولاد .

وأبرز البدنات الموجودة حالياً هى :

١ — بدنه القواسم .

٢ — بدنة العويضات .

---

(١) النجوع جمع نجع وهو جزء من القرية يمكن تسميته (بالناحية) وتتميز نجوع العشى بأن كل منها تتركز فيه عائلة .

٣ — بدنة عجاج .

٤ — بدنة عبد الهادى .

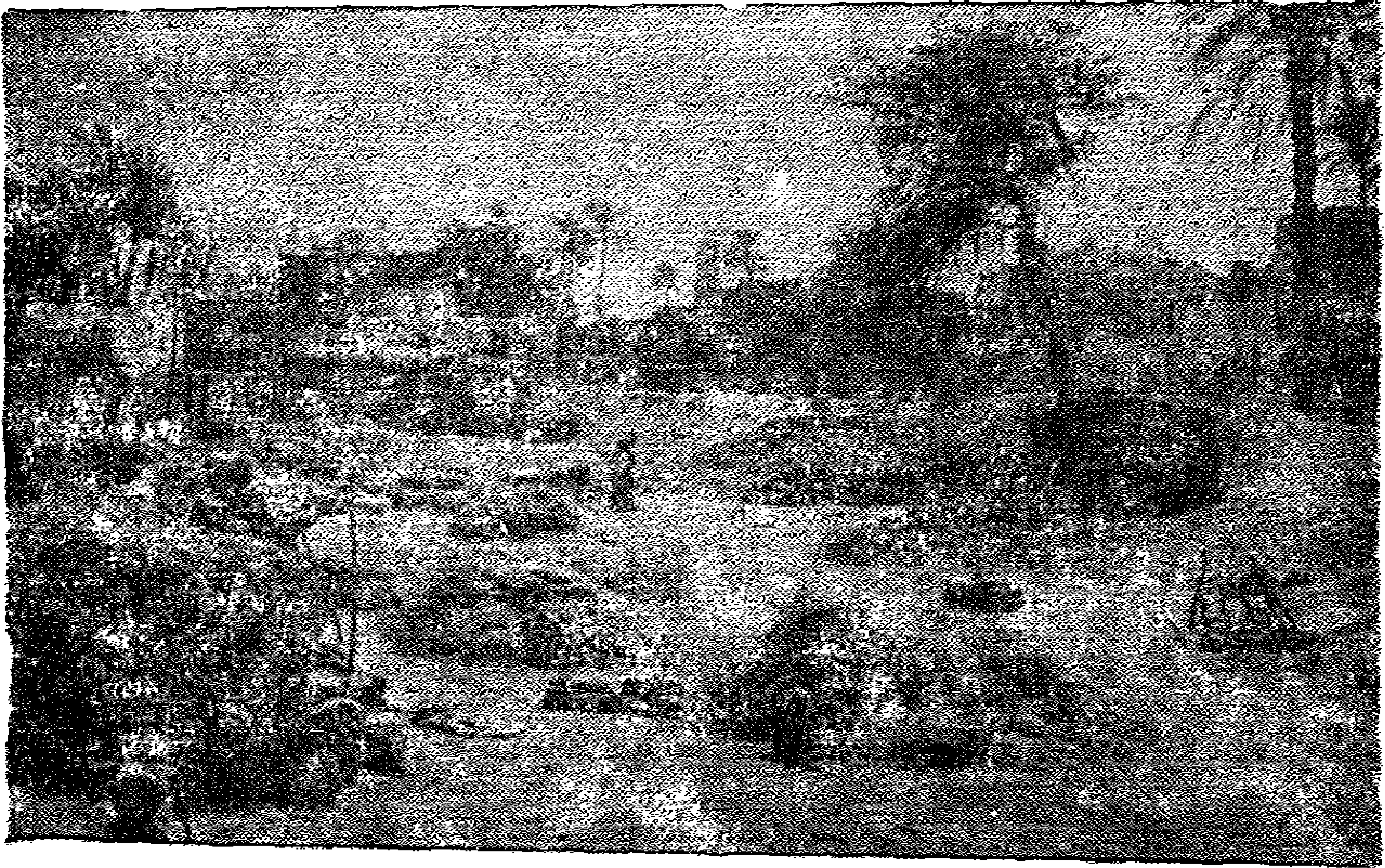
٥ — بدنة حمص (الحمامصة) .

٦ — بدنة الحساب .

٧ — بدنة العرانيط .

٨ — بدنة الخطبة (مصدرها خطيب وهو مقرئ قرآن) .

٩ — بدنة الناصرية .



منظر لنجع من نجوع القرية — ويظهر فيها محصول القمح بعد عملية الدراس

وأقدم تلك البدنات : القواسم والعويضات وعجاج (١)

وكل بدنة تقيم ديوانا(٢) عاما أو أكثر حسب حجمها ، وتقام فيه شعائر المواسم

---

(١) بنى هذا الاستخلاص على آراء كبار السن بالقرية من مختلف النجوع والنواحى .

(٢) الديوان عبارة عن مبنى من دور واحد واسع نسبيا له مدخل واسع ومزود بعدد كاف من الشبابيك والمصاطب والأرائك ويسقف بافلاق النخيل عادة او الخشب إن تيسر ويبيض بالجير وبه حجرات جانبية ويعتنى بنظافته افراد البدنه الذين يساهمون معا فى إقامته وتجهيزه .

والأعياد والأفراح والعزاء وقد يترتب على عدم وجوده ، تفكـك البدنة وتشتت كلمتها ولذا يفضل أن يتوسط الديوان بيوت البدنة .

وبجانب تلك الدواوين الخاصة بالبدنات والعائلات يوجد ديوان عام للقرية يجاور ضريح الشيخ العشى ساهمت فى إقامته وتجهيزه كل البدنات وتناقش فيه الأمور المتعلقة بالقرية ككل كذلك تحديد موعد الاحتفال بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى والإجراءات اللازمة لهاتين المناسبتين .

كما يعد الاعتقاد فى أثر الأولياء والمشايخ عاملا آخر يساهم فى تماسك وضبط السلوك الفردى داخل مجتمع القرية ، حيث توزع المسئوليات والتكاليف وتحديد دور كل بدنة خلال أيام الاحتفال بالمولد التى يتخللها اقامة الولائم وتقديم الأضحيات فمشاركة كل البدنات ، بل والقرى المجاورة فى تلك المناسبة وتناول الأطعمة معاً يقوى الشعور بالتلاحم ويذيب الكراهية والخلافات ، كما أن تلك المناسبة تخفف من القيود التى تفرض على تحركات النساء أغلب أيام السنة حيث يسمح لهن بالزيارة ومشاهدة المولد فى غير أوقات الزحام أو من فوق أسطح المنـازل والنوافـذ .

هذا ويلاحظ أن كبار السن لهم الكلمة والرأى .

بالنسبة للسلطة :

أولا : الشكل التقليدى القديم ويتمثل فى جوار البدنات وتماسك كل منها فيما بينها فى مواجهة الأخرى ووجود الدواوين كشكل مادى ملموس يمارس فيه الحوار لحفظ ذلك التوازن وحقوق الجوار بالإضافة إلى إعتقادهم فى أسرار وكرامات المشايخ والأولياء وخاصة الشيخ العشى الذى يلجأون إلى معاونته وقت الأزمات والكوارث . والسلطة التقليدية فى شكلها الرسمى تتمثل فى :

شخص العمدة والمشايخ أو بشكل غير رسمى كبار السن ورؤساء البدنات وتقدير عامل القرابة .

فالعمدة كان يمثل أعلى سلطة فى القرية يعاونه مشايخ البلد أو النواحى والخفراء ومشايخهم ، وكان مسئولا عن حفظ الأمن والنظام ، إما بالطريق الودى أو الرسمى كما يقوم بفض المنازعات والخلافات الشخصية أو العائلية بين سكان وبدنات القرية .

وكان شيخ القرية أو شيخ الحصة أو الناحية يستمد مكانته من العمدة ويعتبر ممثلا لحصته فيتحدث بالنيابة عنهم أمام السلطات الرسمية ويبحث المشاكل التى يحولها إليه العمدة ويجرى المعاينات والتحقيقات المبدئية ويعتبر مسئولا عن المحاضر والاخطارات الرسمية وعن التبليغ فور حدوث مايعكر صفو الأمن .

وقد عزز العمدة ومشايخه بعدد من الخفراء وهم ينفذون أوامر العمدة بقوة السلاح وذلك لمن يعصى التعليمات وليس للخفراء حق الاعتراض أو مجرد ابداء الرأى فيما يقومون بتنفيذه من أوامر .

ورغم كل ما للعمدة ومشايخه من سلطة فان السلطة غير الرسمية والتقليدية الممثلة فى كبار السن ورؤساء البدنات لها دور كبير فى تسيير دفة الأمور بالقرية وفض المنازعات وديا دون علم السلطة الرسمية فى كثير من الأحيان كما أن الأفراد يقبلون حكمها عن طيب خاطر .

ثانياً : أخذ شكل السلطة حديثاً بعد ١٩٦٠ م فى إنشاء وحدات محلية صغيرة بالقرية يدير شئونها مجلس قروى له رئيس وكذا وحدة أساسية للاتحاد الاشتراكى العربى . فضلا عن إنشاء الجمعية التعاونية الزراعية بالإضافة إلى الإبقاء على وظيفة العمدة .

ولكن سلطة العمدة قد انكمشت بعد التنظيمات الجديدة وتوزيع السلطة على الهيئات السابق سردها عما كان عليه من قبل رغم عدم المساس باجهزته التقليدية كوجود مشايخ البلد وشيخ الخفراء والتليفون ، وأصبح العمدة حالياً مسئولا فى المقام الأول عن الأمن واستتبابه ومنع الجرائم وفض المنازعات بالطريق الودى أو الرسمى . كما فقد جانباً هاماً من مكانته الاجتماعية وأصبح يعتبر وسيلة من وسائل تنفيذ رغبات مجلس القرية أو الاتحاد الاشتراكى .

ولكن الشكل الحديث فتح الفرصة أمام كل البدنات للمشاركة فى السلطة الرسمية بدلا من تركزها فى فرد أو عائلة أوبدنة واحدة :

ورغم هذا كله فإن أهل قرية العشى لا يعبأون إلا بالشكل الفعلى غير المباشر للسلطة قديمها وحديثها ، والذى تلعب فيه القرابة دوراً رئيسياً ويمتد أثر القرابة فى المحافظة على الأمن حيث تحرص كل بدنة على احترام حقوق الآخرين واحترام الجوار ، وبهذا تكونت شخصية البدنة وحفظ لكبار السن كيانهم واحترامهم فى حسم الأمور وتربية الصغار وتوجيه الشباب وبذلك يوجد الضبط الاجتماعى الرسمى ممثلا فى العمدة والمشايخ وكذلك الضبط غير الرسمى ممثلا فى رؤساء البدنات وكبار السن ويعمل كلاهما على حفظ وتوكيد النظام فى المجتمع .

يضاف إلى ذلك تأثير الأولياء ودلال المساحة فى فض المنازعات . .

فإذا كان الخلاف أو النزاع بين فردين أو بيتين فى عائلة واحدة فيكفى أن يتدخل لتصفيته كبار السن فى البدنة وإن تعذر فلا يلجاون إلى الجهات الرسمية ولكن يستدعى رؤساء البدنات القريبة منها وإذا كان الخلاف بين البدنات وبعضها فتتدخل بدنات أخرى ممن تربطهم بها أواصر القرابة والمصاهرة لفض النزاع ، وإن كان الأمر مستعصياً فتنتدب بدنات من القرى المجاورة وفى حالة اليأس يترك الأمر للثأر لفضه ولا يفكر أحد على أى مستوى فى اللجوء إلى السلطات الرسمية .

والدليل على ذلك — كما يقول الأهالى — أن كل جرائم القتل التى تصل إلى السلطات الرسمية والتى يتم الحكم فيها بالبراءة يكون أهل القتيل موقنين بتلك البراءة لا يتهمون أحدا رغم معرفتهم بالشخص القاتل الذى يترك أمره للعرف السائد فى الأخذ بالثار وأكثر من ذلك فان حكم عليه بالسجن فإن أهل القتيل ينتظرونه حتى يخرج ليأخذوا بالثأر منه .

ويفضل الأهالى مجالس الصلح العرفيه ويقبلون أحكامها عن طيب خاطـــر .

ويمر مجلس الصلح العرفى بالمراحل التالية فى حالة النزاع بين البدنات :

أولا : يجتمع كبار السن فى البدنات بالقرية فى دواوينهم مساءاً لبحث المشكلة وتحديد حجمها وحصر المتطلبات .

ثانياً : يستدعى العمدة ومشايخ الحصص لتقدير الموقف وإبداء الرأى وحصر النزاع ، وقد تستغرق تلك الاجتماعات شهراً متصلا .

ثالثا : بعد تحديد المشكلة والاتفاق على الخطوط العريضة كلها لحلها يعرض الأمر على الأطراف المتنازعة .

وفى حالة قبول العرض يأتى دور أفراد هذا الصلح والذى يشهده معظم بدنات القرية فى ديوان عام القرية وبعد إقراره وقراءة الفاتحة تقوم البدنة المستضيفة بنحر الذبائح ويشترك الجميع فى تناول الطعام كدليل على الصفاء وتوديع الضغائن .

هذا وليس للمرأة فى العشى أى دور وسط هذا الشكل السياسى بالقرية ، فمازال الرجل ينظر إليها على أنها قطعة من الأثاث يحرم عليها الخروج من المنزل بعد سن العاشرة إلا فى حالات الضرورة القصوى وبمصاحبة أحد أقاربها من الرجال ، كما أنه ليس لها حق فى اختيار شريك حياتها أو مجرد إبداء الرأى فيه .

وهكذا تعيش قرية العشى بتقاليدها العتيقة رغم ماتتعرض له من تيارات التغير الحديثة كدخول الكهرباء والمياه الصالحة للشرب وزيادة الإقبال على التعليم ووجود الجمعية التعاونية الزراعية والسلطة الرسمية إذ أن تلك التيارات ينبغى أن تقف طويلا أمام تلك التقاليد لتستعين بها بوصفها مواطن للسلطة الفعلية غير المباشرة والممثلة فى كبار السن ورؤساء البدنات واستغلال تأثير المشايخ والأولياء وعامل القرابة فى أداء مهامها .

الجانب الإجتماعى :

القرابة والمصاهرة :

إن القرابة لا تؤثر على الجانب السياسى كما ذكرنا فحسب ولكن يمتد أثرها أيضاً إلى الجانب الاجتماعى ، فالعلاقات الإجتماعية بين الأفراد والأسر والبدنات يحكمها عامل القرابة حيث يطبق مبدأ « أنا وأخويا على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب » وكذا نجد أن احترام الصغير للكبير أمراً ضرورياً والتزام الكبير برعاية الصغير وإرشاده أمراً حتميا ، كما أن القرابة تفرض على الفرد حقوقاً وواجبات تجاه من يرتبط معه بصله القرابة طبقاً للمبدأ السابق ، ففى فض المنازعات التى تحدث بين أسرتين يتدخل كبار السن فى العائلتين وان كان بين عائلتين يتدخل كبار السن فى البدنة وان كان بين البدنة وغيرها يتدخل فى فض النزاع البدنات التى

تمت لكل منها بصلة القرابة ، هذا وينعكس أثر القرابة فى بناء المنازل حيث يفضل كل فرد أن يكون بجوار عائلته وبدنته وذلك حتى يكون التعاون سهلا ويسيراً بينه وبين أقاربه خاصة وأن أراضيهم الزراعية متجاورة .

كما أن للقرابة أثرا اجتماعياً ظاهراً حيث يفضل الزواج من داخل البدنة والدليل على ذلك أن القرية تعرف الزواج بطريقة التسمية — التى يتم فيها تزويج فلان بفلانه منذ التسمية بعد الولادة — ولا تتم تلك الطريقة الا بين الأقارب ، كأن يسمى ابن العم لإبنة عمه أو إبنة خاله وهكذا . . .

مركز المرأة والرجل :

المرأة ليس لها أى دور سياسى كما سبق أن ذكرنا كما أنها ليس لها حق إبداء الرأى فيما يفرضه ويراه الرجل ، فالسيادة والكلمة والرأى ، للرجل دونها .

ويظهر هذا واضحاً منذ الولادة حيث لا يحتفل بولادة البنت أو بختانها كما أنها تحجز بالمنزل من سن العاشرة وتراقب تصرفاتها مراقبة شديدة بعد ذلك حتى تتزوج .

كذلك بعد الوفاة لا يعمل لها مأتم إلا إذا كانت أماً لأولاد كبار السن ولا يستمر أكثر من سبعة أيام — ان عمل — بينما الرجل مهما كان عمره فيعمل له المأتم الذى قد يستمر خمسة عشر يوماً ، ولا تدفن المرأة فى مقابر زوجها إلا فى حالة ما إذا كانت أما لاولاده الكبار وفيما غير ذلك فتدفن فى مقابر والدها .

وعلى حد قول بعض الأهالى (لولا الدين للاقت المرأة معاملة نظيراتها قبل الإســلام) .

ورغم ذلك فإن لوجود المرأة أثر فى حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يبنى الدور العلوى من المنزل إلا من أجل (الحريم) كما أنها هى الوسيلة التى توثق البدنات والعائلات والأسر بعضها ببعض بالزواج والمصاهرة هذا بالإضافة إلى أثرها الفعال فى تنشئة الأطفال والقيام بالواجبات المنزلية .

دورة حياة الفـــرد من « الميلاد حتى الوفاة » .

تقوم الداية باجراء عملية الولادة ومن عاداتهم إعطاء الوالدة بعضاً من السكر والبيض المقلى بالزيت والثوم لتسهيل الولادة ، والشائع عندهم أيضاً أن لا تلد السيدة وهى مستلقية على ظهرها ولكنها تجلس على « ماجورين » ويسندها أهلها وأقرباؤها من النساء اللاتى مررن بنفس التجربة . وبعد ماتتم الولادة تربط الداية المشيمة « الخلاص » بخيط ثم تقطعه بسكين ساخن لتكوى العروق وتدفن المشيمة بجوار حائط الحجرة أو ترمى فى النيل ، وأحيانا تحفر لها حفرة كبيرة تحت الماجور الذى تمت عليه الولادة وتدفن فيها . وتسمى هذه الحفرة « البورة » وهناك اعتقاد برش البســـلة (١).

هذا وتتناول الوالدة الطافية(٢)لمدة ثلاثة أيام ، ثم تتناول وجبات مطهوة من الخضر والطيور .

ويراعى عدم غسل ملابس المولود بل وضعها فى وعاء به ماء وتترك منقوعه به حتى الصباح بجوار رأسه وفى الصباح تغسل ولا يرمى ماء الغسيل إلا بجوار حائط حتى لا يتخطاها أحد خوفاً على المولود من الموت وتستحم الأم هى والمولود فى اليوم السابع .

ويعمل فى اليوم السابع « السبوع » وهو الاحتفال بمرور سبعة أيام علىولادته حيث يوضع فى غربال ومعه فول سودانى وحلويات وملح ، وفى هذا اليوم يتجمع الأهل والجيران والأحباب وتأتى الداية وتقوم بفتح عينى المولود فى ضوء الشمس « حتى لا يخشى النظر إليها عندما يكبر » ثم تدق له الهاون ثم تقول له بصوت عال « اسمع كلام أمك وكلام أبوك وكلام عمك وخالك ، وتكون حنين علينا وسؤالك يكون حلو ، وأن قالوا لك مشرق يبقى مشرق أو مغرب يبقى مغرب » .

ثم يقوم الأهل والحاضرون بتقديم النقوط وتناول الحلوى وشرب الطافية . وفى العادة تذهب الزوجة فى حالة الولادة الأولى إلى منزل أهلها لتضع مولودها

---

(١) البسلة: عبارة عن تركيبة من سبعة أشياء هى : كون أسود وشعير وحنناه وفول وعدس وملح وقطعة خبز. وترش فوق الحفرة التى تحفر لدفن المشيمة او الخلاص ويظن ان البسلة حصنا ضد المشاهرة .

(٢) الطافية : هى مشروب الحلبة مضافا اليها سمن وسكر .

الأول بين أهلها وتحت رعايتهم وعلى الزوج أن يرسل إليها كل ماتحتاجه من نقود وطعام .

ومن العادات التى تتبع فى الولادة أيضاً أن يوضع تحت فراش الوالدة سكين ومرآة ومكحلة ولقمة عيش ، ظناً أنذلك يمنع الأصابة بالمشاهرة(١) وفى اليوم الثالث للولادة تقوم الأم برش قليلا من لبن ثديها على وجه المولود وتمسحه به ، ويرضع لمدة عام ونصف أو عامين كاملين ثم يفطم ليأكل مما تأكله الأسرة . وتجرى عملية الختان للبنين والبنات ، حيث يتم الختان بالنسبة للبنت من سن ٤ — ٦ والولد من ٦ إلى ١٠ سنوات ، ويتم ختان البنت سراً وتقوم به الداية ، بينما يجرى الحلاق عملية الختان للولد ويكون فى احتفال كبير يشبه الاحتفال بالزواج ويدعى إليه الأهل والأقارب والأصدقاء ويكسى الولد بقميص أبيض مزركش .ويقام الأحتفال بعد صلاة الظهر حيث يزف الولد بالمزمار البلدى والربابة أو الأرغول وتطلق الأعيرة النارية ويقام الذكر ويتلى القرآن ويكون ذلك قبل إجراء الختان وفى اليوم التالى يقوم الحلاق بعملية الختان حيث يجلس الطفل على ماجور ويلبس سوار فضه على صدره ظناً منهم أن الفضة تبعد عنه الإنزعاج والعين الشريرة والحسد .

وبعد أن يشفى الولد من الختان يدخل مرحلة الفتيان حيث يذهب إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن وفى تلك الفترة يتعلم الطاعة ويتعود على تلقى النصح والأزشاد من خارج أسرته ويذهب البنين والبنات إلى الكتاب إلا أن البنت تحجب بالمنزل بعد سن التاسعة أو العاشرة لمساعدة والدتها فى أعمال المنزل وجلب المياه ، كما تتعلم الطهى وعمل الخبز وشئون المنزل حتى تتزوج ، أما الولد فيستمر فى تلقى العلم والدرس فى المدرسة الابتدائية ثم الاعدادية ثم الثانوية .

---

(١) المشاهرة : تعرف بأنها ردالفعل العكسى الذى يحدث للسيدة الحديثة الولادة عندما يدخل عليها أى شخص يكون حالقا راسه او معه باذنجان اولحم او آت لتوه من السوق اوتخطى قضبان السكة الحديد أثناً مجيئة والمشاهرة تتمثل فى عدم الانجاب بعد ذلك اوجفاف اللبن من ثديها او اصابة طفلها بالضعف والهزال المضطرد حتى يموت اوتصاب هى بالضعف وعدم القدرة على القيام بالاعباء المنزلية .

ويقضى البنين والبنات أوقات فراغهم فى اللعب واللهو والاستماع بفترة الصبا وخاصة بعد أن أضيئت القرية بالكهرباء .

وتأتى بعد ذلك مرحلة الزواج ، حيث يتزوج الفتى من سن ١٦ – ٢٠ والبنت من سن ١١ إلى ١٦ سنة .

وعندما مايفكر الشاب فى الزواج فانه يرابض عند مورد المياه والصهاريج فى انتظار فتيات القرية وهن يملأن جرارهن وعندما تعجبه إحداهن يخبر والده برغبته فى الزواج منها ، فيذهب والده إلى والد الفتاة ويطلبها منه . وفى أحيان أخرى يتم الزواج بعد الخطوبة عن طريق التسمية .

وبعد موافقة الطرفين على إتمام الزواج ، يشترى العريس ثوب وفول سودانى ويرسلها مع والدته لأهل العروس ثم يتفق على تحديد ميعاد لقراءة الفاتحه . ويحضر العريس لهذه المناسبة قمح وسكر وشاى وأقمشة وحلوى وهذا يسمى « النيشان » ويقوم أهل العروس بتقديم العشاء بعد قراءة الفاتحة ويزور أهل العروس منزل العريس بعد الخطوبة بثلاثة أيام ومعهم ذبيحه كاملة النضج ليأكل العريس واحباؤه من طهى العروسة ثم يتفق على المهر .

هذا ويزور العريس أهل عروسه ومعه الهدايا ولكنه لايرى عروسه ولا يجلس معها .

وعلى أهل العروس شراء الأثاث الذى يتكون عادة من سرير وصندوق لحفظ الملابس ووسادة ولحاف وبعض الأوانى النحاسية .

وتقوم العروس بتجهيز ملابس الفرح التى تكون من الحرير والستان . . .

وقبل الفرح بيوم تقوم العروس بزيارة ضريح الشيخ العشى ليلا مع أقاربها وتأخذ معها خبز وكعك وتعطى خادم المسجد بعض النقود كما يعطيها خادم المسجد أو النقيب قليلا من الرمل وشريط من كسوة الضريح تبركا وحرزاً لها ضدالمجهول.

وتلبس العروس يوم الفرح فستانا أبيض اللون وتحته قميص زاه ، كما تلبس

طرحه بيضاء وتاج . وأما الحلى فهى عبارة عن عقد وحلق من الذهب وأساور وخلخال من الفضة .

ويرسل أهل العروس يوم الزفاف الخبز والفايش(1) إلى منزل العريس وفى منزل العريس يحضر الحلاق لتزيينه ثم يركب بعد ذلك حصاناً مزينا وتركب العروس خلفه ويسير موكب العرس من جهه اليمين حول القرية . حتى يصل إلى منزل الزوج ويقوم أهلها بانزالها وإدخالها إلى المنزل ، ولكن قبل دخولها تعطيها أم العريس إناء مملوءاً بالماء حيث تأخذ منه بعض الماء وتفاجئ العريس ببخ المياه عليه ، كما يكون هو أيضاً مستعداً لبخها .

وفى صباح اليوم التالى يحضر أهلها الهدايا ويقدمان النقوط ثم يتناولون الغذاء ويستمر إرسال العشاء للعروسين من جانب أهل العروس لمدة سبعة أو عشرة أيام .

وبعد الزواج يدخل الشاب مرحلة الرجولة حيث يسعى لكسب قوته وقوت أولاده ، ثم يصبح أبا فجدا وهكذا تدور الحياة .

الوفاة :

عندما يتوفى شخص فى القرية يعلن ذلك فى القرى المجاورة وذلك بارسال اخباريين إليها ، كما يذهب الحفارون إلى المقبرة لتجهيزها ، بينما يقوم أهل الميت بغسل الجثة وتكفينها والصلاة عليها ، ثم تحمل فى الحسانية « النعش » إلى المقابر ولما كانت المقابر فى طريق الشيخ الأقربى . فعند الاقتراب منه يقف ركب المشيعين لقراءة الفاتحة والدعاء للميت ، ويطلب من كبار السن والعجزة غير القادرين على مواصلة الطريق حتى المقابر ، العودة ويشكر لهم سعيهم .

وإذا كان الفقيد شاباً أو زوجاً ، فقد تحلق الزوجة أو الأم شعرها وتلبس ملابس الحداد السوداء ربما بقية حياتها على فقيدها ، ولكن النساء لا يذهبن إلى المقابر مع الرجال . ثم يعود الرجال بعد ذلك ليجلسوا فى ديوان البدنة لاستقبال المعزين .

---

(1) الفايش نوع من الكعك .

ويستمر العزاء فى الديوان لمدة خمسة أيام وأحيانا لمدة خمسة عشرة يوما ، وفى هذه الفترة يقدم الأقارب وأهل النجع الطعام لمنزل المتوفى .

وفى اليوم الخامس تعمل الصدقة التى توزع على الفقراء والقراء الذين يتجمعون عند قبر المتوفى لقراءة القرآن على روحه ثم يذبح خروف إذا كان الفقيد رجلا ، ونعجة إذا كانت امرأة ويوزع على الفقراء والسائلين ، ويذهب الفقهاءوالحاضرون لاحضار ملابس المتوفى وما كان خاصا به ويتلى القرآن الكريم لصرف روحه ، ويأخذ الحفار «الحانوتى» جلد وأمعاء الذبيحة ويدفن الرجل فى مقابر أهله من أبيه ، بينما المرأة فى مقابر أهلها من أبيها إلا إذا كانت أما لأولاد كبار فتدفن فى مقابر زوجها .

وبعد الوفاة لا يجوز للأرملة أن تتزوج وإذا حدث اعتبر هذا أمراً مشيناً بالعرض وخرقاً للعادة . بينما يسمح للرجل أن يتزوج بعد وفاة زوجته .

الجانب التعليمى :

ينقسم إلى التعليم غير الرسمى والتعليم الرسمى . والتعليم غير الرسمى يرتبط بالكتاب ، حيث يوجد فى العشى ثلاثة كتاتيب لتحفيظ القرآن وهى تعمل فترتين ، صباحية ومسائية . وينتظم الطفل فى الكتاب منذ أن يقوى على السير والنطق وتكون لديه القدرة على التحدث والفهم . ويقوم بتحفيظهم القرآن ومبادىء الدين معلم يسمى «سيدنا» (٢) ويتعلم الطفل إلى جانب ذلك القراءة والكتابة ويستخدم فى ذلك لوحا من الصفيح وقلما من البوص والحبر الأسود ويظل الطفل فى الكتاب حتى يبلغ سن السادسة فيلزم بالانتظام بالتعليم الابتدائى الرسمى .

ومن مظاهر التعليم الرسمى بالقرية وجود مدرستين ابتدائيتين مدرسة الوحدة المجمعة والمدرسة الأزهرية والالتحاق بأيهماالزاميا عند بلوغ الطفل سن السادسة ،وقد أنشئت مدرسة الوحدة عام ١٩٢٦م .

---

(١) سيدنا : يكون شخصا راشداً متديناصالحا حافظا للقرآن الكريم حسن السير والسمعة وغالبا مايكون له مورد رزق غير تلك المهنة .

ومن الملاحظ أن عدد الفتيات يقل فى السنة السادسة عنه فى السنة الأولى حيث وجد أن عددهم فى السنة الأولى ٢٣ طفلة فى حين أنه وصل فى السنة السادسة إلى ٦ فتيات فقط ، وذلك يتمشى مع تقاليد القرية الخاصة بحجب الفتاة عند بلوغ التاسعة من عمرها .



مجموعة من تلامذ المدرسة الابتدائيه بالوحدة المجمعة



معلم القرية (سيدنا) لتحفيظ القرآن . ويرى جوله فريق البحث ورئيس مجلس القرية

وأما المدرسة الأزهرية فقد أنشئت سنة ١٩٥٤ وتتبع وزارة شئون الأزهر ويتركز التعليم فيها على علوم الدين إلى جانب المواد العلمية .

ومن ناحية الإقبال على التعليم المدرسى فيلاحظ أن نظام الإلزام المطلق هو الذي يجبر الأهالى على ارسال أولادهم إلى المدرسة وذلك لأنه تتخذ اجراءات قانونية ضد ولى الأمر المخالف كالغرامة .

ومن يكمل تعليمه الاعدادى والثانوى منهم ، نادراً ما يفكر فى العودة إلى القرية للاقامة بها .

الناحية الصحية :

للعلاج فى القرية طرق كثيرة منها الشعبى التقليدى والحديث ويستخدم فى معظمها أعشاب ونباتات . كما تستخدم أدوات محلية ويستعينون بالأولياء فى الحالات المتعسرة .

وفيما يلى بعض أنواع العلاج فى حالات معينة :

فمثلا فيما يصيب الأطفال من أمراض يتم العلاج على النحو التالى :

لعلاج الاسهال : يسف الطفل مسحوق الترمس وقشر الرمان ، كما يسحق القرض وينخل ثم يخلط بماء الفول المدمس ويعطى للطفل ليشرب منه قبل الافطار ، أو قد يغلى ويشرب بدون إضافة سكر إليه ويعطى له فنجان قبل الإفطار وقبل النوم .

أما فى حالة الاصابة بالكحة فيغلى ورق الجوافة ويشرب ، كما تغلى بذور نبات السيسبان وتشرب قبل الإفطار .

وإذا ما كانت الاصابة ارتفاعا فى درجة الحرارة نتيجة الاصابة بالبرد فيدهن صدره بزيت الطعام ثم يلف جيدا بقطعة من القماش ثم تعجن الحناء مع الملح والبصل ويدلك به باقى جسم الطفل جيدا ويستخدم كذلك الخل فى التدليك .

أما إذا كان الطفل هزيل الجسم كثير البكاء والصراخ بدون سبب فانه يعالج بحفر ثلاث حفرات فى مدخل الباب ويوضع فيها الماء وتقوم الأم بتخطيها سبعة

مرات وهى تحمل مولودها المريض ثم تدهن جسمه بتلك المياه ، ظنا أن السبب فى هذا المرض أن الأم تكون دائما متضايقة وهى ترضعه ولذا تتخطى تلك الحفر الثلاث لتمتص المضايقة فتهدأ ويزول سبب بكاء الطفل وينمو ويشفى من الهزال .

وإذا كانت الإصابة هى تأخر الطفل فى المقدرة على السير فتربط رجليه من عند مفصل القدم بزعف النخيل الأخضر ، ثم يضعوا الحلوى والترمس فى حجرة ويذهبوا به إلى ضريح الشيخ العشى أثناء أداء صلاة الجمعة انتظارا لخروج أول المصلين من المسجد فيطلبوا منه فك الأربطة من رجليه وأخذ ما بحجره من حلويات ويوزعها على الحاضرين وبعد ذلك يزورون ضريح الشيخ العشى وينذرون له نذرا إن تمكن من السير وشفى من ضعفه .

أما التطبيب الشعبى بالنسبة لأمراض النساء فيتخذ الأساليب والممارسات الآتية :

إذا كانت المرأة تشكو من آلام تصاحب الدورة الشهرية فتنصح بشرب الدمسيسة (١) . أما إذا كانت الشكوى من آلام الحمل والوضع فتشوى بصلة وتوضع على الفرج . ولتسهيل عملية الولادة يوضع الثوم مع الزيت على النار ويسوى مع البيض ويؤكل ، كما تشرب القرفة والجنزبيل .

أما إذا كانت الإصابة هى النزيف فيغلى لها قشر الرمان المحمص وتشرب ثلاث مرات فى اليوم .

أما إذا كانت السيدة عاقراً لا تنجب فيحضر لها معدن الذهب ويشترط عدم استعماله من قبل وتحضره سيدة كبيرة السن ثم تضعه فى اناء به ماء .

ويعمل لها عملية (الطق) (٢) ثم تزور الجبل وتعود من طريق مخالف لذلك الذى ذهبت منه ويكون ذلك فى الصباح الباكر ، كما تزور المقابر أحيانا وهو ما يعرف بعملية (الشق) ، ثم يحضر لها قالب طوب محروق حديثا ويطلب منها أن تستحم عليه حيث ينزل الماء فوقه . وأحيانا تنصح بأن تبلع عصفورا صغيرا حديث

---

(١) الدمسيسة هى خلطة تشترى من العطار .

(٢) الطق : هى أن تدخل على سيدة كبيرة السن بعد أن تشرط أحد أرجلها (أرجل السيدة العاقر) وذلك قبل ان يهل هلال الشهر العربى .

القفس لا يوجد به أي ريش، أو قد يقتل ثعبان ويطلب منها أن تخطوه سبعة مرات جيئة وذهابا ، كما قد يشار عليها بزيارة قبر مهجور أو زيارة السوق والمجازر أو تعدية نهر النيل .

أما إذا كانت الإصابة هي المشاهرة فتلبس المرأة ما يعرف « بالمشهرة » وهى عبارة عن خيط أبيض يعقد سبعة عقد ويوضع به بخور ويسمى « عقاد » وتلبسه فى صدرها كما تلبس طفلها مشهرة كذلك فى يده اليسرى ، وتنصح بلبس كل حليها وما تمتلكه من ذهب وفضه وخاصة دبوس الأنف كما تستعين السيدة المصابة بالمشاهرة بالبسله السابق وصفها عند الولادة . وهم يعتقدون أن البسله حصناً ضد المشاهرة . ولكن إذا أصيبت السيدة بأحد مظاهر المشاهرة كجفاف لبن الثدى مثلا فعليها أن تقوم بعمل « كباس » ويتم بأخذ بعض حبوب القمح من جيرانها وتعطيها لأحد جيرانها بالتالى التى تقوم بدورها بطهيه على النار فى صباح اليوم التالى ويدلك به صدر المصابة ثم يغسل بعدها بالماء فينزل اللبن عقب ذلك .

كما تحرص النساء عند الولادة أن لا تمسها سيدة قامت بعملية الولادة حديثاً ظناً أنها إذا مسكتها وهى تلد تعطيها ما لديها من أوجاع حيث يقولون « فلانه لما مسكت فلانه وهى تلد أديت لها الوجع بتاعها » أى تخلصت من آلامها وخلعتها على غيرها .

أما إذا كانت الظاهرة المرضية عند السيدة أن يتوفى أولادها فيظن السبب فى ذلك أن الزوج متزوج من جنيه تقوم بخنق أولاد زوجته الآدمية وتسمى الجنيه فى هذه الحالة « مرافقة » وللتخلص من ذلك تذهب الزوجة الآدمية إلى أحد المشايخ الذى يعمل لها حجابا معيناً ويصف لها بخوراً لمدة سبعة أيام وغالباً ما يكون كمون إسود وكسبرة ثم يبخر الطفل (بالطوالين) (١) .

ومن الأشياء المعروفة لعلاج الجروح والدمامل للجميع سواء الذكور أو الإناث

---

(١) الطوالين : عبارة عن آيات من القرآن الكريم تكتب فى قصاصات من الورق ويقوم بعملها شيخ متخصص .

أو الأطفال والكبار ، هى وضع ملوخية ناشفة فى الجرح أو وضع عجينة مضافا إليها سكر على الجرح أو الدمل لإمتصاص الصديد .

بينما الصداع يعمل له عجينة من طحين الترمس مضافاً إليها القرنفل ثم يعجن بالماء ويعمل منه لبخة تربط على الجبهة .

وأحيانا يؤتى بخيط من الصوف المأخوذ من نعجة بكر ويربط على الجبهة ثم يضغط على الرباط بمفتاح خشبي يفتح الباب من الشمال إلى اليمين وليس العكس كما يشرب ينسون وكراويه وحلفابر وإذا إشتد الصداع فتربط الرأس بمنديل ثم يوضع فوقه خل ولبخة مكونة من حناء وملح وليمون .

أما إذا كانت الإصابة ضربة شمس فتعالج بتكسير بصلة وعجنها فى حناء وملح وتوضع على جلد الرأس لمص ذلك الإرتفاع فى درجة الحرارة ويقوم بعمل هذه العملية الرجل لزميله والمرأة للمرأة .

أما إذا كان المرض هو القئ فيغلى له لبان دكر ويشرب قبل الأكل . ولكن المغص يشرب له حلفابر وينسون وكراوية وحرجل أو تحويجة تشترى من العطار .

وإذا كانت الإصابة دوسنتاريا (تعنية) فتعمل له قهوة مضافا إليها ليمون .

أما إذا كان المرض يصيب العين كأن تحمر لونها أو تلتهب فيؤتى (بجنزاره) . وهى حجر أزرق اللون فى حجم التمرة ثم تذاب فى الماء ويقطر منها فى العين وأحيانا يقطر من لبن الثدى فى العين فى حالة الإلتهاب . أما إذا كانت العين محتقنة فتكسر بيضة طازجة مضافا إليها كمون أبيض وعليها قليل من الماء وترج وتستعمل كقطرة للعين يقطر منها ثلاث مرات يوميا . أما إذا كانت إصابة العين هى الإنتفاخ والورم فيعمل لها كمادات شاى أو يذاب الإسبرين فى قليل من اللبن ويقطر منه فى العين .

وإذا كان المرض فى الأذن فتعمل له عصيدة من الدقيق والبيض ويلف حول الأذن لمص الألم وإذا كانت إصابة الأذن هى وجود الدود — وهذا غالبا ما يصاب به الأطفال — فتعالج عن طريق (اللوادة) وهى سيدة متخصصة فى علاج هذا

النوع من المرض حيث تقوم بتنظيف الأذن من الدود وذلك بعد قراءة دعوات وتعاويذ معينة تخرج على أثر الإنتهاء منها الدود وتشفى الأذن .

أما إذا كان بالأذن إلتهاب فيستخدم زيت الطعام بوضعه بداخلها لإزالة تلك الإلتهابات .

وإذا ما أصيب الشخص بالزكام إستعمل الليمون ، وقد تغلى الحلبة مع الملح وينصح بأن يشرب منها عدة مرات وتذبح له دجاجة سمراء « غطيس » أى لا يوجد بها ريشة واحدة ليست سوداء ثم يأكل لحمها ويحتسى حساءها .

وإذا كان المرض هو الرطوبة أو الإصابة بالروماتيزم فيدفن الجسم فى الرمال الساخنةوبعدها يأخذ حمام ساخن ويأكل طيوراً أما إذا كان الروماتيزم فى عضو معين من الجسم كالأيدى أو الأرجل أو الظهر فيكوى الجزء المصاب بالنار بواسطة مسمار ليشفى وقد يعالج الروماتيزم (بالحمصة) حيث يعمل جرح فى العضو المصاب ثم توضع الحمصة فيه ويستبدل كل يوم لمدة سبعة أيام وهى تقوم بدورها فى إمتصاص الماء وبعد ذلك يزول الألم — وأحياناً يستخدم (الوشم) لعلاج الروماتيزم الموضعى . أما إذا أصيب الفرد بالدوخان فيغلى له كسبرة ليشربها ويتناول معها طعاماً دسماً كالطيور والخضروات المطهية للشفاء منه .

وإذا كان المرض بالأسنان فيستعمل القرنفل ويسمى (مسمار الريحة) وإذا أصيب الشخص بالصفراء يقطع العرق الأسود الموجود تحت اللسان ويسحب .

أما أمراض الحساسية فيعجن لها الحناء مضافاً إليها ليمون ومياه وتدلك به الأماكن المصابة لكى تشفى .

ولآلام القلب يشرب لها مشروب النعناع أو القرفة أو شراب الحلفابر وأما فى حالة لدغ العقرب فيستدعي الحاوى الذى يقرأ الفاتحة أربعين مرة بدون ذكر لفظ (ولا الضالين) وفى هذه الحالة يتجمع السم فى مكان اللدغ ثم يشرط مكانه ويحضر سكر وماء ساخن ويدلك مكان اللدغ ثم يصفى الدم (بالمحجام) وهو قطعة من الحديد على شكل قمع يستخدم فى تلك الحالات .

أما إذا كانت الإصابة نفسية أو عقلية كالخبل فلا يوجد لها علاج عقارى أو نباتى فيكون الذهاب إلى الأولياء وإتباع طقوس معينة هو العلاج كأن يذهب أهل المريض به إلى شيخ معروف بكراماته فى علاج تلك الحالات أو يزورون مارى جرجس بالقرب من الأقصر ويلبس المريض جلبابا أبيضاً ويمكث فى زيارة ضريح الولى أسبوعاً على الأقل .

أما المرض المستعصى والذى تفشل معه جميع المحاولات يظن أن الشيطان هو السبب فينقل المريض إلى الشيخ الذى يطلب إحضار زيت كافور طيار وزبده بقرى ثم يخلطهما ويدهن به جسم المريض مرة كل يوم بعد أن يعمل له أحجبة معينة يلبسها المريض .

ولكن لا يستعان بالمشايخ فى تلك الأمراض فحسب بل فى حالات الأمراض الخطيرة كالإصابة بالحمى التى فشل فيها العلاج بالعقارات والنباتات حيث يقوم الشيخ بكتابة آية الكرسى على ظهر المريض ويعزم عليه بقراءة القرآن الكريم ويعمل له الأحجبة اللازمة ثم يعطى المريض ثلاث ورقات صغيرة مكتوب عليها آيات قرآنية ويطالبه بعمل البخور بالكسبرة الذى يسمى (تفاحة الجن) ، ويبخر منه ثلاث مرات يومياً وفى كل مرة يلقى باحدى تلك الأوراق الثلاثة فى نار البخور وتسمى تلك الأوراق (فوايد) .

كما يدخل دور المشايخ والأولياء فى التوافق الزوجى حيث يعمل الشيخ أحجبة معينة ويبخر كلا من الزوج والزوجة المتنافرين بالبخور ليقرب ويوفق بينهما . وفى حالة المرض بالوساوس يحضر الشيخ ترمس مطحون ويعجنه بالرشاد وهو نوع من النشادر ويضعه على رأس المريض ثم يربطها بقماش أبيض مكتوب عليه آيات من القرآن لطرد الشيطان الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس أملا فى الشفاء .

كانت هذه هى طرق العلاج الشعبى المنتشر فى قرية العشى وكان لا بد من إستخدام مثل هذه الطرق طالما أنهم لا يعرفون طرق العلاج الطبية الحديثة ، ولكن منذ إنشاء الوحدة المجمعة بالقرية وإنتشار الوعى الطبى تعرضت تلك الأفكار الشعبية فى العلاج لتغيرات كثيرة خاصة وأن الوحدة تشتمل على وحدة صحية كاملة بها ثلاثة

أطباء مدربين ومتخصصين منهم طبيب الأسنان وعدد ٢ مساعدة مولدة ، ١ زائرة صحية ، ومراقب وملاحظ صحيين إلى جانب العمال والطباخ وسائق سيارة الإسعاف فضلا عن أن المبنى معد ، بالأدوات الطبية الحديثة .

وقد لوحظ إقبال الأهالى على الوحدة فى حالات كثيرة منها الولادةو لدغات العقرب وعلاج الأسنان وغيرها مما يعانى منه أهل القرية .

كما يوجد بالوحدة أيضاً مكان لرعاية الأمومة والطفولة حيث تتابع الحوامل بواسطة الزائرة الصحية منذ البداية وتعطى العقاقير والأدوية اللازمة ، كما تقوم المولدة ومساعدتها بمباشرة الولادة ومتابعة صحة الأم والمولود حيث تقوم بتطعيم الأطفال ضد الشلل والدرن والجدرى كما يوجد أيضاً مركز لتنظيم الأسرة .

الناحية الدينية :

يقال أن القرية لم يكن لها وجود قبل مجئ الشيخ محمد العشى مؤسسها وعلى هذا فلم تمر القرية بمراحل دينية تاريخية فالدين الغالب هو الإسلام وملكية الأراضى الزراعية كلها للمسلمين ولا يوجد بها ديانات أخرى باستثناء أسرة واحدة تعتنق المسيحية وأتت نازحة إلى القرية ويعمل معظم أفرادها ببعض الحرف .

والناحية الدينية هامة جداً فى حياة أهالى العشى فالقرآن هو الحكم الذى يلجأون إليه عند فض أى نزاع أو إنشاء أى علاقة إجتماعية حتى بين شخصين ومن هذه المظاهر مثلا أن الإرتباط والإتفاق على عهد ما يكفى فيه قراءة الفاتحة .

وبالقرية عدد كاف من المساجد والزوايا . وأهل القرية يهتدون بمشايخ وأولياء القرية ويتقربون من سيرتهم ويتمسكون برضائهم . كما أنهم يقيمون لهم إحتفالات سنوية تخليداً لذكرى مولدهم وأبرز تلك الإحتفالات هى المولد النبوى الشريف والإحتفال بمولد الشيخ العشى حيث يستمر الإحتفال بالمولد النبوى الشريف شهراً كاملا . وتحتفل به كل بدنة فى ديوانها الخاص وتنحر الذبائح فى اليوم السابع كما يقرأ القرآن وتقام حلقات الذكر كما تزين القرية بالأعلام وزعف النخيل ويقدم الطعام لكل سائل ومحروم .

كما يعتبر الإحتفال بالمولد النبوى مناسبة لتقديم الهدايا ، وأيضاً من المناسبات التى يتم فيها الزواج أو تصفية الخلافات أو المنازعات بين العائلات أو البدنات . وأقرب الإحتفالات إليهم ذلك هو الخاص بمولد الشيخ العشى الذى يعد حدثاً إجتماعياً يحتفل به كل عام ، ويستمر خمسة أيام تبدأ من ٨/١٥ فى الغالب ويدعى للاشتراك فيه إلى جانب كل بدنات وأفراد القرية ، القرى المجاورة . للمشاركة فى إحياء تلك الذكرى كما يشترك جميع الأهالى فى شراء الذبيحة الكبيرة التى تنحر بجوار ضريح الشيخ العشى إلى جانب الذبيحة التى تذبحها كل بدنة لنفسها .

ويطلق على آخر أيام الإحتفال يوم (الفكه) وهو الذى يحتفل فيه (بالدوره) وهى عبارة عن حمل كسوة الأضرحة وأولها كسوة الشيخ محمد العشى على الجمال وتسمى (بالتوابيت) وبإتمام الدورة والدوران حول القرية تنتهى كافة المراسم الخاصة بالإحتفال بمولد الشيخ العشى .

هذا ويحافظ أهالى القرية على ممارسة الشعائر الدينية والتمسك بأركان الإسلام الخمسة كما أنهم يحثون أولادهم على حفظ القرآن والتمسك باهداب الدين ومعرفة السيرة النبوية الشريفة بارسالهم إلى الكتاتيب منذ الصغر .

خاتمة

حقائق البحث ونتائجه

تقع قرية العش بمحافظة قنا وتبعد ١٢ كيلو مترا عن مدينة الأقصر ورغم ذلك فليس لها أية صلة أو علاقة بالآثار الفرعونية ، حيث وجد فريق البحث أن الأهالى لا يذهبون إلى الأقصر للعمل فى الآثار ، وحتى البعثات الأثرية لا تعرف شيئا عنها ، إلا أن معظم احتياجاتها تأتى إليها من الأقصر حيث لا يوجد بها سوق أو مخبز فيما عدا بعض المحلات التجارية الصغيرة التى تشبه الأكشاك ،ولا يصل إليها القطار وترتبط القرية بالأقصر والقرى المجاورة بخط أتوبيس وبعض سيارات الأجرة والطريق المؤدى إلى الأقصر ترابى وغير ممهد وملتوى .

والغريب عن القرية يشترى حاجاته يوميا من الأقصر أو أسبوعيا من القرى المجاورة لها مثل قرية خزام وغيرها من القرى التى يقام بها سوق مرة كل أسبوع .

أما الهجرة إلى المدن للعمل فى أعمال البناء أو الحفر فهى سائدة بالقرية وغالبا ما يترك المهاجر زوجته وأولاده ويرسل إليهم ما يستطيع أدخارة من نقود لاعاشتهم ولكن رغم إغراءات المدينة فلا يقطع العامل صلته بالقرية ولاينسى أهله وذويه .

أما الهجرة بسبب التعليم فنادرة لأنه نادرا ما يكمل أحدهم تعليمه العالى .

ونظام السكن حيث يقطن بالحى بدنة واحدة له مزايا كثيرة هى الحفاظ على زوابط وأواصر القرابة وهذا يدعو إلى التعاون والمجاملة ولكنه ربما يشجع على التعصب أكثر من اللازم .

أما من حيث الأوانى المستخدمة فى الطهى والشرب فمما هو ملحوظ أن الجميع يستخدم الأوانى الفخارية التقليدية التى كان يستعملها أيضاً قدماء المصريين ولكن استخدامها فعلا مفيد لأنها تعطى الطعام طعما أشهى مما تكسبه أى آنيه أخرى ، الى جانب أنها أرخص بكثير من الأوانى الحديثة .

ويمارس أغلب الأهالى الزراعة مستعملين الآلات الفرعونية القديمة وتوجد بعض الحرف الأخرى إلى جانب ذلك . بالنسبة للمحاصيل الزراعية فقد دخل القرية أيضاً محصول جديد إلى جانب محاصيلها التقليدية هو محصول القصب ، وقد غير من مفاهيم القرية حيث يتطلب مجهودات كبيرة وعمالا كثيرة وقد شجع على الهجرة الداخلية فى مواسم معينه مما يساعد على إدخال عناصر حضارية جديده ويتبادل الأهالى المحاصيل الزراعية فيما بينهم كما يتمتعون بخدمات الحرف الأخرى نظيرها .

ومما لوحظ أن المرأة ليس لها أى دور واضح فى المجتمع ، رغم مالها من أثر غير مباشر فى حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يسمح لها أن تقوم بأى عمل خارج المنزل ، حتى حرية الرأى فى المنزل أيضاً قد حرمت منها ، ولذلك فإنها تمارس كل العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة ولم تتأثر بالتيارات الحديثة فى مجتمعها ، رغم قيام برامج التنمية الإجتماعية بمهامها خير قيام . بالقرية وحدة صحية ووحده إجتماعية بالإضافة إلى المجلس القروى وما يقوم به من خدمات ولكن إذا أردنا تغيير أفكار المرأة من حيث المعتقدات الراسخة فيجب أولا إقناع الرجل ، وهو بدوره يستطيع أن يخرجها من هذا الحيز الضيق الذى تعيش فيه . فعلى الرجل فى هذا المجتمع القروى يقوم وينفذ كل شئ .

ولكن بالنسبة للرجل فهناك أيضاً عادة يجب أن تزول تلك وهى عادة الأخذ بالثأر التى لم تمحها التطورات الحديثة ، ولم تستطع السلطات الحكومية أن تغير منها شيئا ، وربما يتظاهر بأنه تنازل عن حقه وترك الأمر للمسئولين ولكنه فى قرارة نفسه لن يفعل ذلك ، بل يتربص لكى يأخذ بثأره بعد عشرات السنين وهذه مشكله أزليه بالنسبة للوجه القبلى جميعه .

أما من ناحية التربية الدينية ، فالمجتمع يهتم بها اهتماما كبيراً مما يجعل الشباب يحافظ على حفظ القرآن وإتباع التعاليم الدينية فالجميع يخشون الله ويعملون حسابا لكل صغيره وكبيره ، فهم متدينون للغاية ، وهذه سمة رئيسية فى القرية التى يشتهر أهلها عامة بالكرم وحب الغير والتعاون والمجاملة وإحترام آراء كبار السن .

ومما أحدث تغييراً واضحاً بالقرية إدخال الكهرباء حديثا مما ساعد الرجال على السهر خارج المنزل فى الدواوين أوفى الوحدة المجمعه للتشاور ، أو للصلح أو للتسلية ، وقضاء وقت لطيف معا ، وكذلك الأولاد وذلك لأن الجو لا يشجع على القيام بأى نشاط أثناء النهار .

أما بالنسبة لإدخال مياه الشرب النقيه فى القرية فلم يلق اقبالا كبيرا لأن الجميع مازال يفضل شرب مياه النيل وربما يرجع ذلك الى العادات الفرعونية التى تقدس النيل ومياهه .

وهكذا تعيش قرية العشى بتقاليدها العريقة ومعتقداتها العتيقة ، رغم متغيرات العصر المتاحة لها حيث أنها حديثة العهد بها ، ولذلك نتوقع أن تحدث تأثيرات كبيرة ملموسة فى شتى نواحى الحياة وجوانبها ولكن على المدى البعيد حيث يتطلب ذلك جهدا ووقتا كبيرين .

علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر

في عصر سلاطين المماليك

(١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)

للدكتور محمد محمد أمين

جامعة القاهرة

MALI and SONGHAY RELATION'S WITH EGYPT IN MAMLOUK'S PERIOD (1250—1517)

By

Dr. MOHAMED M. AMIN

Cairo University

In the middle ages, two Empires were arised in west Africa, Mali and Songhay. About the eleventh century, Islam spread in west Africa, Since that time, Pilgrimage to mecca has played an important role in the relations with Egypt.

— Egypt was a main road for Takrurs to Mecca, Takrurs prefared go to Mecca by Egypt, for trade and Studies.

— Many account pilgrimages made by rulers of Mali and Songhay, Mansa Musa and Askia Mohammad Visited Cairo.

— Some Takrurs lived in Cairo for Study in Al-Azhar, and Egyptions lived in west Africa for the trade.

— There were relations between Jalal ad din as Suyuti and Askia Mohammad.

شهدت العصور الوسطى قيام عدة امبراطوريات قومية ، أقامها الوطنيون الأفريقيون فيما هو معروف بالسودان الغربى ، وأشهر هذه الإمبراطوريات مالى وسنغاى ، وكان عمادهما زمن إزدهارهما وقوتهما الدين الإسلامى عقيدة ، واللغة

العربية أداة الإدارة والثقافة والتجارة ، فعن طريق الإسلام والعلوم العربية الإسلامية سارت هذه المنطقة فى طريق الحضارة والتقدم ، فسرعان ما شكل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم ، « فبالإسلام يبدأ العصر التاريخي لأفريقيا السوداء »(١) .

والواقع أن العصور الوسطى تمثل العصر الذهبي لتاريخ غرب أفريقيا القومى ، حيث برزت الخصائص المميزة للحضارة الأفريقية الوطنية ، وقامت حكومات ونظم إدارية أمدها الإسلام بالمعارف المختلفة من آداب وعلوم وفنون ، كما أمدها بوسائل المعرفة من علماء ومدارس وجامعات ، حتى فاقت حضارة هذه البلاد حضارة معظم بلاد أوربا المعاصرة لها. ولا عجب فقد إرتبطت الحضارة الأفريقية فى السودان الغربى بأرقى الحضارات الإنسانية فى ذلك الوقت، وهى الحضارة العربية الإسلامية(٢).

والمؤسس الحقيقى لدولة مالى هو سندياتا أو مارى جاطة — Sundiata Mari Jata (١٢٣٠–١٢٥٥)، فيرجع الفضل إليه فى تحويل دولة الماندنجو (٣) الصغيرة فى إقليم كانجابا إلى امبراطورية واسعة . ونقل عاصمة ملكه من جارب فى كانجابا إلى مدينة جديدة أنشاها على رافد للنيجر ، وهى مدينة نيانى Niani (٤) ، ثم نقلت العاصمة بعد ذلك إلى كل من مانى كورا ، ثم كانجابا ، وقد عرفت كل من هذه المدن باسم مالى ، أو مل ، أو ملى ، أو مليت ، أو مليل ، وذلك أثناء إتخاذها كعاصمة للبلاد ، كما أصبح نفس الإسم علماً على دولة الماندنجو (٥) .

---

(١) Gouilly, A. : L'Islam dans L'Afrique Occidentale Francaise, p. 50.

(٢) عن عوامل انتشار الاسلام فى غرب أفريقيا أنظر نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوروبا فى أفريقيا الغربية ص ٨٥ وما بعدها .

(٣) انتشرت قبائل الماندنجو فيما بين نهر النيجر والمحيط الأطلنطى، Gouilly : op. cit. p. 54، وعن تسميات هذه القبائل وتفسير كلمة ماندنجو أنظر د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الاسلامية ص ٢٧ وما بعدها ،

Trimingham, J.S. : A History of Islam in west Africa, p. 60.

(٤) تقع على نهر سانكارانى قرب اتصاله بنهر النيجر —

Fage, J.D. : An Atlas of African History p. 18.

كما عرفت باسم « ينع » — محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٥٦ .

(٥) Monteil, ch. : Les Empires du Mali, p. 71., Bovill, E.W. : The Golden Trade of the Moors, p. 87., Levtzion., N. : The Early States of the Western Sudan to 1500, in History of West Africa, Vol. I., ed. J.F.A. Ajayi, p. 125.

ودولة الماندنجو هي التي عرفت عند العامة في مصر ، في العصور الوسطى باسم « بلاد التكرور » ، فيقول العمري « ويغلب على سلطان مالي ، عند أهل مصر سلطان التكرور ، ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال صاحب مالي ، لأنه الإقليم الأكبر ، والتكرور مدينة من مدنها » (١) ، ويقول القلقشندي « مالي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور » (٢) .

بلغت إمبراطورية مالي الإسلامية أقصى إتساعها . وأوج إزدهارها في عهد السلطان موسى (٣) (٧١٢–٧٣٨ هـ – ١٣١٢–١٣٣٧ م) ، فامتدت من بلاد التكرور غربا على المحيط الأطلنطي إلى منطقة دندي ومناجم النحاس في تكده – مركز القوافل – شرقاً ، ومن مناجم الملح في تغازة في الصحراء شمالا إلى فولتا جالون ومناجم الذهب في ونقارة جنوباً ، وحاذت حدودها الجنوبية منطقة الغابات الإستوائية ، وشملت مناطق من الدول المعروفة اليوم باسم جمهورية مالي في الوسط ، وجنوب جمهورية موريتانيا الإسلامية في الشمال ، والسنغال وغينيا في الغرب ، وشمال ساحل العاج وفولتا في الجنوب ، وجمهورية النيجر في الشرق(٤) .

---

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (مخطوط) جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٢ ، وكلمة تكرور وتكاررة أو تكارنة (عند العامة) تستعمل في المشرق للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط والغربي (وسط وغرب أفريقيا)أنظر :

Bovill : op. cit. p. 84, Trimingham, J.S. : Islam in west Africa, p. 13.

وعن تطور استخدام كلمة التكرور أنظر :

Umar AL—Nagar : Takrur, The History of the name, Journal of African History (J.A.H.) X,3 (1969), pp. 365—374.

وانظر أيضاً محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ص ٢٧ – ٢٩ .

(٣) يضاف إلى إسمه كلمة « منسا Mansa » بمعنى السلطان عند الماندنجو– القلقشندي : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٣ ، كما تنسب إلى أمه ناناكنك Nana Kango ، واضيفت هذه التسمية بصور مختلفة مثل كنكن Kankan ، أو كونكور Kounkour ، أو جونجو Gongo ، أو كونجو Kongo ، أو منساكنكن موسى Mansa Kankan Musa أنظر :

Bovill : op. cit. p. 86, Monteil : op. cit. p. 18.

(٤) انظر الخريطة رقم (١) ، نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الاسلام ص ٤٤ .

أما شعب السنغاى فقد عاش فى المنطقة الوسطى من حوض النيجر ، ونجح فى تأسيس دولة منذ القرون الأولى للميلاد إستمرت إلى نهاية القرن ١٠ هـ — ١٦ م[١] ، ويذكر السعدى أن ملكهم زاكسى Za—Kossoi أسلم فى حوالى سنة ٤٠٠ هـ — ١٠٠٩ م ، ولذا يطلق عليه فى لغتهم « مسلم دم » أى أسلم طوعاً بلا إكراه [٢] ، وهو الذى نقل عاصمة سنغاى من كوكيا [٣] إلى جاو [٤] .

خضعت سنغاى لسيطرة دولة مالى الإسلامية فى عهد منسا على (٦٥٣—٦٦٩هـ — ١٢٥٥—١٢٧٠ م) ، إلا أن جاو العاصمة إمتنعت على جيوش مالى ، وأخذ منسا على رهائن من سنغاى ليضمن خضوعها وإستسلامها [٥] .

لم تثبت سنغاى على الطاعة ، إذ هربت الرهائن بعد وفاة منسا على ، ولكن سيكرة أو ساكورة Sakoura الذى إغتصب عرش مالى (٦٨٤—٧٠٠ هـ — ١٢٨٥—١٣٠٠ م) أعاد إخضاع سنغاى ، بل واستولى على عاصمتها جاو أيضاً [٦] وللمرة الثانية تخلصت سنغاى من سيطرة مالى ، فاضطر سقمنجة Sagaman قائد منسا موسى إعادة فتح جاو سنة ٧٢٥ هـ — ١٣٢٥ [٧] ، كما إستولت قوات مالى على تنبكت عام ٧٣٧ هـ — ١٣٣٦ م [٨] .

---

(١) السعدى : تاريخ السودان ص ص ٢ ، ٤ ،

Levtzion : op. cit. p. 137.

(٢) السعدى : مصدر سابق ص ٣ .

(٣) تقع فى جزيرة بنتيا فى النيجر على بعد ستين ميلا جنوبى جاو ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الأسلامية السودانية ص ١٣٣

(٤) نفس المرجع ص ١٣٤ .

(٥) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٤ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،

Rouch, J. : Les Songhay, p. 8.

(٦) Rouch, : op. cit. p. 8, Levtzion, op. cit. p. 137.

(٧) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ٢٠٠ .

(٨) السعدى : مصدر سابق ص ٢٢ .

إستتب نفوذ مالى فى سنغاى طوال عهد منسا موسى حتّى أن السعدى يعتبره « أول من ملك سنغى من سلاطين مالى »(١) .

بدأت سنغاى تشق عصا الطاعة على سلاطين مالى ، بعد وفاة منسا موسى ٧٣٨ هـ — ١٣٣٧ م ، حتّى تحررت نهائياً من سيطرة مالى ، وبدأت فى بناء قوتها العسكرية ، حتّى أن سن محمد داغ — السلطان العاشر فى سلسلة ملوك أسرة سن — إستطاع فى حوالى سنة ٨٢٣ هـ — ١٤٢٠ م أن يخرب معظم بلاد مالى ، وبخاصة عاصمتها ، وأن يأسر الكثير من عبيدها(٢) .

وفى أقل من ثلاثين عاما إستطاع سن على (٨٦٩—٨٩٨ هـ — ١٤٦٤—١٤٩٢م) تحويل سنغاى من دولة صغيرة إلى إمبراطورية كبيرة ، كان هو أول إمبراطور لها ، ورغم ذلك فانه لم يتخذ عاصمة ثابتة للدولته ، أو أقام دولة موحدة بالمعنى المفهوم ، إذ أقام دولته بحد السيف ، وأراد أن يحتفظ بها ضد من يعاديه أو يعيب سياسته بهذا السيف أيضاً ، دون النظر إلى رأى الجماعة ، أو إشراك العلماء والفقهاء فى شئون هذه الدولة(٣) .

وفى ظروف غامضة توفى سن على سنة ٨٩٨هـ — ١٤٩٢ م ، وخلفه على العرش أحد كبار قادته ، وهو محمد بن أبو بكر الطورى ، وقيل السلنكى ، وبذلك بدأ عهد جديد لأسرة جديدة ، قدر لها أن تقود هذه الدولة ، وأن تعيد للبلاد وجهها الإسلامى ، ويلقب سلاطينها بلقب « أسكيا »(٤) .

---

(١) السعدى : مصدر سابق ص ٧ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ص ص ٤٢ ، ٤٣ ،

Panikkar, K.M. : The Serpent and the Crescent, A History of the negro Empires of western Africa, p. 62.

(٣) د. نيقولا زيادة : صفحات مغربية ص ٣٢ ،

Trimingham : A History ...p. 94.

(٤) السعدى : مصدر سابق ص ٧٢ ، محمود كعت : مصدر سابق ص ٤٤ ،ويذكر السعدى أنه لما بلغ خبر انتصار محمد الطورى وتوليه العرش إلى بنات سن على قلن « أسكيا » وهى تعنى فى كلامهم « لا يكون إياه » فلما سمع الطورى ذلك أمر ألا يلقب إلا به ، فقالوا أسكيا محمد — تاريخ السودان ص ٧٢ .

حكم الأسكيون سنغاى حوال قرن من الزمان (٨٩٩–٩٩٩ هـ – ١٤٩٣ – ١٥٩١)م إزدهرت فى عهدهم الدولة إزدهاراً كبيراً (١) ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الأسكيا محمد الكبير الذى حكم سنغاى نحوا من ٣٥ عاما ، وبلغت الدولة فى عهده أقصى قوتها التى لم تزد عليها بعده ، وأصبحت أكبر إمبراطورية فى غرب أفريقيا على الإطلاق سواء فى المساحة أو السكان أو التنظيم (٢) فقد رأى أسكيا محمد أنه لم يستحق الملك بوراثة أو حسب ، وإنما بالثورة ، وعليه أن يثبت جدارته بالأعمال لكى ينقاد الناس له ، وهذا ما يفسر عبارة محمود كعت « أن الأسكيا محمد يصلح حتى لحكم دولة بنى العباس ، وكل دولة أخرى غيرها »(٣) .

أمدت فتوحات أسكيا محمد دولة سنغاى بثروة هائلة ، إذ إمتدت دولة سنغاى من صحراء النيجر وبحيرة ابر شرقا ، إلى حوض السنغال غربا ، ومن سيجو على النيجر جنوباً إلى الصحراء الجزائرية شمالا ، وكانت مدينة جاو عاصمة هذه الإمبراطورية الواسعة (٤) ، وكان لهذه الدوله من الموارد ما يفيض عن حاجة السكان ، وبخاصة المنتجات الزراعية ، والثروة المعدنية من الذهب ، فضلا عن العبيد(٥) .

ومع بداية القرن العاشر الهجرى – السادس عشر الميلادى ، وقعت أحداث بين السعديين فى مراكش وسلاطين سنغاى ، جعلت السعديين ينظرون إلى حكام سنغاى بعين الريبة ، وبخاصة بعد أن إتخذ الأسكيا محمد لقب « أمير المؤمنين » (٦) ، فقد كانت هذه الصفة مصدر إزعاج للسعديين الذين كانوا يعتبرونها حقاً لهم دون

---

(١) للدراسة التفصيلية عن ازدهار سنغاى أنظر : محمد أنور توفيق أبو علم : دول سنغى الأسلامية– تطورها الاقتصادى والإجتماعى والحضارى ١٤٩٣ – ١٥٩١ م – رسالة ماجستير بجامعة القاهرة .معهد الدراسات الأفريقية ١٩٧٧) .

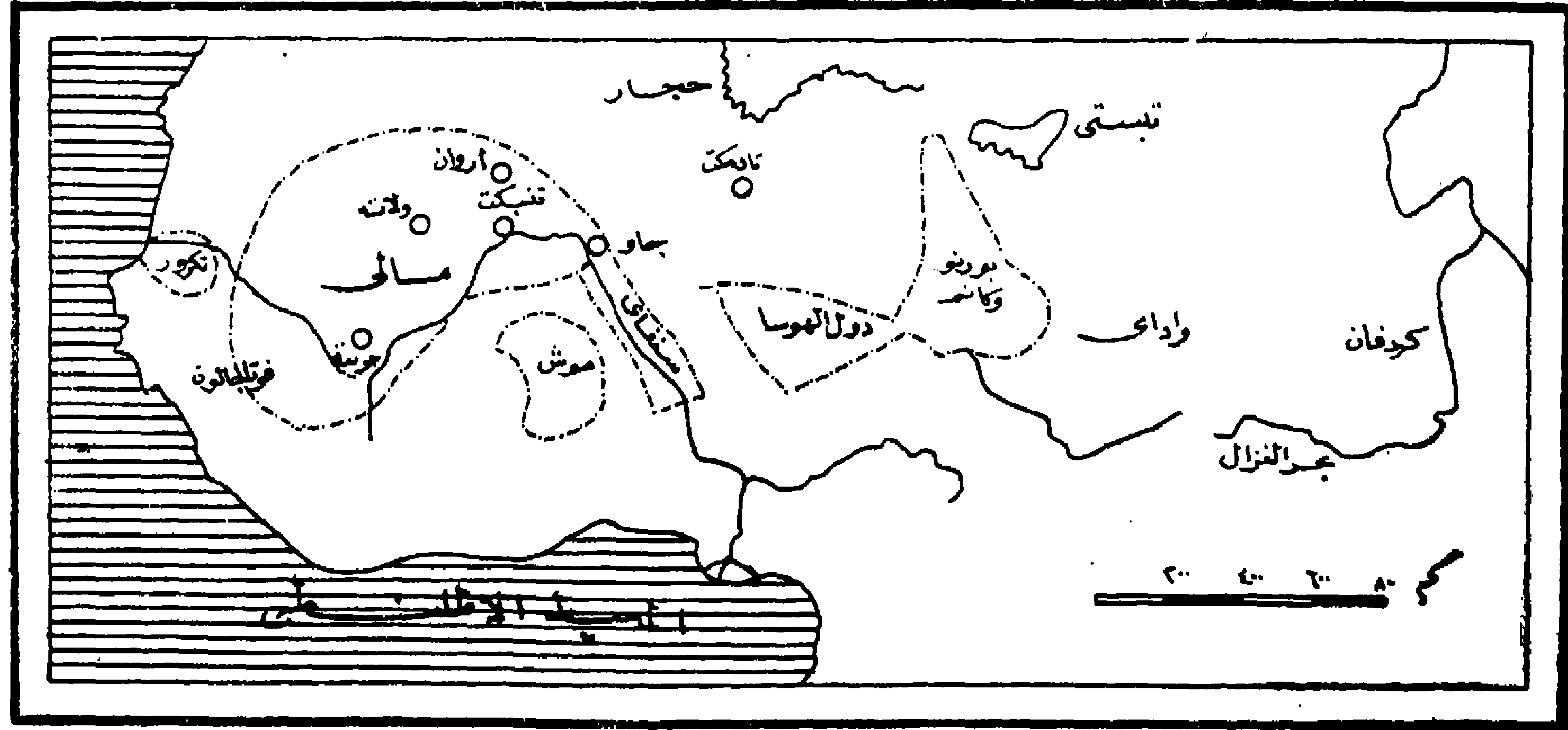
(٢) د. عبد القادر زبادية : مملكة سنغاى فى عهد الأسيقيين ص ٤٠ .

(٣) تاريخ الفتاش ص ٢٢ .

(٤) انظر الخريطة رقم (٢)

(٥) Bovill : op. cit. p. 173.

(٦) أنظر ما يلى ص ٢٨٩



أهم الممالك السودانية فى غرب أفريقيا فى القرن الرابع عشر الميلادى

المصدر: Fage, J.D.: An Atlas of African History, P. 18, map 15.

غيرهم فى المنطقة ، واعتبروا آل أسكيا منافسين لهم فى الزعامة الروحية ، ومما أثار السعديين أيضاً إستيلاء الأسيكيين على مناجم الملح فى تفازة(١) .

وإنتهى الأمر بان إنتهز المنصور الذهبي ضعف سنغاى لتفشى الإضطرابات بها ، وأرسل حملته المشهورة بقيادة جودر إلى سنغاى فى المحرم ٨٩٩ هـ - ١٥٩١ م ، ولم يصمد شعب السنغاى أمام الأسلحة النارية الحديثة ، فاسدل الستار على دولة إسلامية كانت ملء السمع والبصر فى حوض النيجر الأوسط(٢) .

ويتضح من هذا العرض السريع لإمبراطوريتى مالى وسنغاى أن الفترة فيما بين القرنين الرابع عشر م والسادس عشر م تمثل عصر إزدهار كبير فى غرب أفريقيا ، أو فيما عرف فى العصور الوسطى باسم « السودان الغربى » وان تعددت واختلفت مراكز إشعاعه الحضارى ، ويقابل هذه الفترة الزمنية فى مصر قمة إزدهار عصر سلاطين المماليك حتى سقوط الدولة على يد العثمانيين فى أوائل القرن ١٠ هـ - ١٦م(٣) .

فمع بداية القرن ٨ هـ - ١٤ م أصبحت دولة المماليك فى مصر والشام أقوى وأغنى قوة إسلامية على مسرح العصور الوسطى ، وساعد على بلوغ الدولة المملوكية تلك المكانة من الإزدهار السياسى والإقتصادى ، ما كانت تتمتع به من مركز جغرافى ممتاز جعلها قلب العالم الإسلامى ، والقوة المسيطرة على طرق التجارة بين الشرق والغرب (٤) ، فضلا عن كونها مقر الخلافة العباسية ، وحامية الحرمين الشريفين ، والأماكن المقدسة فى بيت المقدس(٥) .

---

(١) د. نيقولا زيادة : مرجع سابق ص ٥٤ ، وللدراسة التفصيلية أنظر : الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الأسلاميتين مالى وسنغى رسالة ماجستير بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦ م .

(٢) الناصرى : الأستقصا جـ ٥ ص ١٢١ ، وللدراسة التفصيلية أنظر : عبد الكريم كريم : عصر المولى أحمد المنصور الذهبى (رسالة غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس) .

(٣) د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٤) د. نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١٢٦ .

(٥) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ص ٧٢ ، ٣٤٢ ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٥٥ .

ومن الطبيعي أن يقوم بين مصر بثقلها الإسلامي والحضاري وموقعها الجغرافي ، وبين الدول الإسلامية وشعوبها في غرب أفريقيا علاقات قوية ومتنوعة في شتى المجالات ، إذ كان لإنتشار الإسلام في غرب أفريقيا في العصور الوسطى أثر بارز في تعميق الصلات بين مصر وشعوب هذه المنطقة ، وبخاصة أن مصر تقع على طريق « الحج » بين دول غرب أفريقيا والأماكن المقدسة الإسلامية في مكة والمدينة .

وكان لازدهار الثقافة والحضارة الإسلامية في مصر في ذلك العصر أثر كبير في تفضيل شعوب غرب أفريقيا طريق مصر كطريق للحج ، فقد كانت زيارة مصر بالنسبة للكثير منهم جزءاً أساسياً من تلك الزيارة المقدسة للحج ، وتبع ذلك تعميق العلاقات والصلات السياسية والثقافية والإقتصادية بين مصر وشعوب غرب أفريقيا ، والواقع أن « الحج » ظل يمثل أقوى الراوبط التي ربطت شعوب غرب أفريقيا بالعالم الإسلامي(١) .

سلك سكان غرب أفريقيا – في طريقهم إلى الحج – طرق القوافل التجارية المعروفة(٢) ، والتي تنقسم إلى قسمين : اما إلى الشمال عبر الصحراء إلى ساحل البحر المتوسط ثم الاتجاه شرقا إلى القاهرة ، وأما الاتجاه من تنبكت شرقا إلى جاو ثم أغاديس ثم غات ، ومنها إلى القاهرة حيث ينتهي بهم الطريق عند صحراء الأهرام(٣) .

وكان في إمكان الحجاج مصاحبة القوافل عبر الطريق الأول ، إلا أنه كان أكثر تكلفة ، ولا يسلكه الحجاج الفقراء إلا إذا كانوا بصحبة حجاج أغنياء ، أو بصحبة كبار التجار ، أما طريق غات فكان أكثر استخداما ، فهو أكثر أمنا ،

---

(١) Trimingham : Islam in...p. 88., The Influence of Islam upon Africa, p.p. 63, 117.

(٢) أنظر الخريطة رقم (٢) .

(٣) أبن خلدون : مصدر سابق جـ ٥ ص ٤٣٤ ،

Froelich, J.C. : Essai sur les causes et methodes de l'Islamisation de l'Afrique de l'ouest, in Islam in Tropical Africa, ed. I.M. Lewis, p. 164.

فهو أكثر أمنا ، فضلا عن أن الحاج يستطيع الحصول على مصاريف سفره على طول محطات الطريق ، اذ كان معظم الحجاج يحملون معهم بعض ما يتاجرون به أثناء طريقهم إلى الأماكن المقدسة (١) .

أما أولئك الذين كانوا يسافرون للحج سيراً على الأقدام من أهالى غرب أفريقيا ، فكانوا يسلكون الطريق الشرقى عبر أراضى سودان وادى النيل ثم عبر البحر الأحمر إلى الأماكن المقدسة ، ولكنه كان طريقاً محفوفا بالأخطار حتى بعد سقوط مملكتى المقرة وعلوة المسيحيتين وانتشار الإسلام فى هذه الجهات(٢) .

ويعتبر سلطان مالى منسا على (١٢٥٥ / ١٢٧٠) أول من زار مصر فى عصر سلاطين المماليك ، وذلك فى طريقه إلى الحج عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م فى عهد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس (٣) .

كما أدى فريضة الحج من حكام مالى سيكرة أو ساكورة الذى اغتصب عرش مالى(٤) وذلك فى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م فى عهد سلطنة الناصر محمد الثانية (١٢٩٨ – ١٣٠٨) . وتعتبر رحلة سيكرة إلى الأراضى المقدسة أول رحلة لحكام مالى تصلنا بعض تفاصيلها ، فقد اتخذ موكب حجه طريق القوافل الشرقى عبر النيجر إلى تبستى ثم إلى واحات مصر . ومنها إلى القاهرة(٥) .

أما أشهر مواكب حج سلاطين مالى عبر الأراضى المصرية . وذات الأثر الهام فى مجال العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا فى العصور الوسطى . فكان موكب

---

(١) Trimingham : Islam in...p. 85.

(٢) نعيم قداح : أفريقيا الغربية فى ظل الأسلام ص ٧٠ ، وعن سقوط مملكة علوة أنظر : د.محمد محمد أمين : العبدلاب وسقوط ملكة علوة – مجلة الدراسات الأفريقية – العدد الثانى ١٩٧٣ ص ١٩١–٢١٧ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٣ ، المقريزى : يذهب المسبوك ص ١١٠ . Monteil : op. cit. p. 75.

(٤) أنظر ما سبق ص ٢٧٦ .

(٥) القلقشندى : مصدر سابق ص ٥ ص ٢٩٤ ، المقريزى : مصدر سابق ص ١١١ ، Monteil : op. cit. p. 77, le Chatelier, A. : l'Islam dans l'Afrique Occidentale, p. 81.

حج السلطان موسى ، إذا كان مجيء منسا موسى إلى مصر استهلالا بارعا لعلاقات قوية بين البلدين ، شملت كافة المجالات الحيوية من ثقافة وتجارة وفكر وعلوم وفنون ، وأصبح دخول مصر بالنسبة لحجاج غرب أفريقيا لايعني فقط مجرد المرور فى طريقهم إلى مكة ، بل أصبح دخول مصر فى نظر أولئك الحجاج اتصالا عميقاً بحضارة عربية اسلامية متطورة وتراث عربى اسلامى عميق الجذور[1].

كان مرور منسا موسى بمصر فى طريقه إلى الحجاز ، وفى طريق عودته إلى بلاده أشبه بالأسطورة ، ولذا أفاضت المصادر العربية ، ومعظم الأوربية فى وصف ركبه واقامته بمصر .

ورغم أن الحج فريضة إسلامية واجبة على كل مسلم قادر ، إلا أن صاحب تاريخ الفتاش يضيف إلى ذلك سبباً لحج منسا موسى فيقول : « أن ماكى كنك موسى هو الذى قتل أمه نانا كنك خطأ ، وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك ، وتصدق بمال جسيم وعزم على صوم الدهر ، وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل فى الاستغفار لهذا الذنب العظيم ، فقال له أرى أن تفزع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهرب إليه وتدخل فى حرمته وتستشفع به ، وسيشفعه الله فيك »[2] .

خرج منسا موسى من عاصمته « مالى » على النيجر سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م فى طريقه إلى الحج ، فسلك طريق القوافل الغربى الذى يبدأ من منحنى النيجر إلى المغرب عن طريق سجلماسة[3].

خرج السلطان موسى من بلاده يركب جواداً ، ومعه ستون ألف جندى[4]،

---

(١) د. سر الختم على : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٦٩) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) محمود كمت : مصدر سابق ص ٣٣ .

(٣) خرج السلطان موسى من عاصمته مالى على النيجر إلى ولاتة ، ثم إلى توات ، أما الطريق الذى سلكه من توات إلى القاهرة فغير محقق ويحتمل أنه كان طريق ورقلان ثم إلى ساحل سرت ومنه شرقا إلى مصر — Bovill : op Cit. P.P. 87 , 88 .

(٤) يذكر محمود كمت أن حملة السلاح الذين خرجوا مع السلطان موسى « ثمانية آلاف » تاريخ الفتاش ص ٣٤ .

وبصحبته خمسمائة عبد ، بيد كل عبد قضيباً من ذهب ، زنة الواحد خمسمائة مثقال[1]، ويقال إن قدم معه أربعة عشر ألف جارية « برسم خدمته خاصة »[2]، وكان منسا موسى« قد أعد لنفقته من بلاده ، فيما يقال ، مائة حمل من التبر ، فى كل حمل ثلاثة قنا طير »[3] ، وفى رواية أخرى « ثمانين حملا من التبر »[4] .

ورغم ما يبدو فى هذه الروايات من المبالغة فى الأرقام ، فانها تدل على فخامة موكب منسا موسى. وعلى مظهر الثراء الذى ظهر به أمام المصريين والعالم أجمع ، ولا عجب فى ذلك فدولة مالى تتحكم فى مناجم الذهب ، وهى « أرض التبر » ، وملكها هو « ملك الذهب » [5].

أما بالنسبة لما صحب موكبه من جنود وجوارى ، فانى أرجح أن عدداً كبيراً من رجال مالى ونسائها انتهزوا فرصة خروج ملكهم إلى الحج لتأدية الفريضة معه وفى ركابه .

وصل منسا موسى إلى القاهرة فى رجب ٧٢٤ هـ / يوليو ١٣٢٤ م حيث استقبل بما يليق به من احترام وتقدير ، فأوفد السلطان الناصر محمد بن قلاون بعض كبار أمرائه لاستقباله . وعين المهمندار أبا العباس أحمد بن الحاقانى ليكون مرافقاً له أثناء إقامته بالقاهرة[6] .

---

(١) السعدى : مصدر سابق ص ٧ ، والمثقال يساوى وزن ٧٢ حبة من الشعير أو ما يعادل $\frac{1}{8}$ أوقية من الذهب – القلقشندى : مصدر سابق جـ ٣ ص ٤٣٦ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٢ ، ١١٣ ، ويذكر القلقشندى « إنه كان يحمل آلته اثنا عشر الف وصيفة لا بسات اقبية الديباج » صبح الأعشى جـ ٥ ص ٥٩٦ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ص ١٥٤ و ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ٢٠٠ و ٢٠١ .

(٥) محمود كمت : مصدر سابق ص ٤١ .

(٦) كانت وظيفة المهمندار تلقى الرسل والوفود الواردين إلى السلطان ، وكان عليه انزالهم بدور الضيافة أنظر القلقشندى : مصدر سابق جـ ٤ ص ٢٢ و جـ ٥ ص ٤٥٩ ،وعن المراسم الخاصة بالاستقبال أنظر : منى إبراهيم عبد الرحمن : السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥) ص ١٣٧ وما بعدها .

وعند وصول منسا موسى إلى القاهرة قدم هدايا قيمة للسلطان الناصر محمد بن قلاون عبارة عن « حمل من التبر »[1] ، قدر ابن حجر قيمته بنحو « خمسة آلاف مثقال »[2]، كما قدره غيره بنحو « خمسين ألف دينار »[3] ، كما أن منسا موسى لم يترك بمصر « أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا بعث إليه بالذهب[4] .

حضر منسا موسى مجلس السلطان الناصر محمد فأعفاه السلطان من تقليد تقبيل الأرض بين يدى السلطان « وقربه، وأكرمه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال « أردت الحج »، فرسم للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه (٥) » ، وأمر السلطان بانزال ضيفه بقصر عند القرافة الكبرى، وأقطعه هذا القصر (٦) ، كما بعث الناصر محمد إلى ضيفه بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، وخيلا مسرجة ملجمة ، وكانت خلعة منسا موسى « طرد وحش بقصب كثير ، بسنجاب مقندس . مطرز بزركش على مفرج اسكندرى ، وكلوته زركشى ، وكلاليب ذهب ، وشاش بحرير ، ورقم خليفتى ، ومنطقة ذهب مرصعة ، وسيف محلى ، ومنديل مذهب خز ، وفرسين مسرجين ملجمين بمراكب بغل محلاه ، وأعلام ، وأجرى عليه الانزال والاقامات الوافرة مدة مقامه » (٧) .

ولما آن وقت الرحيل إلى الأراضى الحجازية سار ركب منسا موسى ركبا وحده فى ساقة ركب الحاج المصرى[8] ، بعد أن زود الناصر محمد ضيفه بما يلزمه من

---

(١) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق جـ ٢ ورقة ٥٠٥ .

(٢) الدرر الكامنة جـ ٥ ص ص ١٥٤ و ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبية حوادث سنة ٧٢٤ هـ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٥ ص٤٣٤

(٤) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق جـ ٢ ورقة ٥٠٤ ، ابن حجر : مصدر سابق جـ ٥ ص ١٥٥ .

(٥) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٢ ، السلوك جـ ٢ ق ١ ص ٢٥٥ .

(٦) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٥ ص ٤٣٤ .

(٧) ابن فضل الله العمرى : مصدر سابق جـ ٢ ورقة ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٥ .

(٨) يقصد بركب الحاج الركب السلطانى الذى تصحبه الكسوة الشريفة للحرمين ، أنظر الجزيرى: درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ص ١٨٨ ، وعن تنظيم ركب المحمل أنظر على بن حسين السليمانى : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٧٧ وما بعدها .

الهجن والأزواد له ولأصحابه ، كما أعد ما يلزم من العليق لدوابه ، على طول الطريق إلى الأراضى المقدسة ، كما أوصى الناصر محمد أمير ركب الحاج المصرى ، الذى صحب منسا موسى ، وهو الأمير سيف الدين أيتمش باكرام منسا موسى واحترامه والقيام بجميع ما يحتاجه (١).

وفى الحجاز أدى منسا موسى فريضة الحج ، وزار المدينة ، وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين بالاحسان ، وطاب له المقام بالحجاز . فبقى هناك نحو ثلاثة أشهر بعد انتهاء موسم الحج(٢) .

أنفق منسا موسى كل ما كان معه من أموال فى سفرته هذه ، حتى أنه عندما عاد إلى مصر احتاج إلى القرض . فاستدان على ذمته من تجار مصر « بما لهم عليه فيه من المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم فى كل ثلثمائة دينار سبعمائة دينار ربحا(٣) » ، كما اضطر منسا موسى بسبب حاجته إلى المال إلى بيع القصر الذى أقطعه له الناصر محمد فاشتراه أحد كبار التجار وهو سراج الدين بن الكويك ، كما أقرضه ابن الكويك خمسين ألف دينار . وأقرض أمراءه ما احتاجوا إليه . كما « جدد له السلطان الكرامة وأوسع له فى الحباء »(٤) وأنعم عليه « بخيول وجمال »(٥).

وليس من شك فى أن خروج منسا موسى إلى الحج فى هذا الموكب كانت له أثار هامة على العلاقات الخارجية لدولة مالى بعامة ، وعلى العلاقات بين مصر ومالى بخاصة فى شتى المجالات(٦) .

---

(١) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٢٤ ، ابن حجر مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٥ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٤) ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .

(٥) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣.

(٦) أنظر مايلى .

ومن حكام مالى الذين زاروا القاهرة فى طريقهم إلى الحج السلطان سليمان (١٣٤١ — ١٣٦٠) الذى خرج للحج فى عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م على رأس حجاج غرب أفريقيا ، فيذكر المقريزى فى حوادث هذه السنة « وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير ، وفيهم ملـكهم ، فسأل ملـكهم الاعفاء من الدخول على السلطان فاعفى ، وسار بقومه إلى الحج »(١) .

وتؤكد عبارة المقريزى ما سبق أن ذكرناه من أن سكان غرب أفريقيا كانوا ينتهزون فرصة خروج ملوكهم للحج للسير فى ركابهم لتأدية الفريضة ، وأن موكب السلطان موسى لم يقتصر على الجنود والعبيد ، بل ضم أساسا من خرج من أهل البلاد لتأدية الفريضة(٢) .

وما أن زالت دولة مالى ، وازدهرت دولة سنغاى الإسلامية حتى شهدت القاهرة فى سنة ٩٠٢ هـ — ١٤٩٦ م موكب حج الأسكيا محمد الكبير سلطان إمبراطورية سنغاى . فقد قرر أسكيا محمد بعد أن إطمأن إلى جهوده فى تنظيم دولته أن يسافر إلى المشرق لتأدية فريضة الحج ، والإطلاع على أحوال ممالك المشرق وطرق تسييرها . وحتى ترتفع مكانته بين أبناء شعبه بتأدية فريضة الحج(٣) .

حرص أسكيا محمد على أن يصحب معه فى طريقه إلى الأراضى المقدسة جمعاً كبيراً من العلماء والأعيان ، ليظهر أمام العامة بمظهر الملك الصالح القوى ، فسار فى موكب ضخم ، وفى كل بلد يمر به كان يستأذن فى الدخول من أميرها ثم ينفق بسخاء ، حتى يقال أنه أنفق فى حجه ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب ، أى عشرة أضعاف من أنفقه منسا موسى ، فقد أنفق أسكيا محمد مائة ألف قطعة ذهبية لتكاليف سفره مع حاشيته ، وأنفق مثلها كصدقات لفقراء مكة والمدينة ، كما إشترى قطعة أرض ومبنى بمكة يأوى إليه حجاج السودان الغربى . أما المائة الباقية فقد أنفقها فى شراء حاجات وهدايا من أسواق مكة والقاهرة(٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٨٥٥ .

(٢) أنظر ما سبق ص ٢٨٤ .

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ص ص ١١ ، ١٢ .

(٤) السعدى : مصدر سابق ص ٨٣ . د. عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص ٣٧ .

لم تجتذب قافلة حج أسكيا محمد الكبير إهتمام حكام مصر ، كما حظى موكب منسا موسى من قبل ، ولعل ذلك راجع للاضطرابات التى كانت سائدة فى مصر فى ذلك الوقت(١) .

كانت هذه أشهر مواكب حجاج غرب أفريقيا فى عصر سلاطين المماليك(٢) ، والتى كانت حجر الزاوية فى العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا فى العصور الوسطى .

أما فى مجال العلاقات السياسية بين مصر وغرب أفريقيا فى العصور الوسطى ، فليس فى المصادر والمراجع المتداولة ما يشير إلى أن العلاقات السياسية بين المنطقتين كانت تستوجب نوعا من الإلتزامات ، ويبدو أن العلاقات كانت تسير حرة غير مقيدة بشرط(٣) .

وكان لإحياء الخلافة العباسية فى القاهرة على يد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ م (٤) أثر كبير فى توطيد العلاقات السياسية بين مصر والدول الإسلامية فى غرب أفريقيا ، إذ حرص حكام السودان الغربى على أن يحيطوا

---

(١) سادت مصر بعد وفاة السلطان قايتباى سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٦ فترة من الفوضى وعدم الأستقرار حتى أنه ولى عرش مصر فى أقل من خمس سنوات خمسة من السلاطين ، مكث أحدهم على العرش ثلاثة ايام - ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٢٤ وما بعدها ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ١٧٦ ، وللدراسة التفصيلية أنظر د. عبد العظيم حامد خطاب : قانصوة الغورى ونهاية الدولة المملوكية (رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب عين شمس ١٩٧٣) ص ١٤ وما بعدها .

(٢) شهدت القاهرة مواكب حجاج التكرور عاما بعد عام ، وفى كتب الحوليات المعاصرة اشارات لهذه المواكب وكثرة عددها دون تحديد فتذكر مثلا « حجاج لا يحصى عددهم إلا الذى فطرهم » : أنظر ما جاء عن حجاج التكرو فى حوادث سنوات ٧٨٥ هـ ، ٧٩٠ هـ ، ٨٤٢ هـ ، ٨٤٧ هـ ، ٨٤٩ هـ ، ٨٥٠هـ ، ٩١٩ هـ فى ابن الصيرفى نزهة النفوس والأبدان ، المقريزى : السلوك، السخاوى : التبر المسبوك ، ابن حجر : انباء الغمر ، ابن اياس : بدائع الزهور .

(٣) سر الختم عثمان : مرجع سابق ص ٩٩ ، وينفرد ابن أيبك بالقول «أن السلطان موسى ألتزم أن يخطب فى بلاده باسم مولانا السلطان (الناصر محمد) وكذلك السكة ، وهذا ما عهد لصاحب مصر عند مولانا السلطان - ابن أيبك» ؛ كنز الدرر وجامع الغرر جـ ٩ بعنوان الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر - تحقيق هانس روبرت رويمر ص ٣١٧ .

(٤) عن احياء الخلافة العباسية بالقاهرة والنتائج التى ترتبت على ذلك بالنسبة لمصر والعالم الاسلامى أنظر د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ص ٣٤٢-٣٤٧ .

سلطانهم بسياج من الشرعية لتدعيم ملكهم فى نظر رعاياهم ، ومن هنا فان كثيراً من سلاطينهم كانوا يطلبون من الخليفة العباسى بالقاهرة تقليدا بتفويضهم الحكم فى بلادهم ، وعادة كان الخليفة العباسى بالقاهرة يمنح هذه التقليد .

ويزداد حرص حكام غرب أفريقيا على الحصول على تقليد الخليفة العباسى فى حالة قيام أسرة جديدة فى الحكم ، ومثال ذلك ما ترويه المصادر عن أسكيا محمد الكبير الذى خرج إلى الحج لإكساب حكمه الشرعية (١) ، ولا يستبعد أن يكون من أغراض خروجه للحج مقابلة الخليفة العباسى بالقاهرة والحصول منه على تقليد بالسلطنة فى بلاده ، ولا سيما وأنه تولى الحكم بثورة على الحاكم السابق(٢) .

وتحرص المصادر السودانية على أن تؤكد حصول أسكيا محمد على تقليد ومبايعة بالخلافة الإسلامية بارض التكرور (٣) ، ولكنها تنسب هذا التقليد إلى الشريف الحسنى مولاى العباس أمير مكة ، ويذكر محمود كعت — وهو من مرافقى أسكيا محمد — قصة هذا التقليد بقوله : « وأما الشريف الحسنى مولاى العباس فكان مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أسكى الحاج محمد جالسا بحذاء الكعبة يتحادثان ، فقال له الشريف مولاى العباس : يا هذا أنت الحادى عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك جئتنا ملكا والملك والخلافة لا يتفقان ، فقال له كيف ذلك يا سيدى ؟ فقال له مولاى العباس لا سبيل إلى ذلك إلا أن تخرج عما أنت فيه ، فاذعن له أسكى طوعاً ، وطرد جميع الوزراء عنه ، وجمع جميع آلات السلطنة وأموالها وجعل ذلك كله بيد العباس وقعد عازلا لنفسه ،ودخل مولاى العباس فى الخلوة ثلاثة أيام ، ثم خرج يوم الجمعة ، ونادى أسكى الحاج محمد وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة مكة ، وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء ، وأعطاه سيفاً ، وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بارض التكرور ، وأن كل من خالفه فى تلك الأرض فقد خالف الله تعالى ورسوله »(٤) .

---

(١) أنظر ماسبق ص ٢٧٧ ، ٢٨٧ .

(٢) محمد أنور أبو علم : مرجع سابق ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ص ١٥ ، ١٦ .

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ص ١٢ ، وقد أورد السعدى ملخصا لهذه القصة التى وردت بتاريخ الفتاش أنظر تاريخ السودان ص ٧٣ .

ثم يعود محمود كعت و يربط بين هذا التقليد وبين إعتراف العالم المصرى جلال الدين السيوطى بأن أسكيا محمد أحد الخلفاء فيقول : « ثم تهيأ اسكى الحاج محمد للرجوع ، فلما وصل مصر وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطى ، فساله اسكى عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون بعده ، فقال الشيخ هم اثنا عشر ،خمسة منهم بالمدينة ، وإثنان بمصر ، وواحد بالشام ، وإثنان بالعراق وقد مضى هؤلاء كلهم وبقى إثنان بأرض التكرور أنت أحدهما »(١) .

أما المراجع الحديثة فتذكرأن من لقيه الأسكيا محمد فى مكة هوالخليفة العباسى (٢) ومنها ما تذكر صراحة أن لقاء أسكيا محمد بالخليفة العباسى كان بالقاهرة « و لما عاد الملك من الحج قابل الخليفة العباسى فى القاهرة وطلب إليه أن يسافر معه ليتولى حكم السودان ، ولكن الخليفة أقره على السودان بلقب خليفة ، وقد قدم له محمد الحاج كثيراً من الهدايا »(٣) .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فانها تدل دلالة صريحة على حرص حكام الدول الإسلامية فى غرب أفريقيا على الحصول على تقليد بالحكم فى بلادهم من الخليفة العباسى ، ومن المعروف أن صاحب الحق فى منح مثل هذا التقليد هو الخليفة العباسى بالقاهرة وليس أمير مكة ، وأن ما ورد فى المصادر السودانية قد يرجع إلى الخلط فى الروايات .

والواقع أن تقليد أسكيا محمد بالخلافة أمر مستبعد . فأمير مكة – طبقاً لروايتى محمود كعت والسعدى – لا يملك هذا الأمر ، كما أنه من المستبعد أن الخليفة العباسى بالقاهرة يقلد شخصاً آخر بالخلافة حتى ولو كان بالسودان الغربى . ولا يخرج الأمر على أن يكون إعتراف الخليفة العباسى بالقاهرة بولاية أسكيا محمد لحكم السنغاى ، ويؤكد هذا الرأى ما ذكره محمود كعت نفسه – فى مناسبة أخرى – على لسان أسكيا محمد لإبنه إسماعيل ، أن شريف مكة الذى هو أميرها قال له : « أنت أميرى

---

(١) محمود كعت : نفس المصدر ص ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٩ .

(٣) نعيم قداح : أفريقيا الغربية ص ٧١ .

ونائبي وخليفتي في إقليمك » ، فرد عليه أسكيا محمد بقوله : « وأنت أمير المؤمنين وأنا خليفته وأميره ونائبه » (١) ، فكلمة خليفة هنا بمعنى نائب .

وتتمثل العلاقات السياسية أيضاً في المراسلات المتبادلة بين سلاطين المماليك وحكام دولتي مالي وسنغاي ، من ذلك الخطاب الذي أرسلة منسا موسى إلى الناصر محمد بن قلاون يمهد فيه لمجيئه إلى مصر في طريقه إلى الحج ،وراعى فيه تقاليدا معينا ، فيذكر العمري أن السلطان موسى كان في خطابه هذا « يمسك فيه ناموساً لنفسه »(٢) .

ونظراً لكثرة العلاقات وتوثقها ، وجد في دواوين سلطنة المماليك صيغ ثابتة لمخاطبة ملوك السودان الغربي ، وهذه الصيغ معدة في ديوان الإنشاء لتصدر بها المكاتبات الرسمية . ومن هذه الصيغ : « أدام الله نصر المقر العالي السلطان الجليل الكبير ، العالم العادل ، المجاهد المؤيد الأوحد ، عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الخلافة ، ظهير الإمامة ، عضد أمير المؤمنين ، الملك فلان »(٣) .

كما وجدت صيغة مختلفة في كتاب تثقيف التعريف ، وهي : « أعز الله تعالى جانب الجناب الكريم العالي الملك الجليل ، العالم العادل ، المجاهد المؤيد ، المثاغر المرابط ، العابد الخاشع ، الناسك الأوحد ، ذخر الإسلام والمسلمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، عون جيوش الموحدين ، ركن الأمة ، عماد الملة ، جمال الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين »(٤) .

وجاء في بعض الرسائل دعاء لملك التكرور منه « ووطن وفور السعادة داره ، وشد عرى ملكه بالتأييد الذي لا ينفصم عراه ، ولا زال تمهيده ممنوحاً بالبسط

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ص ٨٦ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مصدر سابق جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٧ ، القلقشندي : مصدر سابق جـ ٨ ص ٩ .

(٣) ابن فضل الله العمري : التعريف ص ٢٨ ، القلقشندي : مصدر سابق جـ ٨ ص ص ٩-١١.

(٤) المجي : تثقيف التعريف (مخطوط بمكتبة كتابخانة أستان قدس – مشهدايران – رقم ١٩٣ ورقة ١٢ .

والإقتدار ، وسيفه مقروناً بالعزة والإنتصار ، وعزمه منوطاً بالسداد والإبتدار ، وعدله يبلغ أرباب الحقوق من حصونها فى أيديهم ، نهاية الأمل وغاية الأوطار » (١).

كما كانت هناك الهدايا المتبادلة بين حكام السودان الغربى وسلاطين المماليك(٢) ، مثال ذلك عندما وصل السلطان موسى إلى القاهرة فى طريق عودته من الحج إلى بلاده بعث إلى السلطان الناصر محمد « من هدية الحجاز تبركاً »(٣)، و« جاملة بالجميل والألطاف » (٤) ، فاجابه السلطان الناصر محمد بالخلع له ولمن بقى معه من أصحابه ، فضلا عن « التحف والألطاف من البز الإسكندرى والأمتعة الفاخرة »(٥) .

وكان لمواكب الحج القادمة من السودان الغربى عبر الأراضى المصرية أثر كبير فى الأوضاع الإقتصادية فى كل من مصر والسودان الغربى ، فضلا عن آثارها فى العلاقات الإقتصادية بين البلدين .

إعتاد حجاج السودان الغربى أن يقضوا فترة فى القاهرة ، إنتظاراً لموعد رحيل ركب الحجاج المصرى ، لا تقل عن ثلاثة أشهر (٦) ، وقد يبقى بعض هؤلاء الحجاج فترات أطول إذا ما مكثوا لتلقى العلم فى الأزهر أو فى إحدى مدارس القاهرة ،

---

(١) من مجموعة رسائل بالمكتبة الأهلية بباريس تحت عنوان :

Recueils des Correspondance au xves entre les Sultan s Mamluk et les Couvraus Contemporair, B.N. No. 440. p. 69.

(٢) أنظر ما سبق ص ٢٨٥ عن الهدايا والخلع التى قدمها السلطان الناصر محمد إلى السلطان موسى عندما وصل إلى القاهرة فى طريقة إلى الحج .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٩ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ١٥٥ ترجمة موسى بن أبى بكر سالم التكرورى رقم ٤٩٠٤ .

(٥) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الأسلامية ص ٨٥ .

(٦) مثال ذلك أن السلطان موسى وصل إلى مصر فى شهر جمادى الأولى ٧٢٤ هـ ودخل القاهرة فى ١٦ رجب ، ثم رحل مع موكب الركب المصرى إلى الحجاز فى ١٨ شوال من نفس العام – المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، وعن مواعيد خروج ركب الحاج المصرى وعودته أنظر على بن حسين السليمانى : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص ٦٤ وما بعدها .

وفى خلال هذه الفترة يتعرف حجاج السودان الغربى على المنتجات المصرية ، والسلع المعروضة بأسواق القاهرة ، كما أنهم قد يبيعون فى أسواق القاهرة بعض السلع التى حملوها معهم ، أى أن هذه الفترة كانت فرصة للتعرف على السلع المختلفة ، وللتبادل التجارى فى نطاق محدود .

وتجلت هذه الظاهرة على نطاق واسع أثناء موكب حج السلطان موسى ، فكان لضخامة الركب ، ولكثرة الأموال التى حملها السلطان موسى وأتباعه أثر كبير فى نشاط حركة البيع والشراء فى أسواق القاهرة ، وفى ذلك يقول ابن أيبك : « إن ملك التكرور وأصحابه إشتروا من القاهرة ومصر من سائر الأصناف ، وظنوا أن مالهم لا ينفذ ، فلما إستغرقوا فى المشترى ووجدوا أن أصناف هذه الديار لا لها حد يحد ، وكل يوم ينظروا شيئاً أحسن من شئ ، نفذ ما كان معهم ، وإحتاجوا للقرض » (١) ، فكان الحاج المصاحب لركب السلطان موسى يدفع الواحد منهم بسهولة خمسة دنانير ثمنا لثوب لا يساوى أكثر من دينار واحد(٢) .

جذبت المنسوجات المصرية الجميلة ، والجوارى الحسان ، والغلمان الترك (٣) أنظار السلطان موسى وصحبه فاقبلوا على الشراء حتى إنخفض سعر الذهب فى القاهرة بسبب إغراقها بذهب السودان ، ولكثرة الذهب فى أيدى الناس (٤) ، ولم يستعد الذهب سعره الأول إلا وقت قدوم ابن فضل الله العمرى إلى القاهرة ، بعد إثنى عشرة سنة من زيارة منسا موسى للقاهرة(٥) .

---

(١) ابن أيبك : كنز الدرر جـ ٩ بعنوان الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ص ٣١٦ .

(٢) د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٨٤ ،

Bovill : op. cit. p. 88.

(٣) من هؤلاء الغلمان الترك كان يقف خلف سلطان مالى – إذا جلس بقصره – نحو ثلاثين مملوكا من الترك وغيرهم « ممن يبتاع له من مصر » ابن فضل‌الله العمرى : مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٨ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٣٠٠ ، ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٥.

(٤) ابن‌حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤٩٠٤ ، ويذكر المقريزى أن الدينار الذهب نقص سعره ستة دراهم – السلوك جـ ٢ ق١ ص ٢٥٥ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٥) Bovill : op. cit. p. 88.

وإذا كان اغراق الأسواق المصرية بذهب السودان الغربى أدى إلى إنخفاض سعر الذهب فى مصر ، فقد لعب المصريون دوراً مشابها بالنسبة لأسواق السودان الغربى ، وذلك فيما يتعلق بالودع الذى كانت تجلبه القوافل المصرية من الهند وشرق أفريقيا ، وتنقله إلى السودان الغربى ، فقد كان الودع يتعرض سعره للارتفاع والإنخفاض تبعاً لورود القوافل المصرية[1] ، ومن المعروف أن الودع كان يستخدم كنوع من العملة فى السودان الغربى[2] .

وكنتيجة مباشرة لمواكب حجاج السودان الغربى عبر الأراضى المصرية ، أصبحت مختلف السلع المعروضة فى أسواق القاهرة معروفة تماماً ، بل ومطلوبة أيضاً فى السودان الغربى ، مما أدى إلى ازدهار عمليات التبادل التجارى بين مصر من ناحية وبين دولتى مالى وسنغاى من ناحية أخرى .

ونظراً لضخامة التبادل التجارى بين مصر والسودان الغربى ، لم يكن لسكان مدينة تكدة[3]– المركز الرئيسى لتجارة القوافل مع مصر – من عمل سوى التجارة مع مصر ، فيسافرون إليها فى كل عام لجلب أزهى الثياب وغيرها من مختلف المنسوجات المصرية . والتى يتباهى باقتنائها عظماء القوم[4] ، كما حملوا إلى مصر النحاس المستخرج من مناجم تكدة[5] .

وليس أدل على ازدهار التجارة بين مصر والسودان الغربى مما تذكره المراجع من أن قافلة قامت من مدينة مالى العاصمة . وتوجهت نحو مصر عن طريق تكده ،

---

(١) Delofosse, M. : Haut-Senegal — Niger, Vol. 2, l'Histoire, p. 264.

(٢) كان سكان السودان الغربى يتعاملون بالذهب دون سك ، فيذكر البكرى أن « دنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة » : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص ١٨١ .
وانظر أيضاً : L'eon L'Africain : Description de l'Afrique, Vol. I.p. 165

(٣) تقع بين جاو واير على طريق الحج عبر الصحراء أنظر :
Bovill : op. cit. p. 98

(٤) ابن بطوطة : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٣٩ ، إبن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ٢٠١ .

(٥) إبن بطوطة : نفس المصدر ج ٤ ص ٤٣٩ ، ٤٤١ ، إبن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ ،
Bovill : op. cit. p. 94, Les Memoires de l'Africque, ed Robert Laffont, p.214.

طرق التجارة الى سنغاى

المصدر: Fage, J.D.: An Atlas of African History, P.17, Map.13.

بلغ عددها ١٢ ألف جمل(١) ، ورغم المبالغة الظاهرة فى هذا الرقم فانه يدل على ضخامة التجارة المتبادلة بين مصر ومالى .

وكانت المنسوجات والكتب هى أهم ما حمله التجار المصريون إلى مالى وسنغاى فى العصور الوسطى ، وكانوا يعودون عادة بمنتجات السودان الغربى ، وعلى رأسها الذهب(٢) ، وريش النعام ، وبيض النعام ، والتوابل والعنبر(٣) .

ونتج عن زيادة المعاملات بين مصر والسودان الغربى أن أصبحت « الدراهم التكرورية » معروفة بمصر ، بل ومن أهم العملات المتداولة فى مصر نظراً لثبات قيمتها فى السوق ، وجودة عيارها ، وليس أدل على ذلك من أن السلطان برسباى عندما أراد اصلاح أحوال العملة فى مصر سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣ م « رسم السلطان ألا يتعامل إلا بالدراهم المصكوكة بالديار المصرية والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك خلا الدراهم التكرورية »(٤) .

وتبعاً لازهار التبادل التجارى بين مصر والسودان الغربى فقد وجدت جاليات مصرية بمدن مالى وسنغاى ، سواء كانوا من التجار ، أو من الفقهاء والعلماء .

فمن المصريين الذين سافروا إلى مالى وكيل ابن الكويك الذى سافر صحبة منسا موسى ليستوفى حقوق موكله(٥)، ولكنه توفى فى الطريق ، فاضطر سراج الدين بن الكويك أن يسافر بنفسه إلى بلاط مالى ، وصحب معه ابنه فخر الدين أبو جعفر ، وفى تنبكت توفى سراج الدين ، ودفن هناك ، وقد زار ابن بطوطه قبره هناك سنة

---

(١) Bovill : op. cit. p. 94.

(٢) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٣ ص ٤٦١ ،

Lombard, M. : l'Or Musulman du viie au xie Seicle, Annales (E.S.C.) 11(1947) p. 148 .

(٣) د . عبد القادر زبادية : مرجع سابق صفحات ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) إبن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ٣ ص ٢٤ ،

Darrag, A. : L'Egypte sous Le Regne De Barsbay, p. 100, Garcin, J.C. : Un Centre Musulman de la Haute—Egypte Medievale, Qus, p. 428.

(٥) أنظر ما سبق ص .

٧٥٤هـ / ١٣٥٣م(١) ، فتابع الابن رحلة أبيه حتى وصل إلى مالى العاصمة ، واستوفى دين أبيه ، ثم عاد إلى مصر(٢) .

كما لجأ بعض التجار المصريين إلى أرسال وكلائهم إلى السودان الغربى لمباشرة أعمالهم التجارية ، ومن هؤلاء التاجر المصرى الشهير محمد بن مسلم بن أحمد البالسى(٣) الذى كان يرسل وكلاءه إلى بلاد التكرور « ويعودون له بالأرباح الكثيرة المفرطة »(٤) .

وازدادت أعداد التجار المصريين بالسودان الغربى ، كما ازدادت أيضاً ثروتهم ، وليس أدل على ذلك من أنه عندما أراد سلطان مالى مارى جاطة الثانى (١٣٦٠ – ١٣٧٤) أن يبيع حجر الذهب الموجود فى خزائنه ، ويزن عشرين قنطاراً ، عرضه على « تجار مصر المترددين إلى بلده ، وابتاعوه منه بأبخس ثمن »(٥).

وكانت كثرة عدد الأجانب ، وبخاصة المصريين فى دولة سنغاى دافعا للأسكيا محمد سلطان سنغاى (١٤٩٣ – ١٥٢٨) لتعيين وزير يختص بشئون الأجانب ، وهو الذى أطلق عليه اسم « كورى فارما »(٦) .

وفى مجال العلاقات الثقافية يمكن القول أنها كانت أقوى العلاقات بين مصر والسودان الغربى منذ أقدم العصور ، ومن الطبيعى أن تزداد هذه العلاقات منذ العصر الإسلامى ، فقد كانت مصر من المنابع التى جاء منها الإسلام إلى غرب أفريقيا ، وما أن ازداد انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا ، وما تبعه

---

(١) إبن بطوطة : مصدر سابق جـ ٤ ص ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، السعدى : مصدر سابق ص ٨ .

(٢) السعدى : نفس المصدر ص ٨ ، د . إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٨٦ .

(٣) توفى سنة ٧٧٦ هـ /١٣٧٤ م إبن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ٢٦ ترجمة رقم ٤٥٧٥ ، أنباء الغمر جـ ١ ص ٩٩ ترجمة رقم ٩٤ ، إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ١٣٢ .

(٤) إبن حجر : الدرر الكامنة جـ ٥ ص ٢٦ .

(٥) إبن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩٧ .

(٦) د . عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص ٥٩ .

من انتشار اللغة العربية أيضاً حتى ازدادت العلاقات الثقافية بين مصر ودول السودان الغربي(١) .

وكان لموقع مصر فى قلب العالم الإسلامى ، وعلى طريق الحج بين السودان الغربى والأماكن المقدسة أثر كبير فى توافد الكثيرين من أبناء السودان الغربى على مصر للدراسة فى مدارسها وفى الجامع الأزهر ، سواء وهم فى طريقهم إلى الحج أو فى طريق عودتهم إلى بلادهم ، حتى احتاجت هذه الوفود إلى مكان ثابت ينزلون فيه خلال رحلتهم ، ومن أجل ذلك ، ومنذ أواخر العصر الأيوبى ، بنوا مدرسة فى فسطاط مصر ، عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، لتدريس المذهب المالكى ، فضلا عن استخدامها نزلا للوافدين (٢) ، إذ قامت طائفة من حجاج « الكانم من طوائف التكرور »(٣) بدفع مبلغ من المال للقاضى علم الدين بن رشيق لبناء مدرسة للمالكية عرفت باسم مدرسة ابن رشيق ، كانت منزلا لحجاج التكرور عند مرورهم بمصر ، و « صار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يبعثوا إليها فى غالب السنين المال »(٤) .

ومع استعادة الأزهر لمكانته منذ بداية عصر سلاطين المماليك(٥) ، لم يلبث

(١) عن إنتشار اللغة العربية فى غرب أفريقيا أنظر : د . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى – مجلة جامعة أم درمان الإسلامية – العدد الثانى ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩م ص ص ١ – ٨٨ .

(٢) القلقشندى : مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٨١ .

(٣) إذا كانت طوائف الكانم هى التى أسست المدرسة ، فليس من المستبعد أن ينزل بها حجاج التكرور من سكان السودان الغربى بصفة عامة ، وهو ما يتضح من استخدام إبن دقماق والمقريزى للفظ التكرور دون الكانم فيما بعد فى كلامهما عن مدرسة إبن رشيق .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٦٥ ، إبن دقماق : الانتصار ق ٤ ص ٩٦ .

(٥) منذ بداية العصر الأيوبى منعت صلاة الجمعة فى الأزهر ، ولكن لم تبطل صفته الجامعة ، وظل الحال على ذلك حتى أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة إلى الأزهر سنة ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م مما ساعد على إزدهاره فى العصر المملوكى – المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٥٥٦ ، د . عبد الرحمن زكى : الأزهر وما حوله من الآثار ص ص ٢٦ ، ٢٧ .

أن أصبح أكبر جامعة اسلامية فى مصر وفى العالم الإسلامى ، وتبوأ مركز الزعامة الفكرية والثقافية ، وأن غلبت الصفة الدينية على برامجه وحلقاته(١) .

اجتذب الأزهر الطلاب والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، ومن بينهم طلاب وعلماء السودان الغربى الذين عرفوا بالتكرور . والذين اختصوا باحد أروقة الأزهر (٢).

ومن أمثلة العلماء الذين وفدوا على مصر من سكان السودان الغربى أحمد بن عمر بن محمد أقيت – جد العالم السودانى أحمد بابا التنبكتى – ، وكان « نحويا لغويا عروضيا محملا بارعا حافظا » . فقد رحل إلى المشرق . ولقى العالم المصرى عبد الرحمن السيوطى . وعندما عاد إلى تنبكت تصدر للتدريس حتى وفاته سنة ٩٤٢هـ ١٥٣٥ م(٣) .

ومن التكاررة الذين نبغوا فى العلم فى مصر صبيح بن عبد الله التكرورى الكلوتاتى . والذى اشتغل بتدريس الحديث بالقاهرة ودمشق حتى وفاته سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م(٤) .

ومن صلحاء التكرور الذين عاشوا بمصر ، وكان للمصريين فيهم اعتقاد الشيخ رشيد الأسود التكرورى الذى اتخذ من جامع راشده مكانا للخلوة والانقطاع والعبادة ، والذى توفى بالقاهرة سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م(٥) .

---

(١) د . سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٦١ ، د . عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) كان بالأزهر لطلاب وعلماء السودان الغربى رواق البرنية – نسبة إلى برنو – ولم يقتصر على أبناء برنو بل إتسع ليشمل أبناء منطقة شاسعة من السودان الغربى ، كما كان هناك رواق التكاررة أيضاً – سليمان رصد : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ص ١٠٥ ، محمد عبد المنعم خفاجى الأزهر فى الف عام ص ٧٢ .

(٣) أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج – ترجمة أحمد بن عمر بن محمد أقيت .

(٤) إبن حجر : الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٣٠٤ ترجمة رقم ١٩٧٥ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٣ ق ٢ ق ٢ ص ٨٢١ ، المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٨٢ .

وأوردت كتب التراجم ، وبخاصة كتب طبقات المالكية(1) تراجم العديد من رجالات السودان الغربى الذين رحلوا إلى مصر سواء لتلقى العلم أو للتدريس بها ، وكذلك تراجم بعض فقهاء وقضاة المالكية المصريين الذين رحلوا إلى السودان الغربى(2) .

ومن التكاررة من خدم بالجيش المملوكى ، ووصل إلى الرتب العالية ، ومن هؤلاء عنبر التكرورى الذى رقاه قايتباى سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م إلى نائب مقدم المماليك ، ثم رقى بعد ذلك إلى مقدم المماليك(3) .

وكما كانت بالسودان الغربى جالية مصرية أغلبها من التجار ، فقد كان بمصر جالية من التكاررة أغلبها من طلاب العلم والعلماء ، وذلك منذ العصر الفاطمى ، وممن اشتهر منهم فى مصر الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، أحد العلماء « وكان يعتقد فيه الخير » ، وهو الذى تنسب إليه منية بولاق والتى عرفت باسم « بولاق التكرورى »(4) .

واهتم سلاطين المماليك بجالية التكاررة فى مصر ، والذين كانوا فى الغالب طلاب علم ومعظمهم من الفقراء ، ومن مظاهر هذا الاهتمام مايذكره المقريزى من أن بركة خان بن الظاهر بيبرس « عمل للتكاررة والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير »(5) .

واصطحب طلاب العلم من التكاررة نساءهم وأطفالهم إلى مصر ، مما أدى إلى ازدياد أعداد جالية التكاررة ، ويؤكد هذا القول ما ترويه بعض المصادر

(1) كان المذهب المالكى هو المذهب السائد فى السودان الغربى .

(2) أنظر على سبيل المثال إبن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج .

(3) إبن إياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٢١ .

(4) المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٢٦ ، وتعرف حالياً بإسم بولاق الدكرور ، أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ جـ ٣ ص ٩ ، ١٠ .

(5) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٦٤٩ ، إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات جـ ٧ ص ١١٥.

من أنه فى سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م « كان بالقرافة الكبرى والصغرى من التكرور السودان نحو الثلاثة آلاف بين رجال ونساء وصغار »(١) .

وازاء كثرة أعداد التكاررة بمصر عمد بعض سلاطين المماليك إلى تعيين أحد الموظفين ممن لهم المام بلغة التكرور فى بعض دواوين الحكومة ، وكان هذا الموظف يشغل منصباً كبيراً(٢) ، كما يذكر ابن خلدون أنه كان للتكاررة ترجمان بمصر هو الحاج يونس التكرورى(٣) .

وكانت زيارة منسا موسى للقاهرة فرصة طيبة لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر والسودان الغربى ، فقد حرص منسا موسى على شراء « عدة كتب من فقه المالكية » ليوفر لأهل مملكة طرفا من الثقافة المصرية(٤) ، كما اصطحب معه فى طريق عودته إلى بلاده عدداً كبيراً من العلماء ولا سيما من مصر والمغرب والأندلس(٥) .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكتب من أهم ما يستورده سكان السودان الغربى من مصر ، وبخاصة فى عهد الأسيكين حيث نشأت حرفة الوراقين تقليداً لما كان موجوداً فى المغرب ومصر(٦) .

واشتهرت بالسودان الغربى مدن تنبكت ، ومالى ، وجنى ، وجاو كمراكز للثقافة الإسلامية ، وقد عاش العلماء المصريون فى هذه المراكز ، ومن العلماء المصريين الذين لقيهم ابن بطوطة فى رحلته لدولة مالى الفقيه شمس الدين النقويشى المصرى ، فضلا عن الطبيب المصرى الذى عالج ابن بطوطة(٧) .

---

(١) إبن الصيرفى : نزهة النفوس جـ ٣ ص ١٨٩ .

(٢) سر الختم عثمان : مرجع سابق ص ١١٩ .

(٣) إبن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ٢٠١ .

(٤) المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٥) د . إبراهيم على طرخان : دولة مالى ص ٥١ .

(٦) Leon L 'AFricain : op. cit. Vol. I.p. 148.

(٧) إبن بطوطة : مصدر سابق جـ ٤ ص ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٣.

ومن أمثلة العلماء المصريين الذين رحلوا إلى السودان الغربى على بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى ثم المصرى الذى رحل إلى بلاد التكرور « وأقرأ أهلها القرآن فحصل له مال » ، ثم عاد إلى مصر حوالى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م (١) .

ومن العلماء المصريين من رحل إلى السودان الغربى واستقر هناك مثل قاضى القضاة المالكية بمصر محمد بن يوسف الأندلسى الذى رحل إلى بلاد التكرور بعد سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣ م ، وظل بالسودان الغربى حتى وفاته سنة ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م(٢).

وكان ببلاد التكرور ذرية للشيخ محمد الشربينى شيخ طائفة الفقراء الصوفية بالشرقية من أعمال مصر(٣) .

ومن علماء مصر المشهورين ، والذين كانت لهم مكانة كبيرة فى السودان الغربى جلال الدين السيوطى ، والذى يذكر فى ترجمته الذاتية أنه سافر إلى بلاد التكرور (٤) ، وكان لمؤلفاته شهرة كبيرة فى بلاد السودان الغربى (٥) ، ويقال أن السيوطى زار مدينة كاتسينا من مدن الهوسا ، ودرس بها فترة من الزمن ثم عاد إلى مصر سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م(٦) .

وكان السيوطى صديقاً للأسكيا محمد الكبير سلطان سنغاى ، فقد قابله بالقاهرة خلال عودته من الحج ، واجتمع به ، وناقشه فى بعض الأمور ، وتنبأ السيوطى له بعظم ملكه ، ويقال أن أسكيا محمد كان لا يقبل على ابرام أى عمل هام من أعمال مملكته إلا بعد الاتصال بالسيوطى ومشاورته(٧) .

---

(١) إبن حجر . أنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٦ ترجمة رقم ٢٦ .
(٢) الغزى : الكواكب السائرة ج ١ ص ٧٣ .
(٣) توفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م – نفس المصدر ج ١ ص ٩٢ .
(٤) السوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ .
(٥) الغزى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٨ .
(٦) د . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية ص ٤١ .
(٧) محمود كعت : مصدر سابق ص ص ١٢ – ١٦ ، وأنظر أيضاً :

Sartain, E.M., : Jalal ad din as Suyuti's relations with the people of Takrur, in Journal of Semitic Studies, XVI, 1971, pp. 193—198.

ولم يقتصر الأمر على رحيل علماء مصر إلى السودان الغربى ، أورحيل علماء السودان الغربى إلى مصر ، فقد تبادل الجانبان الرسائل حول المسائل الفقهية التى تحتاج إلى دراسة من أحد الجانبين ، ومثال ذلك الرسالة التى أرسلها الشيخ شمس الدين محمد اللمتونى من السودان الغربى إلى العالم المصرى عبد الرحمن السيوطى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م ، والتى احتوت على مشكلات فقهية مختلفة ، وقد أجاب عنها السيوطى فى رسالة سماها « فتح المطلب المبرور ، وبرد الكبد المحرور فى الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور »(١) .

واستمرارا لتبادل الرسائل بين علماء السودان الغربى وعلماء مصر فى عصر سلاطين المماليك نجد أن العالم السودانى أحمد بابا التنبكتى(٢) يكتب إلى علماء مصر يطلب الفتوى فى بعض المسائل الفقهية التى اشكلت عليه فيقول فى رسالته : « فبينوا لنا أيدكم الله تعالى ، ماعندكم فى ذلك من منقول ومعقول أدام الله تعالى معاليكم وأسعد مساعيكم . . »(٣) .

---

(١) د . حسنين محمد ربيع : منهج السيوطى فى كتابة التاريخ (بحث مقدم إلى ندوة السيوطى بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية - تحت الطبع)، وانظر نص رسالة السيوطى فى كتاب السيوطى : الحاوى فى الفتاوى - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد حـ ١ ص ٤٥١-٤٥٥ ، وللسيوطى رسالة ثانية موجهة إلى ملوك التكرور ينصحهم ويردهم إلى حكم الله ، وهى مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤١٦ مجاميع .

(٢) توفى سنة ١٠٣٦ هـ - ١٦٢٦ م عن ثلاثة وسبعين عاما . الناصرى : الإستقصا جـ ٥ ص ١٣١ .

(٣) أحمد بابا : مسائل إلى علماء مصر (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس) ، الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وسنغاى (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦) ص ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

مصادر البحث

أولا : المخطوطات :

١ — ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ — ١٣٧٧ م) :
تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه .
مخطوط بخط المؤلف بالمتحف البريطانى رقم Add. Rich 7335 يقوم على نشره وتحقيقه د. محمد محمد أمين صدر منه الجزء الأول (٦٧٨—٧٠٨ هـ) — القاهرة ١٩٧٦ .

٢ — ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ—١٣٤٨م :)
مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار .
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .

٣ — المحبى (تقى الدين عبد الرحمن بن المقر المحبى ت ٧٨٦ هـ — ١٣٨٤ م) :
تثقيف التعريف .
مخطوط بمكتبة كتابخانة أستان قدس (مشهد — إيران) رقم ١٩٣ .
يقوم على نشرها وتحقيقها عبد الرحمن أمين صادق كرسالة للدرجة الماجستير بكلية اللغة العربية — جامعة الأزهر .

٤ — مجموعة رسائل بالمكتبة الأهلية بباريس :

Recueils des Correspondance, aux Xv *es* entre les Sultans Mamluk et les Couvraus Contemporair, B.N. N*o* 440.

ثانياً : مصادر مطبوعة :

٥ — ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠ هـ — ١٥٢٤ م) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور .
تحقيق محمد مصطفى - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦١-١٩٦٣ .

٦ - ابن ايبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت بعد ٧٣٦ هـ - ١٣٣٥ م) :
كنز الدرر وجامع الغرر .
الجزء التاسع : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر - حققه هانس روبرت - القاهرة ١٩٦٠ .

٧ - ابن بطوطه (محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م) :
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
باريس ١٨٨٠ .

٨ - ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠ م) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
١٦ جزء القاهرة ١٩٢٩-١٩٧٢ .

٩ - ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) :
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
تحقيق محمد سيد جاد الحق ٥ أجزاء - القاهرة ١٩٦٦ .
أنباء الغمر بابناء العمر .
تحقيق د حسن حبشى ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢ .

١٠ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
٧ أجزاء - بولاق ١٢٨٤ هـ .

١١ - ابن دقاق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ت ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م) :

الإنتصار لواسطة عقد الأمصار .
(ج ٤ ، ٥) القسم الأول والثانى نشر فولرز — بولاق ١٣٠٩ هـ — ١٨٩٣م .

١٢ — ابن الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود ت ٩٠٠ هـ — ١٤٩٤ م) :
نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان .
تحقيق د . حسن حبشى ٣ أجزاء — القاهرة ١٩٧٠—١٩٧٤ .

١٣ — ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصرى ت ٨٠٧ هـ — ١٤٠٤ م (:
تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات) بيروت ١٩٣٦—١٩٤٢ .

١٤ — ابن فرحون (إبراهيم بن على اليعمرى ت ٧٩٩ هـ — ١٣٩٦ م) :
الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب
القاهرة ١٣٥١ هـ .

١٥ — ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ — ١٣٤٨م):
التعريف بالمصطلح الشريف
مصر ١٣١٢ هـ.

١٦ — أحمد بابا التنبكتى (ت ١٠٣٦ هـ — ١٦٢٦ م) :
نيل الإبتهاج بتطريز الديباج .
القاهرة ١٢٣٩ هـ .

١٧ — البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م) :
المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب .
الجزائر ١٨٥٧ .

١٨ — الجزيرى (عبد القادر بن محمد عبد القادر : من علماء القرن ١٠ هـ — ١٦م):
درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .
القاهرة ١٣٨٤ هـ .

١٩ – السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ – ١٤٩٦ م) :
التبر المسبوك فى ذيل السلوك .
بولاق ١٨٩٦ .

٢٠ – السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله ت بعد عام ١٦٥٥ م) :
تاريخ السودان .
نشر هوداس – أنجى ١٨٩٨ .

٢١ – السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ – ١٥٠٥ م) :
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . جزءان – الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٦٧ .
الحاوى فى الفتاوى .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . جزءان – القاهرة ١٩٥٩ .

٢٢ – الغزى (نجم الدين محمد بن رضى الدين ت ١٠٦١ هـ – ١٦٥١ م) :
الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة .
تحقيق جبرائيل سليمان جبور ٣ أجزاء – بيروت ١٩٤٥ .

٢٣ – القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ – ١٤١٨ م) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا
١٤ جزء – القاهرة ١٩١٩ – ١٩٢٢ .

٢٤ – محمد بلو بن عثمان بن فودى (ت ١٢٥٣ هـ – ١٨٣٧ م) :
انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور .
القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م .

٢٥ – محمود كعت (بن الحاج متوكل)
تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .
نشر هوداس – أنجى ١٩١٣ .

٢٦ ــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ ــ ١٤٤٢ م) :
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
حـ ١ــ٢ (٦أقسام) تحقيق د.محمد مصطفى زيادة ــالقاهرة ١٩٣٤ــ١٩٥٨ م .
حـ ٣ ــ ٤ (٦ أقسام) تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة .
١٩٧٠ــ١٩٧٢م .
المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار .
جزءان ــ بولاق ١٢٧٠ هـ ــ ١٨٥٤ م .
الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .
تحقيق د . جمال الدين الشيال ــ القاهرة ١٩٥٥ .
٢٧ ــ الناصرى السلاوى (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد) :
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
٩ أجزاء ــ الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
ثالثاً : المراجع العربية :
٢٨ ــ إبراهيم على طرخان (الدكتور) :
دولة مالى الإسلامية .
القاهرة ١٩٧٣ .
الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى .
مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ــ العدد الثانى ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ ص ص ١ــ٨٨ .
٢٩ ــ حسنين محمد ربيع (الدكتور) :
منهج السيوطى فى كتابة التاريخ .
(بحث مقدم لندوة السيوطى بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ــ تحت الطبع) .
٣٠ ــ سر الختم عثمان على (الدكتور) :
العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى فيما بين القرنين الثانى

عشر والرابع عشر (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعةالقاهرة ١٩٦٩) .
٣١ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :
العصر المماليكى فى مصر والشام .
القاهرة ١٩٦٥ .
المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك .
القاهرة ١٩٦٢ .
٣٢ ـ الشيخ الأمين محمد عوض الله :
العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وسنغى (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٦)
٣٣ عبد الرحمن زكى (الدكتور) :
تاريخ الدول الإسلامية السودانية .
القاهرة ١٩٦١ .
الأزهر وما حوله من الآثار .
القاهرة ١٩٧٠ .
٣٤ ـ عبد العظيم حامد خطاب (الدكتور) :
قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية (رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٧٣) .
٣٥ ـ عبد القادر زبادية (الدكتور) :
مملكة سنغاى فى عهد الأسيقيين .
الجزائر ١٩٧١ .
٣٦ ـ على بن حسين السليمانى (الدكتور) :
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك .
القاهرة ١٩٧٣ .

٣٧ ــ محمد أنور أبو علم :

دولة سنغاى الإسلامية .

تطورها الإقتصادى والإجتماعى والحضارى ١٤٩٣ــ١٥٩١ (رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٧) .

٣٨ ــ محمد محمد أمين (الدكتور) :

العبدلاب وسقوط مملكة علوة .

(مجلة الدراسات الأفريقية ــ العدد الثانى ١٩٧٣) .

٣٩ ــ محمد عبد المنعم خفاجى :

الأزهر فى ألف عام .

٣ أجزاء ــ القاهرة ١٩٥٥ .

٤٠ ــ منى إبراهيم عبد الرحمن :

السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك .

(رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥) .

٤١ ــ نعيم زكى فهمى (الدكتور) :

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى

القاهرة ١٩٧٣ .

٤٢ ــ نعيم قداح :

أفريقية الغربية فى ظل الإسلام .

كوناكرى ١٩٦٠ .

حضارة الإسلام وحضارة أوربا فى أفريقيا الغربية .

الجزائر ١٩٧٥ .

رابعاً : مراجع بلغات أوربية :

43—Bovill, E.W·

The Golden Trade of the Moors, London, 1958.

44—Darrag, A.

L'Egypte sous le Regne de Barsbay, Damas, 1961.

45—Delafosse, M.

Haute—Senegal—Niger, 3 vols. Paris, 1912.

46—Fage, J.D.

— An Atlas of African History, England, 1973.

— An Introduction to the History of west Africa, Cambr. 1959.

47—Froelich, J.C.

Essai sur les causes et methodies de l'Islamisation de l'Afrique de l'Ouest du XIe Siecle au XXe Siecle, Islam in Tropical Africa, ed. Lewis, I.M. Oxford, 1969.

48—Garcin, J.C.

Un Centre Musulman de La—Haute— Egypte Medievale : Qus, le Cairo, 1976.

59—Gouilly' A.

L'Islam dans L'Afrique Occidentale Francaise, Paris, 1952.

50—Le Chatelier, A.

L'Islam dans L'Afrique Occidentale, Paris, 1899.

51—Lèon L'Africain :

Description de l'Afrique, 2 vols., Paris, 1896.

52— Levtzion, N.

The Early States of the Westertn Sudan to 1500, History of west Africa, ed. Ajayi, J.F.A., Vol. I., Great Britain, 1976.

53—Lombard' M.

l'Or Musulman du VIIe au XIe Seicle, Annales (E.S.C.) II (1947) pp. 143—160.

54—Monteil, Ch.

Les Empires du Mali, Paris, 1930.

55—Panikkar, K.M.

The Serpent and and the Crescent, A History of Negro Empires of western Africa, Bombay, 1963.

56—Robert Laffont.

Les Memoires de l'Afrique, Pairs, 1972.

57—Rouch, J.

Les Songhay, Paris, 1954.

58—Sartain, E.M.

Jalal ad din as Suyuti's relations with the people of Takrur, Journal of Semitic Studies, XVI, 1971, pp. 193—198.

59—Trimingham, J.S.

— A History of Islam in west Africa, Oxford, 1970.

— Islam in west Africa, Oxford, 1961.

— The Influence of Islam upon Africa, Liban, 1968.

60—Umar AL—Naqar,.

Takrur, The history of the name, Journal of African History, (J.A.H.), X, 3 (1969), pp. 365—374.

Printed by
Press and University Book Department
AL BRINCE H. HUSSEIN
Supervisor General
10-5-1978

Cairo Univ. **Press, 456-1976-900** ex.

Acknowledgement

The auther wishes to thank the directors of : Amir El-Shouara primary school, Sherbin Prep. school (shihata) and Kalabska primary school. The auther also acknowledges especially Dr. F. H. Hussioen.

Bibliography

1. BRONISLAW, JASICKI : "The development of body height, weight and some indices of body build in children and youth in the western Desert in Egypt." *In* : Publication of the Joint of Arabic - Polish Anthropological Expedition. 1958/1959, Part II, 1964.
2. BROZEK, JOSEF : "Quentitative description Body Composition" *In* : Current Anthrology, Vol.4, 1963.
3. CRAIG, J.I. : "An Anthropological Survey of Egypt". *In* : Cairo Scientific Journal. Vol.5, No.58, July 1911.
4. EUGENIA, STOLYHWO : "Age changes of anthropological characters of children and youth of the Western Desert of Egypt." *In* : Publication of J. of Arabic-Polish A. E., 1958/1959, Part III, 1964.
5. VALLOIS, H.V. : "Anthropometric Technique". *In* : Current Anthropology, Vol. 6, No.2, April 1965.

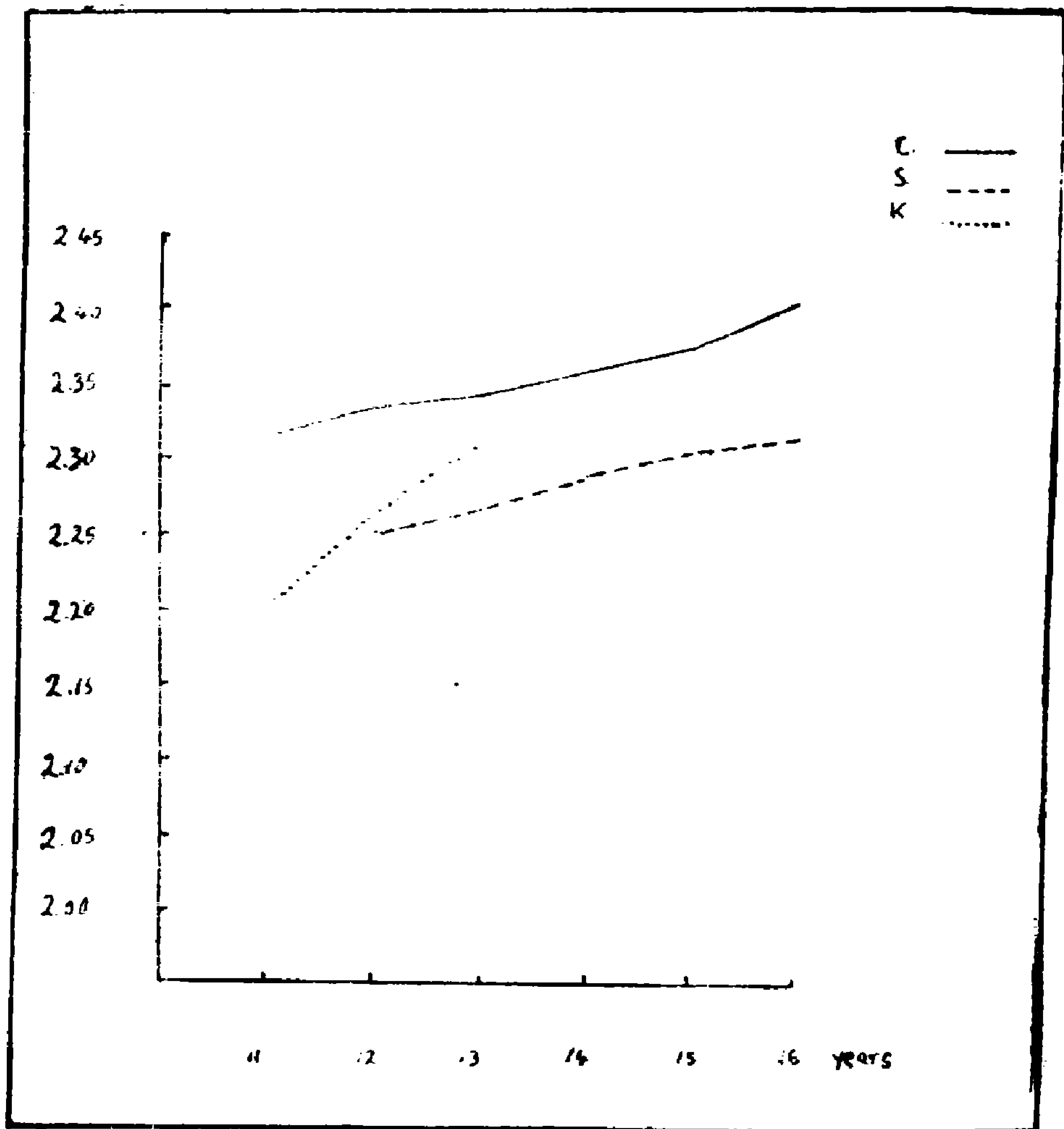


Fig. 7— Pondral Index Girls

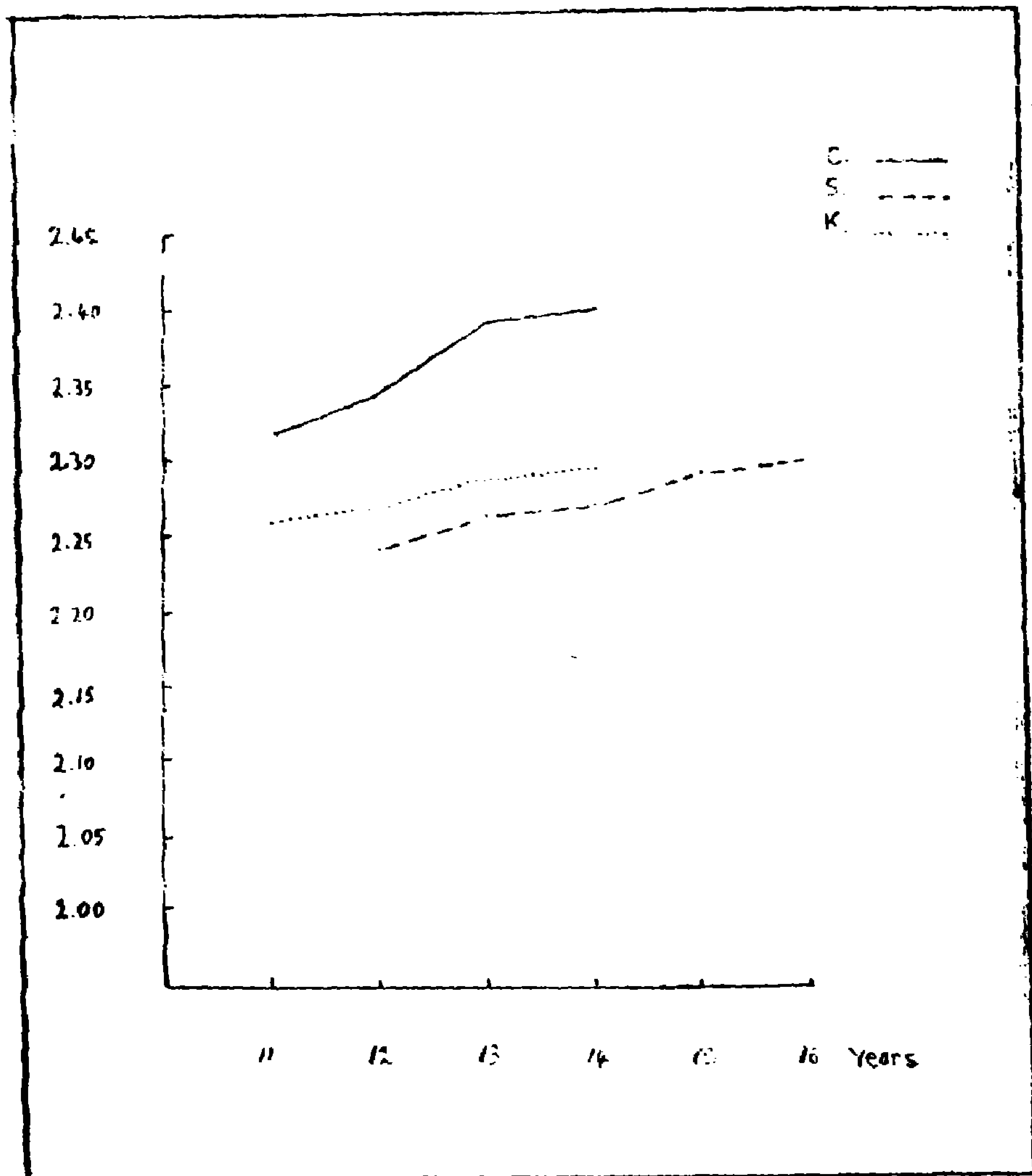


Fig. 6— Pondral Index Boys

Table 10 — Ponderal Index (Levis 's Index) of Children from:
Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo in Percentage of thier index at age 11 .0±0 .5

Age	Boys						Girls					
	Cairo		Sherbin		Konouz		Cairo		Sherbin		Kouzon	
	N	%	N	%	N	%	N	%	N	%	N	%
11 .0±0 .5	5	100 .00			7	100 .00	2	100 .00	—		2	100 .00
12 .0±0 .5	21	100 .86	3	100 .00	24	100 .44	14	100 .43	12	100 .00	12	102 .73
13 .0±0 .5	9	103 .02	9	100 .89	1	100 .88	3	100 .86	15	100 .44	5	105 .00
14 .0±0 .5	2	103 .45	22	101 .34	1	101 .33			15	101 .33		
15 .0±0 .5			8	102 .23			2	102 .16	23	102 .22		
16 .0±0 .5			13	102 .68			1	103 .45	9	102 .66		

Table 9 — Ponderal Index (Levis 's Index) of Girls from:
Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S
11.0±0.5	2	2.32±0.13	0.18±0.09				2	2.20±0.04	0.06±0.03
10.0±0.5	14	2.33±0.02	0.09±0.02	12	2.25±0.03	0.10±0.02	12	2.26±0.03	0.10±0.02
13.0±0.5	3	2.34±0.03	0.06±0.02	15	2.26±0.03	0.11±0.02	5	2.31±0.04	0.09±0.02
14.0±0.5				15	2.28±0.02	0.07±0.01			
15.0±0.5	2	2.37±0.02	0.03±0.02	23	2.30±0.01	0.06±0.01			
16.0±0.5	1	2.40		9	2.31±0.01	0.05±0.01			

Table 8— Ponderal Index (Levis's Index) of Boys from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	X	S	N	X	S	N	$\bar{X}$	S
11.0±0.5	5	2.32±0.05	0.11±0.03				7	2.26±0.05	0.14±0.02
12.0±0.5	21	2.34±0.02	0.10±0.02	3	2.24±0.07	0.12±0.05	24	2.27±0.02	0.09±0.01
13.0±0.5	9	2.39±0.10	0.30±0.07	9	2.26±0.34	1.01±0.24	1	2.28	
14.0±0.5	2	2.40±0.15	0.21±0.11	22	2.27±0.02	0.09±0.01	1	2.29	
15.0±0.5				8	2.29±0.36	1.02±0.26			
16.0±0.5				13	2.30±0.02	0.08±0.02			

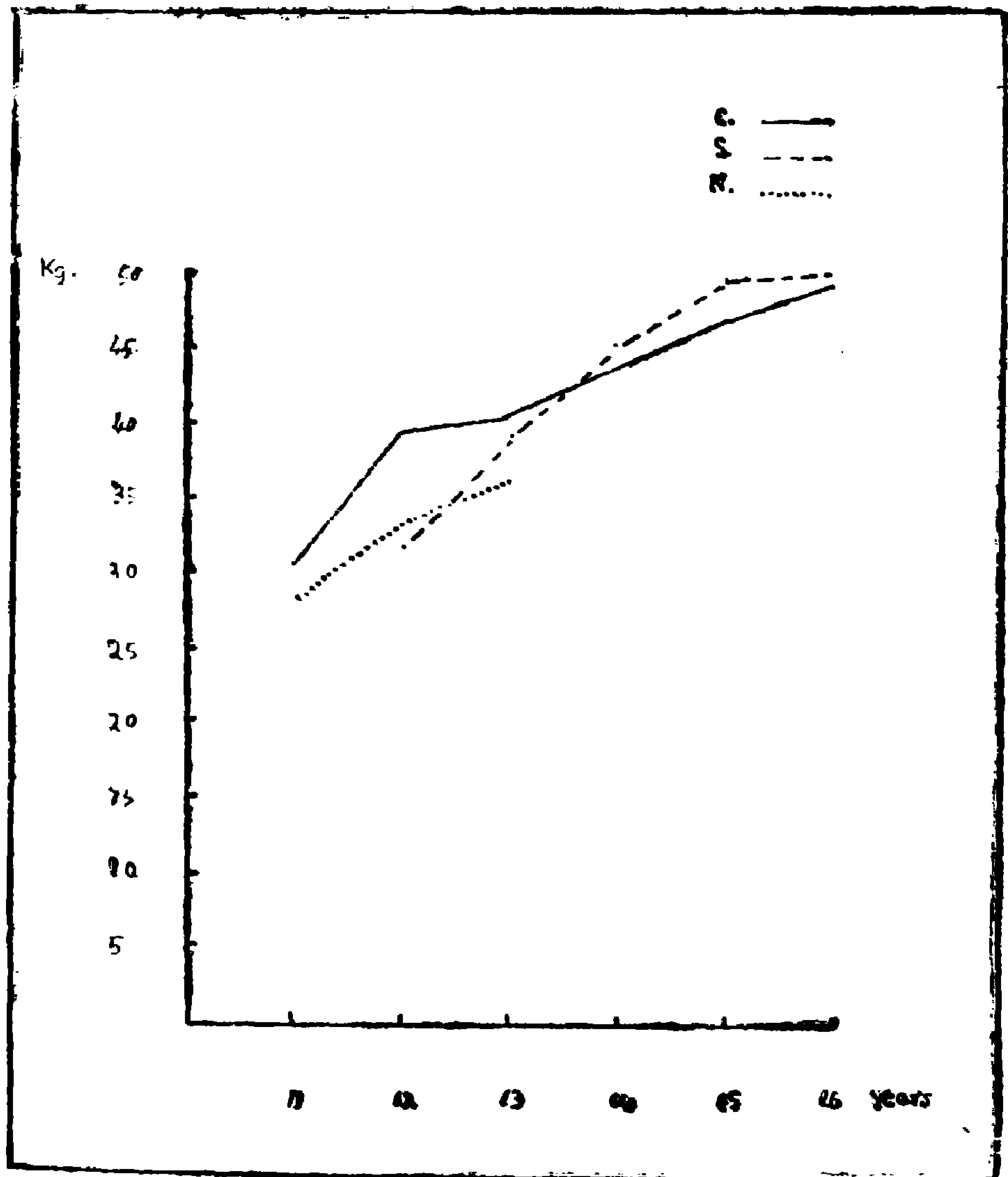


Fig. 5— Weight of Girls

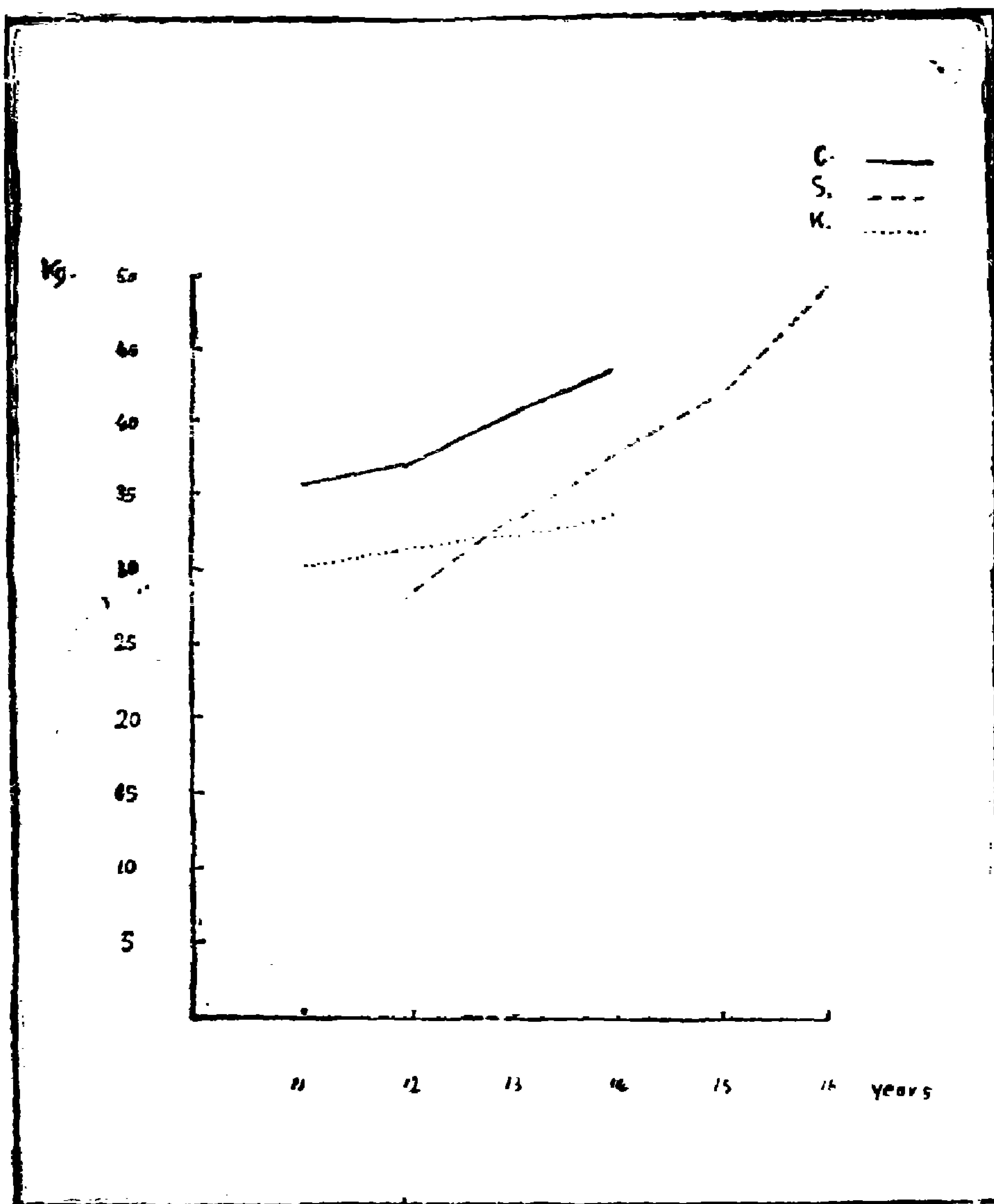


Fig. 4—Weight of Boys

Table 7 — Weight of Children from Cairo Sherbin
and Konouz of Kom Ombo in Percentage of thier weight at the age 11.0±0.5

Age	Boys						Girls					
	Cairo		Sherbin		Konouz		Cairo		Sherbin		Konouz	
	N	%	N	%	N	%	N	%	N	%	N	%
11.0±0.5	5	100.00	—		7	100.00	2	100.00	—		2	100.00
12.0±0.5	21	103.69	3	100.00	24	101.33	14	129.18	12	100.00	12	118.93
13.0±0.5	9	116.48	9	116.96	1	102.99	3	131.15	15	121.36	5	131.43
14.0±0.5	2	123.58	22	133.22	1	106.31			15	139.63		
15.0±0.5			8	149.82			2	150.82	23	152.63		
16.0±0.5			13	172.79			1	157.38	9	153.56		

Table 6— Weight of Girls from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S
11.0±0.5	2	30.5±1.50	2.12±1.06				2	28.0±2.00	2.83±1.48
12.0±0.5	14	39.4±1.98	7.42±1.40	12	32.3±0.54	1.88±0.38	12	33.3±2.09	7.23±1.84
13.0±0.3	3	40.0±2.31	4.0 ±1.63	15	39.2±1.66	6.41±1.17	5	36.8±1.39	3.11±0.98
14.0±0.5				15	45.1±0.78	3.02±0.55			
15.0±0.5	2	46.0±7.50	10.61±5.31	23	49.3±1.90	9.09±1.34			
16.0±0.5	1	48.0		9	49.6±2.75	8.24±1.94			

Table 5— Weight of boys from: Cairo, Sherbin and konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	$\overline{X}$	S	N	$\overline{X}$	S	N	$\overline{X}$	S
11.0±0.5	5	35.2±3.93	8.78 ± 2.78				7	30.1±0.60	1.58±0.42
12.0±0.5	21	36.5±1.04	4.79 ± 0.74	3	28.3±1.20	2.08±0.85	24	30.5±1.03	5.04±0.73
13.0±0.5	9	41.0±4.19	12.56±2.96	9	33.1±3.09	9.27±2.18	1	31.0	
14.0±0.5	2	43.5±2.50	3.54 ± 1.77	22	37.7±2.23	10.44±1.57	1	32.0	
15.0±0.5				8	42.4±3.41	9.64±2.41			
16.0±0.5				13	48.9±2.24	8.06±1.58			

Data of the percentage differences between weight at the ages of 11 .0±0 .5 and 13 .0±0 .5 are given in the following table.

	Cairo	Sherbin	Konouz
Boys	16.48	16.96	2.99
Girls	31.15	21.36	31.43

Changes in the means of weight are to some extent silmiar to the means of height, which is of course quite comprehensible.

Ponderal Index : Statistical data and analyses of body charcterization are shown in the tables 8 and 9, and figures 6 and 7.

The arithematic means of the groups coppared show that children (boys. and girls) of Cairo are bigger in general than those of konouz and Sherbin.

It follows from this table that the arithmetic means of ponderal Index at the age of 13 .0±0 .5 in the particular investigated series increase by the following amounts :

	Cairo	Sherbin	Konouz
Boys	3.02	0.89	0.88
Girls	0.86	0.44	5.00

Boys from Sherbin show a small increase in Ponderal Index than those of Cairo which shows a larger increase. In this period the girls from konouz show a larger increase.

Conclusion

This paper deals with the constitution and the develpoment of children in Egypt. The author chose three different environments to obtain the measurements and compare their results with each other.

The comparison shows and increase in children of Sherbin (boys and girls) in each of the three categories : stature, weight and Ponderal Index ; especiall boys and in stature and weight.

These differences may lie both in the individual measurements and their mutual proportions as conceived from the Ponderal Index and the rate of growth and its changes with age. They may be caused on the one hand by the modifying action of the external environment in the widest sense of this word, especially the nutrition effect, more than the anthropological differences of the groups compared.

Table 4— Stature of Children from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo in Percentage of thier height at the age of 11.0±0.5

Age	Boys						Girls					
	Cairo		Sherbin		Konouz		Cairo		Sherbin		Konouz	
	N	$\bar{X}$	N	$\bar{X}$	N	$\bar{X}$	N	$\bar{X}$	N	$\bar{X}$	N	$\bar{X}$
11.0±0.5	5	100.00	—		7	100.00	2	100.00	—		2	100.00
12.0±0.5	21	100.79	3	100.00	24	100.29	14	107.29		100.00	12	101.65
13.0±0.5	9	105.24	9	11.65	1	100.80	3	109.00	15	108.07	5	103.37
14.0±0.5	2	112.69	22	111.95	1	101.17	—		15	110.39		
15.0±0.5			8	112.02			2	116.37	23	11.92		
16.0±0.5			13	120.87			1	117.19	9	112.57		

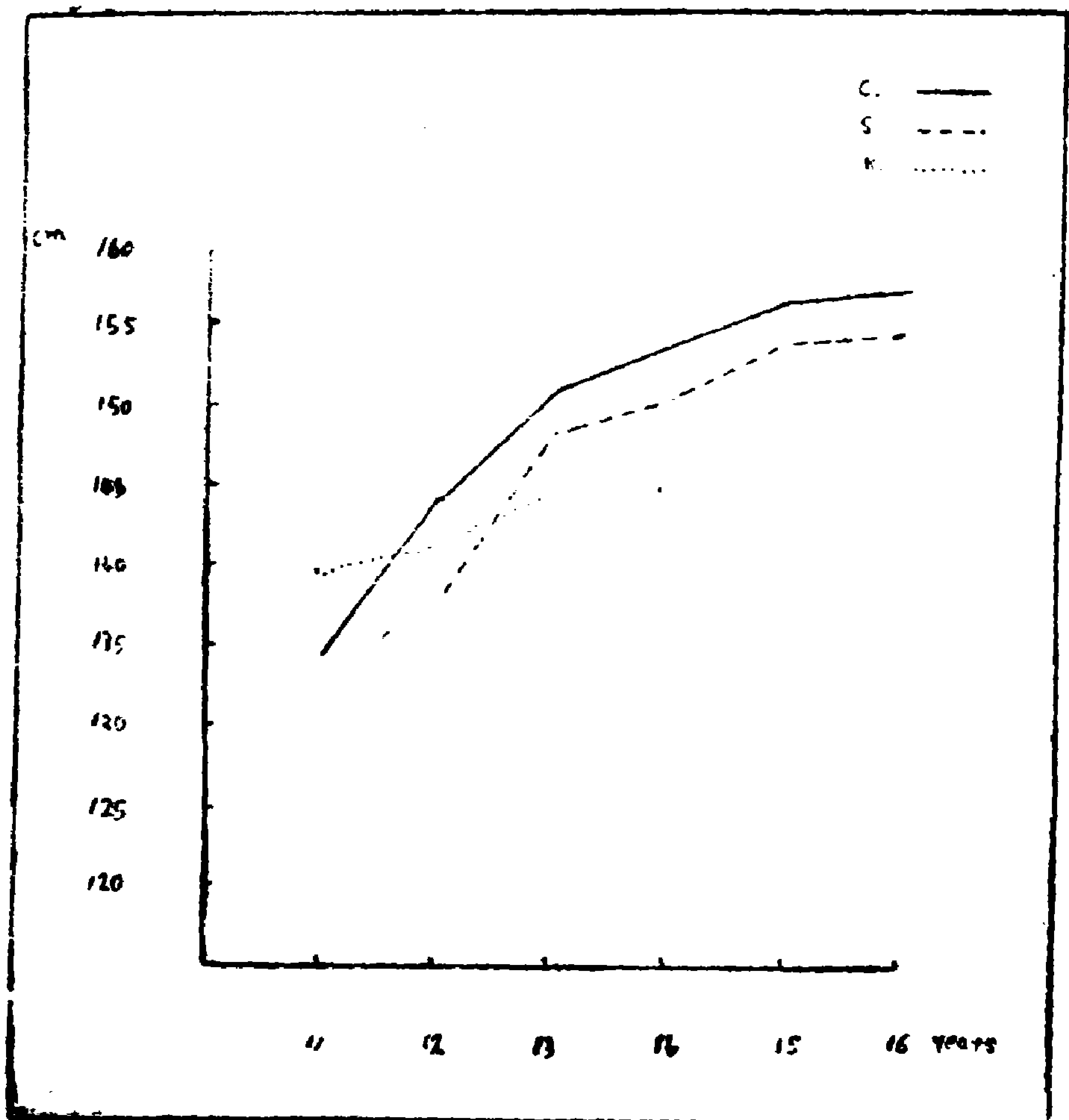


Fig. 3—Stature of Girls

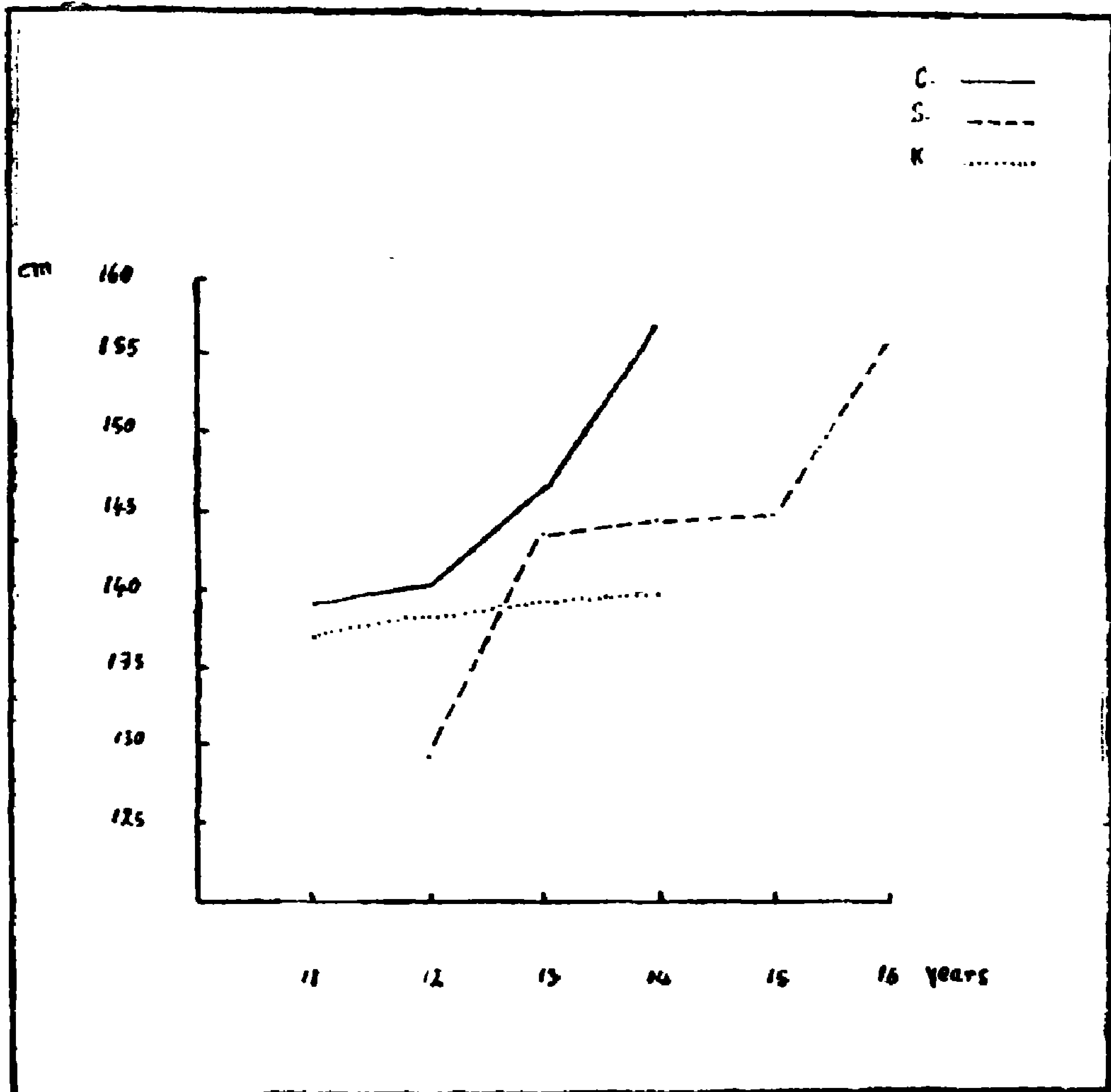


Fig. 2—Stature of Boys

Table 3— Stature of Girls from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S
11.0±0.5	2	134.4±1.48	2.09±1.05				2	139.4±2.14	3.02±1.51
12.0±0.5	14	144.2±1.67	6.26±1.18	12	137.6±1.43	4.96±1.01	12	141.7±1.85	6.41±1.31
13.0±0.5	3	146.5±2.42	4.19±1.71	15	148.7±1.66	6.43±1.17	5	144.1±0.75	1.68±0.53
14.0±0.5				15	151.9±1.79	6.92±1.26			
15.0±0.5	2	156.4±4.98	7.04±3.52	23	154.0±4.80	4.44±0.65			
16.0±0.5	1	157.5		9	154.9±3.29	9.88±2.33			

Table 2— Stature of Boys from: Cairo, Sherbin and Konouz of Kom Ombo

Age	Cairo			Sherbin			Konouz		
	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S	N	$\bar{X}$	S
11.0±0.5	5	139.4±2.69	6.02 ± 1.90				7	137.3±2.11	5.59±1.49
12.0±0.5	21	140.5±1.25	5.75 ± 0.89	3	128.9±2.90	5.03 ± 2.05	24	137.7±1.56	7.66±1.11
13.0±0.5	9	146.7±4.71	14.14±3.33	9	143.8±2.45	7.34 ± 1.73	1	138.4	
14.0±0.5	2	157.1±2.60	3.68 ± 1.84	22	144.3±2.19	10.27±1.55	1	138.9	
15.0±0.5				8	144.4±4.57	12.93±3.23			
16.0±0.5				13	155.8±3.25	11.73±2.30			

Results

Stature : The statistical data necessary for a characterizatin of heigth development in boys and girls from each of Cairo, Sherbin and Konouz are presented in table 2 and 3, and also in figures 2 and 3,

The arithmetic means of the groups compared show that boys and girls from Cairo are taller in general than children of the same age in Sherbin town and of the Konouz group.

It is difficult to judge hight difference among children in konouz during the initial stage of maturity on account of lack of material. It might only be remarked that hight overage of girls at the ages of 120±0.5 and 13.0±0.5 is greater than that of boys.

The absolute measurement and rate of change in relation to age may be shown by comparing the height differences in the age groups 11.0±0.5 and 16.0±0.6 as well as these in any other age, these differances may show the average increase.

The appropriate data are given in table 4.

It follows from this table that arithmetic means of height at the age 13.0 in this particular series inverstigates increase by the following amounts :

	Cairo	Sherbin	Konouz
Boys	5.24	11.56	0.80
Girls	9.00	8 .07	3.37

The boys and girls of Sherbin show an increase which is langer than that of those of Cairo.

Weitht : The statistical characterization of the weight is shown in tables 5 and 6, and figures 4 and 5.

With reference to weight the picture which emerges is similar to that relating relating to stature. Children from konouz are lighter in weigth than those from Sherbin and Cairo, especially the first. These relations of the mean weight are quite understandable when referred to the mean heights.

Smallest children are at the same time the lightest in weight.

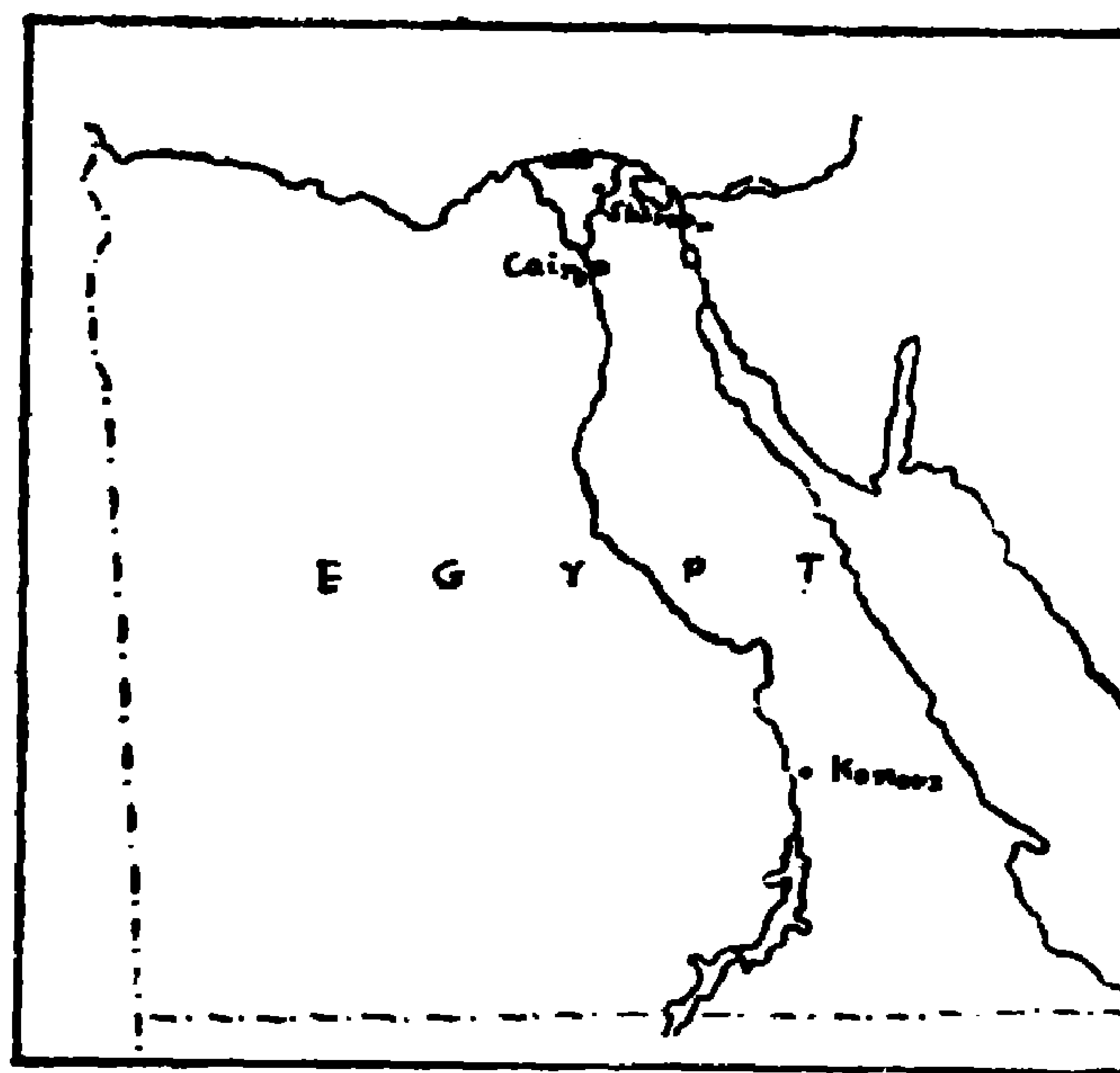


Fig. 1— Location Map

The following formula is thus used :

$$\text{Ponderal Index} = \frac{100 \times \sqrt[3]{\text{weight}}}{\text{Stature}}$$

Calculation of statistical analysis was done according to the formua :

$$\bar{X} = \frac{F}{n}$$

$$\sigma = S = \sqrt{(\bar{X}\text{-}x) \, / \, (n\text{-}I)}$$

$$SE_{\bar{X}} = \frac{\sigma}{\sqrt{\sigma n}}$$

$$SE_{\sigma} = \frac{\sigma}{\sqrt{2n}}$$

These statistical analyses were made on the amount of : height, weight and Ponderal Index.

The collected material was elaborated in three series. The first is represented by sex (boys and girls) from Cairo City. This series is represented by the group aged II ± 0.5 — 16 ± 0.5 years.

The three presented series come from different environments so it seems more appropriate to elaborate them separately in order to comprehend any possible differences between them.

Material and Methods

School age boys and girls, 240 in number, varying in age from II.0±0.5 years were randomly selected and equally distributed from the three mentioned environments in Egypt (figure I). The datas were collected by the author himself in 1973 by the way especially the data of the Konouz during the research work of the PH.D. dissertation at the New Nubia in Kom Ombo. Some of series ages limited to ringle individuals.

The measurements were taken by : Anthropometer and Weight Beam Scale and from thier results the Ponderal Index was taken.

TABLE I

The number of cases and percentage accourding to sex and location

	Tatal		Cairo		Shenbin		Konouz	
	N	%	N	%	N	%	N	%
mal ♂	125	100.00	37	29.60	55	44.00	33	26.40
femal ♀	115	100.00	22	19.13	74	64.35	19	16.52
♂ + ♀	240	100.00	59	24.58	129	53.75	52	21.67

African Studies, V. 4, (1975)

THE DEVELOPMENT OF STATURE, WEIGHT AND PONDERAL INDEX IN CHILDREN IN THREE DEFFRENT ENVIRONMENTS IN EGYPT

Key words : Growth. Children. Egypt

By

DR. FARŪQ 'ABD AL-JAWWAD SHUWAYQAH

Dapt. of Anthropology, Inst. of African Research & Studies, cairo Univensity

نمو الأطفال فى القامة والوزن ومعامل بوندلر فى ثلاث بيئات متباينة فى مصر

جمع الباحث قياسات عن ارتفاع القامة ووزن الجسم لعدد ٢٤٠ حالة من الذكور والاناث لأطفال من مدينة القاهرة ومن بنـدر شربين ومن قرية كلابشـة الجديدة ، واستخرج منها معامل بنية الجسم بطريقة بوندلر .

وصنف المادة المجمعة طبقا للنوع ولفئات السن - ثم اجرى عليها بعض عمليات التحليل الاحصائى حيث اتضح قلة التباين بين المجموعات الثلاث وان كانت مجموعة بندر شربين تتفوق على المجموعتين الاخريين بدرجة قليلة ، ويرجع هذا غالبا الى تأثير التغذية والبيئة أكثر مما يرجع الى الفروق الانثروبولوجية .

فاروق عبد الجواد شويقة

Introduction

The present paper elaborates the changes of stature and body weight according to age in three different environments in Egypt. The first one is Cairo city, the secord is Sherbin town in mideast Delta and the third one is the new Nubia's homeland at Kom Ombo in upper Egypt.

are however allegations regarding the middle east crisis, that Zambia among other African states severed relations with Israel in order tc obtain favourable oil terms - to say the least this is tantamout fo ae obtain favourable oil terms - to say the least this is tantamount to accusing a country of corruption. We refuted this in the strongest terms and still do.

It will be realised that the oil weapon wax only used after the war and not before. It is apparent therefore that oil issue playde no part in our decisiond to severe relationship with Israel. There were two main principles which influenced our decision. These were that Egypt as an Aferican country needed our support. and secondly, We do not approve of the expansionist polices which were the main reason behind Israel's aggression.

(ii) Economically there is a lot of room for Zambia and the Arab states to exploit. It must however be remembered. Without being too emmotional, that both Zambia and Arab countries are developing nations and consequently they both are producers of raw material- same as African states are to each other. But in those fields where certain commodities can be exchanged. Let us do so. Where joint ventures are a viable propositions ler us promote them to our mutual advantages.

Mr. Chairman, ladies and gentlemen, berore I pause for questions and discussions. Let me say again how grateful I am to have been offered this opportunity of speaking to you and exchanging ideas. Such forums, if regular, will in my opinion provide an atmosphere for promoting understanding and cementing good knowledgeable relationship. My sincere thanks go to Dr. Salwa Labib in particular for having encouraged me to find thime to come and speak.

Longe live Africa

Long live Afro-Arab solidarity.

Thank you

Date : Wednesday, 16th april, 1975

3 . *Tanzam Railway*

In 1965 soon after the U.D.I. It became obvious to zambia that she could no longer rely on the railway routs which passes through racially controlled countries. Zambia had to find alternative routes. The construction of a railway to the east coast - through Tanzania was therefore given serious consideration, and hence the birth of the «Great freedom raliway». There had been however an earlier survey of this railway - by a British firm in 1952- It was not considered economical to build it then because the area it was intended to traverse was undeveloped. Despite this conclusion we decided to build it in association with our brothers in Tanzania.

Zambian, unlike the colnnial government, is native and indigenious, Its outlook on economic development of the country is therefore different. Whatever we do now in Zambia is always calculated in long span policy. we believe in providing tools for development before we can expect a part of our country to develop - the horse must pull the cart, and not the other way round otherwise it is an accident. We therefore want to develop our country by long term planning not by accident. In this spirit we believe that the area which the railway will traverse will automatically catch up with the developments. What economic viability would one want other than transporting ones import and export commodities !

I was however fortunate to have been the railways first executive officer in 1968 and based in Dar-Es-Salaam. I served on the project for one year.

Both Tanzania and Zambia made a world wide appeal for building the railway the only nation that came to our aid, was the People's Republic of China who gave us generous loan conditions. It is expected that the railway will be operational uptompika in Zambia this year and completion is expected next year.

4 . *Zambia - Arab relation*

There is no doubt that Zambia's relations with Arab countries in terms of cordiality is very good indeed.

There are however tow aspects in this regard which one must examine to justify one's assertions, and these are the political and economic relations.

(i) There is no doubt that politically we speak one and the same language and hence our support for each other at international bodies like U.N. This, I would say is equally true for the whole of Africa. There

Is opposition within one party system feasible ?

The answer is yes ; provided it is contsructive. After all the function of the opposition is to provide creatue tension and awreness.

2. *Zambia's relations with Rhodesia and south Africa*

May I now turn to Zambia's relations with Rhodesia and South Africa.

We in Zambia do not hate the *Ian Smiths* of Rhodesia or *John Vorsters* of South Africa. We however hate their systems of government. We do so because their governments are both, oppressive and descriminatory. We had been through that system of government ourselves only the years ago, so know what it is and what it means.

Soon after independence in 1965 Ian Smith's government decared - UDI- Uniterial Declaration of Indepenedence. Economically this meant a lot of sufferings for us in Zambia. Smith began to control the supply of petrol for us and imposed heavier taxes on the coal to our mines etc... Because of our economic set up before independence, Smith was sure he would have us bend to our knees. To his surprise we survived. In 1973, he created another econonic strangulations.- Closure of the border between us and his country - which backtired and again we made it, thanks to you all here and many other friendly countries for support you gave both morally nad financially.

It is clear therefore that as far as we are concerned we have neither political nor economic relations with Rhodesia. Zambia could not have any diplomatic relation with Rhodesia since we do not recognise the government. In so far as South African is concerned, our only way to have trade with this country depended on the railway routs which passes throug Rhodesia. As we do not agree with their racial policy we de not therefore have any diplomatic, econmic or political cooperation.

Liberation struggle

It may be argued that we in fact have political relations with both Rhodesia and South Africa because of the recent events in Southern Africa which appeared to show that Zambia, among other countries, does in fact have relations.

If we are to assist in the achievement of independence by our brothers in Zimbabwe and Namibia for the moment and South Africa later, and there are avenues opened to us and within the guidelines or the O.A.U., We will facilitate the process. It is clear therefore that we may be misunderstood as we were in the case of Mozambique, but the resultant truth may be a clear proof of our honest.

Kenneth David Kaunda, on the 24th of october 1964 aftter nearly 84 years of colonial rule. As a british colony Zambia was then known as northern Rhodesia' The name "Zambia" which was adopted at independence is derived from river Z ambezi, the largest and longest river in the country.

After independence, Zambia was committed on one hand to safeguarding. This independence and on the other to persuing an ambitious national develo pment and reconstruction scheme. It is not my intention to say much about this as you will have read or seen for yourselves what achievements have been accomplished by my government just in 10 years of independence.

These achievements have only been possible through a well organized political system geared to save man and man alone. At independence and thereafter until december 1972 Zambia was a multi-pa rty state with U.N.I.P. The united national independence party and A.N.C. the african national congress as the two major parties.

In december 1972, the constiturtion was amended, after a democratic process by the commission of inquiry, to provide for a one party system and that party is U.N.I.P. It is the sole and the only legal political party in the cou ntry.

To appreciate this, It is important to understand here that the new system is in fact called a "one party participatory democracy". With "participatory democracy" as the operative words.

It was necessary to have a "one party" system because :

(a) It was the only way to provide a political climate for as many peopleas possible to participate in the development of the country.

(b) Ws were convinced that no useful purpose was served in having another party which was in no way providing the country with a constructive opposition.

(c) The oppostiion party had no chance of defeating the government in power, let alone forming a new converment because of its numerical inferiority in parliament.

(d) The findings of the commission of inquiry which had been appointed to look into whether or not there should be a one party system in the country ; confirmed our convictions that there was need and the answer was a "Democratic yes" (composition of commission).

African Studies, V. 4, (1975)

SPOTLIGHTS ON ZAMBIA'S RELATIONS WITH ARAB AND AFRICAN COUNTRIES*

MR. CHAIRMAN, LADIES AND GENTLEMEN,

I Feel highly honoured to have been invited to this distinguished univesity to speak to you about Zambia, the country which I repersent in the Arab Republic of Egypt in the capacity of an Ambassador.

While thanking you Mr. Chairman for the opportunity you have so generously accorded me this afternoon, permit me at the same time to laud you for the accurate timing of the invitation which came at a period when the name of my country has been frequently mentioned in the press in connection with the situation in southern Africa. Where as you know the diabolical system of apartheld like zionism has been bitterly condemned world side.

May, I, Mr. Chairman, digress a little here by saying that Egypt and Zambia have a common struggle and president Sadat's decision to storm the zionist soldiers across the canal on 6th october 1973 is an eye opener of what unity of a democartic people can achieve in dealing with an oppressor and an epasionist. For this and other reasons we must draw nearer to each other and close our ranks. With such a close affinity existing between Zambia and Egypt the need to know each other better in various fields of cooperation cannot be over-empeasised.

Due to time factor, however, I propose to deal briefly with four points with a view to leaving sufficient time for questions and discussions. I intend to deal with these points in this order :

1. Zambia's political set up - with particular reference to one party participatory democracy .

2. Zambia's relationship with rhodesia and South Africa.

3. Tanzam - Tanzara raliway.

4. Zambia - Arab relations.

1. *One party participatory democracy.*

Zambia became independent, under the dynamic leadership of H.E.DR.

Short notes on the talk delivered by H. E. Ambassador H.M. NZUNGA.

أضواء جديدة على العلاقات بين أكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين

د. فوزى مكاوى

الشواهد الحضارية كثيرة على قدم وعمق الصلات بين أكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية ومع ذلك فالمعروف عن احداثها قليل ، من هنا تظهر اهمية النقوش الأربعة الجديدة التى نشرها مطهر على الاريانى ، الباحث اليمنى ، ضمن مجموعة تربو على ثلاثين نقشا جديدا باللغة السبئية .

هذه النقوش الأربعة (أرقام ١٢ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٢٠) تتعلق بأحداث العلاقات الاكسومية السبئية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين ، وهى تضيف عددا من الحقائق التاريخية الجديدة كما تعدل أو تؤكد عددا آخر . ويمكننا أن نوجز مجمل ما قدمته هذه النقوش الأربعة فيما يلى :

(أ) يتحدث النقش رقم ١٢ عن الصراع العسكرى بين الاكسوميين والسبئيين خلال القرن الثانى الميلادى ، وهو يعتبر مصدرا تاريخيا جديدا يضاف الى نص قتبان أوكان الذى كان مصدرنا الرئيسى عن هذا الصراع حتى نشر النقش الجديد . وهذا النص يقدم معلومتين هامتين الأولى اتساع نطاق المواجهة العسكرية بين الطرفين عما ذكره نص قتبان أوكان ، أما المعلومة الثانية فهى الاشارة الى تأخر انسحاب الاكسوميين الى مستعمرتهم القديمة الى ما بعد وقت قتبان أوكان .

(ب) لا يضيف النقش رقم ١٩ أى جديد ولكنه يؤكد حدوث الصراع بين شعار أوتر والاكسوميين خلال القرن الثالث .

(جـ) يتحدث النقش رقم ٢٨ عن ابرام معاهدة سلام بين الاكسوميين والحميريين فى وقت سابق على عصر شامر الريدانى .

(د) تعود أهمية النقش الرابع (رقم ٢٠) الى انه يعدل الاعتقاد بانتهاء الوجود الاكسومى فى جنوب الجزيرة العربية على يد الشرح يحضب، حيث يتحدث عن استمرار الصراع فى عهد ابنه نشأكرب يأمن يهرحب الذى حكم بعد وفاته بعدة سنوات .

ويتركز هدف هذه المقالة فى محاولة اعادة صياغة احداث هذه العلاقات على ضوء ما قدمته النصوص الجديدة من معلومات .

دكتور/ فوزى مكاوى

b) The text (No. 28) adds new information about the attempts of the Himyarites to conclude alliance treaties with the Aksumites which do not only date back to the reign of Samir of Rydn, but also precede that reign, as Krb of Rydn had concluded before a similar treaty (which is almost the theme of the text).

c) The text (No. 20) sheds new light on the date of the termination of this phase of conflict through its reference to the continuation of the fight against the Aksumites during the reign of NS' Krb Y'mn Yhrhb son of 'Isrh Yhdb, which points to the delay of the Aksumite evacuation from Arab territory for some years to come after the date defined by previous researchers.

BIBLIOGRAPHY

— AHMED FAKHRY, *Dirasat fi Tarikh El-Sharq Al-Qadim* (Studies in ancient Eastern history) 2nd ed., Cairo, 1963.

— AHMED SHARAF EL-DIN, *Al-Tarikh Al-Thaqafi El-Yamani.* (The Cultural History of Yemen).

— FAWZY MIKAWY, *Mamakit Aksoum* (the Aksumite Kingdom) unbublished doctoral thesis in Arabic, Cairo, 1974.

— JAMME, A., *Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)*, Baltimore, 1962.

— MUTTAHAR ALI EL-IRYANI, *fi Tarikh Al-Yaman* (in Yemen History), 34 new inscriptions, explanation and interpretation), in Arabic, Cairo, 1973.

— PANKHURST, S., *Ethiopia a cultural history*, London, 1955.

— PROCOPIUS, *The History of Wars, The Persian War*, ed. and trans. H. B. Dewing Loeb classical Liberary), London, 1961.

— SERGEW HABLE SIELLASE, *Ancient and Medieval Ethiopian History*, Addis Ababa, 1972 .

— WINSTEDT, E.O., *The Christian Topography of Cosmas Indicopleustes*, Cambridge. 1909.

— WISSMANN, H., *Himyar Ancient History*, Museon. 77, 1964.

«H'n ...... one of the commanders of Ns' K (r) b Y'mn Yhrhb, king of Saba and Drydn, son of 'Isrh Yhdb and Y'tl (25) Byn Kings of Saba and Drydn offers to 'lmqh lord of 'wm a statue of gold, thanking him (=the god) because he fulfilled a'l his (the writer's) hopes when he (H'n) led the military expedition west-ward on behalf of his lord, the king.

He (H'n) came back vitorious with captives and booty from the 'hbsn, who were enemies (of his lord) and with them Rsm and the sons of 'shrn.

2. He (H'n) is also thankful for the might of 'lmqh as he (=the god) saved and cured him form a long illness. And he asks him (=the god) to go on fulfilling all his hopes and give him good male children and abundance of corn, and big incom: so that he might feel happiness and satisfaction. He also asks him (=the god) to save him from diseases and evils sought by the enemy, either near or far away, and asks for his (the god's) past and future bestowments and righteously invokes 'lmqh lord of 'wm.»

H'n mentions in this text his war against the Aksumites for his lord's (.. NS'Krb) sake. He also notes the continuation of the alliance between the Aksumites and the 'Shrn, as mentioned in other inscriptions. However, this text does not contain details about the battles. It is still important as it confirms the continuation of the conflict after the death of 'Isrh Yhdb Hence it would be appropriate to say that the date of the eventual decline of the Aksumite presence in Southern Arabia during the third century A.D. was later by some years than the date defined before, so as to coincide with the continuation of the conflict between them in the reign of NS' Krb Y'mn Yhrhb.

* * *

The following conclusions can be drawn from this study :

— As regards Aksumite- Southern Arabian relations during the second century A.D., the text of wfy 'drh. (No. 12 of the Al-Kuhali collection) confirms the extension of the confrantation between the two powers, as it encompasses new areas not dealt with in the inscription of Qataban Awkan on the same subject (Ja. 631). Wfy's text refers also to the continuation of the conflict for many years after the period of expeditions in which Qataban Awkan participated.

— As for the same relations in the third century A.D., however varied and diverse were the inscriptions discovered before, these new texts add the following facts :

a) The text (No. 19) confirms the existence of military conflicts between 'Isrh Yhdb and Y'zl Byn and the Aksumites.

---

(25) Y'Zl.

Adulis to Aksum took from eight to fifteen days according to the route followed by the traveller,(22) the voyage would have thus taken from 22 to 29 days for the outward journey and the same for the return , i.e. a total of two months .

This means that the ambassador remained in Aksum for about five months, Shich is a relatively long period for negotiations and the conclusion of a treaty especially as such a treaty does not refer to any difficaulies in its conclusion.

The reason for such a delay could be either that the ambassador waited for the return of the Aksumite king from his regonal wars, or that he had been performing other auxiliary tasks on route, which he did not mention because of their insignificance.

— However, whether this correlation between krb'l of Rydn and krb'l wtr Yhn'm was true or not,(23) it is doubtless that such a text deals with Aksum as a power sought by the southern Arabian king who was asking for peace and alliance.

The alliance between Aksum and Himyar against Saba continued into the reign of Samir of Rydn, who, as the inscriptions mention, succeeded in concluding an alliance with the Aksumite king Adbah, which provided for the participation of Aksumite forces with the Himyarites against the Sabaeans.

The Aksumite forces were led by Garmat son of the negus and Sabqulum one of his commanders.Samir and his Aksumite allies were able to inflict upon 'Isrh Yhdb king of Saba, heavy losses in the begining and hold the city of Sawum for about two years and a half. However, ultimate victory was on the side of the Sabaeans.

Wissman believes that these battles caused the final abolition of the Aksumite presence in Southern Arabia.(24) But the new inscription published by Muttahar El-Iryani which dates back to the reign of king Ns' Krb Y'mn yhrhb, king of Saba and DRydn, son of 'Isrh Yhdb, challenges such an opinion, as this inseription deals with the continuation of the Sa baean and Aksumite conflicl after the death of 'Isrh Yhbd and his son and successor watarum Yuhamin and the coronation of his son Ns' krb Y'mn Yhrhb. This text (no .20 the Al-Kuhali collection) says :

---

(22) Mikawy, op. cit., P. 228.

(23) See. F.N., No. 19.

(24) Wissmann, H.V., Himyar, ancient history, *Museon* 77 (1964).

Dhbb , who headed the delegation of Rydn to Aksum. The ambassador wrote an inscription (no.28 of the Al-kuhli collection) to offer his thanks to 'lmqh for success in performing his mission. The text goes as follows.

"1. Srh 'tt 'sw 'Dhbb ...... the commander of the tribes of Srwh and khwln khdlm offers a statue of gold to his god lmqh lord of 'wm thanking him because of his (=the writer's) safe return from overseas, where his lord, krb'l wtr Yhn'm king of Saba and Drydn and Hdrmwt and Ymnt, sent him with (an official) delegation to the land of Hbst and 'ksmn to the Negus.

His god 'lmqh favoured him when he retruned with peace accompanied by 'hqm and zlns, And He (=the god) favoured him when he enabled him to move for seven days and nights, then he arrived safely at the city of Mkhwn (Mocha). (20)

2. He thanks his god 'lmqh for his safe return with the 'hbsn delegation, after he had spent in that commission seven months overseas. He also thanks 'lmqh because he found his lord, kr'l wtr Yhn'm king of Saba and Drydn and Hdrmwt and Ymnt, in full health.

May he ('lmqh) bestow his blessings on his worshipper, Srh'tt to keep his hand and tongue, and to find the favour with his lord krb'l Wtr Yhn'm king of Saba and Drydn and Hdrmwt and Ymnt, and to bring for the for him fruits and crops of wheat, barley and other grains from all his lands."

from this fext, we draw the following conclusions :

— It seems that this treaty was of special significance to the king. Since the inscription mentioned above is wholly devoted to its conclusion and Srh 'tt was proud because it was he whom the king had cohosen to lead the side of Rydn in the delegation.

— Srh 'tt spent seven months in this mission. But if we suppose that the march from the capital of Rydn to Mokha took a week and crossing the Red Sea to Adulis took another week, and as we know that the distance from

---

(20) Procopius wrote in his book (the history of the wars) that " ... about opposite to Homeritae on the main land dwell the Aethiopians who are called Auxomitae because their King resides in the city of Auxomis. And the expanse of sea which lies between is crossed in a voyage of five days and nights, when a moderately favouring wind blows for here they are accustomed to navigate by night also since there are no shoals at all in these parts ... "
Procopius, *The histlry of the wars*, Loeb classical Library Bk. XIX.

(21) El-Iryani op. cit., PP. 147—150.

It is interesting to note here that though this inscription was dedicated to the god by two commanders, one of them only. namely Krb ‘tt of Grt, had partcipated in the expedition to support his lords, the kings of Saba.

After the Aksumites withdrew to their old colony because of their defeat at the hands of 'Isrh Yhdb and his ther Y'zl Byn, during the first phase of the conflict , no other strong rival appeared. Hence, both Sabaean kings attempted to extend their possessions at the expense of their neighbours and accordingly they go into conflict with some commanders of Arab monarchies.

King Krb'l of Rydn was subject to a sabaean in which he faced defeat at Wadi Aswar and was forced to retreat to Abwan and Yalka. Jamme says that krb'l of Rydn was forced to surrender to the sabaean kings who dominated the country. However, it seems that king Krb'l of Rydn renewed the struggle and thus invoked a new Sabaean invasion. Though king Krb'l of Rydn was encamepd within Hakirum, he was nevertheless besieged by the sabaeans wuntil he surrendered.

If krb'l of Rydn and krb'l Wtr Yhn'm were one and the same person, (19) it is clear that he allied himself with the Aksumites against the Sabaeans. The timing of this alliance coincided with his new struggle. Naturally ,eh found the Aksumites fully prepared to help him as they were harbouring a grudge against the two sabaean kings because of their past defeats. The details of the endeavours to establish the alliance of the Aksumites and the Rydnis against the Sabaeans were mentioned by the ambassador Srh ‘tt 'sw‘

(19) I tend to support the view of El-Iryani about the correlation between Krb'l of Rydn mentioned in the texts of 'Isrh Yhdb and Krb'l wtr Yhn'm, King of Saba and Rydn and Hdrmwt and Ymnt, mentioned in the inscriptions Ja 666—667 and the text No. 28 of the Al-Kuhali collection as Jamme could not trace back his lineage to any Arab dynasty (Jamme, op. cit., P. 376). Therefore Jamme came to believe that Krb'l wtr Yhn'm ruled after the dynasty of Yasrum Yuhan'm and nobody succeeded him after his death. It is likely that he should be correlated to an already present King mentioned in the texts of his enemies, though they spoke of him by his abbreviated name and numenclature. This indicates the animosity between them at that time. It is also more appropriate to delineate the period of his rule as contemporary to the Aksumite presence in Southern Arabia (the Aksumite presence there came to an end during the late 3rd century A.D.) as he contacted the Aksumites and allied himself with them. To say that he ruled from 325—330 A.D., as claimed by Jamme, can easily be refuted as he would be, in that case, contemporary with Ezana the Aksumite King who left many inscriptions which recorded his deeds, either significant or otherwise. If Ezana was the Aksumite King, who concluded a treaty of alliance and peace with the King Krb'l Wtr Yhn'm, this would have been mentioned by Ezana in his inscriptions.

also give them (=the writers) sound senses and faculties and good male children and plenty of good spring, winter, autum and summer crops. May he ('lmqh) provide them with good and fertile seasons, rains and abundant good fruits in all their lands which they plough and will plough in the east and on the mountains. May 'lmqh Thwn lord of' wm save therm from all kinds of evil of enemies either known or unknown to them.

4. Invoking the right of 'lmqh Thwn lord of 'wm and invoking the right of their lords 'lsrh Yhdb and his borther Y'Zl Byn kings of Saba and Drydn. »

We larn from this text that it was offered by the two commanders krb 'tt Ydf and s'd 'ttr Yskr. both sons of Grt to thank 'lmqh for four di fferent thirgs :

a) The victory achieved by the two Sabaean kinys 'ls rh Yhdb and his brother Y'zl Byn over the Aksumites and their allies and the booty they have won.

b) The safety of the commander krb 'tt of Grt and the triumph of the expedition in which he supported his lords, kings of Saba.

c) The Fulfillmment of the hopes of both the writers of the inscription giving them good crops and the construction of their house at the town of N'd.

d) The continuation of the god's support and care to his worshippers the writers of the inscription, giving them wealth and sons and saving them form all enemies ... etc.

It is obvious that the first two matters pertain to the Aksumite - Sabaean relations where the writers of the inscription mentioned the assault of the Sabaeans upon the Aksumites. This is also the same subject mentioned in the inscriptions (Ja. 574, 565, 590 and 576 published in Jamme's book.

However, it is irrelevant to believe that such a text deals with a new expedition especially as it does not provide exciting details. These two commanders might have been offering their oblation and thanks to 'lmqh for the victory in one of the expeditions mentioned above.

---

(16) El-Iryani, op. cit., PP 114—118.

(17) It seems that worshippers did not perform such an act after all events, but offered thanks for many deeds in one inscription only.

(18) Jamme, op. cit.

In a second expedition, the Sabaean forces marched to fight the alliance of the Aksumites and the D Shrtm is Wadi Surdad (40 km to the north of Hudeida). The Sabaeans achieved victory which compelled the allied forces to ask for Peace.

The Aksumites withdrew to the frontiers of their old colony north of the country. El-Iryani published the inscription (no 19 in Al-kuhali's Collection) which speaks about one of the battles of this conflict . This inscription says :

1. Krb ‘tt ydf and s‘d ‘ttr Yskr, both sons of Grt Dzbnr and Tz'd the commanders of the Dmry tribes, who are allies of Smhrm. These commanders offer to 'lmqh Than lord of 'wm an idol of gold, thanking him for the safe return of their lords, 'l srh Yhdb and his brother Y' zl Byn, kings of Saba and Drydn, both sons of Frm Ynhb kig of Saba, and (the safe return of) their (=the kings') army and cavalry from an expedition in which the two kings attacked Hbst and D Shtrm and all those who were at Shrtn. They (= the two kings) returned from this expedition safe and sound with captives and booty which were large enough to satisfy their lords, 'Lsrh Yhdb and his brother Y'ZL Byn kings of Saba and Drydn.

2. They (=the writers) thank him ('lmqh) because he brought back his worshipper krb ‘tt son of Grt from the expedition which he conducted following and supporting his lords the two kings, 'Lsrh Yhbd and his brother Y'ZL Byn kings of Saba and Dryydn. He (=Krb) came back safe and victorious with booty and captives which Fully satisfied him. May 'lmqh Thwn lord of 'wm continue humiliating and deriding all combatant and envious enemies of his lords 'lsrh yhdb and his brother Y'zl Byn kings of Saba and Drydn. They also thank 'lmqh thwn, the lord of 'wm, because he fulfilled all the hopes of his worshippers, krb 'tt and s'd ‘ttr sons of Grt, for which they asked him during the years and the seasons preceding this oblation.

3. Krb ‘tt and s‘d 'ttr the sons of Grt also thank him ('lmph) for his bestowment when he enabled them to establish and found their house, the house of the sons of Grt in town of N‘d (40 km to the south of san‘a). May 'lmqh Thwn lord of 'wn bestow his blessings on his worshippers, krb ‘tt and s‘d ‘ttr the sons of Grt, to find the fawour with Their lords 'lsrh Yhdb and his brother Y'Zl Byn kings of saba and Drydn. May he ('lmqh)

(15) Jamme, Ibid., PP. 317—318.

Naturally these Two events are separated by a number of years as mentioned by wfy 'drh when he said that his first task took him many years whilst encamped on the frontiers of the Hsdm.

The fact that hyw 'ttr yd' participated governmment obviously indicates that the new inscription followed that of Qataban Awkan (Ja. 631) and is therefore evidence for the continuation of the Sabaean — Aksumite conflict in the reign of S'rm' wtr after the battles of Qataban Awkan.

Though S'rm 'wtr had fought so many wars to realise his ambitions, wfy 'drh says in this text, as mentioned before by Qataban Awkan, that the Aksumites were the first to attack. However Srm' 'wtr might have committed so many acts of aggression against the presence of the Aksumites that their forces were forced to launch a preemptive attack upon him.

A certain degree of exaggeration is noticeable about the Sabaean victory over the Aksumites. Wfy 'drh remarked that he, aided by 170 soldiers, had killed 210 and captured 530 men, women and children and carried off 11,870 animals. It is quite obvious that these *figures* are far bigger than the capability of wfy 'drh's forces.

Eventually, if the conflict between S'rm 'wtr and the Aksumites had led to the limitation of the Aksumite presence within their old colony, situated at the northern end of the Sabaean territory, this should have taken place after the new war mentioned in the text, not as a consequence of the operations of Qataban Awkan mentioned in his inscription (Ja 631.).

II

The conflict between the Aksumites and their allies, on the one hand, and the Sabaeans, on the other hand, continued throughout the 3 rd centruy A.D. This conflict reached its zenith during the reign of 'L srh Yhbd and his brother Y 'zl Byn.

These two Sabaean kings mention the minute details of that conflict in a number of inscriptions. The Sabaeans marched in an expedition against the Aksumites who ware around the citadel of Wahadat (70 km to the north-east of Mokha). Then the expedition assaulted the Aksumites in valley of Akkites (152 km to the north of Hudeida). At last the Sabaeans marched eastwards to fight the remaining allies of the Aksumites. They engaged with them at 'ynam (40 km. to the north of San'a). and Huwan (35 km to the north - west of 'mran).

(14) Jamme, Ibid., PP. 315—316.

4— Wfy ' drh also offored hid oblation (to ' lmqh) because his lord s'rm ' wtr king of saba and D rydn with his brother (S'rm's brother) Hyw 'ttr YD', both sons of 'lhn Nhfn king of saba, appointed him to command a special troop of the army totalling 600 warriors to fight ' zd Gysm and Hrbm son of 'lyn ' khwln.

(5) And He (Wfy) fought their forces (the forces of 'zd and Hrbm) at Ngd Mhrbn within the territories of Dshrtn. 'lmqh Thwn lord of 'wm clped his worshipper wfy 'drh and his forces and brought them back safe and sound.

(6) The number of the victims was 210 killed with the edge of sword, 130 captives, 400 prisoners, boys and girls 300 camels, 1300 cows, 270 asses and 10.000 sheep.

(7) May 'lmqh Thwn go on blessing wfy 'drh by finding the favour with his Lord (s), s'rm 'wtr king of saba and Drydan and his brother Hyw 'ttr yd', both sons of 'lhn Nhfn king of saba.

(8) May the god 'lmqh lord of 'wm give his worshipper wfy booty and money wherever he goes to help lords, S'rm' wtr king of saba and Drydn and his brother Hyw 'ttr YD' and wherever they send him either to fight or to reside and to guard either here or there.

(9) May 'lmqh bestow upon him (wfy) good senses and faculties and save them (his lords) from evils of all envious enemies here or there,invoking the right of 'lmqh lord of 'wm and invoking the right of his lords s'rm 'wtr king of saba and Drydn and his brother Hyw 'ttr Yd' both sons of 'lhn Nhfn.''(12)

Studying this text, we draw the following conclusions :—

The events mentioned in the text witness developments of the Sabaean throne. The first decision appointing wfy 'drh as commander over the forces encamped on the frontiers of the Hsdm (Hasid) tribes was issued by king S'rm 'wtr whilst he was ruling alone. The second decision appointing the same person as commander over retaliation forces against the Aksumites and their Arab allies was also issued bearing the seal of king S'rm 'wtr and his brother Hyw 'ttr Yd' after the latter had joined his brother on the throne (13) .

---

(12) El-Iryani, op. cit., PP. 67—73.

(13) Some inscriptions say that Hyw 'ttr Yd' shared the crown with his brother (e.g. Jamme, op. cit., P. 304). However the novelty in this inscription that one event was attributed to King S'rm 'wtr exclusively and the other was attributed to the King and his brother.

It is believed that that conflict caused the limitation of Aksumite dominion and sphere of influence in Southern Arabia, though its possessions since the time of the monumentum Adulitanum remained(11), apparently, intact.

However, such along established point of view needs reconsideration since the publication of a new inscription which speaks of a later period of conflict between the Aksumites and the Sabaeans after the expedition of Qataban Awkan.

Wfy 'drh, one of the military commanders of king s'rm 'wtr, worte the inscription which implicitly indicates that that man had been exercising more than one military function related to the conflicts with the Aksumites. He led the sabaean forces against the Aksumite enemy, then he took upon himself the responsibility of revenge against the Aksumites' Arab auxiliaries. That last task confirms of course, his fulfillment of the first one.

This inscription which I shall refer as no. 12 Alkuhali, after the owner of the collection and number of the inscription in El-Iryani's work, says.

1— wfy 'drh son...ms... praying to 'lmqh Thwn lord of 'wm with a statue and an ox both of gold ; for his lord S'rm ' wtr king of saba and Drydn issued a decree to appoint him as a commander over the troops which were camping on the fromntiers of the Hsdm tribe because of the war waged by the ' hbsn and by those who assisted them from the tribes of Swhrn and Khwlhn.

2— Wfy encamped on all the frontiers of the Hsd with their urban and bedouin population and with all those who were assisting them from the Dbn arabs. He established military posts all along the frontier of the Hsd tribe during his years of rule and command. When the 'hbsn launched their assault again, they attacked the Dbn arabs in the valley of Dw'rm, on the west frontier of the Hsd. with a force totalling 2500 warriors.

3— Then wfy 'drh, commanding aforce of 170 warriors of (D) bn arabs, overtook them ('hbsn) on the second night at Mqrn D srhtn, and launched a sudden attack upon them. He (wfy) reached the centre of their encampment by midnight then he defeated, killed and expelled them ('hbsn) from their camp. Besides he imprisoned 500 of them and took many sr' and 'lb'...(?)

---

(11) i.e. from the early beginnings of the 2nd cent. A.D

This alliance served both parties. The Sabaean king managed to retain his rule and the Akumites created peaceful conditions in their colony north of Sabaean territory. Nevertheless, matters changed with the death of the Sabaean king ʻlhn Nhfn and the advent of his son Sʻrm ʼwtr as a sole ruler. The amity of the kings changed into animosity, which caused so many battles and victims.

In fact we do not know exactly why these friendly ties collapsed? especially as king Sʻrm ʼwtr shared the crown with his father during the last phases of the father's life.(6) This naturally implies that he witnessed a phase of the friendly ties that linked Aksum and Saba. However the study of king Sʻrm ʼwtr's life indicates that he sent many military expeditions against diverse opponents. These military expeditions covered a very wide area in Southern Arabia.(7) It is highly probable that king Sʻrm ʼwtr was ambitous to expand his sphere of influence. Therefore, he conflicted with all powers prevalent at that time in Southern Arabia which refused to pay him allegiance. King Sʻrm ʼwtr neither wielded a Free hand nor enjoyed full power during his father's reign and was hence relatively handicapped till he ruled alone.

Among those powers with which king Sʻrm ʼwtr fought were the Aksumite Forces residing at their colony on the northern Frontiers of his domain. The Aksumites did actually manage to make alliance against the expanding influence of king Sʻrm ʼwtr. This might explain the presence of Aksumite forces in areas far away from their colony through out the various battles they fought with Sʻrm ʼwtr.

The fact that these battles were actually fought between the Aksumites and king Sʻrm ʼwtr during the 2nd cent. A.D. is confirmed by basic evidence i.e. an inscription written by Qataban Awkan, one of the military commanders of king Sʻrm ʼwtr as dedicated to thank the god ʼIlmqh "... because he has protected his worshipper Qataban Awkan, descendant of Grt, when his lord, Sʻrm ʼwtr king of saba and Raydan, sent him into the land of the the Habasites against Gadarat, king of the Habasites(9) and of Aksuman...(10)

---

(6) Many inscriptions implied that Sʻrm ʼwtr shared his father s crown ; See, Jamme Op. cit., P. 290 and El-Iryani, op. cit., PP. 60—61.

(7) Jamme, op. cit., PP. 300—304.

(8) Jamme, Ibid., P. 361.

(9) Habasites is the term used by Jamme to translate the Sabaean word ʼhbsn which often (applied to the Aksumites in the sabaean inscriptions.

(10) Jamme, Ibid., No. 631, LL, 11—13.

Abdullah Ali-Kuhali. (3) Of this collection, only four inscriptions deal with the relations between the Southern Arabian states and Aksum in the 2nd and 3rd centuries A.D. These inscriptions derive their significance from the contribution and provision of new data concerning the relation of these kingdoms at that time. The inscriptions also confirm or modify some other information about the history of that region.

The *first* text (no. 12 in Al-Kuhali's collection) deals with these relations in the 2nd cent. A.D., whereas the other three texts (nos. 19, 28 nd 20) deal with them during the 3rd cent. A.D.

— I —

The map of the southern parts of the Red Sea basin during the 2nd century A.D. indicates Aksumite expansion on African territory extending the kingdom's frontiers to the boundaries of Egypt in the north and to Somalia in the south. Aksum also expanded into Arab territory with the occupation of kinaidocolpitae and Arrabitae which lay beyond the Sabaean territories (4). South of these territories lay a set of warring Arab states such as saba, Himyar, Qutaban and Hadramwt.

The presence of the Aksumites on Arab territory helped them to interfere in the Arab affairs. It all began when 'lhn Nhfn revolted against his master, the sabaean king, and styled himself as king. Then he started to consolidate his standing so as to be able to resist any attempt to divest him of the throne which he had usurped. He therefore allied himself with Jada'ab Ghailan king of Hadramwt. He also allied himself with GDR king of Aksum. This alliance provided that « ... they plighted themselves to make war and peace together against everyone who should raise himself up against them as enemies and that they would be sincere, faithful brothers ...» (5)

---

(3) The owner of this collection managed to obtain it written in four note books from a Yemeni Soldier who acted as guard for an American Mission that worked at Mahram Bilqis in 1952, and ; See, Ahmed Fakhry, *Dirasat fi Tarikh A -Sharq Al-Qadim* (Studies in ancient Eastern history) 2nd ed., Cairo, 1963, P. 157.

It seems from the story told by Muttahar El-Iryani that the writer of this collection was a member of that mission. It seems also that during enforced departure of the mission, the collection was lost. Hence it came into the possession of Al-Kuhali and he handed it over to his friend Muttahar El-Iryani. Muttahar found most of these inscriptions in the four note-books some of which were published by Jamme, A., op. cit. However Muttahar found among them the collection which he published for the first time; See, El-Iryani, op. cit.

(4) Winstedt, E.O., *The Christian Topography of Cosmas Indicopleustes* Cambridge 1909, PP. 72—73.

(5) Pankhurst, S., *Ethiopia a cultural history*, London, 1955.

African Studies, V. 4, (1975)

NEW LIGHT ON THE RELATIONS BETWEEN AKSUM AND THE SOUTHERN ARABIAN STATES DURING THE 2ND AND 3RD CENTURIES A.D.

By

Dr. FAWZY MIKAWY

The southern part of the Red Sea is an integral cultural area in which the Red Sea and the straits of Bab El-Mandab constitute an unifying rather than separating factor. Accordingly Southern Arabian cultural influences extended to Aksum and embraced language, cults, methods of agriculture and irrigation and so on. Aksum, on the other hand, was often capable throughout its history of interfering in rivalries btween Southern Arabian Kingdoms. And since the beginning of the 2nd century A.D. it was strong enough to take over that part of Southern Arabia situated to the north of the Sabaean territory.(1)

Though we are quite certain of the strength of these ties, very little is recorded of them. Therefore, the discovery of any new inscription concerning these relations is a treasury in itself since it can shed so much light on unknown chapters of the history of this region.

Mutathar Ali El-Iryani, an Yemeni researcher, contributed to the discovery of new chapters in the history of this region through the Publication of 34 Sabaean inscriptions, (2) from the collection of an Yemeni judge, Ali

(*) The contributor is a lecturer in Ancient African History at Cairo University, Egypt He wrote two theses and several articles on the Meroitic and Aksumite History ; See, *African Studies Review*, Cairo, *Bulletin of Cairo University*, Khartoum and *Journal of Ethiopian Studies* Addis Ababa.

(1) Fawzy Mikawy, *Mamlakit Aksoum* (The Aksumite Kingdom), an unpublished doctoral dissertation in Arabic, Cairo, 1974.

(2) Muttahar Ali El-Iryani, *Fi Tarikh Al-Yaman* : (in Yemen History, 34 new inscriptions, explanation and interpretation), in Arabic, Cairo 1973. These inscriptions are un published with the exception of four texts : Nos. I, 12 and 14 (published in Ahmed Sharaf El-Din, *Al-Tarikh Al-Thaqafi El-Yamani*, Part III under Nos. 11, 20 and 29). and No. 3, published by Jamme, A., *Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)*, Baltimore 1962, No. 627) ; See, El-Iryani Op. cit., P. 31.

44. ALBINO, pp. 64—66.

45. SHEPHERD, p. 15.

46 ALBINO, p. 75.

47. DAIVD RODEN, "Peace Brings Sudan New Hope and Massive Problems," *Africa Report* 17:6 (June, 1972), p. 15; *A Revolution in Action :* Regional Autonomy *for the South* (Khartoum : Government Printing Press, 1969), p. 6.

48. "Sudan New Southern Policy," *Africa Research Bulletin : Political, Social and Cultural Series* 6:6 (July 15, 1969), pp. 1438—1440.

49. Howell, p. 177.

50. COLIN LEGUM, "Out of Africa : Sudan," *Africa Report* 17:4 (April, 1972), p. 4; *Africa Research Bulletin (PSCS)* 9:2 (March 15, 1972), pp. 2381—2383.

51. U.N.H.C.R., No. 1 (July, 1972), pp. 1—4.

52. *Africa Research Bulletin (PSCS)* 9:2 (March 15, 1972), p. 2383.

53. IAN ADIE, "China's Return to Africa," *South Africa International* 3:4 (April, 1973), p. 191.

54. *Africa Research Bulletin (PSCS)* 9:2 (March 15, 1972), pp. 2382—2383.

55. "Sudan : Truce Rather Than Peace ?," *Africa Confidential* 14:5 (March 2, 1973), p. 1.

56. *The Washington Post*, July 26, 1972.

22. *Ibid.*, pp. 31—33; Said, p. 72.

23. ALBINO, p. 18; Said pp. 74, 77—78.

24. JOHN HOWELL, "Politics in Southern Sudan," *African Affairs* 72 : 287 (April, 1973), pp 166—167.

25. CECIL EPRILE, *War and Peace in the Sudan*, 1955—1972 (London : David & Charles 1974)' pp. 41—45.

26. *Memorandum on the future of the Southern Sudan by SANU, Round Table Conference on the Southern Sudan, Khartoum, the Sudan, March* 16—25, 1965. Prepared by Sudan Informazioni "News Agency Documents," 1965', pp. 36, 149; Howell, p. 169.

27. PETER RUSSELL and STORRS McCALL, "Can Secession Be Justified? The Case of Southern Sudan." In Dunstan M. Wai (Ed.) *The Southern Sudan : the Problem of National Integration* (London : Frank Cass, 1973), p. 99.

28. *Ibid.*

29. *Round Table Conference*, 1965, p. 143.

30. *The Southern Front Memorandum to OAU*, p. 2.

31. ALBINO, pp. 29, 98.

32. BESHIR, p. 84.

33. Sudan's Ministry of Information and Culture, *Sudan Today* (Nairobi, Kenya : University Press of Africa, 1971), p. 77.

34. *Round Table Conference*, 1965, p. 146.

35. DUNSTAN M. WAI, "Political Trends in the Sudan and the future of the South," pp 149—150.

36. BESHIR, pp. 85—87.

37. HOWELL, p. 172.

38. BESHIR, pp. 88—89.

39. *Ibid.*, pp. 89—90.

40. ALBINO, pp. 51—54.

41. *Round Table Conference*, 1965, pp. 203—208.

42. *Ibid.*, pp. 201—202, 209—211; George W. Shepherd, Jr., "The Khartoum Conference, New Confrontation on the Southern Sudan" *Africa Report* 10 : 4 (April, 1965), p. 14.

43. MOHAMED O. BESHIR, *Revolution and Nationalism in the Sudan* (New York; Barnes & Noble, 1974), p. 222.

FOOTNOTES

1. ROBERT, O. COLLINS, *The Southern Sudan*, 1883—1898 (New Haven, Conn,. : Yale University Press, 1962), pp. 177—181; *The Southern Front Memorandum to OAU on Afro-Arab Conflict in the Sudan* (Accra' 1965), pp. 5—9.
2. ROBERT O. COLLINS, "The Sudan : Link to the North." In Stanley Diamond and Fred G. Burke (Eds.) *The Transformation of East Africa* (New York : Basic Books, 1966), pp. 371—377.
3. JOSEPH ODUHO and WILLIAM DENG, *The Problem of Southern Sudan* (London : Oxford University Press, 1963), p. 12.
4. OLIVER ALBINO, *The Sudan : A Southern Viewpoint* (London : Oxford University Press, 1970), pp. 96—97.
5. MOHAMED O. BESHIR, *The Southern Sudan* (Khartoum : Khartoum University Press, 1970), p. 39.
6. ODUHO, p. 9.
7. BESHIR, p. 42.
8. *Ibid.*, pp. 48—52 ; Albino, p. 21.
9. BESHIR, p. 44.
10. J. S. R. DUNCAN, *The Sudan's Path to Independence* (Edinburgh : Blackwood, 1957), pp. 217—218.
11. BESHIR, p. 52.
12. KENNETH D. D. HENDERSON, *The Making of the Modern Sudan* (London : Faber and Faber, 1953), pp. 540—541.
13. BESHIR, pp. 61—62.
14. COLLINS, *The Sudan*, p 38.
15. K. D. D. HENDERSON' *Sudan Republic* (London : E. Benn, 1965), p. 164; Albino, pp. 28—29; Duncan, pp. 103—104.
16. BESHIR M. SAID, *The Sudan : Crossroads of Africa* (London : Bodly Head, 1965), pp· 164—165.
17. MUDDATHIR ABD AL-RAHIM, *Imperialism and Nationalism in the Sudan* (Oxford : Clarendon Press, 1969), p. 167.
18. *Ibid., p.* 160.
19. *The Southern Front Memoradum to OAU*, pp. 28—29; pp. 46—71.
20. ABD Al-RAHIM, p. 171.
21. ALBINO, pp. 30—32.

Summary and Conclusion :

The problem of southern Sudan grew out of the British decision to foster separate development for the south, a measure which resulted in uneven development between the north and the south socially, educationally and economically. Thus at the end of 1964, when the British suddenly decided to abandon its separate develpoment policy in favor of a united Sudan, the south found itself in an unequal position in this merger ; as the northern leadership failed to give southerners an adequate share in running the local and central government, southern leaders began to demand federal status for their region. The north gave only lip service to this request, however, and an indirect result was the uprising which broke out in August 1955, an event which marked the beginning of a seventeen-yaer civil war. The subsequent failure of civilian gover nments to deal with the southern question effectively brought the army into power and for eight yeras, Abboud tried to force a solution while also waging a campaign to speed up the process of Islamization and Arabization in the South. His policy drew a great deal of criticism in both the south and the north ; indeed, several politicians and intellectuals openly supported a new approach to the problem, and advocated a new governmental system that would accomodate regional and tribal differences within a united Sudan. By 1965, the army was thrown out and a civilian caretaker government under Khalifa was formed, an event that led to the convening of the Round-Table Conference. Although the conference ended without achieving a final settlement, southerners and northerners had at least agreed that the present centralized unitary form of government was not suitable for the Sudan. On a new proposed form of government, however, they disagreed ; the north was willing to grant regional autonomy based on goegraphical divisions but the majority of southerners insisted on independence or a plebiscite. In the following years, both diplomatic and military maneuvers were used to bring about an end to the civil war but each met with very little success. It was not until Al-Numeiry came to power that the Sudanese government openly accepted the need to grant autonomy to the south-a move which set in motion several events that eventually led to the signing of the Addis Ababa agreement in February, 1972. That agreement ended the civil war in the Sudan. However, the future of a united Sudan would depend to a great extent on the impolementation of the settlement and Al-Numeiry's continuation in office. It seems that he is the only leader at this time who can hold the nation together, as any change in the government might threaten the delicate balance that was created by theAddis Ababa agreement and might again result in separation. Also, the future of a stable Sudan will depend heavily on the rapid reconstruction of the south which can not be accomplished without massive international loans and technical assistance.

the Sudanese government and the southern leaders after they had reached an impsase[52].As a result of his mediation, Al-Numeiry moved to close down the Eritrean Liberation Front's office in Khartoum, its headquarters in Kassala and their training camps in the Sudan following the southern settlement[53].

The O.A.U. also played an important role in furthering the settlement by the use of its good offices to mediate the conflict and by its refusal to place the item on its agenda, a measure which would have only aggravated the situation. A change of position within the World Council of Churches must also be given due credit as a contributory factor. The World Council of Churches had been generously contributing to the resistance movement in the south but exerted pressure on southern leaders to seek a negotiated settlement[54] once they reached the conclusion that there was no sense of continuing this endless war and as they found themselves siding with the white regimes in Africa.

The future of a unified Sudan will depend on the full implementation of the Addis Ababa Agreement. It would require complete cooperation between northern and southern leaders ; the national government must be responsive to the needs of the south and must involve southerners in the running of the administration, because only sincerity and tolerance can eliminate the fear and mistrust of the past and heal the wounds of a seventeen-year civil war. The future of the settlement will depend to a large extent on the present leadership in the Sudan. Indeed, any change in the government might threaten the delicate balance that was created by the Addis Ababa agreement[55].

There is every indication that Presedent Al-Numeiry is diligently seeing to the enforcement of the agreement's provisions in order to help ameliorate north-south relations.In addition, he has taken measures to remove southerners fear of close association with the Arab north, and no longer is interested in joining Egpyt and Lipya in a Federation of Arab Republics, a move which he had advocated in the past. To demonstrate his independence vis-a-vis these countries, he resumed diplomatic relations with the United States on July 25, 1972, after a five-year break,[56]and accepted American aid for refugee resettlement. Morevover, it is expected that the Sudan Would improve relations with such neighbors as Ethipoia, Uganda, Zaire and the C.A.R., where southerners had Found refuge during the years of turmoil. With the civil war over, the Sudan might be expected to play a major role in African politics because of its unique location on the fringe of Black Africa to the south and Arab Africa to the north.

would submerge them in the Arab north even further.

Despite this rejection, Al-Numeriy proceeded to launch further diplomatic efforts in September 1971-two months after the communist abortive coup. He established secret talks with Joseph Lagu who had emerged as leader of both Anya Nya and the South Sudan Liberation Movement (SSIM). In the following months, this government began a dialogue with exiled suothern leaders in Ethiopia, Uganda and Zaire[49]. Moreover, he dispatched delegations to the Scandinavian cuntries and to Switzerland to solicit help from voluntary organizations, to end the conflict in the south without any more bloodshed. Al-Numiery also sought the help of the O.A.U. to reach a settlement in a spirit of African fraternity.

These efforts eventually proved to be fruitful in bringing an end to the civil war which had drained Sudanese resources for seventeen years. On March 27, 1972, the Sudanese government and the SSIM ratified a peace agreement in Addis Ababa to end the civil war. It suould be pointed out that the Agreement was a compromise, and did not represent a clear-cut victory for either side in the conflcit : southern leaders had to give up their ideas for independence or federation while the Sudanese government was forced to grant the south regional autonomy. Arabic was to be recognized as the official language, but as a concession English would by used as a working language along with local languages[50].

Shortly after the agreement was signed, the Sudanese government established a special fund to meet the initial expenses of repatritaion, resettlement and rehabilitation of southern refugees. In response to an appeal by Al-Numeiry, the U.N. Secretary-General requested the U.N.H.C.R. to coordinate theU.N. Emergency Relief program for southern Sudan[51].

In reterospect, an accumulation of factors contributed to the conclusion of the Addis Ababa Agreement. The long years of fighting had conviened the Sudanese government and the SSIM of the need for compromise, prehaps, since neither side had been able to win the war militarily. Undoubtedly, too, southern leaders had changed their views partly through an assessment of their situation in light of the failure of the Biafran secessionist movement and the strong stance masde by African governments against any further balkanization of the continent.

Emperor Hail Selaissie played «a discreet but important mediatory role» in bringing about the agreement ; he intervened to iron out the fifferences between

the election on the ground that on election should take place until a new constitution was approved and a state of emergency was lifted[44].

The Deng wing of SANU decided to participate in the election and campaign for its program of federation and self-determination, however, and the Southern Front soon changed its strategy and agreed to take part in the upcoming election[45]. This reversal was made because the Front feared it could lose its influence in the south to the SANU while, at the same time it could attemp to exert pressure within the Parliament to prevent the approval of any constitution belief that ignored the rights of the south. Another factor in this decision was the that the Front might also be able to enter into coalition with a party which would appreciate the southern case.

Subsequently, in May , 1968, the Southern Front did enter into a coalition with UDP and Umma-Imam to form a cabinet under Mahgoub. This participaation in the caolition resulted in a rift between the Front and southern leaders living in exile, however[46].More importantly, the coalition government was not effective in pursuing a settlement of the thorny southern problem. Isntead, the situation only deteriorated further when the Mahgoub fovernment decided to restore to the use of force to solve the southern problem. Slowly, however, as it became clear that no one would achieve a military victory, ther was evidence of a growing sentiment that a ploitical soultion was critically important and could noly be reached through the exercise of understanding and tolerance on the part of the Sudanese leaders of bothe north and south.

on the Road to Settelement

Following the military takeover in May 1969, General Gafaar Al-Numeiry, the Chairman of the Revolutionary Command Council, took the first major step to end the deadlock when he publicly acknowleged the cluturall and historical differences between the two regions as well as the right of the south to develop its own culture whitin a united Socialist Sudan[47].This statement marked the first time that a president committed himself openly to the principle of regional autonomy for the south. In addition, he promised the extension of the period of general amnesty, initiation of an economic, social and cultural program for the south, appointment of a minister for southern affairs and the establishement of a job training program for southerners. These conciliatory efforts were rejected by southern leaders, who accused Al-Numeiry government of being «Arab in aspiration and commitment» [48] in view of the proposed plan for merging the Sudan in a federation with Egypt and Libya, a move which

On March 16, 1965, the Round-Table Conference was convened ; it was attended by 27 southerners (including SANU's two factions), 18 northeners, and observers from Algeria, Ghana, Kenya, Nigeria, Tanzania, Uganda, and the U.A.R. The northern delegation agreed on a unified platform regarding the southern problem ; they ruled out both federation and a centralized unitary form of government and instead favored a solution based on a united Sudan that would accomodate ethnic and cultural differences. They therefore proposed a system of local government based on geographical differences[41].

The southern representatives were divided, however, William Degn (SANU) advocated a federal system while emphasizing the multi-racial character of the north ; on the other hand, Aggery Jadein (SANU) denounced Arab domination in the south and called for political independence. As a further contrast, the Southern Front suggested that a plebiscite be conducted by a neutral and independent body in order to determine whether the south preferred federation, separation or unity with the north[42].

As a compromise, the Front and SANU leadership finally proposed the creation of two separate states in the Sudan that would be bound together by common services and insitiutions since there was need for some form of interdependence between south and north. They felt, that such a step might lead to a voluntary union in the long run. Meanwhile, however, Santio Deng, another southerner, stated that his Sudan Unity Party would not recognize any agreement that would grant the south independence.

The conference was doomed to failure because each side rejected the proposals of the other as being too extreme, and it thus concluded without reaching agreement on the constitutional status of the south. A tweleve-man committee was appointed to continue the deliberations on the constitutional question, however ; there was a concensus that the committee should not consider any proposals in favor of separation or of the status quo[43].

A year later, this committee reported that it had made no progress in finding a formula to solve the crisis because each side insisted on its position with noroom for compromise. Upon teceiving this report, the government decide against calling the second Round-Table Conference ; instead a new committee was set up to draft a new constituion. In protest over the composition of this committee, both SANU and the Southern Front refused to participate in its deliberations. Morevoer, when the government announced that an election would be held in March, 1967, the Southern Front stated its intention to boycott

SANU leaders looked favorably on the change of leadership in the Sudan, and contacted the new government and suggested the initation of a dialouge to end the conflict. They suggested a program of action to include the following :

(a) A general amnesty be declared by the Sudan Government for all the refugees, together with a guarantee for their safety ;

(b) The recognition of SANU as a political party and permission for it to function inside the Sudan ;

(c) The convening of a round-table conference between Sudanese political parties of both the North and the South, and in which the Judiciary, the University of Khartoum, and in which Union leadres would be represented, to discuss the constitutional relation-ships between the North and the South[38].

In addition, they recommended that observers from the O.A.U. and from neighboring countries should be invited to attend the conference.

Al khalifa responded on December 10, 1964, by declaring a general amnesty to all Sudanese who had left the country since 1955, including any who had been given trials in absentia or who were still wanted on political charges. Furthermore, two of his ministers travelled to kampala where they signed an agreement concerning the Sudanese refugees; they met with SANU leaders to explain their government's new policy and to persuade them to come home· In reply, however, the SANU leaders insisted on first reaching a negotiated settlement outside the Sudan prior to their return, and further suggested a federated form of government, the repeal of the Missionary Societies Act and the establishment of a southern economic development program as well as a southern army command[39].The government response was cooperative ; it informed them that these propsoals were negotiable and suggested the convening of a conference inside the Sudan as a mechanism for both sides to express their views in order that they might find a formula to end the civil war in a spirit of copperation, tolerance, and understanding.

SANU was divided in its reaction, both with regard to the place of the conference and the ultimate goal for the south. The moderates, headed by William Deng, was in favor of federation and a negotiated settlement anywhere ; the radicals, led by Joseph Oduho, insisted on separatism and negotiations outside the Sudan[40].Unfortunately, the SANU organization would never recover from this cshism.

Commission of Inquiry consisting of nineteen southerners and thirteen northerners to investigate the causes of the southern problem and to make recommendations to achieve internal stability within the framework of the Constitution[35].

This Commission was vehemently criticised by SANU on the ground that (1) the appointed southern representation showed «on genuine attempt to include southern intelligentsia» ; (2) the Commission was instructed not to recommend «anything infringing the present Constitutional structure, on the principle of a unitary government» ; (3) the government continued to ignore southern leadership in exile. SANU leaders reiterated theri position in favor of a negotiated settlement between the Khartoum government and the southern leaders, although they could no longer exclude the use of violence as a means to their end[36].

Dialogue : Round - Table Conference

By late 1964, the population in the north, led by students from the University of Khartoum, became increasingly vocal about their disillisionment with the military regime and with the policy of force which so far had failed to solve the southern problem. Instead, they began to agitate in favor of a peaceful solution and felt that the military government was incopmatible with the search for a peaceful settlement. As a result, in October, 1964, Abboud was overthrown and a transitional government was formed. The new prime minister, El Khatim Al Khalifa, was well informed about the south since he had served there as Assistant Director of Education. He immediately initated the following measures to regain southern confidence : first, he appointed three southern ministers to his cabinet, including Clement Mboro as the Interior Minister in charge of national security ; secondly, he established a precednt by being the first head of goverment to acknowledge publicly the ethnic, cultural, geographic and historic differences between the north and the south ; furthermore, in order to clarify the case in the minds of both north and south, he granted the press unprecednted freedom to discuss the issuse underlying the conflict.

One immediate result of this more relaxed atmosphere was the setablihment of the Southern Front as a new political party in the Khartoum, created by southern professionals and civil servants who preferred to work from within the Sudan to alter the status of ths south. They maintained close ties with SANU headquarters in Kampala, Uganda. At the beginning their party was considered to a great extent the front for SANU, but it gradually became independent as the southern leadership split[37].

of southern eeducation in an attepmt to create a single deucational system for the nation as a whole. Arabic was introduced as a medium for instruction in the south ; all missionary schools were taken over by the government and all 'private schools in the south were prohibited. Later by 1962, missionaries were expelled from the south on the ground that they were considered a threat to national unity ; they were held responsible for instigating trouble in the south and for conspiring with the mission-educated southern elite(31).

During these years, the distrubances in the south had driven thousands of Sudanese across the borders into neighboring countries such as Uganda, Kenya, Ethiopia, and Central African Republic. Gradually the refugees began to form organizations to oppose the Sudan's military regime and, in light of the failure to obtain federation, to demand independence for southern Sudan. The Sudan African National Union (SANU), with its headquarters in Leopoldville, Congo, became a major spokesman for the southern cause, particularly in its insistence on a peaceful solution based on the principle of self-determination for the south. It began to seek international support and unsuccessfully requested the O.A.U. and the U.N. to examine the Question of Southern Sudan(32).

Another organization formed among refugees was Anya-Nya, which was created in 1963 by those who had participated in the mutiny of 1955. Its aim was to capture the south by force and its members repudiated any peaceful solution to the problem(33). In order to conduct their guerrilla warfare activities they captured weapons, primarily by ambushing convoys that were on route to the Congolese «Simbas» but also by exchanging food, clothing or shelter for guns from Congolese fleeing into southern Sudan form their own nation's troubles. Beginning in 1964, the Anya-Nya conducted successful guerrilla attacks in the southern terrain, a region the Sudanese army found difficutl to reach because of transportation and communication problems ; the army's activities were in fact limited to large villages and towns in the region.

The warlike situation in the south resulted in tremendous uprooting of the southern population. By the end of 1964, the number of southern Sudanese refugees in Uganda alone had reached 50,000, a situation which prompted the Ugandan government to close its borders with the Sudan(34).

The failure to bring about a military solution to the southern problem caused several northern leaders to criticize the way the government was handling the situation. To head off the mounting criticism, the government set up a

independent and sovereign state. Southern representative supported the declaration, but only after the Parliament had unanimously called upon the Constituent Assembly to fully consider the demand of the south for federation. This was a condition *sine qua non* for the southern votes in favor of independence[26]. Within the next two years, talks on federation continued, but norhern leaders showed no sign for compromis-a matter which caused frequent walk-outs by southerners. The net result was an apparent deterioration in the south-north relationships.

Northern politicians paid very little attention to the rising problems that were besetting in the south ; they were too preoccupied with their own struggles for power to be able to recommend a constructive program to cope with southern problems. Such lack of sensitivity was evident in the manner in which seats on the committee to draft the constitution were allocated : only 3 of the 46 seats were given to southerners. Inevitabley, then, when southern representatives pressed the question of federation, in December, 1957, they were outvoted and their proposal for federation was defeated[27]. In protest, southern representatives boycotted the remaining meetings.

This affront to the south gave an effective impetus to the newly founded Southern Federal Party during the 1958 parliamentary elections ; as a result, it captured 40 out of the 46 southern seats. Subsequently, on June 16, 1958, its members walked out of the Constituent Assembly after they had indicated their formal opposition to the new Constitution.

This event engulfed the Sudan in its most severe political crisis yet. By November, when it became evident that the government was unable to handle the explosive situation, the army was invited to take over the government,[28] thus ending the search for a constitutional soultion to the southern problem. The military government, under Abboud, propmtly embarked on a campaign to suppress opposition and to silence any talk about federation. It suspended the parliament-a measure which deprived southern leaders of the main forum by which they had been able to air their grievances and to keep communications open with northern politicians. when political parties were banned, southern leaders were forced to go underground or to flee the country[29].

The military regime took a heavy-handed approach immediately and embarked on a program to achieve «... racial integration by islamization and assimilation of the Southerners or by extermination of the educated Southerners should islamization be thwarted»[30]. It proceeded to take direct and full charge

In their viewê Sudanization of the Civil Service had essentially amounted to northernization.

This mounting frustration coincided with a general reawakening of political consciousness in the south. Some southerners quitted the National Unionist Party (NUP) and joined the Liberal Party ; two southern ministers left their cabinet posts in May 1955 in protest over the handling of southern affairs ; political agitation mounted in an atmosphere charged with accusations by the opposition leadership, both among southerners and northerners. It gradually became apparent that the Al-Azhari government was unable to cope with the rising problems in the south.

As a result, several southern leaders talked about federation or even independence for the south. In an effort to obtain concensus on their goals, the Liberal Party organized Juba conferences in 1954 and 1955,, both of which demanded federal status for the south and southernization of more jobs. In response, the Parliament unanimously voted in favor of asking the next Constituent Assembly to give full consideration to the question of federation. Nevertheless, tension and distrust were building up in the two regions Particularly in the south which was ready to explode at any time. The incident that eventually triggered a bloody civil war in the Sudan was a demonstration in Nzara over a wage dispute for southern workers, that ended tragically in the killing of a handful of southerners. Although the shooting was done by members of the southern Equatoria Corps, these events aggravated the situation and quickly spread into wide spread violence against northerners-military and civilian alike(24).

In an attempt to cool the mounting crisis, the government decided to transfer the Equatoria Corps to the north and to replace them by northern garrisons. The Equatoria Corps refused to comply with these orders and mutined, shooting their officers and massacring several hundred northerners in August, 1955. The government responded with force to suppress the mutiny, and quickly reestablished control of the city of Torit. Fatefully for the future of the Sudan, however, the city had by then become deserted, as military and civilians alike had fled to the bush. This series of events marked the beginning of the insurgency in the south, which would be organized by former soldiers and officerss from the Equatoria Corps Who had abandoned their positions and had found refuge in the bush(25).

These events were greatly troubling to the government, but did not disrupt its plan for independence. On January 1, 1956, the Sudan was declared an

The constitution was approved by the Legislative Assembly in 1951. Significantly, however, the specific saeguards for the south were annulled in the Cairo Agreement (1953). Instead, under the Self-Government Statute (which led to the independence of the Sudan in January 1956), it was decided to give the south at least two ministers. By the terms of this arrangement, however, the north had advantages over the south since the latter was far behind the north ecnomically, educationally, and politically. The south lacked political organizations and even a national conciousness. At this time, southern leaders were primarily interested in a united Sudan that would guarantee rapid economic and educational development in the south as well as an adequate chare in running the government. This partnership would be put to a test in the following years.

National unity : Tragic Directions :

A united Sudan ran into problems even at the outset, when southerners were excluded from the delegation which met in February 1953 with the Egyptian government before the signing of the Anglo-Egyptian Agreement. Their exclusion was interpreted as further evidence of continued northern domination. At the time, however, it would have been difficult to have designated any southern representatives that might have spoken for the south as a whole ; there was not yet a single political party able to claim such a broad constituency. It was only with the 1953 elections that the Southern Party(22) was formed and was able to capture 12 of the 22 southern seats in the elections. In the following years, it would attemp to capture the leadership in the south, after 1954 being renamed the SouthernLiberal Party.

During 1954-1955, the imbalanced situation between north and south was further emphasized when the Sudanization Committee filled only four out of the 800 civil service jobs with appointees from the south on the pretext that a few southerners were qualified and experienced for therse posts. It was a great disappointment for the south and an apparent documentation of the way the British and the missionaries, who had been in charge of Sudanse education, had been sorely lacking in their training of qualified presonnel for responsible and high-level positions in the Sudanese administration(23).

This event clouded the political atmosphere and brought back to the surface much of the deeply rooted mistrust and hatred felt by the southerners toward northern domination. Increasingly, they saw the independence arrangement as simply the substitution of one foreign colonialism by another; in addition, southern leaders felt that they were tricked because promised to place southerners in high posts in the local and central governments were not fulfilled.

Sudan Adiminstration Conference recommended that the south should be integrated with the north and that an elected Legislative Assembly be created «to exercise legislative, financial and general administrative function in conjunction with a newly-constitued Executive Council[18]».

These recommendations were denounced by some British administrators in the south, however, who demanded that an Administrative Conference for the southern Sudan be held in order to hear the opinion of leading southerners on their future. Shortly thereafter, the juba conference was convende and attended by seventeen southerners, six northerners and six British officials.

This conference turned out to be a turning point in the history of the Sudan since the conferees rejected suggestions for regionalism of federalism, the alternatives to unification that had been advocated by some British officials in the south, with the support of moissionaries who were vehemently against «one Sudan[19]».

Furthermore, the conference made a call for national unity and for the initiation of measures to politically integrate the south with the north. It also recommended that a legislative assembly be created to govern a united Sudan under a centralized government. It was agreed that measures should be initiated towards the creation of a unified system of education for the whole country and the improvement of communication and trade between the two regions[20].

The proposed Legislative Assembly was constituted and formally opened on December 15, 1948. Only shortly afterward, however, southerners beagn to express a desire to run their own local affairs, largely due to dissatisfaction, with what they considered to be a token development program. By 1950 southern polititcians began to ask for a Federal status within one Sudan[21].

Southern dissatisfaction was further evidenced in March, 1951, when a constitution Commission was created to advise the Governor-General on fromal measures to be initiated pursuant to granting self-government to the Sudan. At this point, Mr. Buth Diu, the Southern representative on the commission, suggested a federal system, when his proposal was rejected, he withdrew from the Commission. The Commission still completed its task but did at least include some safeguards in the proposed constitution in an attempt to allay southern fears ; specifically, they recommended that the Governor - General be given wide legislative powers to provide protection over the south.

This attempt was buried quietly when Newbold died, but it was indicative of the need for a reexamination of the Sudan policy. Such a need was increasingly evident, as a consequence of certain postwar developments. First, the East African territories, especially Uganda, were «extremely cool toward and prospect of union with this vast an unproductive land»[14]. Secondly, as northerners became more vital to southern development projects, theey exerted greater pressure for change in the north-south relationaship. Thirdly, the British finally came to realize that the landlocked south was without the economic resources and political institutions necessary for survival as a separate entity for any period of time. Fourthly, Egypt was pressuring Britain for the recognition of its sovereignty over the Sudan[15]. For all these reasons, the British finally abandoned their original idea of annexing southern Sudan to a Central African Federation ; instead, in 1946, they adopted a policy favoring the integration of the south into the north, largely out of a belief that a united Sudan would have a better chance of resisting pressures represented by a revived and strengthened Egypt. Sir James Robertson, the Civil Secretary, stated that the new policy took into account the fact that:

> the peoples of the Southern Sudan are distinctively African and Negroid, but that geography and econmics combine to render inextricably bound for future development to the Middle Eastern and Arabicised .
>
> Northern Sudan ; and therefore to ensure that they sould, by educational and economic development, be equipped to stand up for themselves in the future as socially and economically the equals of their partners of the Northern Sudan in the Sudan of the future[16].

However, when Britain revised its policy in favor of merging the north and the south together, it failed to make adequate preparation for such a merger and failed to include political safeguards to prevent northern domination in a united Sudan. Even as this policy was being estabilshed, some British officials who foresaw the likelihood of problems developing out of an uneven arrangement and suggested such possible safeguards as giving the south regional autonomy or having only a federation between the north and south. These views were disregarded at the time, however, although they would be taken up again later by southern leaders as the only solution to the southern problem.

Consequently, plans for a united Sudan proceeded at a high speed. In March, 1946, the Sudanization Committee was established and was told that «the progressive Sudaniaztion of our governmental machinery 'was' a matter of the greatest political and administrative importance»[17]. Amonth later, the

Congo and the International Institute of African Languages and Cultures, decided in favor of the use of local vernaculars and English in the southern Sudan and the complete exclusion of Arabic on the ground «it would open the door for the spread of Islam, Arabize the South, introduce the Northern Sudanese outlook»[9].

Missionaries cooperated fully in execution of the southern policy since it gave them a free hand to spread the gospel and western culture ; their major contribution was in the area of educational training, thanks to the British «grant-in -aid program, which progressively increased from LE 1,765 in 1927 ot LE 9,155 in 1937. Their educational training, however, failed to prepare southerners for civil and administrative jobs, and thus could not meet the greater demand for southern staff trained at the managerial level to carry out the policy of southernization, when northern officials were sent back home[10]. This situation had «a far-reaching effect on the efficiency of the administrative machinery and was, therefore, a further contributory factor to the backwardenss of the South»[11].

The net result was that the south developed in complete isolation from the north, which was embarking on new educational and economic development projects. As one result, the indigenous Sudanese political leadership in the north became more and more suspicious of te southern policy. Between 1938 and 1942, the Graduate Congress demanded that all regulations restricting the freedom of movement and trade for the Sudanese in the South be abolished ; they urged the administration to cancel qrants-in-aid to missionary schoolsl and to work for a unified educational system for the whole country[12]. These demands fell on deaf ears, however. Although the British felt that educationa and economic development should be accelerated in the South, they still saw no need to introduce radical changes in their southern policy. In fact, it was not until the end of the Second World War that it became evident to the British that their policy was creating a major discripancy between the south and the north in terms of economic development.

The New Southern Policy (1946-53)

In 1944, Sir Douglas Newbold, the Civil Secretary, attempted to change the direction of Britain's southern policy in a suggestion that the south should be more closely integrated with etiher the north or with East Africa, or with both[13]. However, he did not reiterate the reform suggested earlier, in the 1930's, that the south be made an independent state.

Subsequently, the British took concrete meausres to bring about a total separation between the south and the north. In 1921, the southern governors began to hold their own separate annual meetings away from tha national governors convention held in Khartoum ; they also were instructed to increase contact with their counteparts in Kenya and Uganda. In the following year, the Passports and Permits Ordinance was established, in order to control traffic between the north and the south. It gave each Governor-General the authority to declare any part of the Sudan closed for other Sudanese and foreigners, and to limit the admission of other Sudanese and foreigners as he deemed necessary. Moreover, the Closeed Districts Order (1922) classified Darfur, Equatoria and Upper Nile, and parts of Khordofan, Gezira and Kassala as closed districts(6). In 1925 the Permits to Trade Order was promulagted to halt northern commercial activities in the south since olny southerners were allowed to trade without a permit. Sir Harold A. MacMichael, Civil Secretary, explained the British policy in a letter to the southern governors as foollws :

> It has been the aim of the Government to encourage as far as possible (Christian) Greek and Syrian traders rather than the Gallaba (i.e. Muslim Arabs from Northern Sudan) type. Permits to the latter should be decreased, unobtrusively but progressively, and only the best type of the Gallaba, whose interests are commercial and pursued in a legitimate manner, should be admitted. The limitation of Gallaba trade to towns or established routes is essential(7).

Throughout the 1930's, the British stepped up their campaign to implement their separatist policy. Most Northern merchants lost their licenses and were either deported or voluntarily left the south ; sale of northern cloth was forbidden in the south ; chiefs and natives were forced to change their Arabic names and dress ; intermarriage was not allowed ; southern tribes were told to cease any contact with the north ; some tribes were even resettled to force them to sever any relationship with neighboring Arab tribes ; in addition, a no-man's land was established between south and north(8).

Another step that further intensified the policy of separate development was the establishment of a segregated educational system in the south, conducted by missionaries with material and moral support from the British administration throguh a grants-in-aid program. Instruction in the schools served to encourage southern hostility toward the north by keeping the memory of slavery alive. The separateness was fruther strengthened by the use of English as the official language in the south. In 1928, the Language conference (Rejaf), attended by misionary representatives from southern Sudan, Uganda, the

which embarked on new economic and educational development[3]. The gap widened when southern education was completely entrusted to missionaries, who divided the south into religious «spheres of influence» and exploited ethnic and cultrual differences in order to separate the north and the south even further. It should be pointed out that missionaries were not allowed to proselytize in the north, but were given a free hand in the south[4].

In accordance with this stance, such British officials as R. C. Owen began, as early as 1911, to suggest the formation in the south of a«large Christian population which would eventually link up with Uganda and form a substantial buffer or check to the spread of a faith, such as the Muslim»[5].Although such a policy was not officially adopted until much later, the seeds for separation were being sown in the early years of this century. In 1904, for instance, the use of Arabic by non-Moslems was prohibited on the ground that it was closely associated with the religion of Islam, even though it was widely spoken in the south. Instead,English was introduced gradually and by 1918 was made the official language. The substitution of Sunday Sabbath for Friday as the day of rest in the south was also announced in 1918. Furthermore, a southern military force (Equatioria Corps), whose training began in 1910, replaced the northern garrison in the south in 1917. By this change, the last dircet link between the north and the south was severed. From this time on, the separation was so blatant that several British offiicials began to pressure their government to upadte its Sudan policy to be more in accord with reality.

Colonial Conspiracy : policy of Separation

During the years following the First World War, British administrators became more and more critical of the status quo in the Sudan, and they pressured their government to make a decision on whether to cut the south off entirely from the north or to introduce a more sound policy for the administration of a unified Sudan.

In the end, the British government decided to pursue the first alternative, as part of a long-term design to join Uganda, Kenya, Tanganyika and southern Sudan into a unified federal state in Central Africa. Rather than making their objectives explicit, however, the British gave the impression that their separatist policy was established in oredr to preserve native traditions and to protect pagan tribes against the encroachment of Islam ; they did nothing to stop the propagation of christianity, however.

in the mid-1950's and to the demand for separation which, together, engulfed Sudan in political crises of major magnitude over a period of seventeen years ; only with the signing of the Addis Ababa Agreement (1972) did the conflict come to an end.

The Early Years

Sudan's first encounter with the outside world turned out to be decisive in the development of the southern dilemma. The Turco-Egyptian expedition in the 1830's brought southern Sudanese seclusion to an end, as the north and the south were for the first time placed under a single administration as part of the Ottoman empire. The regional relationship began to deteriorate shortly thereafter, however, as trade in slaves and ivory were developed by northerners and Europeans into a profitable operation. The slave merchants, predominatly Arab, encouraged tribal wars and played off one chief against another in order to guarantee the flow of slaves- one result of which was the uprooting of the population in the south. Although slave trade was officially prohibited in the Sudan in 1860, it continued to flourish and left behind a legacy of mistrust and violence. Even when the Sudan was independent for thirteen years under Mahdi rule, slave raids were still carried out on southern villages. Although the slave trade was terminated by the end of world war I, southern apprehension toward the north continued throughout the years[1].

Following the Mehdi's defeat in 1898, Britain was left in charge of the Sudan under an Anglo-Egyptian condominium arrangement. The British Colonial Administration saw no need to strengthen national unity ; instedad, they placed the north and the south under sparate administration on the ground that they geographically, racially, culturally and religiously distinctive, separated into a Negroid south and an Arabized north.

At this early stage of colonization, the British were mainly concerned with the pacification of the south. To this end, they followed a policy of separate development for southern Sudan along traditional African lines. As an important step, they localized the administrative machinery by utilizing the indigenous tribal structure and organization, a device by which the British could enhance their own position in the south[2].

Britain's concern was to quell any evidence of tribal unrest in order to maintain law and order rather than to develop the south economically and politically. Consequently, the south fell behind the more homogeneous north,

African Studies, V. 4, (1975)

THE PROBLEM OF SOUTHERN SUDAN

By

MOHAMED A. EL-KHAWAS, Ph.D.

Professor of History, Federal City College, Washington, D.C. U.S.A.

For almost two decades, the problem of southern Sudan has played a dominant role in the political history of the Sudan. Its long-term significance, however, extends far beyond Sudanese national boundaries : it has had repercussions on the relationship between he Sudan and neighboring countries, and has weakened the outlook for the future of Afro-Arab cooperation. In addition, it has served to emphasize a basic weakness common to many new multiracial states, that is, the lack of a political system that successfully accommodates various ethnic and cultural groupings.

The long-standing conflict in southern Sudan has been subject to different interpretations. It has been described by some as a religious conflict (Christianity versus Islam) and by others as a racial one (African versus Arab). Each party has put forward its case and has attempted to repudiate the argument of the other side ; the result has been a heated ideological atmosphere of accusation and counteraccusation, a situation which has not helped to clarify the issues underlying the conflict.

The problem of southern Sudan is both important and controversial, and the arguments have taken varying directions over the past two decades. It thus seems that an investigation taking into account the long-term development of the southern Sudan affair might lend valuable perspective on the issues underlying the problem.

This study represents an attempt in that direction. In particular, it will assess the claim of many northern Sudanese leaders that the problem evolved out of a colonial conspiracy initiated by the British who used « divide and rule » tactics to colonize, christianize, and westernize southern Sudan. It will also analyze the methods utilized by the various Sudanese governments in their efforts to conciliate the various interests in the controversy surrounding southern Sudan. Finally, it will examine the events that led to insurgency

REFERENCES

1. "AFRICA", An international business economic and political monthly, London, September, 1975, March 1974, February, 1974.
2. COLIN LEGUN, "Africa Contemporary Record" London 1790—1973.
3. EUROPA YEARBOOK, "Africa : South of the Sahara". London 1973—1974.
4. HOYLE B.S. HILLING, D. "Seaports and, Developments in Tropical Africa" London, 1970.
5. THOMAS, A. MARKS "Djibouti," African Affairs, Vol. 73, N. 290 1974, p.p. 95—105.
6. UN.ECA, Association of African Central Banks, Addis Ababa, 5—16.

   Auguast, 1974, "Impact of the Energy Crisis onTrade and Development of African countries.
7. UN, Encoomic, Social Survey, for Africa, 1970—1974.
8. UN., ECA, Statistical Yearbook, Prats 2,3,4 1972, 1973.
9. Dr. MOHAMMED ABDEL GHANI SEOUDI : African Economy and International Trade, Cairo, 1973.
10. Dr. MOHAMMED ABDEL GHANI SEOUDI : The Arab Nation, Cairo 1975

countries have not forgotten them and that the Africans did not forget the Arab brothers, the conference approved the oil embargo on Portugal, Rhodesia and South Africa considering that they were countries standing against African liberation. The Arab Summit also approved setting up an Afro-Arab Fund with a capital of S 100 million which was later incerased to S 200 million to assist the Afrcian countries facing economic difficulties due to the incresase in oil prices. An organisation of African Unity Committee placed four other economic factors to raise the share of the African countries, these were : drought, confined ladlocked countries, these countries whose export prices did not increase much, and those countries whose per capita income was very low.

At the end of 1974, the oil Assistance Fund allocated 50 million to 16 African countries. Although the interest was 1% at the beginning. this note was cancelled in November 1974 on the basis that payment would begin after 10 yers. The loan would be distributed in instalments spread over a period of 10 to 25 years.

Another Arab Bank for African Agricultural and Industrial Development was set up in khartoum in january 1974 with an initial capital of S 195 million. This was increaseed, starting from November 1974, to S 231 million. Then there was the project of an Arab Fund to grant technical assistance to the African cuntries. A sum of S 15 million was aleocated to this Fund. The Secretaɹy General of the League of Arab States called for the increase of this sum to S 50 million.

African countries began to ask for assistance from the United Nations. An Emergency Fund was set up to offer assistance to Third World countries affected by the oil embargo. The International Monetary Fund distributed 656 million among 21 African states at the end of 1974.

African countries requested OPEC to adopt a policy of a dual prices, in the sense that the Organisation would sell oil to the African countries at a reduced and special price and sell to other countries at a higher price. Howe ver, the idea was not accepted for it would have been immpossible to control this measure. It is sufficient to see what happened during the oil embarog. The OAPEC decided that there was about 3 .5 million tons of Arab oil which were sneaked to the United States between October 17, 1973 and the end of December of the same year. Such an action is possible to a certain degree because it is poasible to unload oil between tankers in the high seas.

bauxite and the Organisation of Peantus Exporting Countries (75% of peanuts are bproduced by Africa). These unions and others of which African countries are members have been encouraged by OPEC to adopt resolutions concerning their production and exportation. It seems there is a trend on the part of oil producing countries to finance. Some projects presented by raw material producing countries to consolidate their position in bargaining with davanced countries.

The rise in oil prices is to the benefit of African raw material producing countries

We should not forget that the rise in oil prices has benefitted African countries in an indirect manner by raising the prices of substitute commodities and which have become a serious competition to these materials. This is obvious in many ways. In respect to cotton (Africa produces 25% of the world cotton and 70% of long staple cotton) it now challenges arificial fibres derived from oil. World consumption of artificial fibres in 1968 reched 47% of the total amount of fibres offered compared to 27% in 1958. These fibres were used for wash and wear clothes which saved both time and expense for the consumer. Fibres replaced coton in other uses such as car tieres, parachutes fishing nets and knit-wear. Fine materials made of pure cotton have come to face competition with artificial latex products by 100% such as Quana which is a new kind of silk material produced by Dupont. The prices of pelyster fibres have become very close to te prices of cottion particulary if we take into consideration the waste in the cotton industry. There is no doubt that the increease in oil prices would consequently lead to an increase in the price of its derivatives cometing with materials and make it possible to return to plant materials ocne more.

The same can be said about polyproyplene and its competition with sisal (66% of whih is produced by Africa) from which ship ropes and bales are manufactured. Ropes made of polyproyylene are more durable than those made of sisal and the price factor could defied its consumption.

Strategy of Arab States towards African countries

The Arab states became aware of the imperialist strategy which attempts to lay the blame on the oil producing countries particulary the Arab countries and sow the seeds of doubt and suspicion between Arab and African countries. The Arab Summit Canterence was held in Algiers in November, 1973, to consob lidate Arof-Arab solidarigty. So that the African countries feel that the Arab

been shouldered by the advanced countries long before. At the various meetings of the UN conference on Trade and Development (UNCTAD), countries have agreed that industrial countries should assign 1 % of their revenue to assisting developing countries. However, this decision was never put into effect. Mr. Robert NcNamara, Governor of the International Bank, at the inaugural session of the Bandk in October, 1974 called upon advanced countries to save the developing countries by increasing their government aid to them. He recalled that the assistances in 1974 reached.

The lowest in the last four years. Dobts to be paid by devloping countries to advanced countries reached $ 80 milliard in addition to $ 9 milliard in interest in 1974. Is there an advanced country that exempts developing countries from paying interest only ? The Marshall Plan was laid down after World War within the framework of a political and miltary alliance between he United States and Europe. The assistancee extended by an industrialised to other industrialised countries reached about 3 % of the total revenue of the US. Its mobilisation and quick usages is evidence that the financial potentialities could be easily secured by industrialised countries when the political will is there.

Oil producing countries are poincers to African countries .

Oil countries, including Arab countries, however, rich they become, are Third World countries and are considered pioneers of those countries producing raw materials. We found in the introduction of the research the degree of the dependnec of African countries on materials. Therefore, there is no country producing and exporting raw materials in Africa or elsewhere, which to some degree or other, does not express admiration for OREC. It succeeded in acheving what Afriecan countries aspired to because it imposed for the first time the price at xhichit wants to sell to the industrial countries. These matetial producing countries including African countries encouraged this mooe io imitate or t follow suit. Whether unions for some raw materials existed bfore the rise in oil prices or appeared afterwards, OPEC is considered a peoneer in this field.

There is a union for cocoa producers (70%of which is African production) and a union for coffee producers 31% of which is African product). Copper producers (25% of world copper is pro duced by Africa) and they are thinking of limiting their production Bauxite (8% of which is produced by Africa) Producers are debating the possibility of laying down a minimum price for

The rise in prices of advanced commodities occurred prior to the October War

The fault lies with the advanced countries for more than one reason: the prices of foodstuffs rere on the rise before the increase in oil prices. The prices of industrial products rose before the enrgy crisis botween July 1972 and July 1973, that is before the October War.

The price of wheat doubled and rose once more in the second half of 1973.

The price of sugar quadrupled in less than three years.

The price of frtilisers doubled.

The price of steel increased threedfold while that of coement increased. fourfold

No one said anything about the inflation in the prices of agricultural and industrial materials produced by advanced coutries. Perhaps, the statement made by the Shah of Iran concerning the rise in oil prices was a good answer to their allegations. He told Time magazine (April 1, 1974) that the initial price of the oil barrel from the Gulf states was 2 1/4 in 1947. Then was reduced to 1 .8 and remained at this price until 1969. The advanced world was easqueeng our production in return for very little whereas the price of wheat increased threefold and sysgar by 16 time. Therfore it was necessary to raise the price of oil, so that we, in our turn, obtain our requirements and achieve prosperity for our poemles.»

Where is the assistance of the advanced countries to the African counties before and after the October War?

What astonishes one is man's invasion of the moon in this decade, showing that his scientific and techniacl abilities could overcome any problem produced by nature, while be appears helpless in the face of the misery and poverty thee prevailed in nearly all the world. Advanced countries took advantage of the rise in oil prices to make developing countries, including African countries, which are not oil producers, belive that this rise will aggravate their crisis We do not belivee that. For it is not possible to set different prices for oil one for advanced and another for developing countries. In the light of thc embargo policy, which accompanied the October War, against some countries, it was doubtful that such a policy would have been implemented completly due to the possibility of loading tankers in mid-ocean.

Oil-producer countries are aware that a rise in oil prices could harm developing countries but they find that the responsibility of assistance should have

Germany in this context? Have these figures been published and commented on by anyone? The whole iscue is that those benefitting from the rise in prices of industrial products, fertiliser's and wheat are the advanced countries of Europe, America and Japan, while those benefitting from the oil situation are the developing countries. Therefore, that which is considered right for the dvanced countries is considered wrong for the developing countries. Why should developing countries import food products, fertilisers and manufacture goods at costs double those of oil?

Arab countries require development

Those who publish figures of petrolum revenues seem to froget that petroleum is an exhaustable material, as we mentioned earlier, and that exported countries today will define future oil production to preserve this resource for as possible. It is sufficient to say that the advanced countries in 1973 alone consumed about 30 million barrels per day, that is half of the world's consumption.

Faculty calculations do not take into consideration that the oil countries are developing countries which need to consolidate their economies starting from Saudi Arabia to Iarq, Kuwait, Algeria, Libya, Qatar and Bahrein. For example, Saudi Arabia allocated the sum of S 60 milliard, in 1973, to its Five-Year Development Plan. This sum is subject to change since it increases every year. After the devaluation of the U.S. dollars, the price of the Saudi Arabian Rial has been changed three successive times, a total of 27 %. It is sufficient to say that in the Arab World, there are 200 million feddans which could be cultivated. They require investments. Should these lands be ignored and the Arab countries continue to import wheat, miwe and meat? It is time to set up an industrial base in the oil exporting countries. Why are there so many factories in the advanced countries? Why are there so many factories in the advanced countries? Why should not certain industries be set up such as plastics, artificial textiles, proteins, vitamins, pharmaceuticals and other materials which rely on oil as a raw material in the same countries which procuce oil?

If oil producing countries have sufficient great energy and great eamounts capital, they lack technology at a time when the eneragy crisis became more serious, industrial countries expressed readiness and provide experts. But unfortunately the enthusiasm shown during the crisis cooled down the crisi eased.

The production of Gabon reached more than a million tons in 1974 compared to 5 million tons in 1970, while Angola's production increased from 5 million tons in 1970 to 9 million tons in 1974, and that of the peopl's Republic of the Congo rose from 365,000 tons to 2.4 million tons during the period.

On the other and production in the Arab countries was considerably reduced, by nearly one half, between 1970 and 1974, though sometimes if remained constant as in Algeria (see Table VI). African producer countries benefitted from oil revenues and sometimes they benefitted more as shown in the table below.

	Government, oil revenues (in US S)	Oil exports (per million barrels)
Libya		
1973	2300	794
1974	7600	547
Extent of change	230.4 +	31.1 —
Nigeria		
1973	2000	715
1974	7000	785
extent of change %	250 +	9.8 +

The fiow of oil revenues was the key to economic development and de endence on this souce increased greatly as seen in the Third Five-Year Development Plan announced by President Takubu Gowon of Nigeria in 1974.

So that the arrow may be diverted towards the advanced countries which attempted to point it at oil producin and Arab countries, in particular, we should like to ask : Some advanced countuies, such as, Japan and West Germany, have achieved a great surplus in their balance with their reliance on raw material and Third World oil in general. Have we hard anyone say that the reason behind the world's econemic problems was exploitation by these advanced countries ? Do we know that in 1973 Japan alone had a surpuls which was estimated at about S 19,000 million of gold and foreign currency, followed by West

courtries on the other hand, paiticularly the African countries considering that they all, with few exceptions, supported Egypt and its Jemands after the October War for the necessity of Israeli withdrawal from the territories it occupied in 1967 and condemmed Israel is an aggressive power. The practical interpretatiol interpretation of such support was the mecision by most of the African countries to sever diplomatic relations with Israel. Major powers ranted African cou- ntries to blieve that this was their punishment. This led some African gove- rnments and press to attack the Arab countries saying that they were respo- nsible for the crises. They are passing through new. We should like to discuss how far the Arab countries were responsible for the crisse suffered by some African countries after the October 1973 war.

The Non-Arab African oil-producing countries benefitting from the October War :

If we take the first point, which is that the Arab countries may have benefitted greatly from the October War at the expense of the balances of other countries, including African countries, we should like to point !out that oil-producing countries are not only Arab countries. There are other non--Arab oil producing countries, such as Venezuela, Iran and the Soviet Union, and African countries, for example, Nigeria, Gabon, the People's Republic of the Congo and Angola. The effect of oil exploration in Nigeria began to show in the late fifties and the country began to export oil in a regular manner startin from 1960. Nigeria ' s oil production and exports increased until 1970 when civil war brekeeout in the country. In 1968 there was no oil production or exportation when the oil fields and the pipe line terminals fell into the hands of the Biafra separatists. Life returned to normal and oil production leaped and exceeded 50 million tons in 1970. However, it greatly increased, in 1973, to100 million tons, and, in 1974 to about 114 million tons, giving Nigeria, for the first time in its oil history, the lead, as petroleum productin country, over Libya, and in fact placing it seventh among world producers. Production incressed at a rate of 34 annually from 1969 to 1974 (mainly in 1973 and 1974), that is after the October War.

Production in the other African countries rapidly increased due to the Arab oil embargo and the closure of the Suez Canal as the remaining African oil -producing countries, at the time, were located in West Aftrica, far from the Canal and closer to European and American markets than the Gulf States.

the inhabitants are occupied in pasture and agriculture which both depend, on rainfall. The situation was even more critical because those countries affected by the drought with the exception of Mauritania do not have mineral resources rorth mentioning. The peoples of these countries look towards the sky and pray to God that the drought does not befall them for another year. The drought continued now for a number of years. The inahbitants exhausted their grain crops. At bresent about 25 million Africans live in famime, many became weak and thousands died of hungar. They were forced to eat seeds and nemyl borm cqlves and were unable to cultivate new crops.

Various diseases spread in these regions such as typhoid, dysentry, measels and intestinal inflammations. Cholera threatened the lives of 15,000 inhabitants of the capital of Niger alone. The number of inhabitants who experienced the famine in Chad alone in 1974 is estimated at about one and a half millon in the notrhern sector while in mthiopia they were estimated at about two million. The famine became more dangerous in countries lying in the interior of the continent, far from the sea, such as Chad, Niger, Upper Volta and Central Africa becasue they received the lenst assistances due to transportation diffculties such as bad roads and often the absemcr of railwayss In this case there was no other way but to use planes to drop foodstiuffs in cities and inhabitated areas. The foodstuffs did not reach the remote and scattered areas. The inhabitants of the desert and villages close to the cities left their homes and immigrated to the cities in search for food. This led to the emergeac of marked unempolyment. This unemployment still exists in Addis Abata Niamey, Zender and Bamaco.

These countries also lost most of their animal husbandry, which represented the majority of the exports of some. In 1973, alone, the lose ranged between 500,000 head of cattle in Ethiopia to most of the animal wealth in Niger.

In view of these grave circumstances, algerian President Houari Boumedinme at the end of the Non-Aligned Conference held in Algiers in December 1973, called for the necessity of holding an interntional conference to examine the problem of food. The UN General Assembly, in December, 1973 agreed to organise a conference for Food to be held in Rome in November 1974

The dissension sown between African and Arab coutries

Major powars today take advantage of these crises and attempt to defame Arab oil producing countries on the one hand and African and developing

It is an economy that relies on the exportation of agricultural or mineral raw materials. Raw materials comprise 92 of the total value of exports while the share of finished and semi-finished goods is less than 8 (in 1970). This led to econmic dependence and obstruated economic development. The prices of agricultural materials dropped after they had soared at the end of the fifties. This was particularly in respect of some major commodities produced by African countries. Some grains witnesseda catastrophic drop in prices which were cut down by about 50 as compared to the late fifties. The price of Sisal Tanzania's major grain as another example, dropped and from 140 pounds in 1963 to 70 pounds in 1967. The price of Ghana's cocoa dropped by 32 betwen 1959 and 1965. Other grains which have witnessed a catastrophic decline in prices in some years were coffee and cotton. These are all major exports for some African countries. The total loss of foreign accounts for Africa due to the drop in prices, particularly those of agricultural crops, is more than all the foreign accounts invested in the continent whether in the form of loans or grants in the two decades following World War II. Mr. Phillip Asidou, Permnent Secretary for the Ministry of Mining and Energy and chairmen of the National Union for Nigerian Oil, summed up the situation by saying that what happened after World War II was an inflation and increase in the prices of finished goods exported by the advanced countries as compared to a stagnation or drop in the prices of raw materials exported by Third World countries, in general, and African countries, in particular.

The Tanzanian Minister of Finance referring to the same situation, in a statement he made in Paris in 1975, said "the prices of the vital imports of Tansania increased at a rate between 20 and 50 while our income from exports either remained the same or fell. The oil bill alone in Tanzania increased from 35 million to 100 million in the last fiscal year. The oil bill went higher from 16 million in 1973 to 40 million in 1974." Some oil — producing countries such as Nigeria were badly affected with the growing inflation in the advanced countries. The value of its imports, excluding oil imports, increased by 40 in 1974 as compared to the previous year.

2 — **Famine and the problem of foodstuffs in Africa :**

Although the problem of foodstuffs was prevalent before the October War, it prevailed in the last period due to the drought which affected those countries, and unfortunately the poor countries. The drought extended from Mauritania to Niger, Mali, Upper Volta, North Nigeria and Central and North Ethiopia (the stal region). In these regions, praticularly in Africa

tons. The Wankie coal field in Rhodesia comes next whose production is estimated at about 3 million tons.

As for the other fields they are insignificant; and are scattered in Nigeria, Morocco, Algeria, Mozambique and Zaire. The production of each does not exceed several hundred tons and it is poor quality coal. Good quality coke for heavy industry does not exist except in Natal and Rhodesia.

Despite the continent's wealth of hydraulic potentialities, these countries which possess such potentialities are generally far away from industrialised and populated regions. These potentiallities are found in Tropical Africa while the main consumption areas at present are the contours of the continent. It is known that the costs of electricity increase the longer the lines. The economic limit of extending these lines is at the present 500 miles. If nothing appears to reduce these costs this means that, in the light of the present circumstance, the possibility of benefitting from the electricity of tropical Africa is little.

3. The African countries efforts for development :

African countries have sought to develop at a faster rate since they gained independence. They relied on exporting raw materials and at most semi-manufactured goods. They suffered badly from this specialisation. Industria-lisation, terefore, was the objective of many of these countries. If we know that development implies an increase in labour productivity through the exploitation of energy and technology, the energy requirement's of African countries will undoubtedly increase particularly if industrilisation is the basuis for development. It has also been noted that in Africa cities have developed at the expense of the rural sector. For example, the population of Algiers has increased threefold in one decade : 300,000 in 1959 to 900,0000 in 1960. Cairo's population reached 7 million in 1973 as compared to 4 million in 1960. An increase in the rate of modernisation is undoubtdly followed by an increae in the demand for oil.

WHY COULD AFRICAN COUNTRIES NOT FACE THE PROBLEM OF HIGHER PRICES ?

1. The nature of African economy :

African countries could have been to face the problem of higher prices like other advanced countries when the prices of their commodities went up. However, the nature of African economy and African exports did not help.

when Mr. T.E. Anin, Chairman of the Board of Directors of the Ghanian Commerecial Bank, stated that Ghana paid 53 million for its oil imports from January 1973 to end of December of the same year. However, it paid 100 million in the first seven months only in 1974. This not affected its balance of payment but also its development projects, particularly since during this year West European demand for wood fell. The situation could have been worse Ghana had not increased its cocoa production (its main export). If this was the situation in Ghana, what could it have been in other countries such Dahomey, Mozambique or Upper Volta.

TABLE VII

Develompment of African oil imports

(in US Dollars)

Country	1967	1969	1973	1973	1974
Ethiopia	12,42	11,08	14,97	29,61	69,64
Kenya	35,60	35,83	35,83	61,46	14,60
Uganda	1,50	8,56	2	6,99	16,44
Mauritius	5,25	5,60	4,29	7,53	17,72
Ivory Coast	14,34	17,83	19,29	34,54	81,28
Mali	2,59	3,41	4,89	10,13	23,84
Liberia	8,02	4,60	12,27	34,87	82,04
Morocco	23,37	30,56	42,73	85,97	202,28
Egypt	48,65	44,51	75	165,85	390,24
Sudan	8,35	35,30	25,61	44,08	103,72
Zaire	14,12	21,30	25,39	47,21	111,08
Cameroun	—	11,62	15,08	29,22	68,76

2. **Africa's lack of other energy sources :**

What makes the situation more critical is that the majority of African countries have come to depend on oil as a main source of energy. Ghana's dependence on oil is 80 and Tanzania 95 . This means that the continent has a shortage of coal. The only coal field of significant production lies in South Africa and this is the main reason behind the development of many mining operations there. Its yearly production reaches about 52 million

African countries which have refineries are Egyprt, Libya, Tunisia, Algeria, Morocco, Sudan, Ethiopia, Kenya, Tanzania, Mozambique, South Africa, Rhodesia, Zambia, Angola, Zaire, Congo, Gabon, Nigeria, Ghana, Lovory Coast, Liberia, Guinea and Senegal, that is about half the African countries.

The October War and Petroleum with regard to African Countries :

Many African countries were affected by the oil measures adopted by the Arab countries and OPEC, after the Egyptians had crossed the Canal, and as a reaction to the United States' constant support to Israel. We shall review here the degree to which they were affected then we shall examine how far the October War was responsible in this field. The apprehension of the African countries of the results of the October War increased at first when the oil policy was enforced in Novermber, 1973. The intention, at the beginning, was aimed at the hostile countries. However, Arab countries realised that imposing an oil embargo on some countries and not others would no have been completely effective, since these countries which were not embargoed could provide the others with their requirements of oil. Therefore, the policy of limiting production for all and, at that particular time made all the African countries, with the exception of the oil -producers, feel the oil embarog.

The countries which have refineries as well as those which do not, were all apprehensive of the policy since they all relied on imported oil whether crude or refined.

1. **Balances of payments :**

The situation may have changed with the flow of oil in the international market. But the complaint, at present, is the rise in oil prices and its affect on African economies or rath its effect on the 36 non petroleum producing African countries. The value of oil imports of these countries rose to 2062 million in 1974 as compared to 516 million in 1972. Most of the increase was due to the rise in the prices of imported oil and this effected a deficit in the balance of trade of these African countries, in 1974, mounting to 3738 million compared to about 700 million in 1972. Taking Ghana as an example, since it is one of the relatively advanced countries in West Africa, we find that in 1972—1973 there was a considerable increase in the prices of its major exports, namely, cocoa and wood. This led to a marked improvement in its balance of payments. The situation, however, changed dramatically in 1974

Table VI

Development of crude oil production in Africa (in thousand tons)

	1950	1960	1970	1973	1974	%of world production in 1974
Algeria	80	900	48500	51200	48500	1.7
Libya	—	—	159800	104900	79500	2.6
Other countries in North Africa	2400	4500	27700	17600	16000	5
Nigeria	—	880	52900	100100	113500	4
Other countries in West Africa	—	850	10900	17600	21000	8
Total production of the African continent	2480	7130	299800	290500	272500	9.6

equal to that of West Africa, though North Africa prdouced three-fourth of the continent's output in 1970, that is, before the Otcober War. It is noted that the oil producing regions,whether in North or West Africa, are coastal countries. As for the poor countries, as those in which oil has been discovered, these are located in East or South Africa or in the interior part of the continent. Nevertheless some of these countries which have no oil, have oil refineries which rely on imported crude.

In this case, one may divide African countries, as regards the oil situation, into three categories:—

1. Importing and exporting countries : Nigeria, Libya, Algeria, Egypt, Tunisia, Angola, Gabon, and the People's Republic of the Congo.

2. Oil producting and importing countries : Morocco.

3. Non-producing and importing countries : Sudan, Ethiopia, Somalia, Assab and Avar, Zambia, Tanzania, Kenya, Uganda, Mozambique, South Africa, Cameroon, the Republic of Central Africa, Zaire, Dahomey, Ghana, Guinea, Iovory Coast, Liberia, Mali, Upper Volta, Niger, Senegal Mauritania, Sierra Leone, Mali and Togo. There are 33 refineries in Africa with an output of about 45 million tons. Countries which have oil refineries are either oil-producing or rely on the import of crude oil.

that plans werecontemplated to build drydocks for the repair of giant ships With a view to attracting international maritime companies to make Dekar a port of call for the vessels ; and also to set up a tax free zone close bywhree foreign organisations would be exempted from custom dues and bureaucratic restrictions.

Table V

Tarffic in Dakar Port (per thousand tons)

Year	1966	1968	1970	1972
Loaded commodities	2100	2015	2804	2389

Second : Petroleum :

The African Economic Committee issued a Report on African Economic and Social Survey in 1974, which described the situation as not very optimistic for the 36 African petroleum non-producer countries due to the mounting petrolum prices which have been raised 5 times since 1972.

In fact, as we said at the beginning of this research, it would be wrong to say that all the African countries have been harmed or have benefitted from the international changes that occurred after the October 6 War.

Before studying the effect of oil measures taken after the October War, it is preferable to shed light on oil conditions in the African continent. Africa is one of the continents which has only recently entered the field of international oil production even though Egypt is not only one of the earliest African countries to produce oil, but also in the Arab World, since its oil production dates back to 1918 when the Gamassa oil field on the Red Sea began production. Oil production at the international level began in the late fifties and early sixties in Algeria, Nigeria and Libya.

Therefore, we find that oil in Africa is concentrated in two regions : North and West Africa. In North Africa, Libya comes first followed by Algeria, Egypt and Tunisia. In West Africa, Nigeria is first followed by Angola, Gabon, and the people,s Republic of Congo. If Libya is the giant oil producer in North Africa then Nigeria is the giant producer of West Africa, in fact it was the leading African oil producing country in 1974.

Total African oil production reached 272,5 million tons in 1974 or 9 .6 of international production. North Africa's oil production is now almost

its north-eastern boundaries. Any action in the Canal has its reaction on the Cape route, and any cessation on the Canal or inactivity in the Red Sea means increased activity via the Cape. For this reason, the South African ports found themselves faced with a huge maritime traffic rushing in from from the Indian Ocean, particularly, and heading to Western Europe and the new World. The Cape of Good Hope inherited the current of the Gulf oil heading towards Western Europe. The value of oil transferred to Europe reached 260 million tons in 1970 and reached 300 million tons in 1973. This is almost double the record petroleum tonnage transitting the Suez Canal prior to its closure. If the average number of ships passing through and stopping at South African ports, before the closure of the Canal, reached 2,500 vessels, this number increased threefold after the closure of the Canal. The volume of commodities increased by six times since this was the route followed by the giant tankers to which the world resorted only after 1967 in a bid to reduce distances and cut down costs.

Other countries benefitting from the increasing number of ships passing through their ports were Malagasy and Mozambique due to the change in the direction of traffic in the Indian Ocean to the South East instead of to the nort east as shown in Table III and Table IV .

Table III

Traffic in Malagasy ports (per thousand tons)

Year	1960	1966	1968	1970
Loaded commodities	235	399	591	719
Unloaded commodities	450	601	803	1019

Table IV

Traffic in Mozambique,s ports (per thousand tons)

Year	1960	1966	1968	1970
Loaded Commodities	3843	6854	9124	9828
Unloaded Commodities	2716	3175	4076	4044

In respect of West Africa, we can mention Senegal the capital of which, Dakar, witnessed a remarkable increase in the traffic of ships to the extent

Red Sea near the Red Sea's link with the Indian Ocean on the African side. The inhabitants of Djibouti depend, for a living, on the traffic of ships passing through the port in addition to the railways linking it to Addis Ababa. Despite the fact that the region is one of the most barren spots in the world, it is compensated by its strategic location. This may be seen in its balance of trade. In 1967, its exports were estimated at 2.8 million, the majority of which were leather and salts, all of which with the exception of about 500,000 worth were to France, whereas Djibouti's imports, that year, reached about 27 million. Therefore, this indicates re-exportation, namely, those products sold to ships transitting through or calling at the port. The port of Djibouti suffered badly from the closure of the Canal. Prior to the suspension of shipping in 1967, there was a marked and steady increase in the port's activity as it was responsible for 80% of Ethiopia's external trade. The tonnage of ships passing through in 1966 reached 1.8 million tons as 900,000 tons in 1960. In 1968, the volume of traffic fell by 33% as compared to 1966. Furthermore, there was a drop in the fishing industry and sale of fish was cut down by half. This led to the appearance of another problem, namely, unemplyment, especially that this port alone employs about two thirds of the inhabitants of the Avar and Assab region. In an attempt to overcome this problem before the reopening of the Canal, efforts were exerted to activate tourism and advertise the port's favourable climate from October to April as well as the purchasing facilities found in Djibouti as a tax free port. With the reopening of the Canal, life in the port returned to normal.

This was an example of the activity of ports in countries which favoured the opening of the Suez Canal.

TABLE II

Number of Ships which called at Port Sudan

1966 — 1970

Year	1966	1967	1968	1969	1970
Number	1223	1004	845	770	760

On the other hand, some African countries benefited from the closure of the Canal and were not anxious to have it re-opened. Consequently, the October War was to their disadvantage. These were namely the racist white minority government of South Africa which together, with Israel, represent racist regimes at the farthest southern tip of the continent and along

oil prices which were increased five-fold before the October War, the element of distance and transportation costs had an effect on the prices of the commodities which the above-mentioned African countries deal with and consequently on the degree of competition which they may find in other countries, particularly the countries of Latin America and the Caribbean Sea. Without entering into many details, I shall cite two examples in this context :

First : Somalia

Before the closure of the Suez Canal, bananas represented about 40% of the total value of exports of the country. However, in 1969, this fruit represented only 18% of the total value of exports. This was largely due to the finger dropping disease which, though known before, became more widespread and began to pose a grave problem, due to the closure of the Canal, the threefold increase of the maritime distance between Somalia and Italy (the main agent) and the doubling of the time period from 12 to 24 days. This led the Somali government to seek faster and better-prepared ships to go round the Cape of Good Hope. Until this was achieved, Equador seized the opportunity to fill the gap by exporting its banana crops to Italy in an attempt to wrest the market from Somalia. Therefore, due to the closure of the Canal, Somalia's bananas output faced a great challenge in its traditional market, namely, Italy. What saved Somalia to some extent was the preferential tariff given to Somalia bananas in the Italian market as well as the preferential treatment granted by the European Economic Community since Somalia is an associate member of the community. The costs of one ton of Somalia bananas in Italy, including all taxes, reached 263 pounds per ton within the existing preferential tariff system, without which the cost per ton would have risen to 311 pounds. This explains the disposal of some of Somalia's bananas due to the closure of the Canal. There is no dout that with the reopening of the Canal costs will once more be reduced. In this event Somalia could compete with, not only Equador's bananas, but also with those of the Ivory Coast, in West Africa, which enjoys the some privileges of Somalia in the European Economic Community even though the Ivory Coast was not affected by the closure of the canal.

Second : Djibouti

Djibouti is an example of these ports which depend to a large extent in their life on the passage and stop-overs of ships. Djibouti is situated opposite Aden and as a port has the same functions. It has at the entrance of the

material losses from the lost passage dues, destruction in habitation areas, slowing down of economic activity and the costs of moving workshops and factories as well as migration were not less than £ 1,200 million, then these economic losses are little as compared to the political and strategic considerations imposed by the very nature of the conflict in the region.

The African part which really suffered from the closure of the Canal was the eastern part starting from Sudan and ending at Mozambique, that is Sudan, Ethiopia, Djibouti, Somalia, Kenya, Tanzania and Mozambique.

Other countries which were also harmed were those located in the interior of the continent, such as Uganda, Ruanda, Burundi, Malawi and Zambia, which depend in their trade, both export and import, on the coastal countries mentioned previously. The gate way of these inland to the outside world namely Western Europe and North America, is through the Suez Canal, which reduces distances and number of the journeys, as indicated by the table below :

Table 1

Naval Journeys from Southampton (The United Kngdom)

	Distance in maritime miles			
To	Through Suez	Through the Cape of Good Hope	Economy in distance	Economy in %
Port Sudan	3747	10841	7094	60
Djibouti	4446	10143	5797	57
Mogadiscio	5510	9077	3567	40
Mombassa	6044	8545	2501	30
Beira	6782	7507	725	10

The table shows that the economy in distance is less the farther away the port is from the canal. The effect is clear in Sudan and Ethiopia and gradually decreases until we reach Mozambique. Not an important reduction when it is only a question of decreasing the number of days of the trip and consequently the number of journeys which one ship can make in one year. It assumes far greater importance when we consider operation costs, particularly fue . It has been proved that the fuel price in tankers' trips represents alone about half the price of transporting one ton. This was not of great importance before the October War. However, after the crises in

African Studies, V. 4, (1975)

THE OCTOBER 6 WAR AND AFRICAN ECONOMY[1]

By

MOHAMED ABDEL GHANI SEOUDI

Professor and Head of Geography Section, African Research and Studies Institute, Cairo University.

In international relations, whether political or economic, no one is ever the winner or the loser all the time. Everyone has his turn according to changes in international conditions. Moreover, any political or economic decision adopted by a country, in respect of its external relations, must, in varying degrees, have either a positive or negative effect on one or a number of countries. This is because the international community is formed of a group of countries or political units and any change affecting one political unit will definitely be either to the advantage or at the expense of one or several other political units.

I am saying this in relation to the topic we are now discussing, namely, the effect of the October 6 War on African economy and the impact of Egypt's decision to enter the war on African countries. In this objective and scientific study, I have tried to point out the effect of this war and Egypt's decision on African economy in two main subjects : the Suez Canal and oil.

First : The Suez Canal

It was not possible to open the Suez Canal to navigation or to the world and international trade except after Egyptian forces on Cctober 6, 1973 had crossed to the eastern bank of the Canal and Sinai. The presence of two hostile forces or the two banks of the canal, naturally, impeded shipping even if the waterway were cleared of sunken vessels, rocks or mines. The re-opening of the Canal to shipping and navigation on June 5, 1975 had an effect on the world, including Africa. There are countries whose economies were very badly affected by the closure of the waterway and, therefore, its opening after the October War was a long-awaited remedy. If Egypt was the African country most harmed by the closure of the Canal since its total

(1) October Seminar, 1975, Cairo University.

CONTENTS

In Non Arabic Language :

OUR BULLETIN

This is fourth issue of this scientific bulletin published by the Institute of African Studies, Cairo University.

The goal of this bulletin as apparent from the essays published here is purely academic. It is to publish recent researches either done by the specialized staff of the institute or by others. These researches deal with the different aspects of the continent of Africa.

Our Institute views this bulletin as a complement to its scientific mission, because, as a specialized institute, it aims foremost to encourage studies dealing with our continent and also to publish all new research and findings about it. Its aim is also to exchange this knowledge with other Institutes and Universities or other scientific bodies either in African Countries or anywhere else all over the world.

As we welcome this exchange of knowledge which serves our combined efforts, we hope that these studies about the African Continent, its inhabitants their activities, their civilization and their contributions towards the progress of mankind may always develop and grow.

Editor

Editor : Prof. Dr. M.A. SEOUDY

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

Prof. Dr. M.A. SEOUDY
Institute of Research and
African-Studies
Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 4 **1975**

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 4 1975

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.